الجزء الثاني من كتاب المستطرف في كل فن مستظرف
تأليف الامام الاوحد العالم العلامة اللوذعي
الفهامة الشيخ شهاب الدين أحمد
الابشيهي تغمده الله
بالرحمة والرضوان
آمين

(فهرسة الجزء الثانى من كتاب المستطرف)

الباب

(تمت)

الجزء الثاني من كتاب المستطرف في كل فن مستظرف
تأليف الامام الاوحد العالم العلامة اللوذعي
الفهامة الشيخ شهاب الدين أحمد
الابشيهي تغمده الله
بالرحمة والرضوان
آمين

بسم الله الرحمن الرحيم

(الباب الثالث والاربعون فى الهجاء ومقدماته)

القصد من الهجاء الوقوف على ملحه ومافيه من ألفاظ فصيحة ومعان بديعة لا التشفى بالاعراض والوقوع فيها وليس الهجاء دليلا على اساءة المهجو ولا صدق الشاعر فيما رماه به فما كل مذموم بذميم وقد يهجى الانسان بهتانا وظلما أو عبثا او ارهابا قال المتوكل لابى العيناء كم تمدح الناس وتذمهم قال ما أحسنوا وأساؤا وقد رضى الله تعالى على عبد من عبيده فمدحه فقال نعم العبد انه أواب وغضب على آخر فقال مناع للخير معتد أثيم عتل بعد ذلك زنيم قيل الزنيم الملصق بالقوم وليس منهم وقال دعبل فى المأمون بعد البيعة له وقتل الامين

انى من القوم الذين همو همو * قتلوا أخاك وشرفوك بمقعد
شادوا الذكرك بعد طول خموله * واستنقذوك من الحضيض الاوهد

فقال المأمون ما أبهته ليت شعرى متى كنت خاملا وفى حجر الخلافة ربيت وبدرها غذيت ولما قتل جعفر بن يحيى بكى عليه أبو نواس فقيل له أتبكى على جعفر وأنت هجوته فقال كان ذلك لركوب الهوى وقد بلغه والله انى قلت

ولست وان أطنبت فى وصف جعفر * بأول انسان خرى فى ثيابه

فكتب يدفع اليه عشرة آلاف درهم يغسل بها ثيابه * ومن العبث بالهجو ماروى ان الحطيئة هم بهجاء فلم يجد من يستحقه فقال

أبت شفتاى اليوم الا تكلما * بسوء فلا أدرى لمن أنا قائله
أرى بى وجها قبح الله خلقه * فقبح من وجه وقبح حامله

وعبث بامه فقال

تنحى

تنحى فاجلسى عنا بعيدا * أراح الله منك العالمينا
اغربالا اذا استودعت سرا * وكانونا على المتحدثينا
حياتك ما علمت حياة سوء * وموتك قد يسر الصالحينا

وقال رجل ما أبالى أهجيت أو مدحت فقال له الاحنف ارحت نفسك من حيث تعب الكرام * وقال رجل لآخر ان هجوتنى أهجوت ابنتى قال لا قال افتخرب ضيعتى قال لا قال فرجلى مع سلقى الى حلقى فى حومتك قال ولم تركت رأسك قال لانظر ما تصنع وأنا أقول انما يخشى من الهجو من يخاف على عرضه وأما من لا يخاف على عرضه فقد يستوى عنده المدح والذم وبئس الرجل ذاك *وكان الرجل من نمير اذا قيل له ممن الرجل يقول من نمير وأمال بها عنقه فلما هجاهم جرير بقوله

فغض الطرف انك من نمير * فلا كعبا بلغت ولا كلابا

صار اذا قيل لاحدهم ممن الرجل يقول من بنى عامر وما لقيت قبيلة من العرب بهجو ما لقيت نمير بهجو جرير وهجا ابن بسام رجلا فقال

يا طلوع الرقيب من غير الف * يا غريما أتى على ميعاد
يا ركودا فى وقت غيم وصيف * يا وجوه التجار يوم كساد

وقصد ابن عيينة قبيصة المهلبى واستماحه فلم يسمح له بشئ فانصرف مغضبا فوجه اليه دواد بن زيد بن حاتم فترضاه وأحسن اليه فقال فى ذلك

داود محمود وأنت مذمم * عجبا لذاك وأنتما من عود
ولرب عود قد يشق لمسجد * نصفا وباقيه لحش يهودى
فالحش انت له وذاك لمسجد * كم بين موضع مسلح وسجود
هذا جزاؤك يا قبيص لانه * جادت يداه وأنت قفل حديد

وله هجاء فى خالد

أبوك لنا غيث يغيث بوبله * وأنت جراد لست تبقى ولا تذر
له أثر فى المكرمات يسرنا * وأنت تعفى دائما ذلك الاثر

وقال المبرد فى حقه لم يجتمع لاحد من المحدثين فى بيت واحد هجاء رجل ومدح أبيه الا له ولما قعد حماد عجرد لتأديب ولد الامين قال بشار بن برد

قل للأمين جزاك الله صالحة * لا تجمع الله بين السخل والذيب
السخل يعلم أن الذئب آكله * والذئب يعلم ما بالسخل من طيب

وقال فيه أيضا

يا أبا الفضل لا تنم * وقع الذئب فى الغنم
ان حماد عجرد * شيخ سوء قد اغتنم
بين فخذيه حربة * فى غلاف من الادم
ان رأى ثم غفلة * يجمع الميم بالقلم

فشاعت الابيات فأمر الامين باخراج حماد * وقال رجل لاخيه لابويه لأهجونك هجاء

يدخل معك في قبرك قال كيف تهجوني وأبوك أبي وأمك أمي قال أقول

بني امية هبوا طال نومكمو * ان الخليفة يعقوب بن داود
ضاعت خلافتكم يا قوم فالتمسوا * خليفة الله بين الماء والعود

ودخل يعقوب على المهدي فأخبره ان بشارا هجاه فاغتاظ المهدي وانحدر الى البصرة لينظر في أمرها فسمع أذانا في ضحى النهار فقال انظروا ما هذا واذا به بشار وهو سكران فقال له يا زنديق عجب ان يكون هذا من غيرك ثم أمر به فضربه سبعين سوطا حتى اتلفه بها والقي في سفينة فقال عين الشمقمق ترانى حيث يقول

ان بشار بن برد * تيس أعمى في سفينه

فلما مات ألقيت جثته في الماء فحمله الماء فأخرجه الى الدجلة فجاء بعض أهله فحملوه الى البصرة وأخرجت جنازته فما تبعه أحد وتباشر عامة الناس بموته لما كان يلحقهم من الاذى منه * وخاصم أبو دلامة رجلا فارتفعا الى عافية القاضي فلما رآه أبو دلامة أنشد يقول

لقد خاصمتني دهاة الرجال * وخاصمتها سنة وافيه
فما دحض الله لي حجة * ولا خيب الله لي قافيه
ومن خفت من جوره في القضاء * فلست أخافك يا عافيه

فقال عافية لاشكونك الى أمير المؤمنين ولاعلمنه انك هجوتني قال له أبو دلامة اذا والله يعزلك قال ولم قال لانك لا تعرف الهجاء من المدح قال فبلغ ذلك المنصور فضحك وأمر له بجائزة * ودخل أبو دلامة على المهدي وعنده اسمعيل بن علي وعيسى بن موسى والعباس ابن محمد وجماعة من بني هاشم فقال له المهدي والله لئن لم تهج واحدا ممن في هذا البيت لاقطعن لسانك فنظر الى القوم وتحير في أمره وجعل ينظر الى كل واحد فيغمزه بأن عليه رضاه قال أبو دلامة فازددت حيرة فما رأيت أسلم لي من ان أهجو نفسي فقلت

الا ابلغ لديك ابا دلامه * فلست من الكرام ولا كرامه
جمعت دمامة وجمعت لؤما * كذاك اللؤم تتبعه الدمامه
اذا لبس العمامة قلت قردا * وخنزيرا اذا نزع العمامه

فضحك القوم ولم يبق منهم أحد الا اجازه وقال ابن الاعرابي ان أهجى بيت قاله المحدثون قول محمد بن وهب في محمد بن هاشم

لم تند كفاك من بذل النوال كما * لم يند سيفك مذ قلدته بدم

وهجا بعضهم القمر فقال يهدم العمر ويوجب اجرة المنزل ويشحب الالوان ويقرض الكتان ويضل الساري ويعين السارق ويفضح العاشق * ولابن منقذ في ابن طالب المصري وقد احترقت داره

انظر الى الايام كيف تسوقنا * قسرا الى الاقدار بالاقدار
ما أوقد ابن طالب قط بداره * نارا وكان خرابها بالنار

وكان للوجيه بن صورة المصري دلال الكتب دار بمصر موصوفة بالحسن فاحترقت فقال فيها ابن المنجم

أقول وقد عاينت دار ابن صورة * والنار فيها وهجة تتضرم
فما هو الا كافر طال عمره * فجاءته لما استبطأته جهنم

وقد أحسن الاديب كمال الدين علي بن محمد بن المبارك الشهير بابن الاعمى في ذم دار كان يسكنها حيث قال

دار سكنت بها أقل صفاتها * ان تكثر الحشرات في جنباتها
الخير عنها نازح متباعد * والشر دان من جميع جهاتها
من بعض ما فيها البعوض عدمته * كم أعدم الاجفان طيب سناتها
وتبيت تسعدها براغيث متى * غنت لها رقصت على نغماتها
رقص بتنقيط ولكن قافه * قد قدمت فيه على اخواتها
وبها ذباب كالضباب يسد عين الشمس ما طربي سوى غناتها
اين الصوارم والقنا من فتكها * فينا وأين الاسد من وثباتها
وبها من الخطاف ما هو معجز * أبصارنا عن وصف كيفياتها
وبها خفافيش تطير نهارها * مع ليلها ليست على عاداتها
وبها من الجرذان ما قد قصرت * عنه العتاق الجرد في حملاتها
وبها خنافس كالطنافس أفرشت * في أرضها وعلت على جنباتها
لو شم أهل الحرب منتن فسوها * أردى الكماة الصيد عن صهواتها
وبنات وردان وأشكال لها * مما يفوت العين كنه ذواتها
أبدا تمص دماءنا فكأنها * حجامة لمدت على كاساتها
وبها من النمل السليماني ما * قد قل ذر الشمس عن ذراتها
ما راعني شيء سوى وزغاتها * فتعوذوا بالله من لدغاتها
سجعت على أوكارها فظننتها * ورق الحمام سجعن في شجراتها
وبها زنابير تظن عقاربا * حر السموم أخف من زفراتها
وبها عقارب كالاقارب رتع * فينا حمانا الله لدغ حماتها
كيف السبيل الى النجاة ولا نجا * ة ولا حياة لمن رأى حياتها
منسوجة بالعنكبوت سماؤها * والارض قد نسجت على آفاتها
فضجيجها كالرعد في جنباتها * وترابها كالرمل في خشناتها
والبوم عاكفة على أرجائها * والدود تبحث في ثرى عرصاتها
والجن تأتيها اذا جن الدجى * تحكي الخيول الجرد في جولاتها
والنار جزء من تلهب حرها * وجهنم تعزى الى لفحاتها
شاهدت مكتوبا على ارجائها * ورأيت مسطورا على جدراتها
لا تقربوا منها وخافوها ولا * تلقوا بأيديكم الى هلكاتها
أبدا يقول الداخلون ببابها * يارب نج الناس من آفاتها
قالوا اذا ندب الغراب منازلا * يتفرق السكان من ساحاتها

وبدارنا ألف غراب ناعق * كذب الرواة فأين صدق رواتها
صبرا لعل الله يعقب راحة * للنفس اذ غلبت على شهواتها
دار تبيت الجن تحرس نفسها * فيها وتندب باختلاف لغاتها
كم بت فيها مفردا والعين من * شوق الصباح تسح من عبراتها
وأقول يارب السموات العلا * يارازقا للوحش في فلواتها
أسكنتني بجهنم الدنيا ففي * أخراي هب لي الخلد في جناتها
واجمع بمن أهواه شملي عاجلا * ياجامع الارواح بعد شتاتها

ولبعضهم في بلان

أشكو الى الله بلانا بليت به * مست أنامله ظهري فأدماني
فلا يدلك تدليكا بمعرفة * ولا يسرح تسريحا باحسان

وللشيخ شمس الدين البدوي في بلان أيضا

وبلان له ظفر يباهي * به حد الشفار المرهفات
هرى جسمي فألبسه نجيعا * على حال الستور السابلات
ورام يلين أعضائي برفق * فأيبسها وكسر فوقعاتي
ولم أنظر له أبدا جميلا * وذلك من عظيم المهلكات
وأعمى مقلتي بصنان ابط * يفوح به على كل الجهات
فلا تجعل الهي مثل هذا * يغسلني اذا حانت وفاتي

ولبعضهم في حمام

وحمام دخلناه لامر * حكى سقرا وفيها المجرمونا
فيصطرخوا يقولوا أخرجونا * فان عدنا فانا ظالمونا

وللشريف أبي يعلى الهاشمي البغدادي في نظام الملك يهدده بالهجاء يقول

أيجمل يانظام الملك أني * أعاود من ذراك كما قدمت
وأصدر عن حياضك وهي نهب * بأفواه السقاة وماوردت
يدل على فعالك سوء حالي * ويخبر عن نوالك ان كتمت
اذا استخبرت ماذا نلت منه * وقد علم الورى كرما سكت

وممن عرض بالهجو في شعره الخوارزمي قال في أبي جعفر

أباجعفر لست بالمنصف * ومثلك ان قال قولا يفي
فان أنت أنجزت لي ماوعدت * والا هجيت وأدخلت في
وقد علم الناس ما بعد في * فغط الحديث ولا تكشف

ومدح السراج الوراق انسانا فلم يجزه فكتب يعرض له بالهجاء ويهدده يقول

أعد مدحي علي وخذ سواه * فقد أتعبتني يامستريح
ولا تغضب اذا أنشدت يوما * سواه وقيل لي هذا صحيح

وله أيضا يقول

أعد مدحاً كذبت عليك فيه * وقد عوقبت بالحرمان عنه
ولكني سأصدق فيك قولاً * فلا يصعب عليك الحق منه

وقال بعضهم في حجاج قدموا ولم يهدوا اليه شيأ

مضوا ليحجوا والوجوه كأنها * تكاد لفرط البشر أن توضح السبلا
وعادوا كأن القار فوق وجوههم * فلا مرحباً بالقادمين ولا سهلا
وجاؤا وما جادوا بعود اراكة * ولا وضعوا في كف طفل لنا نقلا

وقال آخر

اذا رمت هجوا في فلان تصدني * خلائق قبح عنه لا تتزحزح
تجاوز قدر الهجو حتى كأنه * بأقبح ما يهجى به المرء يمدح

وهجا بعضهم امرأة فقال

لها جسم برغوث وساق بعوضة * ووجه كوجه القرد بل هو أقبح
تبرق عيناها اذا ما رأيتها * وتعبس في وجه الضجيع وتكلح
لها منظر كالنار تحسب انها * اذا ضحكت في أوجه الناس تلفح
اذا عاين الشيطان صورة وجهها * تعوذ منها حين يمسي ويصبح

ولبعضهم في عظيم أنف

لك وجه وفيه قطعة أنف * كجدار قد دعموه ببغله
وهو كالقبر في المثال ولكن * جعلوا نصفه على غير قبله

وفيه أيضاً

رأينا اللزكي جدار أنف * يضاهي في تشامخه الجبالا
تصدى للهلال لكي يراه * فلولا عظمه لرأى الهلالا

ولبعضهم في أبخر مخنث

قالوا فلان به نتن فقلت لهم * يا قوم قد حار فكري في مساويه
يا قوم لا تعجبوا من نتن نكهته * فالاير يدفع ما فيه الى فيه

ولصفي الدين الحلي

رأى فرسي اصطبل عنسى فقال لي * قفانبك من ذكرى حبيب ومنزل
به لم أذق طعم الشعير كأنني * بسقط اللوى بين الدخول فحومل
تقعقع من برد الشتاء أضالعي * لما نسجتها من جنوب وشمأل

وله أيضاً

ابهنك ان لي ولدا وعبدا * سواء في المقال وفي المقام
فهذا سابق من غير سين * وهذا عاقل من غير لام

وله في طبيب يدعى اسحق

مباضع اسحق الطبيب كأنها * لها بفناء العالمين كفيل
معودة ان لا تسل نصالها * فتغمد حتى يستباح قتيل

وله فى أحمق طويل اللسان

لو ان قوة وجهه فى قلبه * قنص الاسود وجندل الابطالا
أوكان طول لسانه بيمينه * أفنى الكنوز وأنفد الاموالا

وهجا اعرابى رجلا ثم مدحه فقال

انى مدحتك من فساد قريحتى * وعلمت ان المدح فيك يضيع
لكن رأيت المسك عند قساده * يدنى الى بيت الخلا فيضوع

*وقيل لبعضهم ما تقول فى فلان وفلان قال هما الخمر والميسر اثمهما أكبر من نفعهما وقيل لرجل كيف وجدت فلانا قال طويل اللسان فى اللؤم قصير الباع فى الكرم وثابا على الشر مناعا للخير * وسمع اعرابى قوله تعالى الاعراب أشد كفرا ونفاقا فانتفض ثم سمع قوله تعالى ومن الاعراب من يؤمن بالله واليوم الآخر فقال الله أكبر هجانا ثم مدحنا وكذلك قال الشاعر

هجوت زهيرا ثم انى مدحته * وما زالت الاشراف تهجى وتمدح

استب رجلان فقال أحدهما للآخر لو قطع زبك وعلق لم تبق زانية بالكوفة الا عرفته

وقال أبو زيد العبدى

ولقد قتلتك بالهجاء فلم تمت * ان الكلاب طويلة الاعمار

وقال المتوكل لابى العيناء ما بقى أحد فى المجلس الا هجاك وذمك غيرى فقال

اذا رضيت عنى كرام عشيرتى * فلا زال غضبانا على لئامها

(الباب الرابع والاربعون فى الصدق والكذب وفيه فصلان)

(الفصل الاول فى الصدق) قال الله تعالى مبشرا للصادقين هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم وقال تعالى والصادقين والصادقات فمدحهم وبين لهم المغفرة والاجر العظيم *وقال عمر رضى الله عنه عليك بالصدق وان قتلك وما أحسن ما قيل فى ذلك

عليك بالصدق ولو انه * أحرقك الصدق بنار الوعيد
وابغ رضا المولى فأغبى الورى * من أسخط المولى وأرضى العبيد

وقال اسمعيل بن عبيد الله لما حضرت أبى الوفاة جمع بنيه فقال لهم يا بنى عليكم بتقوى الله وعليكم بالقرآن فتعاهدوه وعليكم بالصدق حتى لو قتل أحدكم قتيلا ثم سئل عنه اقر به والله ما كذبت كذبة قط مذ قرأت القرآن *وعن عائشة رضى الله عنها قالت سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم بم يعرف المؤمن قال بوقاره ولين كلامه وصدق حديثه * وقيل لكل شئ حلية وحلية النطق الصدق وقال محمود الوراق

الصدق منجاة لاربابه * وقربة تدنى من الرب

وقيل الصدق عمود الدين وركن الادب وأصل المروأة فلا تتم هذه الثلاثة الا به * وقال ارسطاطاليس أحسن الكلام ما صدق فيه قائله وانتفع به سامعه * وقال المهلب بن أبى صفرة ما السيف الصارم فى يد الشجاع باعز له من الصدق * وكان يقال على الصدوق فلان وقف لسانه على الصدق * ويقال الصدق محمود من كل أحد الا من الساعى *

ويقال لوصدق عبد فيما بينه وبين الله تعالى حقيقة الصدق لاطلع على خزائن الغيب ولكان أمينا فى السموات والارض * وقيل من لزم الصدق وعوّد لسانه به وفق * ويقال الصدق بالحرّ أحرى * وقال عتبة بن أبى سفيان اذا اجتمع فى قلبك أمران لاتدرى أيهما أصوب فانظر أيهما أقرب الى هواك فخالفه فانّ الصواب اقرب الى مخالفة الهوى * وقال ارسطاطاليس الموت مع الصدق خير من الحياة مع الكذب * وكان نقش خاتم ذى يزن وضع الخذ للحق عز * وامتدح ابن ميادة جعفر بن سليمان فأمر له بمائة ناقة فقبل يده وقال والله ماقبلت يد قرشى غير يدك الا واحدا فقال أهو المنصور قال لا والله قال فمن هو قال الوليد بن يزيد قال فغضب وقال والله ماقبلتها لله تعالى فقال والله ولا يدك ماقبلتها لله تعالى ولكن قبلتها للنفع فقال والله لاضرك الصدق عندى أعطوه مائة أخرى * وقال عامر العدوانى فى وصيته انى وجدت صدق الحديث طرفا من الغيب فاصدقوا * يعنى من لزم الصدق وعوّده لسانه وفق فلا يكاد ينطق بشئ يظنه الاجاء على ظنه * وخطب بلال لاخيه امرأة قرشية فقال لاهلها نحن من قد عرفتم كنا عبدين فأعتقنا الله تعالى وكنا ضالين فهدانا الله تعالى وكنا فقيرين فأغنانا الله تعالى وأنا أخطب اليكم فلانة لاخى فان تنكحوها له فالحمد لله تعالى وان تردّونا فالله أكبر فأقبل بعضهم على بعض فقالوا بلال ممن عرفتم سابقته ومشاهده ومكانه من رسول الله صلى الله عليه وسلم فزوّجوا أخاه فزوّجوه فلما انصرفوا قال له أخوه يغفر الله لك أما كنت تذكر سوابقنا ومشاهدنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وتترك ماعدا ذلك فقال مه يا أخى صدقت فانكحك الصدق * وخطب الحجاج فأطال فقام رجل فقال الصلاة فانّ الوقت لا ينتظرك والرب لا يعذرك فأمر بحبسه فأتاه قومه وزعموا انه مجنون وسألوه أن يخلى سبيله فقال ان أقر بالجنون خليته فقيل له فقال معاذ الله لا أزعم انّ الله ابتلانى وقد عافانى فبلغ ذلك الحجاج فعفا عنه لصدقه

(الفصل الثانى من هذا الباب فى الكذب وماجاء فيه) قال الله تعالى فى الكاذبين ولهم عذاب أليم بما كانوا يكذبون وقال تعالى ويوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله وجوههم مسودّة وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اياكم والكذب فان الكذب يهدى الى الفجور والفجور يهدى الى النار وتحروا الصدق فانّ الصدق يهدى الى البر والبر يهدى الى الجنة * وعن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا كذب العبد كذبة تباعد الملكان عنه مسيرة ميل من نتن ماجاء به * ويقال راوى الكذب أحد الكذابين * ويقال رأس المآثم الكذب وعمود الكذب البهتان * وقيل أمران لاينفكان من الكذب كثرة المواعيد وشدّة الاعتذار وقال الحسن فى قوله تعالى ولكم الويل مما تصفون وهى لكل واصف كذب الى يوم القيامة * قال الاصمعى قلت لكذاب أصدقت قط قال لولا انى أخاف أصدق فى هذا لقلت لك لا فتعجب وقال محمود بن أبى الجنود

لى حيلة فيمن ينم وليس فى الكذاب حيله
من كان يخلق مايقو * ل فحيلتى فيه قليله

ويقال فلان أكذب من لمعان السراب ومن سحاب تموز وكان بفارس محتسب يعرف بجراب الكذب وكان يقول ان منعت الكذب انشقت مرارتي واني والله لاجد به مع ما يلحقني من عاره من المسرة ما لا أجده بالصدق مع ما ينالني من نفعه * وقال فيلسوف من عرف من نفسه الكذب لم يصدق الصادق فيما يقوله ولبعضهم

حسب الكذوب من البلية بعض ما يحكى عليه
فتى سمعت بكذبة * من غيره نسبت اليه

وأضاف صيرفي قوما فقيل يحدثهم فقال بعضهم نحن كما قال تعالى سماعون للكذب أكالون للسحت * وعن عبد الله بن السدي قال قلت لابن المبارك حدثنا حديثا قال ارجعوا فلست أحدثكم فقيل له انك لم تحلف فقال لو حلفت لكفرت وحدثتكم ولكن لست أكذب فكان هذا أحب الينا من الحديث * وقال مجاهد يكتب على ابن آدم كل شئ حتى أنينه في سقمه وحتى انّ الصبي ليبكي فتقول له أمه اسكت وأشتري لك كذا ثم لا تفعل فتكتب كذبة * وقال الفضيل ما من مضغة أحب الى الله تعالى من اللسان اذا كان صدوقا ولا مضغة أبغض الى الله تعالى من اللسان اذا كان كذوبا * وعن ابن مسعود رضي الله عنه مرفوعا أعظم الخطايا اللسان الكذوب قال الشاعر

لا يكذب المرء الا من مهانته * او فعله السوء أو من قلة الادب
لبعض جيفة كلب خير رائحة * من كذبة المرء في جد وفي لعب

*ولما نصب معاوية رضي الله عنه ابنه يزيد لولاية العهد أقعده في قبة حمراء وجعل الناس يسلمون على معاوية ثم يسلمون على يزيد حتى جاء رجل ففعل ذلك ثم رجع الى معاوية فقال يا أمير المؤمنين اعلم انك لو لم تول هذا أمور المسلمين لاضعتها والاحنف ساكت فقال معاوية مالك لا تقول يا أبا بحر فقال أخاف الله تعالى ان كذبت وأخافكم ان صدقت فقال جزاك الله خيرا عما تقول ثم أمر له بألوف فلما خرج الاحنف لقيه ذلك الرجل بالباب فقال له يا أبا بحر اني لاعلم انّ هذا من شرار خلق الله تعالى ولكنهم استوثقوا من الاموال بالابواب والاقفال فلسنا نطمع في اخراجها الا بما سمعت فقال له الاحنف يا هذا أمسك فانّ ذا الوجهين خليق أن لا يكون عند الله وجيها * وقيل ان الكذب يحمد اذا وصل بين المتقاطعين او أصلح بين الزوجين ويذمّ الصدق اذا كان غيبة وقد رفع الحرج عن الكاذب في الحرب وعن المصلح بين المرء وزوجه * وكان المهلب في حرب الخوارج يكذب لاصحابه يقوّي بذلك جأشهم فكانوا اذا رأوه مقبلا اليهم قالوا جاءنا يكذب * وقال يحيى بن خالد رأينا شارب خمر نزع ولصا اقلع وصاحب فواحش رجع ولم نر كذابا صار صادقا *وكان عمرو بن معد يكرب مشهورا بالكذب *وقيل لخلف الاحمر وكان شديد التعصب لليمن أكان ابن معد يكرب يكذب فقال كان يكذب في المقال ويصدق في الفعال *وقيل ان بلالا لم يكذب مذ أسلم رضي الله عنه والحمد لله وحده

(الباب الخامس والاربعون في برّ الوالدين وذمّ العقوق وذكر الاولاد وما يجب لهم وعليهم وصلة الرحم والقرابات وذكر الانساب وفيه فصول)

(الفصل الاوّل في برّ الوالدين وذم العقوق) قال الله تعالى واعبدوا الله ولا تشركوا به شيأ وبالوالدين احسانا * وقال تعالى وقضى ربك أن لا تعبدوا الا اياه وبالوالدين احسانا * وقال تعالى أن اشكر لي ولوالديك الىّ المصير * وقال تعالى فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريما واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيرا * وعن علي رضى الله عنه لو علم الله شيأ في العقوق أدنى من أف لحرّمه فليعمل العاق ماشاء أن يعمل فلن يدخل الجنة وليعمل البارّ ماشاء أن يعمل فلن يدخل النار * وقيل انّ رضا الرب في رضا الوالدين وسخط الرب في سخط الوالدين (وحكى) أبو سهل عن أبي صالح عن أبي نجيح عن ربيعة عن عبد الرحمن عن عطاء بن أبي مسلم أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من حج عن والده بعد وفاته كتب الله لوالده حجة وكتب له براءة من النار وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اياكم وعقوق الوالدين فان ريح الجنة يوجد من مسيرة خمسمائة عام ولا يجد ريحها عاق وكان رجل من النساك يقبل كل يوم قدم أمه فأبطأ يوما على اخوته فسألوه فقال كنت أتمرّغ في رياض الجنة فقد بلغنا انّ الجنة تحت أقدام الامهات وبلغنا انّ الله تعالى كلم موسى عليه السلام ثلاثة آلاف وخمسمائة كلمة فكان آخر كلامه يارب أوصني قال أوصيك بأمك حسنا قال له سبع مرّات قال حسبي ثم قال ياموسى ألا انّ رضاها رضاي وسخطها سخطي وقال عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه لابن مهران لا تأتين أبواب السلاطين وان أمرتهم بمعروف أو نهيتهم عن منكر ولا تخلون بامرأة وان علمتها سورة من القرآن ولا تصحبن عاقا فانه لن يقبلك وقد عق والديه * وقال فيلسوف من عق والديه عقه ولده وقال المأمون لم أر أحدا أبرّ من الفضل بن يحيى بأبيه بلغ من بره له انه كان لا يتوضأ الا بماء سخن فمنعهم السجان من الوقود في ليلة باردة فلما أخذ يحيى مضجعه قام الفضل الى قمقم نحاس فملأه ماء وأدناه من المصباح فلم يزل قائما وهو في يده الى الصباح حتى استيقظ يحيى من منامه وقيل طلب بعضهم من ولده أن يسقيه ماء فلما أتاه بالشربة نام أبوه فمازال الولد واقفا بالشربة في يده الى الصباح حتى استيقظ أبوه من منامه وقال رجل لعمر بن الخطاب رضى الله عنه ان لي أما بلغ منها الكبر أنها لا تقضي حاجتها الا وظهري لها مطية فهل أدّيت حقها قال لا لانها كانت تصنع بك ذلك وهي تتمنى بقاءك وأنت تصنعه وتتمنى فراقها وقال ابن المنكدر بت أكبس رجل أبي وبات آخر يصلي ولا يسرني ليلته بليلتي * وقيل انّ محمد بن سيرين كان يكلم أمه كما يكلم الامير الذي لا ينتصف منه وقيل لعلي بن الحسين رضى الله عنه انك من أبر الناس ولا تأكل مع أمك في صحفة فقال أخاف أن تسبق يدي يدها الى ما تسبق عيناها اليه فأكون قد عققتها

(الفصل الثاني في الاولاد وحقوقهم وذكر النجباء والاذكياء والبلداء والاشقياء) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الولد ريحانة من الجنة * وقال الفضل ريح الولد من الجنة وكان يقال ابنك ريحانتك سبعا ثم حاجبك سبعا ثم عدوّ أو صديق * وعن أبي سعيد الخدري رضى الله عنه قال قلت لسيدي رسول الله صلى الله عليه وسلم يا رسول الله هل يولد لاهل الجنة قال والذي نفسي بيده ان الرجل يشتهي أن يكون له ولد فيكون حمله

ووضعه وشبابه الذى ينتهى اليه فى ساعة واحدة وقيل من حق الولد على والده أن يوسع عليه حاله كى لا يفسق وقال عمر رضى الله عنه انى لا كره نفسى على الجماع رجاء أن يخرج الله منى نسمة تسبحه وتذكره وقال رضى الله عنه أكثروا من العيال فانكم لا تدرون بمن ترزقون وقال شبيب بن شيبة ذهب اللذات الامن ثلاث شم الصبيان وملاقاة الاخوان والخلو مع النسوان ودخل عمرو بن العاص على معاوية وعنده ابنته عائشة فقال من هذه يا أمير المؤمنين قال هذه تفاحة القلب فقال انبذها عنك فانهن يلدن الاعداء ويقربن البعداء ويورثن الضغائن قال لا تقل يا عمرو ذلك فوالله مامرض المرضى ولا ندب الموتى ولا أعان على الاخوان الاهن فقال عمرو يا أمير المؤمنين انك حببتهن الى وقيل لرجل أى ولدك أحب اليك قال صغيرهم حتى يكبر ومريضهم حتى يبرأ وغائبهم حتى يحضر وقال ابن عامر لامرأته امامة بنت الحكم الخزاعية ان ولدت غلاما فلك حكمك فلما ولدت قالت حكمى ان تطعم سبعة أيام كل يوم على ألف خوان من فالوذج وأن تعق بألف شاة ففعل لها ذلك وغضب معاوية على يزيد فهجره فقال الاحنف يا أمير المؤمنين أولادنا ثمار قلوبنا وعماد ظهورنا ونحن لهم سماء ظليلة وأرض ذليلة وبهم نصول على كل جليلة فان غضبوا فأرضهم وان سألوا فأعطهم وان لم يسألوا فابتدئهم ولا تنظر اليهم شزرا فيملوا حياتك ويتمنوا وفاتك فقال معاوية يا غلام اذا رأيت يزيد فاقرأه السلام واحمل اليه مائتى ألف درهم ومائتى ثوب فقال يزيد من عند أمير المؤمنين فقيل له الاحنف فقال يزيد بن معاوية على به فقال يا أبا بحر كيف كانت القصة فحكاها له فشكر صنيعه وشاطره الصلة (وحكى) الكسائى انه دخل على الرشيد يوما فأمر باحضار الامين والمأمون ولديه قال فلم يلبث قليلا ان أقبلا ككوكبى أفق يزينهما هداهما ووقارهما وقد غضا أبصارهما حتى وقفا فى مجلسه فسلما عليه بالخلافة ودعواله بأحسن الدعاء فاستدناهما وأسند محمدا عن يمينه وعبد الله عن يساره ثم أمرنى أن ألقى عليهما أبوابا من النحو فما سألتهما شيأ الا أحسنا الجواب عنه فسره ذلك سرورا عظيما وقال كيف تراهما فقلت شعرا

أرى قمرى أفق وفرعى بشامة * يزينهما عرق كريم ومحتد

سليلى أمير المؤمنين وحائزى * مواريث ما أبقى النبى محمد

يسدان انفاق النفاق بشيمة * يزينهما حزم وسيف مهند

ثم قلت ما رأيت أعز الله أمير المؤمنين أحدا من أبناء الخلافة ومعدن الرسالة وأغصان هذه الشجرة الزلالية آدب منهما ألسنا ولا أحسن ألفاظا ولا أشد اقتدارا على الكلام روية وحفظا منهما أسأل الله تعالى أن يزيد بهما الاسلام تأييدا وعزا ويدخل بهما على أهل الشرك ذلا وقمعا وأمن الرشيد على دعائه ثم ضمهما اليه وجمع عليهما يديه فلم يبسطهما حتى رأيت الدموع تحدر على صدره ثم أمرهما بالخروج وقال كأنكم بهما وقد دهم القضاء ونزلت مقادير السماء وقد تشتت أمرهما وافترقت كلمتهما بسفك الدماء وتهتك الستور * وكان يقال بنو أمية دن خل أخرج الله منه زق عسل يعنى عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه * وسب أعرابى ولده وذكر له حقه فقال يا أبتاه ان عظيم حقك على لا يبطل صغير حقى عليك

* قال سيدى عبد العزيز الدريني رحمه الله

أحب بنيتي ووددت انى * دفنت بنيتي فى قاع لحد
ومابى أن تهون على لكن * مخافة ان تذوق الذل بعدى
فان زوجتها رجلا فقيرا * أراها عنده والهم عندى
وان زوجتها رجلا غنيا * فيلطم خدها ويسب جدى
سألت الله يأخذها قريبا * ولو كانت أحب الناس عندى

وقال هرون بن على بن يحيى المنجم

أرى إبنى تشابه من على * ومن يحيى وذاك به خليق
وان يشبههما خلقا وخلقا * فقد تسرى الى الشبه العروق

وقال أبو النصر مولى بنى سليم

ونفرح بالمولود من آل برمك * ولا سيما ان كان من ولد الفضل

وقال الحسن بن زيد العلوى

قالوا عقيم ولم يولد له ولد * والمرء يخلفه من بعده الولد
فقلت من علقت بالحرب همته * عاف النساء ولم يكثر له عدد

وكان الزبير بن العوام رضى الله عنه يرقص ولده ويقول

ازهر من آل بنى عتيق * مبارك من ولد الصديق * ألده كما الدريق

وكانت اعرابية ترقص ولدها وتقول

ياحبذا ريح الولد * ريح الخزامى فى البلد
اهكذا كل ولد * أم لم يلد مثلى أحد

وكان اعرابى يرقص ولده ويقول

أحبه حب الشحيح ماله * قد ذاق طعم الفقر ثم ناله * اذا أراد بذله بداله *

وكان لاعرابى امرأتان فولدت احداهما جارية والاخرى غلاما فرقصته أمه يوما وقالت معايرة لضرتها

الحمد لله الحميد العالى * أنقذنى العام من الجوالى
من كل شوهاء كشن بالى * لاتدفع الضيم عن العيال

فسمعتها ضرتها فأقبلت ترقص ابنتها وتقول

وما على أن تكون جاريه * تغسل رأسى وتكون الفاليه
وترفع الساقط من خماريه * حتى اذا ما بلغت ثمانيه
ازرتها بنقبة يمانيه * أنكحتها مروان أو معاويه
* أصهار صدق ومهور غاليه *

قال فسمعها مروان فتزوجها على مائة ألف مثقال وقال ان أمها حقيقة أن لا يكذب ظنها ولا يخان عهدها فقال معاوية لولا مروان سبقنا اليها لاضعفنا لها المهر ولكن لا تحرم الصلة فبعث اليها بمائتى ألف درهم والله أعلم

(ومما جاء فى الاولاد البلداء القليلى التوفيق) قيل نظر اعرابى الى ولد له قبيح المنظر

فقال له يا بنى انك لست من زينة الحياة الدنيا * وقال رجل لولده وهو فى المكتب فى أى سورة أنت فقال لا أقسم بهذا البلد والدى بلا ولد فقال لعمرى من كنت أنت ولده فهو بلا ولد * وأرسل رجل ولده يشترى له رشاء للبئر طوله عشرون ذراعا فوصل الى نصف الطريق ثم رجع فقال يا أبت عشرون فى عرض كم قال فى عرض مصيبتى فيك يا بنى * وكان لرجل من الاعراب ولد اسمه حمزة فبينما هو يوما يمشى مع أبيه اذا برجل يصيح بشاب يا عبد الله فلم يجبه ذلك الشاب فقال ألا تسمع فقال يا عم كلنا عبيد الله فأى عبد الله تعنى فالتفت أبو حمزة اليه وقال يا حمزة ألا تنظر الى بلاغة هذا الشاب فلما كان من الغد اذا برجل ينادى شابا يا حمزة فقال حمزة ابن الاعرابى كلنا حمير الله فأى حمزة تعنى فقال له أبوه ليس بعيدك يا من أخمد الله به ذكر أبيه * وكان لمحمد بن بشير الشاعر ابن جسيم فأرسله فى حاجته فأبطأ عليه ثم عاد ولم يقضها فنظر اليه ثم قال

عقله عقل طائر * وهو فى خلقة الجمل

فأجابه

مشبه بك يا أبى * ليس لى عنك منتقل

* ونهى اعرابى ابنه عن شرب النبيذ فلم ينته وقال

أمن شربة من ماء كرم شربتها * غضبت على الآن طابت لى الخمر

سأشرب فاسخط لا رضيت كلاهما * حبيب الى قلبى عقوقك والسكر

وقيل قال ذلك يزيد بن معاوية لابيه حين نهاه عن شرب الخمر

* (ومما جاء فى صلة الرحم) * قال رسول الله صلى الله عليه وسلم صلة الرحم منماة للولد مثراة للمال وقيل وجد حجر حين حفر ابراهيم الخليل عليه السلام أساس البيت مكتوب عليه بالعبرانية أنا الله ذو بكة خلقت الرحم وشققت لها اسما من أسمائى فمن وصلها وصلته ومن قطعها بتته اى قطعته وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أعجل الخير ثوابا صلة الرحم * وحدثنا أبو سهل عن صالح بن جرير بن عبد الحميد عن منصور عن عطاء بن أبى مروان عن أبيه عن كعب الاحبار أنه قال والذى فلق البحر لموسى بن عمران ان فى التوراة لمكتوبا يا ابن آدم اتق ربك وبر والديك وصل رحمك أزد فى عمرك وأيسر لك فى يسرك وأصرف عنك عسرك * وعن أبى امامة الباهلى رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال صنائع المعروف تقى مصارع السوء وصدقة السر تطفئ غضب الرب جل وعلا وصلة الرحم تزيد فى العمر وذكر تمام الحديث

* (الفصل الثالث من هذا الباب فى ذكر الانساب والاقارب والعشيرة) * قال عمر رضى الله عنه تعلموا أنسابكم تعرفوا بها أصولكم فتصلوا بها أرحامكم وقيل لو لم يكن من معرفة الانساب الا اعتزازها من صولة الاعداء وتنازع الاكفاء لكان تعلمها من أحزم الرأى وأفضل الثواب الا ترى الى قول قوم شعيب عليه السلام حيث قالوا ولولا رهطك لرجمناك فابقوا عليه لرهطه * وقال عمر رضى الله عنه تعلموا العربية فانها تزيد فى المروءة وتعلموا النسب فرب رحم مجهولة قد وصلت بعرفان نسبها * وسئل عيسى عليه السلام اى الناس أشرف فقبض قبضتين من تراب وقال أى هاتين أشرف ثم جمعهما وطرحهما وقال

الناس كلهم من تراب ان أكرمكم عند الله أتقاكم * كان أبو كبشة جد رسول الله صلى الله عليه وسلم من قبل أمه فلما خالف رسول الله صلى الله عليه وسلم دين قريش قالوا نزعه عرق أبي كبشة حيث خالفهم في عبادة الشعرى وقال خالد بن عبد الله القشيري سألت واصل ابن عطاء عن نسبه فقال نسبي الاسلام من ضيعه فقد ضيع نسبه ومن حفظه فقد حفظ نسبه فقال خالد وجهه عبد وكلام حر * ومن كلام علي كرم الله وجهه أكرم عشيرتك فانهم جناحك الذي به تطير فانك بهم تصول و بهم تطول وهم العدة عند الشدة أكرم كريمهم وعد سقيمهم وأشركهم في أمورك ويسر عن معسرهم * وكان يقال اذا كان لك قريب فلم تمش اليه برجلك ولم تعطه من مالك فقد قطعته * ويقال حق الاقارب اعظام الاصغر للاكبر وحنو الاكبر على الاصغر * قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حق كبير الاخوة على صغيرهم كحق الوالد على ولده قال بعضهم

واذا رزقت من النوافل ثروة * فامنح عشيرتك الاداني فضلها
واعلم بأنك لا تسود فيهم * حتى ترى دمث الخلائق سهلها

(الباب السادس والاربعون في الخلق وصفاتهم وأحوالهم وذكر الحسن والقبيح والطول والقصر والالوان والشباب وما أشبه ذلك وفيه فصول)

(الفصل الاول في الحسن ومحاسن الاخلاق) والى سيدنا محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ينتهي الحسن والجمال *كان محمد صلى الله عليه وسلم ربعة من القوم لا بائنا من طول ولا تقتحمه عين من قصر أبيض اللون مشربا بحمرة أدعج العينين مفلج الثنايا دقيق المسربة أزهر الجبين واضح الخد أقنى الانف كأن عنقه ابريق فضة ظاهر الوضاءة يتلألأ وجهه تلألؤ القمر شثن الكفين مسيح القدمين واسع الصدر من لبته الى سرته شعر يجري كالقضيب ليس في بطنه ولا صدره شعر غيره أشعر الذراعين والمنكبين لم يبلغ شيبه في رأسه ولحيته عشرين شعرة ضخم الكراديس أنور المتجرد اذا مشى كأنما ينحط من صبب واذا التفت التفت جميعا بين كتفيه خاتم النبوة كأنه زر حجلة أو بيض حمامة لونه كلون جسده أبلج الوجه حسن الخلق وسيما قسيما في جبينه زجج وفي عينيه دعج وفي عنقه سطع وفي لحيته كثافة ان صمت فعليه الوقار وان تكلم سما وعلاه البهاء أجمل الناس وأبهاهم من بعيد وأحسنهم وأكملهم من قريب كأنما منطقه خرزات نظم يتحدرن * قال أنس رضي الله عنه ما رأيت من ذي لمة سوداء في حلة حمراء أحسن من رسول الله صلى الله عليه وسلم ومدحه حسان بن ثابت رضي الله عنه فقال

وأحسن منك لم ترقط عيني * وأجمل منك لم تلد النساء
خلقت مبرأ من كل عيب * كأنك قد خلقت كما تشاء

اللهم صل وسلم عليه واجعله شفيعا لمن يصلي عليه وقال صلى الله عليه وسلم ما حسن الله خلق عبد وخلقه الا استحيا أن يطعم لحمه النار * وقد كان المتوكل رحمه الله من أحسن الخلفاء العباسية وجها وأبهاهم منظرا وكان مصعب بن الزبير من أحسن الناس وجها (حكي)

انه كان جالسا بفناء داره يوما بالبصرة اذ جاءت امرأة فوقفت تنظر اليه فقال لها ماوقوفك يرحمك الله فقالت طفئ مصباحنا فجئنا نقتبس من وجهك مصباحا * وقيل لاعرابية ظريفة مابال شفتيك مشققة فقالت ان التين اذا حلا تشقق والورد يتشقق اذا مسه الندى *وكانت لبابة بنت عبد الله بن عباس رضي الله عنهم من أجمل الناس وجها وكانت عند الوليد بن عتبة بن أبي سفيان فكانت تقول مانظرت وجهي في مرآة مع انسان الا رحمته من حسن وجهي الا الوليد فكنت اذا نظرت الى وجهي مع وجهه رحمت وجهي من حسن وجهه قال الشاعر

ولو أنها في عهد يوسف قطعت * قلوب رجال لا اكف نساء

وقال كثير

لو أن عزة حاكمت شمس الضحى * في الحسن عند موفق لقضى لها

(ومما جاء في محاسن الخلق منظوما على الترتيب من الفرق الى القدم)

(ماقيل في الشعر) كان يقال من تزوج امرأة أو اتخذ جارية فليستحسن من شعرها فان الشعر الحسن أحد الوجهين قال بكر بن النطاح

بيضاء تسحب من قيام شعرها * وتغيب فيه وهو وجه أسحم

فكأنها فيه نهار ساطع * وكأنه ليل عليها مظلم

وللمتنبي

نشرت ثلاث ذوائب من شعرها * في ليلة فأرت ليالي أربعا

واستقبلت قمر السماء بوجهها * فأرتني القمرين في وقت معا

وله أيضا

لبسن الوشي لا متجملات * ولكن كي يصن به الجمالا

وضفرن الغدائر لا لحسن * ولكن خفن في الشعر الضلالا

وقال الصفدي

لولا شفاعة شعره في صبه * ما كان زار ولا أزال سقاما

لكن تنازل في الشفاعة عنده * فغدا على أقدامه يترامى

وقال ابن الصائغ

ثنى غصنا ومد عليه فرعا * لحظي حين أطلب منه وصلا

وبلبله على الارداف منه * فلم أر مثل ذاك الفرع أصلا

وقال آخر

أرخى ثلاثا يوم حمامه * ذوائبا تعبق منه الغوال

فقلت والقصد ذؤاباته * واسهري في ذي الليالي الطوال

وقال آخر

بدت ثريا قرطها وشعرها * متصل بكعبها كما ترى

ياعجبا الشعرها لما ابتدى * من الثريا فانتهى الى الثرى

وقال ابن المعتز

توارت عن الواشى بليل ذوائب * لها من محياواضح تحته فجر
يغطى عليها شعرها بظلامه * وفى الليلة الظلماء يفتقد البدر

ومما قيل فى الاصداغ قال ابن المعتز

ريم يتيه بحسن صورته * عبث النعاس بلحظ مقلته
وكأن عقرب صدغه وقفت * لما دنت من ورد وجنته

وقال العادلى

وعهدى بالعقارب حين تشتو * يخفف لدغها ويقل ضرا
فما بال الشتاء أتى وهذى * عقارب صدغها تزداد شرا

وقال آخر

وما ضره نار بخديه اضرمت * ولكن بها قلب المحب يعذب
عناقيد صدغيه بخديه تلتوى * وأمواج ردفيه بخصريه تلعب
شربت الهوى صرفا زلالا وانما * لواحظه تسقى وقلبى يشرب

وقال آخر

حل القباولوى صدغيه فانعقدا * واحيرتى بين محلول ومعقود
وأسكرتنى ثناياه وريقته * هل هذه الخمر من تلك العناقيد

(ومما قيل فى مدح العذار) قال أبو فراس بن حمدان

يامن يلوم على هواه جهالة * انظر الى تلك السوالف تعذر
حسنت وطاب نسيمها فكأنها * مسك تساقط فوق خد أحمر

وقال محمد بن وهب

صدودك والهوى هتكا استتارى * وساعدنى البكاء على اشتهارى
وكم أبصرت من حسن ولكن * عليك لشقوتى وقع اختيارى
* ولم أخلع عذارا فيك الا * لما عاينت من خلع العذار

وقال آخر

ومعذر رقت حواشى خده * فقلوبنا وجدا عليه رقاق
لم يكس عارضه السواد وانما * نفضت عليه سوادها الاحداق

وقال آخر

ومهفهف راقت نضارة وجهه * والعين تنظر منه أحسن منظر
أصلى بنار الخد عنبر خاله * فبدا العذار دخان ذاك العنبر

وقال آخر

اصبحت سلطان القلوب ملاحة * وجمال وجهك للبرية عسكر
طلعت طلائع وجنتيك مغيرة * بالنصر يقدمها اللواء الاخضر

وقال آخر

يا ذا الذي خط العذار بخده * خطين هاجا لوعة وبلابلا
ما صح عندي أن لحظك صارم * حتى حملت بعارضيك حمائلا

وقال آخر

من لا رأى كعبة الحسن التي حرست * بالنمل حيث مقام النحل في فمه
فليتطر النمل أضحى فوق عارضه * يطوف سبعا وسبعا حول مبسمه

وقال بدر الدين الدماميني

تحدث ليل عارضه بأني * سأسلوه وينصرم المزار
فأشرق صبح غرته ينادي * حديث الليل يمحوه النهار

وقال آخر

وقالوا انسلى فقد شانه * عذار أراحك من صده
فقلت وهمتم ولكنني * خلعت العذار على خده

سيدي أبو الفضل بن أبي الوفا

على وجنتيه جنة ذات بهجة * ترى لعيون الناس فيها تزاحما
حمى ورد خديه حماة عذاره * فيا حسن ريحان العذار حماحمي

وقال ابن نباتة

وبمهجتي رشأ يميس قوامه * فكأنه نشوان من شفتيه
شغف العذار بخده ورآه قد * نعست لواحظه فدب عليه

وقال الموصلي

لحديث نبت العارضين حلاوة * وطلاوة هامت بها العشاق
فإذا نهاني المرء قلت ترفقوا * فإليكم هذا الحديث يساق

وقال آخر

أصبحت مكسورا بسهم لحاظه * ومقيدا من صدغه بلسانه
حتى بدا سيف العذار مجردا * فخشيت يقتلني وذا من شانه

وقال آخر

يا صاح قد حضر المدام ومنيتي * وحظيت بعد الهجر بالإيناس
وكسا العذار الخد حسنا فاسقني * واجعل حديثك كله في الكاس

ابن نباتة

وضعت سلاح الصبر عنه فساله * يغازل بالألحاظ من لا يغازله
وسال عذار فوق خديه سائل * على خده فليتق الله سائله

(ومما قيل في ذم العذار) قال الشاعر

غدا لما التحى ليلا بهيما * وكان كأنه قمر منير
وقد كتب السواد بعارضيه * لمن يقرا وجاءكم النذير

آخر في ذمه

قلت لاصحابي وقد مر بي * منتقبا بعد الضيا بالظلم
بالله يا أهل ودي قفوا * ثم انظروا كيف زوال النعم

وقال آخر

مازال ينتف ريحانا بعارضه * حتى استطال عليه صار يحالقه
كأنما طور سيناء فوق عارضه * طول الزمان فموسى لا يفارقه

وقال آخر

مازال يحلف لي بكل الية * ان لا يزال مدى الزمان مصاحبي
لما جنى نزل العذار بخده * فتعجبوا لسواد وجه الكاذب

ابن المعتز

يارب ان لم يكن في وصله طمع * ولم يكن فرج من طول جفوته
فاشف السقام الذي في لحظ مقلته * واستر ملاحة خديه بلحيته

(ومما قيل في الجبين والحواجب) خالد الكاتب

لها من ظباء الرمل عين مريضة * ومن ناضر الريحان خضرة حاجب
ومن يانع الاغصان قد وقامة * ومن حالك الحبر اسوداد الذوائب

وقال آخر

غزاني الهوى في جيشه وجنوده * وهب علي الجيش من كل جانب
بميسرة اجنادها اعين المها * وميمنة تقضي بزج الحواجب

وقال آخر

ايا قمرا تبسم عن اقاح * ويا غصنا يميل مع الرياح
جبينك والمقبل والثنايا * صباح في صباح في صباح

(ومما قيل في العيون) قال الاصمعي ماوصف أحد العيون بمثل ماوصف أحمد بن الرقاع في قوله

وكأنها دون النساء أعارها * عينيه احور من جآذر جاسم
وسنان اقصده النعاس فرنقت * في جفنه سنة وليس بنائم

وقال ابن المعتز

عليم بما تحت العيون من الهوى * سريع بكسر اللحظ والقلب جازع
فيجرح احشائي بعين مريضة * كما لان متن السيف والحد قاطع

وقال الاخطل

ولا تلمم بدار بني كليب * ولا تقرب لها أبدا رحالا
ترى فيها بوارق مرهفات * يكدن يكدن بالحرق الرجالا

وقال أبو فراس وأحسن

وبيض بالحاظ العيون كأنما * هززن سيوفا واستللن خناجرا
تصدين لي يوما بمنعرج اللوى * فغادرن قلبي بالتصبر غادرا
سفرن بدورا وانتقبن أهلة * ومسن غصونا والتفتن جآذرا

وقال آخر

ومريض جفن ليس يصرف طرفه * نحو امرئ الارماه بحتفه
قد قلت اذا ابصرته متمايلا * والردف يجذب خصره من خلفه
يامن يسلم خصره من ردفه * سلم فؤاد محبه من طرفه

وقال أبو هتان

أخو دنف رمته فأقصدته * سهام من جفونك لا تطيش
فوانك لا يقال سوى احورارى * بهن ولا سوى الاهداب ريش
اصبن فؤاد مهجته فاضحى * سقيما لا يموت ولا يعيش
كئيبا ان ترحل عنه جيش * من البلوى اناخ به جيوش

وقال آخر

وجاؤا اليه بالتعاويذ والرقى * فصبوا عليه الماء من شدة النكس
وقالوا به من اعين الجن نظرة * ولو أنصفوا قالوا به أعين الانس

عز الدين الموصلي

لها عين لها غزو وغزل * مكحلة ولي عين تباكت
وحاكت في فعائلها المواضى * فيالك مقلة غزلت وحاكت

برهان الدين القيراطى

شبها السيف والسنان بعيني * من أقتلي بين الانام استحلا
فاتى السيف والسنان وقالا * حدنا دون ذاك حاشى وكلا

وله أيضا

بابى أهيف المعاطف لدن * حسد الاسمر المثقف قده
ذو جفون مذرمت منها كلاما * كلمتني سيوفهن بحده

بدر الدين بن حبيب

عيناه قد شهدت بأنى مخطئ * وأتت بخط عذاره تذكارا
يا حاكم الحب اتئد في قتلتي * فالخط زور والشهود سكارى

جلال الدين بن خطيب داريا

شهدت جفون معذبى بملالة * مني وان وداده تكليف
لكنني لم أناعنه لانه * خبر رواه الجفن وهو ضعيف

وقال الشيخ عز الدين الموصلي

يامقلة الحب مهلا * فقد أخذت بثارك
وأنت ياوجنتيه * لا تحرقيني بنارك

وقال ابن الصائغ

لمثلى من لواحظها سهام * لها في القلب فتك أى فتك
اذا رامت تشك به فؤادا * يموت المستهام بغير شك

وقال الصلاح الصفدى

يا عاذلى على عين محجبة * خف سحر ناظرها فالسحر فيه خفى
وخذ فؤادى ودعه نصب مقلتها * لا ترم نفسك بين السهم والهدف

وقال آخر

بسهم اجفانه رمانى * فذبت من هجره وبينه
ان مت مالى سواه خصم * لانه قاتلى بعينه

وقال آخر

سهام الجفن كم قتلت لنفس * مبرأة من السلوى زكيه
فما أقوى جفونك وهى مرضى * واقدرها على قتل البريه

(ومما قيل فى الخال) للصلاح الصفدى

بروحى خده المحمر أضحى * عليه شامة شرط المحبه
كأن الحسن يعشقه قديما * فنقطه بدينار وحبه

لابن الصائغ

بروحى افدى خاله فوق خده * ومن انا فى الدنيا فأفديه بالمال
تبارك من أخلى من الشعر خده * واسكن كل الحسن فى ذلك الخال

للشيخ جمال الدين بن نباتة

لله خال على خد الحبيب له * فى العاشقين كما شاء الهوى عبث
أورثته حبة القلب القتيل به * وكان عهدى بأن الخال لا يرث

وقال آخر

يا سالبا قمر السماء جماله * ألبستنى فى الحزن ثوب سمائه
احرقت قلبى فارتمى بشرارة * علقت بخدك فانطفت فى مائه

للشيخ تقى الدين بن حجة

قلت للخال اذ بدا * فى نقا جيده السعيد
فزت يا عبد قال لى * أنا عبد لكل جيد

وقال ابن أيبك

فى الجانب الايمن من خدها * نقطة مسك أشتهى شمها
حسبته لما بدا خالها * وجدته من حسنها عمها

وقال الحسين بن الضحاك

يا صائد الطير كم ذا * باللحظ تضنى وتسبى
أصبت نقطة خال * فصدت طائر قلبى

(ومما قيل فى الخدود) قال ابن المعتز

صل بخدى خديك تلق عجيبا * من معان يحار فيها الضمير

فبخديك للربيع رياض * وبخدى للدموع غدير

وقال آخر

ورد الخدود ونرجس اللحظات * وتصافح الشفتين فى الخلوات

شئ أسر به وأعلم انه * وحياته أحلى من اللذات

(ومما قيل فى الثغور) قال يوسف بن مسعود الصواف

بروحى من ولى فولى بمهجتى * وولى منامى وهو كالوصل شارد

حمى ثغره منى بسيف لحاظه * وحتام يحمى ثغره وهو بارد

وقال آخر

انفقت كنز مدامعى فى ثغره * وجمعت فيه كل معنى شارد

وطلبت منه جزاء ذلك قبلة * فمضى وراح تغزلى فى البارد

وقال آخر

رأى ثغر من أهوى عذولى فقال لى * ولم يدر ان اللوم فى خده يغرى

شغلت بهذا وارتبطت بحسنه * وأحسن ما كان الرباط على ثغر

وقال ابن ريان

لاحت على مبسمه المشتهى * ثلاث شامات غدت فى التثام

لا تعجبوا ان كثرت حوله * فالمنهل العذب كثير الزحام

(ومما قيل فى طيب الريق والنكهة) قال ذو الرمة

اسيلة مجرى الدمع هيفاء طفلة * عروب كايماض الغمام ابتسامها

كأن على فيها وماذقت طعمه * زجاجة خمر طاب فيها مدامها

قال شهاب الدين الكردى

ذكرت ريح حبيبى * بشرب راح تعطر

وليس ذا بعجيب * فالشئ بالشئ يذكر

غيره

رشفت ريقك حلوا * ولم يكن لى صبر

وسوف أحظى بوصل * فأول الغيث قطر

الصلاح الصفدى

نقل الاراك بان ريقة ثغره * من قهوة مزجت بماء الكوثر

قد صح ما نقل الاراك لانه * برويه نصا عن صحاح الجوهرى

وقال آخر

ثلاث تجمعن فى ثغرها * ملاح اداتها واضحه

فان قيل ما هى قل لى اقل * هى الطعم واللون والرائحه

وقال آخر

يارب ممتنع الوصال محجب * بستوره كالبدر بين غيومه

دارت مراشفه على وكاسه * فسكرت في الحالين من خرطومه

وقال آخر

أريقا من رضابك ام رحيقا * رشفت فكدت منه لن افيقا
وللصهباء اسماء ولكن * جهلت بان في الاسماء ريقا

(ومما قيل في حسن الحديث) قال البحتري

ولما التقينا والنقا موعد لنا * تعجب رائي الدر حسنا ولاقطه
فمن لؤلؤ تجلوه عند ابتسامها * ومن لؤلؤ عند الحديث تساقطه

وقال سلم الخاسر

ظللنا فمتنا عند دام محمد * بيوم ولم نشرب شرابا ولا خمرا
اذا صمتت عنا ضجرنا لصمتها * وان نطقت هاجت لالبابنا سكرا

وقال ابن الرومي

عيى ويصبح معرضا فكانه * ملك عزيز قاهر سلطانه
ليست اساءته بناقصة له * در يساقطه الى لسانه

وما أحسن هذه الابيات وهي من طارف الشعر ووافره وناقده وجيد الكلام وبارع الوصف

وكل حديث الناس الا حديثها * رجيع وفيما احدثتك الطرائف
جرحن باعناق الظباء وأعين الـ * جآذر وارتجت بهن الروادف
رجحن بارداف ثقال وأسوق * خدال واعضاء عليها المطارف

(ومما قيل في رقة البشرة) قال ابن المعتز

نضت عنها القميص لصب ماء * فورد خدها فرط الحياء
وقابلت الهواء وقد تعرت * بمعتدل ارق من الهواء
ومدت راحة كالماء منها * الى ماء معتد في اناء
فلما ان قضت وطرا وهمت * على عجل الى اخذ الرداء
رأت شخص الرقيب على تدان * فاسبلت الظلام على الضياء
فغاب الصبح منها تحت ليل * وظل الماء يقطر فوق ماء

وقال آخر

تغير عن مودته وحالا * وكان مواصلا فطوى الوصالا
وعلمه التدلل كيف هجري * فليت الوصل كان له دلالا
ترى من فوق حقويه قضيبا * اذا حركته خطاه مالا
اذا كلمته أثرت فيه * وان حركته فالخمر سالا

وقال بشار

وما ظفرت عيني غداة لقيتها * بشئ سوى اطرافها والمحاجر
كحوراء من حور الجنان غريرة * يرى وجهه في وجهها كل ناظر

ومنه اخذ ابو نواس قوله

نظرت الى وجهه نظرة * فابصرت وجهى فى وجهه

وقال آخر

توهمه قلبي فاصبح خده * وفيه مكان الوهم من نظرى أثر
ومر بفكرى جسمه فجرحته * ولم ار جسما قط تجرحه الفكر

وقال آخر

سقى الله روضا قد تبدى لناظر * به شادن كالغصن يلهو ويمرح
وقد نضحت خداه من ماء ورده * وكل اناء بالذى فيه ينضح

وقال آخر

واهيف قده كسى احمرارا * وحاز الحسن فهو بلا شبيه
فلو اخجلته بالقول جهدى * لحمرة خده ما بان فيه

(ومما قيل فى التقبيل) لمظفر الاعمى

قبلته فتلظى جمر وجنته * وفاح من عارضيه العنبر العبق
وحال بينهما ماء ولا عجب * لا ينطفى ذا ولا ذا منه يحترق

وقال آخر

سألته فى ثغره قبلة * فقال ثغرى لم يجز لثمه
فهاكها فى الخد واقنع بها * ما قارب الشئ له حكمه

وقال صاحب حماة

قال الذى تيمنى * قولوا لمن خبلته يروم منى قبلة * لو مات ما قبلته

الشيخ عز الدين الموصلى

كالزرد المنظوم اصداغه * وخده كالورد لما ورد
بالغت فى اللثم وقبلته * فى الخد تقبيلا يفك الزرد

وقال آخر

رأيت الهلال على وجهه * فلم أدر أيهما أنور
سوى ان ذاك بعيد المزار * وهذا قريب لمن ينظر
وذاك يغيب وذا حاضر * وما من يغيب كمن يحضر
ونفع الهلال قليل لنا * ونفع الحبيب لنا أكثر

وقال ابن صابر

قبلت وجنته فالفت جيده * خجلا ومال بعطفه المياس
فانهل من خديه فوق عذاره * عرق يحاكى الطل فوق الآس
فكانني استقطرت ورد خدوده * بتصاعد الزفرات من أنفاسى

وقال آخر

قبلت رجل حبيبي * فازور واحمر خدا

وقال تلثم رجلى * لقد تنازلت جدا
فقلت ماجئت بدعا * ولا تجاوزت حدا
رجل سعت بك نحوى * حقوقها الا تؤدى

(ومما قيل فى الوجه الحسن) ابن نباتة

انسية فى مثال الجن تحسبها * شمسا بدت بين تشريق وتغميم
شقت لها الشمس ثوبا من محاسنها * فالوجه للشمس والعينان للريم

عبد الله بن أبى خميص

تصد من غير عله * بالعز أضحت مذله
كأنها حين تدنو * شمس عليها مظله
وان أضاءت بليل * تفوق نور الاهله

وقال آخر

اقسم بالله وآياته * ما نظرت عينى الى مثله
ولا بدا وجهه طالعا * الا سألت الله من فضله

وقال آخر

أقيمى مكان البدر ان أفل البدر * وقومى مقام الشمس قد أمها الفجر
ففيك من الشمس المنيرة نورها * وليس لها منك التبسم والثغر

عمر بن أبى ربيعة

ذات حسن ان تغب شمس الضحى * فلنا من وجهها عنها خلف
أجمع الناس على تفضيلها * وهواهم فى سوى هذا اختلف

أخذ أبو تمام هذا المعنى فرده الى المدح فقال

لو ان اجماعنا فى فضل سودده * فى الدين لم يختلف فى الامة اثنان

وقال آخر

يا مفردا فى الحسن والشكل * من دل عينيك على قتلى
البدر من شمس الضحى نوره * والشمس من نورك تستملى

وقال آخر

ففى أربع منى حلت منك أربع * فما أنا أدرى أيها هاج لى كربى
اوجهك فى عينى ام الريق فى فمى * أم النطق فى سمعى أم الحب فى قلبى

فلما سمعه اسحق بن يعقوب الكندى قال هذا تقسيم فلسفى وجعله العلوى خمسة فقال

وفى خمسة منى حلت منك خمسة * فريقك منها فى فمى طيب الرشف
ووجهك فى عينى ولمسك فى يدى * ونطقك فى سمعى وعرفك فى أنفى

ابن نباتة

أيها العاذل الغبى تأمل * من غدا فى صفاته القلب ذائب
وتعجب لطرة وجبين * ان فى الليل والنهار عجائب

محمود المخزومي

رأيتك في الشمس المنيرة غدوة * فكنت على عيني أبهى من الشمس
لانك تزهو ان بدا الليل بهجة * وشمس الضحى ليست تضيء اذا تمسي

وقال آخر

اذا احتجبت لم يكفك البدر وجهها * وتكفيك فقد البدر ان غرب البدر
وحسبك من خمر مذاقة ريقها * ووالله مامن ريقها حسبك الخمر

(ومما قيل في البنان المخضب) قال ابن الرومي

وقفت وقفة بباب الطاق * ظبية من مخدرات العراق
بنت سبع واربع وثلاث * اسرت قلب صبها المشتاق
قلت من انت يا غزال فقالت * انا من لطف صنعة الخلاق
لا ترم وصلنا فهذا بنان * قد صبغناه من دم العشاق

وقال الراضي بالله

قالوا الرحيل فانشبت اظفارها * في خدها وقد اعتلقت خطابها
فظننت ان بنانها من فضة * قطفت بنور بنفسج عنابها

وقال آخر

لما اعتنقنا للوداع واعربت * عبراتنا عنا بدمع ناطق
فرقن بين محاجر ومعاجر * وجمعن بين بنفسج وشقائق

وقال آخر

* ولما تلاقينا رأيت بنانها * مخضبة تحكي عصارة عندم
فقلت خضبت الكف بعدي اهكذا * يكون جزاء المستهام المتيم
فقالت واذكت في الحشى لاعج الجوى * مقالة من بالود لم يتبرم
بكيت دما يوم النوى فمسحته * بكفي فاحمرت بناني من دمي

وقال آخر

دنون عشية التوديع مني * ولي عينان بالدم تجريان
فلم يمسحن اكراما جفوني * ولكن رمن تخضيب البنان

(ومما قيل في النحور) قال دعبل

أتاح لك الهوى بيضا حسانا * تباهي بالعيون وبالنحور
نظرت الى النحور فكدت تقضي * فكيف اذا نظرت الى الخصور

(ومما قيل في نعت النهود) قال العباس بن الاحنف

والله لو ان القلوب كقلبها * مارق للولد الضعيف الوالد
جال الوشاح على قضيب زانه * تفاح صدر ماحوته ناهد

وقال آخر

ومحبوبة عند الوداع رأيتها * تنشف دمعا بالرداء الممسك

وتبكي حذارا البين منها بدمعة * تسيل على الخدين في حسن مسلك
فتحسب مجرى الدمع من وجناتها * بقية طل فوق ورد ممسك
وقد سفرت عن غرة بابلية * وصدر به نهد بحق ممفلك

عمرو بن كلثوم

تريك اذا دخلت على خلاء * وقد امنت عيون الكاشحينا
ثديا مثل حق العاج رخصا * حصانا من اكف اللامسينا

وقال آخر

بصدرها كوكبا در كأنهما * ركنان لم يدنسا من لمس مستلم
صانتهما بستور من غلائلها * فالناس في الحل والركنان في الحرم

وقال آخر

صدور فوقهن حقاق عاج * ودر زانه حسن اتساق
تقول الناظرون اذا رأوه * أهذا الحلي من هذي الحقاق
وما تلك الحقاق سوى ثدي * جعلن من الحقاق على وفاق
نواهد لا يعد لهن عيب * سوى منع المحب من العناق

وقال آخر

لقد فتكت عيون الغيد فينا * بمرهفات وهي سود
وتطعننا القدود اذا التقينا * بسمر من أسنتها النهود

(ومما قيل في الارداف والخصور) قال ابن الرومي

وشربت كأس مدامة من كفها * مقرونة بمدامة من ثغرها
وتمايلت فضحكت من أردافها * عجبا ولكني بكيت لخصرها

الطغرائي المحاربي

ردفه زاد في الثقالة حتى * اقعد الخصر والقوام السويا
نهض الخصر والقوام وقالا * ضعيفان يغلبان قويا

وقال آخر

يا خصره كم جفاه * تبدي وانت نحيل
يا ردفه ملت عني * ما أنت الا بخيل

القيراطي

بدت روادف بدري * تحت الخميص لعيني
فقلت يا بدر هذا * حقا خيال لحيني

وقال آخر

أسائلها أين الوشاح وقد سرت * معطلة منه معطرة النشر
فقالت واومت للسوار نحاته * الى معصمي لما تقلقل في خصري

وقال آخر

بيض وسمر عقلتاه وقده * بدر وليل وجنتاه وشعره
اقسى من الحجر الاصم فؤاده * وارق من شكوى المتيم خصره

وقال آخر

رخيمات المقال مدللات * جواعل فى البرى قصبا خدالا
جمعن نخامة وخلوص جيد * وقدا بعد ذلك واعتدالا

(ومما قيل فى المعاصم) قال عمر بن ابى ربيعة

حسروا الوجوه بأذرع ومعاصم * ورنوا بنجل للقلوب كوالم
حسروا الاكمة عن سواعد فضة * فكأنما انتصبت متون صوارم

(ومما قيل فى اعتدال القوام) قال صلاح الدين الصفدى

تقول له الاغصان مذ هز عطفه * أتزعم ان اللين عندك ماثوى
فقم نحتكم للروض عند نسيمه * ليقضى على من مال منا الى الهوى

وقيل ليس لاحد من شعراء العرب فى نعت محاسن النساء من الاوصاف البارعة مع جودة السبك ورقة اللفظ ما لذى الرمة حتى كأنه حضرى من اهل المدن لا من أهل الوبر وقال القاضى مجد الدين بن مكانس

أقول لحبى قم وملِ يا معذبى * كمثلة خود غير السكر حالها
ولا تله عن شئ اذا ما حكيتها * فقام كغصن البان لينا ومالها

وقال آخر

ومحكم اعطافه * فى قتل صب ماغوى
فاعجب لعادل قدة * فى النفس يحكم بالهوى

وقال آخر

ومهفهف عنى يميل ولم يمل * يوما الىّ فصحت من ألم الجوى
لم لا تميل الىّ يا غصن النقا * فاجاب كيف وأنت من أهل الهوى

(ومما قيل فى الساق) قال ذو الرمة

لم انسه اذ قام يكشف عامدا * عن ساقه كاللؤلؤ البراق
لا تعجبوا ان قام فيه قيامتى * ان القيامة يوم كشف الساق

وقال آخر

جاءت بساق ابيض املس * كاللؤلؤ يبدو لعشاقها
فافتتنت فيها جميع الورى * وقامت الحرب على ساقها

قال ابن منقذ

بدر ولكنه قريب * ظبى ولكنه أنيس
ان لم يكن قده قضيبا * فما لاعطافه تميس

(ومما قيل فى مشى النساء) قال بعضهم

يهززن للمشى اطرافا مخضبة * هز الشمال ضحى عيدان نسرين

أوكاهتزاز رديني تداوله * أيدي الرجال فزاد المتن في اللين

وقال آخر

يمشين مشي قطا البطاح تأودا * قب البطون رواجح الاكفال

فكأنهن اذا أردت زيادة * يقلعن ارجلهن من أوحال

(ومما قيل في العناق وطيبه) لابن المعتز

ما أقصر الليل على الراقد * وأهون السقم على العائد

كأنني عانقت ريحانة * تنفست في ليلها البارد

فلو ترانا في قميص الدجى * حسبتنا في جسد واحد

وقال آخر

وموشح نازعت فضل وشاحه * وأعرته من ساعدي وشاحا

بات الغيور يشق جلدة وجهه * وأمال اعطافه الي ملاحا

وقال ابن المعدل

أقول وجنح الدجى مسبل * وليل في كل فج يد

ونحن ضجيعان في مسجد * فلله ما ضمنا المسجد

أيا غدا ان كنت لي محسنا * فلا تدن من ليلتي يا غد

ويا ليلة الوصل لا تقصري * كما ليلة الهجر لا تنفد

وقال آخر

وليل رقيق الطرتين تظلمت * كواكبه من بدره المتألق

لهونا بغزلان الصريمة تحته * تميت الهوى ما بين صدر ومرفق

وقال ابن المعتز

وكم عناق لنا وكم قبل * مختلسات حذار مرتقب

نقر العصافير وهي خائفة * من النواطير يانع الرطب

وقال ديك الجن

ومعدولة مهما أمالت ازارها * فغصن وأما قدها فقضيب *

لها القمر الساري شقيق وانها * لتطلع احيانا له فيغيب *

أقول لها والليل مرخ سدوله * وغصن الهوى غض النبات رطيب

لانت المنى يا زين كل مليحة * وأنت الهوى أدعى له فاجيب *

وقال علي بن الجهم

سقى الله ليلا ضمنا بعد فرقة * وأدنى فؤادا من فؤاد معذب

فبتنا جميعا لو تراق زجاجة * من الخمر فيما بيننا لم تسرب

وقال آخر

ياليل دم لي لا أريد براحا * حسبي بوجه معذبي مصباحا

حسبي به نورا وحسبي ريقه * خمرا وحسبي خده تفاحا

حسبي بضحكه اذا استضحكته * مستغنيا عن كل نجم لاحا
طوقته طوق العناق بساعد * وجعلت كفي للثام وشاحا
هذا هو اليوم النعيم فخلنا * متعانقين فلا نريد براحا

وقال آخر

ولم أنس ضمى للحبيب على رضا * ورشفى رضابا كالرحيق المسلسل
ولا قوله لى عند تقبيل خده * تنقل فلذات الهوى فى التنقل

(ومما قيل فى السمن) قال الربيع بن سليمان سمعت الشافعى رضى الله عنه يقول ما رأيت سمينا عاقلا الا محمد بن الحسن قال الشاعر

لا أعشق الابيض المنفوخ من سمن * لكننى اعشق السمر المهازيلا
انى امرؤ أركب المهر المضمر فى * يوم الرهان وغيرى يركب الفيلا

(ومما قيل فى مدح الالوان والثياب) مدح البياض قال رسول الله صلى الله عليه وسلم البياض نصف الحسن وكان صلى الله عليه وسلم أبيض أزهر اللون مشربا بحمرة قال الشاعر

بيض الوجوه كريمة احسابهم * شم الأنوف من الطراز الاول

(ومما قيل فى مدح السواد) قيل لبعضهم ما تقول فى السواد قال النور فى السواد أراد بذلك نور العينين فى سوادهما وقال بعضهم

قالوا تعشقتها سوداء قلت لهم * لون الغوالى ولون المسك والعود
انى امرؤ ليس شأن البيض مرتفعا * عندى ولو خلت الدنيا من السود

وقال الحيقطان

لئن كنت جعد الرأس واللون فاحم * فانى بسيط الكف والعرض أزهر
وان سواد اللون ليس بضائرى * اذا كنت يوم الروع بالسيف أخطر

دخل ابراهيم بن المهدى على المأمون فقال انك لعم الخليفة الاسود فقال ابراهيم نعم فتمثل المأمون ببيت نصيب فقال

ان كنت عبدا فنفسى حرة كرما * اوأسود اللون انى أبيض الخلق

ثم قال ياعم أخرجنا الهزل الى الجد فأنشد ابراهيم

ليس يزرى السواد بالرجل الشهم ولا بالفتى الاريب الاديب
ان يكن للسواد فيك نصيب * فبياض الاخلاق منك نصيبى

وقال آخر

لام العواذل فى سوداء فاحمة * كأنها فى سواد القلب تمثال
وهام بالخال أقوام وما علموا * انى أهيم بشخص كله خال

وقيل لمدنى كيف رغبتم فى السواد فقال لو وجدنا بيضاء لسودناها وقال آخر

يكون الخال فى خد قبيح * فيكسوه الملاحة والجمالا
فكيف يلام ذو عشق على من * يراها كلها فى الخد خالا

وقال آخر

فاستحسنوا

فاستحسنوا الخال فى خد فقلت لهم * انى عشقت مليحا كله خال

وكان أبو حاتم المدنى ينشد

ومن يك معجبا ببنات كسرى * فانى معجب ببنات حام

وتفاخرت حبشية ورومية فقالت الرومية انا حبة كافور وانت عدل فحم فقالت الحبشية أنا حبة مسك وانت عدل ملح وقد قال الشاعر

أحب لحبها السودان حتى * أحب لحبها سود الكلاب

وقال آخر

أشبهك المسك وأشبهته * قائمة فى لونه قاعده

لاشك اذ لونكما واحد * أنكما من طينة واحده

(ومما قيل فى الصفرة) قال الشاعر

اصفراء كان الهجر منك مزاحا * ليالى كان الود منك مباحا

كأن نساء الحى مادمت فيهم * قباح فلما غبت صرن ملاحا

وقال آخر قالوا به صفرة شانت محاسنه * فقلت ماذاك من عيب به نزلا

عيناه مطلوبة فى ثار من قتلت * فلست تلقاه الا خائفا وجلا

(ومما قيل فى طول اللحية) قيل ان اللحية الطويلة عش البراغيث ونظر يزيد الشيبانى الى رجل ذى لحية عظيمة تلتف على صدره واذا هو خاضب فقال له يا هذا انك من لحيتك فى مؤنة فقال أجل ولذلك أقول

لها درهم للدهن فى كل جمعة * وآخر للحناء يبتدران

ولولا نوال من يزيد بن مزيد * لأصبح فى حافاتها الجلمان

وقال اسحق بن خلف فى قصير طويل اللحية

ماشيت داود فاستضحكت من عجب * كأنه والدي يمشى بمولود

* ماطول داود الا طول لحيته * يظن داود فيها غير موجود

وقال ابن المقفع

تأملت أسواق العراق فلم أجد * دكاكينهم الا عليها الموالیا

جلوسا عليها ينفضون لحاهم * كما نفضت عجف البغال المخاليا

(ومما جاء فى عظم الخلقة والطول والقصر) قيل خرب القهندز فبرزت منه جماجم اموات فتصدعت جمجمة فانتثرت اسنانها فوزن السن منها فكان وزنها أربعة ارطال فاتى بها الى ابن المبارك فجعل يقلبها ويتعجب من عظمها ثم قال

اذا ماتذكرت أجسامهم * تصاغرت النفس حتى تهون

واراد ملك الروم ان يباهى أهل الاسلام فبعث الى معاوية رجلين أحدهما طويل والثانى قصير شديد القوة فدعا للطويل بقيس بن سعد بن عبادة فنزع قيس سراويله ورمى بها اليه فلبسها الطويل فبلغت ثدييه فلاموا قيسا على نزع السراويل فقال

أردت لكيما يعلم الناس انها * سراويل قيس والوفود شهود

وكي لا يقولوا خان قيس وهذه * سراويل عاد احرزتها ثمود
واني من القوم اليمانين سيد * وما الناس الا سيد ومسود

ثم دعا معاوية للرجل الشديد في قوته بمحمد بن الحنفية فخيره بين ان يقعد فيقيمه او يقوم فيقعده فغلبه في الحالتين وانصرفا مغلوبين وقيل كان سلمة بن مرة الناموسي اسر امرأ القيس بن النعمان اللخمي الملك وكان الناموسي قصيرا مقتحما واللخمي طويلا جسيما فقالت بنت امرئ القيس يا هذا القصير أطاق أبي فسمعها سلمة بن مرة فقال

لقد زعمت بنت امرئ القيس انني * قصير وقد اعيا اباها قصيرها
ورب طويل قد نزعت سلاحه * وعانقته والخيل تدمى نحورها

وقالوا عظم اللحية يدل على البله وعرضها على قلة العقل وصغرها على لطف الحركة واذا وقع الحاجب على العين دل على الحسد والعين المتوسطة في حجمها تدل على الفطنة وحسن الخلق والمروأة والتي تطول تحديقها تدل على الحمق والتي تكسر طرفها تدل على خفة وطيش والشعر على الاذن يدل على جودة السمع والاذن الكبيرة المنتصبة تدل على حمق وهذيان (ومما قيل في القبح والدمامة) اراد رجل ان يكتب كتابا لبعض أصحابه فلم يجد من يرسله معه الا رجلا وحش الصورة بشع المنظر فلم يقدر على تخليته لفرط دمامته فكتب الى صاحبه يأتيك بهذا الكتاب آية من آيات الله تعالى وقدره فدعه يذهب الى نار الله وسقره ومر ابو الاسود الدؤلي بمجلس لبني بشير فقال بعض فتيانهم كأن وجهه وجه عجوز راحت الى أهلها بطلاقها وقال الجاحظ ما اخجلني قط الا امرأة مرت بي الى صائغ فقالت له اعمل مثل هذا فبقيت مبهوتا ثم سألت الصائغ فقال هذه امرأة أرادت ان أعمل لها صورة شيطان فقلت لا أدري كيف اصوره فاتت بك الي لاصوره على صورتك وفي الجاحظ يقول الشاعر

لو يمسخ الخنزير مسخا ثانيا * ما كان الا دون قبح الجاحظ
رجل ينوب عن الجحيم بوجهه * وهو القذى في عين كل ملاحظ
ولو ان مرآة جلت تمثاله * ورآه كان له كاعظم واعظ

وقال الاصمعي رأيت بدوية من أحسن الناس وجها ولها زوج قبيح فقلت يا هذه اترضين ان تكوني تحت هذا فقالت يا هذا لعله احسن فيما بينه وبين ربه فجعلني ثوابه واسأت فيما بيني وبين ربي فجعله عذابي افلا أرضى بما رضي الله به وحج مخنث فرأى رجلا قبيح الوجه يستغفر فقال يا حبيبي ما اراك تبخل بهذا الوجه على جهنم وقال بعضهم لرجل طلع لي دمل في أقبح المواضع فقال له كذبت هذا وجهك ليس فيه شئ وخرج رجل قبيح الوجه الى المتجر فدخل اليمن فلم ير فيها أحسن منه وجها فقال

لم أر وجها حسنا * مذ دخلت اليمنا
فياشقاء بلدة * أحسن مافيها انا

* وخطب رجل عظيم الانف امرأة فقال لها قد عرفت اني رجل كريم المعاشرة محتمل المكاره فقالت لاشك في احتمالك المكاره مع حملك هذا الانف أربعين سنة وقال الشاعر في رجل كبير الانف

لك وجه وفيه قطعة أنف * كجدار قد أدعموه ببغله
وهو كالقبر فى المثال ولكن * جعلوا نصبه على غير قبله

وقال آخر

لك أنف ذو أنوف * أنفت منه الانوف
أنت فى القدس تصلى * وهو فى البيت يطوف

(ومما جاء فى الثقلاء) قال مطيع بن اياس

قل لعباس أخينا * يا ثقيل الثقلاء
أنت فى الصيف سموم * وجليد فى الشتاء
أنت فى الارض ثقيل * وثقيل فى السماء

(ومما جاء فى الملابس وألوانها والعمائم ونحوها) قال الله تعالى وأما بنعمة ربك فحدث وقال تعالى يا بنى آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله يحب ان يرى أثر نعمته على عبده وقال صلى الله عليه وسلم تعمموا تزدادوا اجلالا وقال صلى الله عليه وسلم العمائم تيجان العرب وكان الزبير بن العوام يقاتل يوم بدر وعليه عمامة صفراء فنزلت الملائكة وعليهم عمائم صفر قد أرخوها وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الرحمن بن عوف الى دومة الجندل فتخلف عن الجيش وأتى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليه عمامة سوداء من خز فنقضها رسول الله صلى الله عليه وسلم وعممه بيده وأسدلها بين كتفيه قدر شبر وقال هكذا اعتم يا ابن عوف وبعث ملك الروم الى النبى صلى الله عليه وسلم جبة ديباج فلبسها ثم كساها عثمان وكان سعيد بن المسيب يلبس الحلة بألف درهم ويدخل المسجد فقيل له فى ذلك فقال انى أجالس ربى وقيل المروأة الظاهرة الثياب الطاهرة وقيل البس البياض والسواد فان الدهر هكذا بياض نهار وسواد ليل (ومما قيل فى لبس السواد قول أبى قيس)

رأيتك فى السواد فقلت بدرا * بدا فى ظلمة الليل البهيم
وألقيت السواد فقلت شمس * محت بشعاعها ضوء النجوم

وقدم تاجر الى المدينة يحمل من خمر العراق فباع الجميع الا السود فشكى الى الدارمى ذلك وكان الدارمى قد نسك وتعبد فعمل بيتين وأمر من يغنى بهما فى المدينة وهما هذان البيتان

قل للمليحة فى الخمار الاسود * ماذا فعلت بزاهد متعبد
قد كان شمر للصلاة ازاره * حتى قعدت له بباب المسجد

قال فشاع الخبر فى المدينة ان الدارمى رجع عن زهده وتعشق صاحبة الخمار الاسود فلم يبق فى المدينة مليحة الا اشترت لها خمارا اسود فلما أنفد التاجر ما كان معه رجع الدارمى الى تعبده وعمد الى ثياب نسكه فلبسها وقال آخر فى لابسة الاحمر

وشمس من قضيب فى كثيب * تبدت فى لباس جلنارى
سقتنى ريقها صرفا وحيت * بوجنتها فهاجت جلنارى

وقال آخر فى لابسة ثوب خمرى

في ثوبها الخمري قد اقبلت * بوجنة حمراء كالجمر
قلت سكرا حين ابصرتها * لا تنكروا سكري من الخمر

وقال الصنوبري في لابسة أخضر

وجارية أدبها الشطاره * ترى الشمس من حسنها مستعاره
بدت في قميص لها أخضر * كما ستر الورق الجلناره
فقلت لها ما اسم هذا اللباس * فأبدت جوابا لطيف العباره
* شققنا مرائر قوم به * فنحن نسميه شق المراره *

وقال حكيم لابنه اياك ان تلبس ما يديم الملأ نظره اليك به واعلم ان الوشي لا يلبسه الا الاحمق أوملك وعليك بالبياض وقيل لباس البخلاء الاستبرق لطول بقائه ولباس المترفين السندس لقلة بقائه ولباس المقتصدين الديباج لتوسط بقائه وقال بعض الامراء لحاجبه ادخل على عاقلا فأتاه برجل فقال بم عرفت عقله فقال رأيته يلبس الكتان في الصيف والقطن في الشتاء والملبوس في الحر والجديد في البرد وقيل كان لابرويز عمامة طولها خمسون ذراعا اذا اتسخت ألقاها في النار فيحترق الوسخ ولا تحترق وكان له رداء حسن يتلون كل ساعة وسراويل مجوهر وتكته من أنابيب الزمرد وقيل الاقبية لباس الفرس والقراطق لباس الهند والازر لباس العرب وسئل بعض العرب عن الثياب فقال الصفر أشكل والحمر أجمل والخضر أقبل والسود أهول والبيض أفضل وقال أفلاطون الصبغ الشقائقي والروائح الزعفرانية تسكن الغضب والصبغ الياقوتي والروائح الوردية تحرك السرور واذا قرب اللون الاحمر الى اللون الاصفر تحركت القوة العشقية واذا امزجت الحمرة بالصفرة تحركت القوة الغريزية واذا امزجت التفاحية بالحمرة تحركت الطبائع كلها وكان مصعب ابن الزبير يقول لكل شئ راحة وراحة البيت كنسه وراحة الثوب طيه وقال بعض الاعراب رأيت بالبصرة برودا كأنها نسجت بأنواع الربيع ودخل بعض العذريين على معاوية وعليه عباءة فازدراه فقال يا أمير المؤمنين ان العباءة لا تكلمك وانما يكلمك من فيها (ومما قيل فيمن رذل لبسه وعرف نفسه) قال الاصمعي رأيت اعرابيا فاستنشدته فأنشدني أبياتا وروى أخبارا فتعجبت من جماله وسوء حاله فسكت سكتة ثم قال

أأخي ان الحادثا * ت عركنني عرك الاديم
لا تنكرن ان قد رأيـ * ـت أخاك في طمري عديم
ان كان اثوابي رثا * ث فانهن على كريم

قال بعضهم وقيل للشافعي رحمه الله

على ثياب لو تقاس جميعها * بفلس لكان الفلس منهن اكثرا
وفيهن نفس لو يقاس ببعضها * نفوس الورى كانت أجل واكبرا
وما ضر نصل السيف اخلاق غمده * اذا كان عضبا حيث وجهته برى

ودخل بعضهم على الرشيد فازدراه فأنشده

ترى الرجل الخفيف فتزدريه * وفي اثوابه اسد هصور

ويعجبك

ويمنعك الطريق فتمتليه * فيخلف ظنك الرجل الطرير
لقد عظم البعير بغير لب * فلم يستغن بالعظم البعير
يصرفه الصبي بغير وجه * ويحبسه على الخسف الجرير
وتضربه الوليدة بالهراوى * فلا غار عليه ولا نكير
فان أك في شراركمو قليلا * فاني في خياركمو كثير

ويقال كل ما تشتهيه نفسك والبس ما تشتهيه الناس وقد نظمه من قال

ان العيون رمتك اذ فاجأتها * وعليك من مهن الثياب لباس
اما الطعام فكل لنفسك ما اشتهت * واجعل لباسك ما اشتهته الناس

وفي هذا القدر كفاية والله أعلم بالصواب وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

(الباب السابع والاربعون في التختم والحلي والمصوغ والطيب والتطيب وما أشبه ذلك)

(ماجاء في التختم) عن عائشة رضي الله عنها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتختم في يمينه وقبض عليه الصلاة والسلام والخاتم في يمينه قال بعض من مدحه عليه الصلاة والسلام

كف الرسالة ليس يخفى حسنها * وتمام حسن الكف لبس الخاتم

وذكر السلامي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يتختم في يمينه والخلفاء بعده فنقله معاوية رضي الله عنه الى اليسار وأخذ الاموية بذلك ثم نقله السفاح الى اليمين فبقي الى أيام الرشيد رضي الله عنه فنقله الى اليسار وأخذ الناس بذلك وعن علي رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم تختموا بخواتيم العقيق فانه لا يصيب احدكم غم مادام عليه ذلك وبلغ عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه ان ابنه اشترى فص خاتم بألف دينار فكتب اليه عزمت عليك الا ما بعت خاتمك بألف دينار وجعلتها في بطن جائع واستعمل خاتما من ورق وانقش عليه رحم الله امرأ عرف نفسه وكان خاتم علي رضي الله عنه من ورق ونقشه نعم القادر الله وكان لابي نواس خاتمان أحدهما عقيق مربع وعليه مكتوب

تعاظمني ذنبي فلما قرنته * بعفوك ربي كان عفوك اعظما

والآخر حديد صيني عليه أشهد أن لا اله الا الله مخلصا واوصى عند موته ان يغسل الفص ويجعل في فيه قال جعفر بن محمد رضي الله عنه ما افتقرت يد تختمت بخاتم فيروزج وقيل الخواتم أربعة الياقوت للعطش والفيروزج للمال والعقيق للسنة والحديد الصيني للحرز وقيل للخوف والله أعلم

(ذكر ماجاء في الحلي) قيل ان قرطي مارية بنت ظالم بن وهب بن الحرث بن معاوية كان فيهما درتان كبيض الحمام لم ير مثلهما ولم يدر قيمتهما وقال محمد بعثني يوسف بن عمر الى هشام بياقوتة حمراء يخرج طرفاها من كفي كانت للرائقة جارية خالد بن عبد الله القسري اشترتها بثلاثة وسبعين ألف دينار وحبة لؤلؤ أعظم ما يكون من الحب فدخلت عليه بهما فقال أكتب معك بوزنهما فقلت يا أمير المؤمنين هما اعظم من ان يكتب بوزنهما فقال صدقت وبعث معاوية الى عائشة رضي الله تعالى عنها طوقا من ذهب فيه جوهرة قومت بمائة ألف

دينار فقسمته بين أزواج النبي صلى الله عليه وسلم وكان ملك العرب كلما مرت عليه سنة من سنين ملكه زيدت في تاجه خرزة وكان يقال لها خرزات الملك

(ذكر ما جاء في الطيب والتطيب) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اطيب الطيب المسك وعن عائشة رضي الله عنها قالت كأني أنظر الى وبيص الطيب في مفارق رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو محرم وعن سهل بن سعد يرفعه ان في الجنة لمراعي من مسك مثل مراعي دوابكم هذه وعن أنس رضي الله عنه قال دخل علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فنام عندنا فعرق فجاءت أمي بقارورة فجعلت تسلت العرق فيها فاستيقظ وقال يا أم سليم ماهذا الذي تصنعين فقالت هذا عرقك نجعله في طيبنا وهو من أطيب الطيب وعن عمر رضي الله عنه قال لو كنت تاجرا ما اخترت على العطر ان فاتني ربحه لم يفتني ريحه وناول المتوكل فتى فارة المسك فقال

لئن كان هذا طيبنا وهو طيب * لقد طيبته من يديك الانامل

واهدى عبد الله بن جعفر لمعاوية قارورة من الغالية فسأله كم انفق عليها فذكر مالا جزيلا فقال هذه غالية فسميت بذلك وشمها مالك بن سليمان بن خارجة من اخته هند بنت اسماء فقال علميني كيف تصنعين طيبك فقالت لا افعل تريد ان تعلمه جواريك هولاء مني كلما اردته ثم قالت والله اني ما تعلمته الا من شعرك حيث تقول

اطيب الطيب عرف ام ابان * فارمسك بعنبر مسحوق

قال ابو قلابة كان ابن مسعود رضي الله عنه اذا خرج من بيته الى المسجد عرف جيران الطريق أنه مر من طيب ريحه وعن الحسن بن زيد الهاشمي عن أبيه قال رأيت ابن عباس رضي الله عنه يطلي جسده فاذا مر في الطريق قال الناس أمر ابن عباس ام مر المسك وعنه عن أبيه قال رأيت ابن عباس رضي الله عنهما حين أحرم والغالية على صدغيه كأنها لزقة وقال ابو الضحى رأيت على رأس الزبير من المسك مالو كان لي لكان رأس مالي وقيل لما بني عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه بفاطمة بنت عبد الملك أسرج في مسارجه تلك الليلة بالغالية وقال الشعبي الرائحة الطيبة تزيد في العقل وقال علي كرم الله وجهه شموا النرجس ولو في العام مرة فان في قلب الانسان حالة لا يزيلها الا النرجس وكان الشعبي يقول اذا ورد الورد صدر البرد وكانت الصحابة رضي الله عنهم يستحبون اذا قاموا من الليل أن يمسوا لحاهم بالطيب وكان من اختلف في طرقات المدينة وجد عرفا طيبا قيل ولذلك سميت طيبة وأقول والله ما طابت طيبة الا بالطيب الطاهر صلى الله عليه وسلم وما أحسن ما قيل

اذا لم أطب في طيبة عند طيب * به طيبة طابت فأين أطيب

وقيل ان فارة المسك دويبة شبيهة بالخشف تصاد لسرتها فاذا صادها الصياد عصب السرة بعصابة شديدة فيجتمع فيها دمها ثم يذبحها ثم يأخذ السرة فيدفنها في الشعير حتى يستحيل الدم المجتمع فيها مسكا ذكيا بعد أن كان لا يرام نتنا وقد يوجد جرذان سود يقال لها فارات المسك ليس عندها الا رائحة لازمة لها (وحكى) ان العنبر يأتي على طفاوة الماء لا يدري احد معدنه فلا يأكله شئ الا مات ولا ينقره طائر الا بقي منقاره فيه ولا يقع عليه حيوان الا

نصلت أظفاره فيه والتجار والعطارون ربما وجدوا الظفار فيه وقال الزمخشري عفا الله عنه سمعت ناسا من أهل مكة يقولون هو من زبد بحر سرنديب وأجود العنبر الاشهب ثم الازرق وأدونه الاسود وفي حديث ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ليس في العنبر زكاة انما هو شيء نثره البحر وأما العود فأجوده المندلي وهو منسوب الى مندل قرية من قرى الهند وأجوده أصلبه وامتحان رطبه ان تطبع فيه نقش الخاتم فان انطبع فرطب والافلا ومن خصائصه ان رائحته تطبع في الثوب أسبوعا فلا يقمل ما دامت فيه وأما الكافور فهو ماء شجر بجزيرة الكافور يحزونه بالحديد فاذا خرج ظاهرا وضربه الهواء انعقد كالصموغ الجامدة على الاشجار وأما الند فصنوع وهو العود المستقطر والعنبر واللبان

لو كنت أحمل خمرا حين زرتكم * لم ينكر الكلب اني صاحب الدار
لكن أتيت وريح المسك يقدمني * والعنبر الند مشبوب على النار

وكانت ملوك الفرس تأمر برفع الطيب أيام الورد وكان المتوكل يلبس أيام الورد الثياب الموردة ويفرش الورد في مجالسه ويطيب جميع آلاته بالورد * وقال الحسن بن سهل أمهات الرياحين تقوى بامهات الطيب فالنرجس يقوى بالورد والورد يقوى بالمسك والبنفسج يقوى بالعنبر والريحان يقوى بالكافور والنسرين يقوى بالعود وقال جالينوس المسك يقوي القلب والعنبر يقوي الدماغ والكافور يقوي الرئة والعود يقوي المعدة والغالية تحل الزكام والصندل يحل الاورام * وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا تردوا الطيب فانه طيب الريح خفيف المحمل * تبخر بعض الامراء وعنده اعرابي ففرطت من الامير ريح خفيفة فاراد ان يعلم هل فطن بها الاعرابي أم لا فقال ما أطيب هذا المثلث قال نعم ولكنك ربعتها وقال الاحنف ان شم رائحة المسك يحيي القلب وقال سلمة لابن عباس وعنده جعفر بن سليمان ما شممت أنفي من ريح مسك شممته من الناس الاريح كفك أطيب فامر له بالف دينار ومائة مثقال مسك ومائة مثقال عنبر والله أعلم بالصواب وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

(الباب الثامن والاربعون في الشباب والصحة والعافية واخبار المعمرين وما أشبه ذلك وفيه فصول)

(الفصل الاول في الشباب وفضله) روي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال ما بعث الله نبيا الاشابا ولا أوتي العلم عالم الاشابا ثم تلا هذه الآية قالوا سمعنا فتى يذكرهم يقال له ابراهيم وقد أخبر الله تعالى به ثم آتى يحيى بن زكريا الحكمة قال تعالى وآتيناه الحكم صبيا وقال تعالى اذ أوى الفتية الى الكهف وقال تعالى انهم فتية آمنوا بربهم وقال تعالى واذ قال موسى لفتاه وقال أنس رضي الله عنه قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم وليس في رأسه ولحيته عشرون شعرة بيضاء وقد قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم اسامة ابن زيد على جميع الانصار وكبار المهاجرين على حداثة سنه وعتاب بن أسيد ولاه مكة وبها أكابر قريش وعبد الله بن عباس على جلالة قدره وحفظه من العلم وقال بعض البلغاء الشباب باكورة الحياة وأطيب العيش أوائله كما ان أطيب الثمار بواكيرها والشباب

أبلغ الشفعاء عند النساء وأكثر الوسائل لقلوبهن ولذلك قال الشاعر

أحلى الرجال مع النساء مواقعا * من كان أشبههم بهن خدودا

وما بكت العرب على شئ ما بكت على الشباب ولو لم يكن هذا الشباب حميدا وزمانه حميدا لو سامه صورته وبهجة منظره وجمال خلقته واعتدال قامته لما جاور الله في جنات خلده شاب كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم جردا مردا أبناء ثلاثين وقد جاء في ذلك أشياء كثيرة ليس هذا موضع بسطها

(الفصل الثاني في الشيب وفضله) أول من شاب سيدنا ابراهيم الخليل عليه السلام وفي الخبر ان الله تعالى يقول الشيب نوري وأنا أستحي ان احرقه بناري وعن جعفر بن محمد عن أبيه قال جاء رجلان الى النبي صلى الله عليه وسلم شيخ وشاب فتكلم الشاب قبل ان يتكلم الشيخ فقال عليه السلام كبر كبر وبهذه الرواية من وقر كبير الكبر سنه آمنه الله من فزع يوم القيامة وعن أنس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال يقول الله تعالى وعزتي وجلالي وفاقة خلقي الي اني لأستحي من عبدي وأمتي يشيبان في الاسلام ان أعذبهما ثم بكى فقيل له ما يبكيك يا رسول الله قال أبكي ممن يستحي الله منه وهو لا يستحي من الله وقال من بلغ ثمانين من هذه الأمة حرمه الله على النار وقال اذا بلغ المؤمن ثمانين سنة فانه اسير الله في الارض تكتب له الحسنات وتمحى عنه السيئات وقيل كان الرجل فيمن كان قبلكم لا يحتلم حتى يبلغ ثمانين سنة وقال ابن وهب ان اصغر من مات من ولد آدم ابن مائتي سنة فبكته الانس والجن لحداثة سنه وقال النخعي كان يقال اذا بلغ الرجل أربعين سنة على خلق لم يتغير عنه حتى يموت وعن ابن عباس رضي الله عنهما رفعه من أتى عليه أربعون سنة ثم لم يغلب خيره على شره فليتجهز الى النار وعن أنس رضي الله عنه قال قال ملك الموت لنوح عليه السلام يا أطول النبيين عمرا كيف وجدت الدنيا ولذتها قال كرجل دخل في بيت له بابان فقام وسط البيت ساعة ثم خرج من الباب الثاني ويقال أطع أكبر منك ولو بليلة وقال عبد العزيز بن مروان من لم يتعظ بثلاث لم ينته بشئ الاسلام والقرآن والشيب قال الشاعر

يا عامر الدنيا على شيبه * فيك أعاجيب لمن يعجب

ما عذر من يعمر بنيانه * وعمره منهدم يخرب

وقال الشعبي الشيب علة لا يعاد منها ومصيبة لا يعزى عليها وقال الفرزدق

ويقول كيف يميل مثلك للصبا * وعليك من عظم المشيب عذار

والشيب ينقص في الشباب كأنه * ليل يصيح بعارضيه نهار

وقال أبو دلف في بياض اللحية

تكونني هم لبيضاء نابته * لها بغضة في مضمر القلب ثابته

ومن عجب اني اذا رمت قصها * قصصت سواها وهي تضحك نابته

وقال أيضا

أرى شيب الرجال من الغواني * بموضع شيبهن من الرجال

وقال ابن المعتز

فظلت أطلب وصلها بتذلل * والشيب يغمزها بان لا تفعلي

قيل صاح شاب بشيخ احدب بكم ابتعت هذا القوس يا عم فقال يا بني ان اعطيتها بغير ثمن ومر رجل اشمط بامرأة عجيبة في الجمال فقال يا هذه ان كان لك زوج فبارك الله لك فيه والا فاعلمينا فقالت كأنك تخطبني قال نعم فقالت ان في عيبا قال وما هو قالت شيب في رأسي فثني عنان دابته فقالت على رسلك فلا والله ما بلغت عشرين سنة ولا رأيت في رأسي شعرة بيضاء ولكنني احببت ان أعلمك اني أكره منك مثل ما تكره مني فانشدو يقال انه لابن المعتز رأين الغواني الشيب لاح بمفرقي * فاعرضن عني بالخدود النواضر

وقال آخر

* سألتها قبلة يوما وقد نظرت * شيبي وقد كنت ذا مال وذا نعم

* فاعرضت وتولت وهي قائلة * لا والذي أوجد الاشياء من عدم

ما كان لي في بياض الشيب من أرب * أفي الحياة يكون القطن حشو في

وقال آخر

قالت أرى مسكة الشعر البهيم غدت * كافورة قد أحالتها يد الزمن

فقلت طيب بطيب والتنقل في * معادن الطيب أمر غير ممتهن

قالت صدقت وما أنكرت ذاك بذا * المسك للشم والكافور للكفن

وقال آخر

قالت أراك خضبت الشيب قلت لها * سترته عنك يا سمعي ويا بصري

* فقهقهت ثم قالت من تعجبها * تكاثر الغش حتى صار في الشعر

وقال ابن نباتة

تبسم الشيب بوجه الفتى * يوجب سح الدمع من جفنه

وكيف لا يبكي على نفسه * من ضحك الشيب على ذقنه

وقال ابن المعتز

فما أقبح التفريط في زمن الصبا * فكيف به والشيب في الرأس شامل

وكان المأمون يتمثل بقول الشاعر

رأت وضحا في الرأس مني فراعها * فريقان مبيض به وبهيم

تفاريق شيب في السواد لوامع * فما احسن ليل لاح فيه نجوم

ويقال في الرجل اذا شاب ليله عسعس وصبحه تنفس

اذا نازع الشيب الشباب فاصلتا * بسيفيهما فالشيب لاشك غالب

وقال آخر

ألا ان شيب العبد من نقرة القفا * وشيب كرام الناس شيب المفارق

وقال العتبي

قالت عهدتك مجنونا فقلت لها * ان الشباب جنون برؤه الكبر

وقال علي بن ربيع

* كبرت ودق العظم مني ورقني * بني وزالت عن فراشي العقائد
وأصبحت امشي أخبط الارض بالعصا * يقودنني بين البيوت الولائد

وقال آخر

عريت من الشباب وكنت غصنا * كما يعرى من الورق القضيب
ونحت على الشباب بدمع عيني * فما نفع البكاء ولا النحيب
* فياليت الشباب يعود يوما * فاخبره بما فعل المشيب

وقال ابن النقيب

وكم كان من عين علي وحافظ * وكم كان من واش لها ورقيب
فلما بدا شيبي اطمأنت قلوبهم * ولم يحفظوني واكتفوا بمشيبي

وقال الامام أحمد بن حنبل رحمه الله ماشبهت الشباب الا كشئ كان في كمي فسقط قال الشاعر

شيآن لو بكت الدماء عليهما * عيناك حتى يؤذنا بذهاب
لم يبلغا المعشار من حقيهما * فقد الشباب وفرقة الاحباب

وقال الجاحظ

اترجو ان تكون وأنت شيخ * كما قد كنت في زمن الشباب
لقد كذبتك نفسك ليس ثوب * دريس كالجديد من الثياب

(ومما جاء في الخضاب) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عليكم بالخضاب فانه أهيب لعدوكم وأعجب لنسائكم وعن أبي عامر الانصاري رضي الله عنه رأيت أبا بكر الصديق رضي الله عنه يغير بالحناء والكتم وقيل خضاب الحناء يصفي البصر ويذهب بالصداع ويزيد في الباه بيت

تسود أعلاها وتأبى أصولها * وليس الى رد الشباب سبيل

وقيل وفد عبد المطلب بن هاشم على سيف بن ذي يزن فقال له لو خضبت شعرك فلما رجع الى مكة اختضب فقالت امرأته نديلة ما احسن هذا لو دام فقال

ولو دام لي هذا الخضاب حمدته * وكان بديلا من خليل قد انصرم
تمتعت منه والحياة قصيرة * ولا بد من موت نديلة او هرم

وقال آخر

ياخاضب الشيب الذي * في كل ثالثة يعود
ان الخضاب اذا نضا * فكأنه شيب جديد
فدع المشيب وما يريد فلن يعود كما تريد

وقال محمود الوراق

فأمنك الشباب واست منه * اذا سامتك لحيتك الخضابا

(الفصل الثالث في العافية والصحة) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اليك انتهت الاماني ياصاحب العافية وعنه صلى الله عليه وسلم انه قال أول مايحاسب به العبد يوم القيامة أن يقال له ألم أصح بدنك وأروك بالماء البارد

وقال علي رضي الله عنه في قوله تعالى ثم لتسئلن يومئذ عن النعيم هو الامن والصحة والعافية وعن ابن عباس رضي الله عنهما يسأل الله العباد عن الابدان والاسماع والابصار فيم استعملوها وهو أعلم بذلك وقال ابن عيينة من تمام النعمة طول الحياة في الصحة والامن والسرور وقالت عائشة رضي الله عنها لو رأيت ليلة القدر ماسألت الله الا العفو والعافية وقال قبيصة بن ذؤيب كنا نسمع نداء عبد الملك بن مروان من وراء الحجرة في مرضه يا أهل النعم لا تستقلوا شيأ من النعم مع العافية ويقال البحر لاجوار له والملك لاصديق له والعافية لاثمن لها قال ابن الرومي

اذا ما كساك الدهر سربال صحة * ولم تخل من قوت يحل ويقرب

فلا تغبطن أهل الكثير فانما * على قدر ما يعطيهم الدهر يسلب

ويقال صحة الجسم أوفر القسم وذكر بعضهم العافية فقال وأي وطاء وأي غطاء وقال حكيم ان كان شئ فوق الحياة فالصحة وان كان شئ مثل الحياة فالغنى وان كان شئ فوق الموت فالمرض وان كان شئ مثل الموت فالفقر وقال علي رضي الله عنه ما المبتلى الذي اشتد به البلاء باحوج الى الدعاء من المعافى الذي لا يأمن البلاء وقيل ان فأرة البيوت رأت فأرة الصحراء في شدة ومحنة فقالت لها ما تصنعين ههنا اذهبي معي الى البيوت التي فيها أنواع النعيم والخصب فذهبت معها واذا صاحب البيت الذي كانت تسكنه قد هيأ لها الرصد لبنة تحتها شحمة فاقتحمت لتأخذ الشحمة فوقعت عليها اللبنة فحطمتها فهربت الفأرة البرية وهزت رأسها متعجبة وقالت أرى نعمة كثيرة وبلاء شديدا ألا وان العافية والفقر أحب الي من غنى يكون فيه الموت ثم فرت الى البرية وكان عند رومي خنزير فربطه الى اسطوانة ووضع العلف بين يديه ليسمنه وكان بجنبه اتان لها جحش وكان ذلك الجحش يلتقط من العلف ما يتناثر فقال لامه يا أماه ما أطيب هذا العلف لو دام فقالت له يا بني لا تقربه فان وراءه الطامة الكبرى فلما أراد الرومي أن يذبح الخنزير ووضع السكين على حلقه جعل يضطرب و ينفخ فهرب الجحش وأتى الى أمه وأخرج لها اسنانه وقال ويحك يا أماه انظري هل بقي في خلال اسناني شئ من ذلك العلف فاقلعيه فما أحسن القنع مع السلامة والله أعلم بالصواب

(الفصل الرابع في أخبار المعمرين في الجاهلية والاسلام) قال الحسن رضي الله عنه أفضل الناس ثوابا يوم القيامة المؤمن المعمر وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا أنبئكم بخياركم قالوا بلى يارسول الله قال أطولكم أعمارا في الاسلام اذا سددوا وزعموا أن تبعا الفزاري كان من المعمرين وانه دخل على بعض خلفاء بني أمية فسأله عن عمره فقال عشت أربعمائة وعشرين سنة في فترة عيسى بن مريم عليه السلام في الجاهلية وستين في الاسلام قال له اخبرني عما رأيت في سالف عمرك قال رأيت الدنيا ليلة في أثر ليلة ويوما في أثر يوم ورأيت الناس بين جامع مال مفرق ومفرق مال مجموع وبين قوي يظلم وضعيف يظلم وصغير يكبر وكبير يهرم وحي يموت وجنين يولد وكلهم بين مسرور بموجود ومحزون بمفقود وقد قال ابن الجوزي ان آدم عليه السلام عاش ألف سنة وعاش ابنه شيث

تسعمائة سنة وعاش ابنه مهلاييل ثمانمائة وخمسا وتسعين سنة وعاش ابنه ادريس ثلثمائة وخمسا وتسعين سنة وعاش ابنه هود تسعمائة واثنتين وستين سنة وعاش ابنه متوشلخ تسعمائة وستين سنة وأما ابنه نوح عليه السلام فروى عن عبد الله بن عباس رضى الله عنهما انه قال عاش نوح عليه السلام ألفا وأربعمائة وخمسين عاما وأما الخضر عليه السلام واسمه خضرون فهو أطول بنى آدم عمرا وذكر ان لقمان عليه السلام عاش ثلاثة آلاف وخمسمائة سنة وكانت العرب لا تعد من الاعمار الا ما بلغ مائة وعشرين سنة فما فوقها وعاش أكثم بن صيفى ثلثمائة وستين سنة وأدرك الاسلام وعاش سطيح سبعمائة سنة وعاش قس بن ساعدة الايادى سبعمائة سنة وكان من حكماء العرب وعاش لبيد بن ربيعة الشاعر مائة وعشرين سنة وأدرك الاسلام وعاش دريد بن الصمة مائة وسبعين سنة حتى سقط حاجباه على عينيه وأدرك الاسلام ولم يسلم ومن المعمرين عدى بن حاتم الطائى وزهير بن جنادة عاشا مائتين وعشرين سنة ومن المعمرين ذو الاصابع العذرى عاش مائتين وعشرين سنة وهو أحد حكماء العرب فى الجاهلية ومن المعمرين عمرو بن معديكرب الزبيدى ومن المعمرين عبد المسيح بن نفيلة عاش ثلثمائة وعشرين سنة وادرك الاسلام * وقد رأيت رجلا من أهل محلة مسير بالغربية وذكر أنه بلغ من العمر مائة وأربعين سنة وان امرأته بلغت من العمر كذلك ولقد رأيت منه مالم أر من بعض شبان هذا العصر فى القوة وشدة البأس ورأيت له ولدا شيخا هو أشد قوة من ولده وذلك فى صفر سنة تسع وعشرين وثمانمائة والله سبحانه وتعالى أعلم

(الباب التاسع والاربعون فى الاسماء والكنى والالقاب وما استحسن منها)

فاشرف الاسماء وأعظمها بسم الله الرحمن الرحيم قال الله تعالى هل تعلم له سميا وعن ابن عباس رضى الله عنهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من رفع قرطاسا من الارض مكتوبا عليه بسم الله الرحمن الرحيم اجلالا له ولاسمه عن أن يداس كان عند الله من الصديقين وخفف عنه وعن والديه العذاب وان كانا مشركين وعن ابن عباس رضى الله عنهما لم يرن ابليس لعنه الله قط الا ثلاث رنات رنة حين لعن وأخرج من ملكوت السموات والارض ورنة حين ولد محمد صلى الله عليه وسلم ورنة حين أنزلت سورة الحمد وفى أولها بسم الله الرحمن الرحيم وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يرد دعاء أوله بسم الله الرحمن الرحيم وان أمتى يأتون يوم القيامة يقولون بسم الله الرحمن الرحيم فتثقل حسناتهم فى الميزان فتقول الامم ما أثقل موازين أمة محمد فتقول الانبياء عليهم الصلاة والسلام ابتداء كلامهم ثلاثة أسماء من أسماء الله تعالى لو وضعت فى كفة الميزان ووضعت سيآت الخلق فى كفة لرجحت كفة الاسماء وأما الاسماء والكنى ففى صحيح مسلم عن ابن عمر رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أحب أسمائكم الى الله تعالى عبد الله وعبد الرحمن وأصدقها حارث وهمام وأقبحها حرب ومرة * وينبغى أن تنادى من لا تعرف اسمه بعبارة لطيفة لا يتأذى بها ولا يكون فيها كذب كقولك يا فقيه يا أخى يا فقير يا سيدى يا صاحب الثوب الفلانى أو البغل الفلانى أو الفرس الفلانى أو السيف الفلانى

وما أشبه ذلك ودخل عبادة على المتوكل وبين يديه جام من ذهب فيه ألف مثقال فقال له أسألك عن شئ ان أجبتني عنه ابتداء من غير أن تفكر فلك الجام بما فيه فقال سل يا أمير المؤمنين قال أسألك عن شئ له اسم ولا كنية له وعن شئ له كنية ولا اسم له قال المنارة وأبو رباح فعجب المتوكل وأعطاه الجام بما فيه وقيل لعثمان ذو النورين رضي الله عنه لانه هو ورقية كانا أحسن زوجين في الاسلام وقيل لانه تزوج برقية ثم بام كلثوم ابنتي رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يوجد من تزوج بابنتي نبي غيره وكان قتادة بن النعمان الانصاري رضي الله عنه أصيب في عينه يوم أحد فسقطت على خده فردها رسول الله صلى الله عليه وسلم فكانت أحسن وأصح من الاخرى فكانت تعتل أي ترمد عينه الباقية ولا تعتل عينه المردودة فقيل له ذو العينين وقال أبو هريرة رضي الله عنه كنيت بهرة صغيرة كنت أحملها في حجري فالعب بها وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يا أبا هريرة واختلف في اسمه فقيل عبد الرحمن وقيل عبد شمس وقيل عمرو وقيل سليمان وقال الشعبي رضي الله عنه كنية الدجال أبو يوسف * ذو الشهرة أبو دجانة الانصاري رضي الله عنه كان له شهرة يلبسها بين الصفين * ذو الرياستين الفضل بن سهل لانه دبر أمر السيف والقلم وولي رياسة الجيوش والدواوين ودخل عليه شاعر يوم المهرجان وبين يديه الهدايا فقال

اليوم يوم المهرجان * هديتي فيه اللسان

لك دولتان حديثة * وقديمة ورياستان

لك في الورى من هاشم * نبت وبيت خسروان

علم الخليفة كيف أنت فصرت في هذا المكان

فامر له بجميع الهدايا * المطيبون بنو عبد مناف وبنو أسد بن عبد العزى وزهرة بن كلاب وتيم بن مرة والحرث بن فهر غمسوا أيديهم في خلوق ثم تحالفوا * شيبة الحمد عبد المطلب لقب بشيبة كانت في رأسه حين ولد قال حذافة

بنو شيبة الحمد الذي كان وجهه * يضيء ظلام الليل كالقمر البدر

وقيل له عبد المطلب لان عمه المطلب مر به في سوق مكة مردوفا له فجعلوا يقولون من هذا الذي وراءك فيقول عبدلي * سيدنا أبو بكر الصديق رضي الله عنه اسمه عبد الله ولقباه العتيق والصديق لجماله وتصديقه بخبر الاسراء أو لانه أول من صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم * سيدنا عمر رضي الله عنه لقب بالفاروق لانه قال يوم أسلم لا يعبد الله اليوم سرا فظهر به الاسلام وفرق بين الحق والباطل * الكامل سعد بن عبادة رضي الله عنه لانه كان يكتب ويحسن الرمي والعوم * طلحة بن عبد الله رضي الله عنه كان يقال له طلحة الخير وطلحة الفياض وطلحة الطلحات لسخائه * رشح الحجر وأبو ذباب عبد الملك بن مروان لقب بذلك لبخله وبخره * عكة العسل سعيد بن العاص رضي الله عنه * الحبر عبد الله بن عباس رضي الله عنه لقب بذلك لعلمه كان يقال له مرة الحبر ومرة البحر * الاشدق عمرو بن سعيد لانه كان مائل الشدق * الفياض عكرمة بن ربعي لقب بذلك لسخائه * المصطلق خزيمة بن سعد الخزاعي قيل له المصطلق لحسن صوته وشدته وكان أول من غنى من خزاعة * راح

يكذب لقب به المهلب لانه كان يضع الحديث أيام الخوارج فيحدث به فاذا رأوه قالوا راح يكذب * واصل الغزال كان يكثر الجلوس في سوق الغزالين وكان يتبع العجائز فيتصدق عليهم ولم يكن غزالا * سليمان التيمي كان داره ومسجده في بني تيم ولم يكن منهم وهو شيباني أبو عمرو الشيباني لم يكن من بني شيبان وانما كان يعلم يزيد بن مزيد الشيباني * اليزيدي كان يعلم يزيد بن منصور الحميري فنسب اليه * ذو القروح امرؤ القيس كان ملك الروم كساه الحلة المسمومة فقرحته وقالوا لم تكن الكنى لاحد من الامم الا للعرب وهي مفاخرهم وقال بعضهم

أكنيه حين أناديه لاكرمه * ولا ألقبه والسوأة اللقب

وقيل في قوله تعالى فقولا له قولا لينا أي كنياه ولما ضرب موسى عليه السلام البحر ولم ينفلق أوحى الله تعالى اليه أن كنه فقال انفلق أبا خالد فانفلق فكان كل فرق كالطود العظيم (وأما الالقاب) فقد قال الله تعالى ولا تنابزوا بالالقاب بئس الاسم الفسوق بعد الايمان سماه الله تعالى فسوقا واتفق العلماء رضي الله عنهم على جواز ذلك على وجه التعريف لمن لا يعرف الا بذلك كالاعمش والاعمى والاعرج والاحول والافطس والاقرع ونحو ذلك وقل من المشاهير في الجاهلية والاسلام من ليس له لقب ولم يزل في الامم كلها يجري في المخاطبات والمكاتبات من غير نكير غير أنها كانت تطلق على حسب الموسومين وأما ما استحسن من تلقيب السفلة بالالقاب العلية حتى زال الفضل وذهب التفاوت وانقلب النقص والشرف شرعا واحدا فنكر وهب أن العذر مبسوط في ذلك فما العذر في تقليب من ليس من الدين في دبير ولا قبيل ولا له فيه ناقة ولا فصيل بل هو محتو على ما يضاد الدين وينافي كمال الدين وشرف الاسلام وهي لعمر الله الغصة التي لا تساغ والغبن الذي يعجز الصبر دونه فلا يستطاع نسأل الله تعالى اعزاز دينه واعلاء كلمته وان يصلح فسادنا ويوقظ غافلنا * الرجل يكنى باسم ولده والمرأة كذلك واذا كنوا من لم يكن له ولد فعلى جهة التفاؤل وبناء الامر على رجاء أن يعيش فيولد له وقد يكنون بما يلائم المكني من غير الاولاد كقول رسول الله صلى الله عليه وسلم في علي رضي الله عنه أبو تراب وذلك انه نام في غزوة ذي العشيرة فذهب به النوم فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو متمرغ في التراب فقال له اجلس أبا تراب وكان أحب أسمائه اليه وكقولهم أبي لهب لحمرة خديه ولونه وقال الزمخشري رحمه الله تعالى وسمعتهم يكنون الكبير الرأس والعمامة بأبي الرأس وأبي العمامة وسمعت العرب ينادون الطويل اللحية يا أبا الطويلة وسمعت عرب البحيرة يكنون باسماء بناتهم كأبي زهو وأبي سلطانة وأبي ليلى ونحو ذلك ولا حرج في ذلك وقد تكنى جماعة من أفاضل الصحابة بأبي فلانة منهم سيدنا عثمان بن عفان رضي الله عنه كان له ثلاث كنى أبو عمرو وأبو عبد الله وأبو ليلى ومنهم أبو امامة وأبو رقية تميم الداري وأبو كريمة المقداد بن معديكرب وكثير من الصحابة ومن التابعين رضوان الله عليهم أجمعين أبو عائشة مسروق بن الاجدع وكان لانس أخ صغير وله نغير يلعب به فمات فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم فرآه حزينا فقال ماشأنه فقالوا مات نغيره فقال يا أبا عمير

ما فعل التغير ونظر المأمون الى غلام حسن فى الموكب فسأله عن اسمه فقال لا أدرى فقال

تسميت لا أدرى فانك لا تدرى * بما فعل الحب المبرح فى صدرى

وعن على رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم اذا سميتم الولد محمدا فأكرموه ووسعوا له فى المجالس ولا تقبحوا له وجها وعنه ما من قوم كان بينهم مشورة فحضر معهم من كان اسمه محمد أو أحمد فأدخلوه فى مشورتهم الا كان خيرا لهم وما من مائدة وضعت فحضر عليها من اسمه محمد أو أحمد الا قدس الله ذلك المنزل فى كل يوم مرتين كل ذلك ببركة هذا الاسم الشريف ومما جاء فى مدح الاسماء منظوما قال بعضهم فى مليح اسمه ابراهيم

رأيت حبيبى فى المنام معانقى * وذلك للمهجور مرتبة عليا

وقد رق لى من بعد هجر وقسوة * وما ضر ابراهيم لو صدق الرؤيا

وفيه أيضا

لا زال بابك كعبة محجوجة * وترابها فوق الجباه وسيم

حتى ينادى فى البقاع بأسرها * هذا المقام وأنت ابراهيم

وفيه أيضا

يا سمى الخليل ان فؤادى * فيه من لوعة الغرام جحيم

وعجيب يا قاتلى ان قلبى * فيه نار وأنت فيه مقيم

ولبعضهم فى مليح اسمه عمر

يا أعدل الناس إسما كم تجور على * فؤاد مضناك بالهجران والبين

اظنهم سرقوك القاف من قمر * وأبدلوها بعين خيفة العين

وفيه أيضا

ما علمهم فى الهوى لو نظروا * حين سموك فقالوا عمر

أبدلوا قافك عينا غلطا * أخطؤا ما أنت الا قمر

ولبعضهم فى مليح حامل شمعة موقودة اسمه عثمان

وافى الى بشمعة وضياؤها * وضياؤه حكيا لنا القمرين

ناديته ما الاسم يا كل المنى * فأجابنى عثمان ذو النورين

ولبعضهم فى مليح اسمه يوسف

يا من سبى الشعراء عمل عذاره * النجم يشهد لى بانى مدنف

صيرت قلبى من صدودك فاطرا * فامنن على بزورة يا يوسف

للصفى الحلى فيمن اسمه داود

وثقت بان قلبى من حديد * وفيه على الهوى بأس شديد

فلان على هواك ولا عجيب * اذا داود لان له الحديد

وله فيمن اسمه موسى

أتى موسى بآية خال خد * حوته صوارم الحدق المراض

فآية ذا بياض فى سواد * وآية ذا سواد فى بياض

فجاء بضد ما قد جاء موسى * كليم الله الحقب المواضي
وللقيراطي في مليح اسمه بدر
سموه بدرا وذاك لما * ان فاق في حسنه وتما
وأجمع الناس اذ رأوه * بأنه اسم على مسمى
ولمؤلفه رحمه الله في قاضي القضاة علم الدين صالح البلقيني
وعظ الانام امامنا الحبر الذي * سكب العلوم كبحر فضل طافح
فشفي القلوب بعلمه وبوعظه * والعلم يشفي ان يكن من صالح
وتوجهت مرة الى بالتاج لاجتمع بالحاج خليل بن منصور في ضرورة فلم أجده ولم يقم أحد من خدمته بقضاء ما توجهت بسببه فقلت
خصال خليل كلهن حميدة * وأوصافه تزري بكل جميل
فلا خير في بالتاج ان لم يكن بها * ولا خير في الدنيا بغير خليل
وقال آخر في مقبل
يا من تحجب عن محب صادق * مازال عنه كل يوم يسأل
من لي بيوم فيه تسمح باللقا * ويقال لي هذا حبيبك مقبل
ولبعضهم في مليح اسمه محسن
وأهيف يعلو على عشاقه * برتبة من الجمال نالها
واسمه وهو العجيب محسن * وكم دموع في الهوى اسالها
صفي الدين الحلي في اسم حسين
حبي وافر والشوق مني * طويل والهوى عندي مديد
وأعجب انني أهوى حسينا * وشوقي في محبته يزيد
(ومما قيل في أسماء النساء) في فاطمة
عجبت من فاتنة لم تزل * لمرتجي الوصل لها فاطمه
تنكر ما ألقاه من وجدها * وهي بشوقي والجوى عالمه
ابن مكانس في اسم عائشة
يا دهر خبرني بحقك واشفني * فسهام فكري في أمورك طائشه
أيحل اني في المحبة ميت * وحبيبتي من بعد موتي عائشه
شمس الدين البديري في اسم حليمة
ولما رأتني في هواها متيما * أكابد من حر الغرام أليمه
فجادت بطيب الوصل منها ولم تجر * ومن أين تدري الجور وهي حليمه
ولبعضهم في اسم بركة دوبيت
لما نصب الهوى لقلبي شركه * ناديت وقلبي تارك من تركه
يا قلب أفق ولا تمل للشركة * تغنيك سنين ساعة من بركه
مردوف أيضا

لما نصب الهوى لقلبي شركه * في كل طريق
نادت وقلبي تارك من تركه * لو كان يفيق
يا قلب أفق ولا تمل للشركه * ما الشرك يليق
تغنيك سنين ساعة من بركه * عن كل صديق

ولو تتبعت هذا المعنى لاحتجت الى مجلدات ولكن فيما ذكرته كفاية والله الموفق وأسأله العناية وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

(الباب الخمسون فيما جاء في الاسفار والاغتراب وما قيل في الوداع والفراق والحث على ترك الاقامة بدار الهوان وحب الوطن والحنين اليه)

(أما ما جاء في الاسفار والحث على ترك الاقامة بدار الهوان) فقد قال الله تعالى هو الذى جعل لكم الارض ذلولا الآية وفي الاثر سافروا تغنموا وعن أبي هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو يعلم الناس رحمة الله للمسافر لاصبح الناس على ظهر سفر وهو ميزان الاخلاق ان الله بالمسافر رحيم ويقال الحركة ولود والسكون عاقر وقال حكيم السفر يسفر عن اخلاق الرجال وكان بعضهم يريد السفر فمنعه والده اشفاقا عليه فقال يوما

ألا خلني أمضي لشأني ولا أكن * على الاهل كلا ان ذا لشديد
تهيبني ريب المنون ولم أكن * لا هرب مما ليس منه محيد
فلو كنت ذا مال لقرب مجلسي * وقيل اذا أخطأت أنت رشيد
فدعني أجول الارض عمرى لعله * يسر صديق أو يغاظ حسود

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم عليكم بالدلجة فان الارض تطوى بالليل ولا تطوى بالنهار وقال كعب بن مالك رضى الله عنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكره أن يسافر الرجل في غير رفقة وقال صلى الله عليه وسلم الراكب شيطان والراكبان شيطانان والثلاثة ركب وقال صلى الله عليه وسلم اذا خرج ثلاثة في ركب فليؤمروا أحدهم وقيل أغار حذيفة بن بدر على هجان النعمان بن المنذر بن ماء السماء وسار في ليلة مسافة ثماني ليال فضرب به المثل وقال قيس بن الحطيم

هممنا بالاقامة ثم سرنا * مسير حذيفة الخير بن بدر

وسار ذكوان مولى عمر رضى الله عنه من مكة الى المدينة في يوم وليلة وقال المأمون لا شئ ألذ من السفر في كفاية وعافية لانك تحل كل يوم في محلة لم تحل فيها وتعاشر قوما لم تعرفهم (ومما قيل في ترك الاقامة بدار الهوان) قال الفرزدق

وفي الارض عن دار القلى متحول * وكل بلاد أوطنتك بلاد

وقال آخر

وما هي الابلدة مثل بلدتي * خيارهما ما كان عونا على دهرى

وقال آخر

واذا البلاد تغيرت عن حالها * فدع المقام وبادر التحويلا
ليس المقام عليك فرضا واجبا * في بلدة تدع العزيز ذليلا

وقال الصفي الحلي

تنقل فلذات الهوى في التنقل * ورد كل صاف لا تقف عند منهل
ففي الارض أحباب وفيها منازل * فلا تبك من ذكرى حبيب ومنزل
ولا تستمع قول امرئ القيس انه * مضل ومن ذا يهتدي بمضال

وقال عبد الله الجعدي

فان تحف عني أو تزرني اهانة * أجد عنك في الارض العريضة مذهبا

(ومما قيل في الوداع والفراق والشوق والبكاء) قال جرير

لو كنت أعلم أن آخر عهدكم * يوم الرحيل فعلت مالم أفعل

وقيل لعمارة بن عقيل بن بلال بن جرير ما كان جدك صانعا في قوله فعلت مالم أفعل قال كان يقلع عينيه حتى لا يرى مظعن أحبابه ثم أنشد يقول

وما وجد مغلول بصنعاء موثق * بساقيه من ماء الحديد كبول
قليل الموالي مسلم بجريرة * له بعد نومات العيون أليل
يقول له الحداد أنت معذب * غداة غد أو مسلم فقتيل
بأكبر مني لوعة يوم راعني * فراق حبيبي ما اليه سبيل

وقال الشاعر

وما أم خشف طول يوم وليلة * ببلقعة بيداء ظمآن صاديا
تهيم ولا تدري الى أين تنتهي * مولهة خزنا تجوز الفيافيا
أضر بها حر الهجير فلم تجد * لغلتها من بارد الماء شافيا
اذا بعدت عن خشفها انعطفت له * فألفته ملهوف الجوانح طاويا
بأوجع مني يوم شدوا حمولهم * ونادى منادي البين أن لا تلاقيا

وقال عبد العزيز الماجشون وهو من فقهاء المدينة قال لي المهدي يا ماجشون ما قلت حين فارقت أحبابك قال قلت يا أمير المؤمنين

لله باك على أحبابه جزعا * قد كنت أحذر هذا قبل أن يقعا
ما كان والله شؤم الدهر يتركني * حتى يجرعني من بعدهم جرعا
ان الزمان رأى الف السرور لنا * فدب بالبين فيما بيننا وسعى
فليصنع الدهر بي ما شاء مجتهدا * فلا زيادة شيء فوق ما صنعا

فقال والله لاغنينك فأعطاه عشرة آلاف دينار وقال آخر

وقفت يوم النوى منهم على بعد * ولم أودعهم وجدا واشفاقا
اني خشيت على الاظعان من نفسي * ومن دموعي احراقا واغراقا

وقال عمر بن أحمد

أتى الرحيل فحين جد ترحلت * مهج النفوس له عن الاجساد
من لم يبت والبين يصدع قلبه * لم يدر كيف تفتت الاكباد

* وحكى بعضهم قال دخلنا الى دير هرقل فنظرنا الى مجنون في شباك وهو ينشد شعرا فقلنا له

أحسنت فأومأ بيده إلى جرير ميّتاً به وقال أملي يقال أحسنت ففررنا منه فقال أقسمت عليكم الا مارجعتم حتى أنشدكم فان انا أحسنت فقولوا أحسنت وان أنا اسأت فقولوا اسأت فرجعنا اليه فانشد يقول

لما أناخوا قبيل الصبح عيسهمو * وحملوها وسارت بالدمى الابل
وقلبت بخلال السجف ناظرها * يرنو الىّ ودمع العين ينهمل
وودعت ببنان زانه عنم * نادت لاحملت رجلاك ياجمل
ياحادي العيس عرّج كي أودّعهم * ياحادي العيس في ترحالك الاجل
انى على العهد لم أنقض مودّتهم * ياليت شعري لطول البعد مافعلوا

فقلنا له ماتوا فقال والله وأنا أموت ثم شهق شهقة فاذا هو ميت رحمه الله تعالى وقال آخر

لما علمت بأن القوم قد رحلوا * وراهب الدير بالناقوس مشتغل
شبكت عشري على رأسي وقلت له * ياراهب الدير هل مرت بك الابل
فحن لي وبكى بل رق لي ورثى * وقال لي يافتى ضاقت بك الحيل
ان الخيام التي قد جئت تطلبهم * بالامس كانوا هنا والآن قد رحلوا

وقال الشيخ الاكبر سيدي محي الدين بن عربي رحمه الله تعالى

مارحلوا يوم ساروا البزل العيسا * الا وقد حملوا فيها الطواويسا
من كل فاتكة الالحاظ مالكة * تخالها فوق عرش الدر بلقيسا
اذا تمشت على صرح الزجاج ترى * شمساً على فلك في حجر ادريسا
اسقفة من بنات الروم عاطلة * ترى عليها من الانوار ناموسا
وحشية مالها انس قد اتخذت * في بيت خلوتها للذكر ناووسا
ان أومأت تطلب الانجيل تحسبهم * قساقسا أو بطاريقاً شماميسا
ناديت اذ رحلوا للبين ناقتها * ياحادي العيس لاتحدو بها العيسا
عبيت اجناد صبري يوم بينهم * على الطريق كراديسا كراديسا
ساروا وأصبحت أنعى الربع بعدهمو * والوجد في القلب لاينفك مغروسا

وقال آخر

ولما تبدت للرحيل جمالنا * وجد بنا سير وفاضت مدامع
تبدت لنا مذعورة من خبائها * وناظرها باللؤلؤ الرطب دامع
أشارت باطراف البنان وودّعت * وأومت بعينيها متى أنت راجع
فقلت لها والله مامن مسافر * يسير ويدري مابه الله صانع
فشالت نقاب الحسن من فوق وجهها * فسالت من الطرف الكحيل مدامع
وقالت الهي كن عليه خليفة * فيارب ماخابت لديك الودائع

وقال آخر

ياراحلا وجميل الصبر يتبعه * هل من سبيل الى لقياك يتفق
ما أنصفتك دموعي وهي دامية * ولا وفى لك قلبي وهو يحترق

وقال البغدادي

قالت وقد دنا لها البين أوجعه * والبين صعب على الأحباب موقعه
اجعل يديك على قلبي فقد ضعفت * قواه عن حمل ما فيه وأضلعه
واعطف على المطايا ساعة فعسى * من شت شمل الهوى بالبين يجمعه
كأنني يوم ولت حسرة وأسى * غريق بحر يرى الشاطي ويمنعه

وقال ابن البديري

قفا حاديا ليلى فاني وامق * ولا تعجلا يوما على من يفارق
وزما مطاياها قبيل مسيرها * لعل تذمها ابالتزود عاشق
ولا تزجرا بالسوق اظعان عيسها * فان حنيني للظعائن سائق
ولما التقينا والغرام يذيبنا * ونحن كلانا في التفكر غارق
وقفنا ودمع العين يحجب بيننا * تسارقني في نظرة وأسارق
فلا تسألا ما حل بالبين بيننا * ولا تعجبا أنا مشوق وشائق

وقال أيضا

تذكرت ليلى حين شط مزارها * وعادت منازلها خليات بلقع
بكيت عليها والقنا يقرع القنا * وسمر العوالي للمنايا تشرع
وخالفت لوامي عليها وعذلي * وحالفت سهدي والخليون هجع
ولم أستطع يوم النوى رد عبرة * فؤادي أسى من حرها يتقطع
فقال خليلي اذ رأى الدمع دائما * يفيض دما من مقلتي ليس يدفع
لئن كان هذا الدمع يجري صبابة * على غير ليلى فهو دمع مضيع

وقال آخر

مددت الى التوديع كفا ضعيفة * وأخرى على الرمضاء فوق فؤادي
فلا كان هذا آخر العهد منكمو * ولا كان ذا التوديع آخر زادي

وقال آخر

ولما وقفنا للوداع عشية * وطرفي وقلبي دامع وخفوق
بكيت فأضحكت الوشاة شماتة * كأني سحاب والوشاة بروق

ولمؤلفه رحمه الله تعالى

ياسادة في سويدا القلب مسكنهم * وفي منامي أرى أني أعانقهم
أوحشتمونا وعز الصبر بعدكمو * يامن يعز علينا أن نفارقهم

وقال آخر

لو أن مالك عالم بذوي الهوى * ومحله من أضلع العشاق
ما عذب العشاق الا بالهوى * واذا استغاثوا غاثهم بفراق

وقال ابن الوردي

دهرنا أضحى ضنينا * باللقا حتى ضنينا

يا ليالي الوصل عودي * اجمعينا اجمعينا

وقال الشريف الرضي

علاني بذكرهم واسقياني * وامزجا لي دمعي بكاس دهاق

وخذا النوم من جفوني فاني * قد خلعت الكرى على العشاق

وقال آخر عند ذلك

قالوا أترقد اذ غبنا فقلت لهم * نعم وأشفق من دمعي على بصري

ماحق طرف هداني نحو حسنكمو * أني أعذبه بالدمع والسهر

وقال الموصلي

فسدت لطول بعادكم أحلامنا * وعقولنا وجفا الجفون منام

والطيف قد وعد الجفون بزورة * يا حبذا ان صحت الاحلام

ومما قيل في البكاء قال الشاعر

رجوت طيف خياله * وكيف لي بهجوع

والذاريات جفوني * والمرسلات دموعي

وقال آخر

ارحم رحمت للوعتي * وابعث خيالك في الكرى

ودموع عيني لاتسل * عن حالها ياما جرى

وقال آخر

ان عيني مذ غاب شخصك عنها * يأمر السهد في كراها وينهى

بدموع كأنهن الغوادي * لاتسل ماجرى على الخد منها

وقال آخر

ياقلب صبرا على الفراق ولو * روعت ممن تحب بالبين

وأنت يادمع ان ظهرت بما * أخفيه من قلبي سقطت من عيني

وقال آخر

خاض العواذل في حديث مدامعي * لما غدا كالبحر سرعة سيره

فحبسته لاصون سر هواكمو * حتى يخوضوا في حديث غيره

وقال ابن المواز

رحت يوم الفراق أجري دموعي * حسرة اذ قضى الفراق ببيني

قيل كم ذا تجري دموعك تعمى * أوقف الدمع قلت من بعد عيني

وقال آخر

لما الدست لبعده ثوب الضنى * وغدوت من ثوب اصطباري عاريا

أجريت وقف مدامعي من بعده * وجعلته وقفا عليه جاريا

وقال آخر

ولم أر مثلي خار من طول ليله * عليه كأن الليل يعشقه معي

وما زلت أبكى فى دجى الليل صبوة * من الوجد حتى ابيض من فيض أدمعى
وقال الموصلى
عين أفاضت دموعى * لطول صدّ وبين
ووجنة الخد قالت * رأيت غسلى بعينى
وقال آخر
وما فارقت ليلى من مراد * ولكن شقوة بلغت مداها
بكيت نعم بكيت وكل الف * اذا ماتت حبيبته بكاها

وفى بعض الكتب السماوية ان مما عاقبت به عبادى أن ابتليتهم بفراق الاحبة (ومما جاء فى الحنين الى الوطن) امّا محبة الوطن فمستولية على الطباع مستدعية أشد الشوق اليها روى أن أبان قدم على النبى صلى الله عليه وسلم فقال يا أبان كيف تركت مكة قال تركت الاذخر وقد أعذق والثمام وقد أورق فاغرورقت عينا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال بلال رضى الله عنه
الا ليت شعرى هل أبيتن ليلة * بواد وحولى اذخر وجليل
وهل أردن يوما مياه مجنة * وهل يبدون لى شامة وطفيل

وقيل من علامة الرشد أن تكون النفس الى بلدها تواقة والى مسقط رأسها مشتاقة (ومن حب الوطن ما حكى) أن سيدنا يوسف عليه السلام أوصى بأن يحمل تابوته الى مقابر آبائه فمنع أهل مصر أولياءه من ذلك فلما بعث موسى عليه الصلاة والسلام واهلك الله تعالى فرعون لعنه الله حمله موسى الى مقابر آبائه فقبره بالارض المقدسة وأوصى الاسكندر رحمه الله تعالى أن تحمل رمته فى تابوت من ذهب الى بلاد الروم حبا لوطنه واعتل سابور ذو الاكتاف وكان أسيرا ببلاد الروم فقالت له بنت الملك وكانت قد عشقته ما تشتهى قال شربة من ماء دجلة وشمة من تراب اصطخر فاتته بعد أيام بشربة من ماء وقبضة من تراب وقالت له هذا من ماء دجلة ومن تربة أرضك فشرب واشتم بالوهم فنفعه من علته وقال الجاحظ كان النفر فى زمن البرامكة اذا سافر أحدهم أخذ معه من تربة أرضه فى جراب يتداوى به وما أحسن ما قال بعضهم
بلاد ألفناها على كل حالة * وقد يؤلف الشئ الذى ليس بالحسن
ونستعذب الارض التى لا هواء بها * ولا ماؤها عذب ولكنها وطن

ووصف بعضهم بلاد الهند فقال بحرها در وجبالها ياقوت وشجرها عود وورقها عطر *وقال عبد الله بن سليمان فى نهاوند أرضها مسك وترابها الزعفران وثمارها الفاكهة وحيطانها الشهد وقال الحجاج لعامله على أصبهان وقد وليتك على بلدة حجرها الكحل وذبابها النحل وحشيشها الزعفران وكان يقال البصرة خزانة العرب وقبة الاسلام لانتقال قبائل العرب اليها واتخاذ المسلمين بها وطنا ومركزا وكان أبو اسحق الزجاج يقول بغداد حاضرة الدنيا وما سواها بادية وأنا أقول مصر كنانة الله فى أرضه والسلام (ومما جاء فى ذم السفر) قيل لرجل السفر قطعة من العذاب فقال بل العذاب قطعة من السفر وقال بعضهم

كل العذاب قطعة من السفر * يارب فارددنا على خير الحضر

وقيل لاعرابي ما الغبطة قال الكفاية مع لزوم الاوطان ومر اياس بن معاوية بمكان فقال أسمع صوت كلب غريب فقيل له بم عرفت ذلك قال بخضوع صوته وشدة نباح غيره وأراد اعرابي السفر فقال لامرأته

عدى السنين لغيبتي وتصبري * وذرى الشهور فانهن قصار

فاجابته

فاذكر صبابتنا اليك وشوقنا * وارحم بناتك انهن صغار

فاقام وترك السفر ويقال رب ملازم لمهنته فاز بمنيته

وقال ابن الهيثم

لعمرك ماضاقت بلاد بأهلها * ولكن أخلاق الرجال تضيق

وفيما ذكرته كفاية * وأسأل الله تعالى التوفيق والهداية * وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

(الباب الحادي والخمسون في ذكر الغنى وحب المال والافتخار بجمعه)

قال الله تعالى المال والبنون زينة الحياة الدنيا * وقيل الفقر رأس كل بلاء وداعية الى مقت الناس وهو مع ذلك مسلبة للمروأة مذهبة للحياء فتى نزل الفقر بالرجل لم يجد بدا من ترك الحياء ومن فقد حياءه فقد مروأته ومن فقد مروأته مقت ومن مقت ازدرى به ومن صار كذلك كان كلامه عليه لا له وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انك أن تذر ورثتك أغنياء خير من أن تذرهم عالة يتكففون الناس وفي الحديث لاخير فيمن لايحب المال ليصل به رحمه ويؤدي به أمانته ويستغني به عن خلق ربه وقال علي كرم الله وجهه الفقر الموت الاكبر وقد استعاذ رسول صلى الله عليه وسلم من الكفر والفقر وعذاب القبر وقيل من حفظ دنياه حفظ الاكرمين دينه وعرضه قال الشاعر

لاتلمني اذا اوقيت الاواقي * بالاواقي لماء وجهي واقي

وقال لقمان لابنه يابني أكلت الحنظل وذقت الصبر فلم أر شيأ أمر من الفقر فان افتقرت فلا تحدث به الناس كيلا ينتقصوك ولكن اسأل الله تعالى من فضله فمن ذا الذي سأل الله فلم يعطه أو دعاه فلم يجبه أو تضرع اليه فلم يكشف مابه وكان العباس رضي الله عنه يقول الناس لصاحب المال ألزم من الشعاع للشمس وهو عندهم أعذب من الماء * وأرفع من السماء * وأحلى من الشهد * وأذكى من الورد * خطؤه صواب * وسيآته حسنات * وقوله مقبول * يرفع مجلسه * ولايمل حديثه * والمفلس عند الناس أكذب من لمعان السراب * وأثقل من الرصاص لايسلم عليه ان قدم ولايسئل عنه ان غاب * ان حضر ازدروه * وان غاب شتموه * وان غضب صفعوه مصافحته تنقض الوضوء وقراءته تقطع الصلاة * وقال بعضهم طلبت الراحة لنفسي فلم أجدها أروح من ترك مالا يعنيها وتوحشت في البرية فلم أر وحشة أقر من قرين السوء وشهدت الزحوف وغالبت الاقران فلم أر قرينا أغلب للرجل من المرأة السوء ونظرت الى كل مايذل القوي ويكسره فلم أر شيأ

أذل له ولا أكسر من الفاقة قال الشاعر

وكل مقل حين يغدو لحاجة * الى كل ما يلقى من الناس مذنب
وكانت بنو عمى يقولون مرحبا * فلما رأونى معدما مات مرحب

وقال آخر

المال يرفع سقفا لاعماد له * والفقر يهدم بيت العز والشرف

وقال آخر

جروح الليالى مالهن طبيب * وعيش الفتى بالفقر ليس يطيب
وحسبك أن المرء فى حال فقره * تحمقه الاقوام وهو لبيب
ومن يغترر بالحادثات وصرفها * يبت وهو مغلوب الفؤاد سليب
وما ضرنى ان قال أخطأت جاهل * اذا قال كل الناس أنت مصيب

وقال آخر

الفقر يزرى بأقوام ذوى حسب * وقد يسود غير السيد المال

وقال آخر

لعمرك ان المال قد يجعل الفتى * سنيا وان الفقر بالمرء قد يزرى
وما رفع النفس الدنية كالغنى * ولا وضع النفس النفيسة كالفقر

وقال آخر

اذا قل مال المرء لانت قناته * وهان على الادنى فكيف الاباعد

وقال ابن الاحنف

يمشى الفقير وكل شئ ضده * والناس تغلق دونه أبوابها
وتراه مبغوضا وليس بمذنب * ويرى العداوة لايرى أسبابها
حتى الكلاب اذا رأت ذا ثروة * خضعت لديه وحركت أذنابها
واذا رأت يوما فقيرا عابرا * نبحت عليه وكشرت أنيابها

وقال آخر

فقر الفتى يذهب أنواره * مثل اصفرار الشمس عند المغيب
والله ما الانسان فى قومه * اذا بلى بالفقر الا غريب

وقال آخر

ان الدراهم فى المواطن كلها * تكسو الرجال مهابة وجمالا
فهى اللسان لمن أراد فصاحة * وهى السلاح لمن أراد قتالا

وقال آخر

ما الناس الا مع الدنيا وصاحبها * فكلما انقلبت يوما به انقلبوا
يعظمون أخا الدنيا فان وثبت * يوما عليه بما لا يشتهى وثبوا

وقال بعض الفرس من زعم انه لايحب المال فهو عندى كذاب وقال الكنانى

أصبحت الدنيا لنا عبرة * فالحمد لله على ذلكا

قد أجمع الناس على ذمها * وما أرى منهم لها تاركا

وقال الزمخشري

وإذا رأيت صعوبة في مطلب * فاحمل صعوبته على الدينار

وابعثه فيما تشتهيه فانه * حجر يلين قوة الاحجار

قال الثوري رحمه الله تعالى لان أخلف عشرة آلاف درهم يحاسبني الله عليها أحب الى من أن احتاج الى لئيم وفي هذا المعنى قال الشاعر

احفظ عري مالك تحظى به * ولا تفرط فيه تبقى ذليل

وان يقولوا باخل بالعطا * فالبخل خير من سؤال البخيل

واحفظ على نفسك من زلة * يرى عزيز القوم فيها ذليل

(وأما ما جاء في الاحتراز على الاموال) فقد قالوا ينبغي لصاحب المال أن يحترز ويحتفظ عليه من المطمعين والمرطحين والمحترفين الموهمين والمتمسين (فأما المطمعون) فهم الذين يتلقون أصحاب الأموال بالبشر والاكرام والتحية والاعظام الى أن يأنسوا بهم ويعرفوهم بالمشاهدة وربما قضوا ما قدروا عليه من حوائجهم الى أن يألفوهم ويحصل بينهم سبب الصداقة ثم ان أحدهم يذكر لصاحب المال في معرض المقال انه كسب فائدة كثيرة في معيشته ثم يمشي معه في الحديث الى أن يقول اني فكرت فيما عليك من المؤن والنفقات وهذا أمر يعود ضرره في المستقبل ان لم تساعد بالمكاسب وغرضي التقرب اليك وتحصيل خدمتك وأريد أن أوجه اليك فائدة من المتجر بشرط أن لا أضع يدي لك على مال بل يكون مالك تحت يدك أو تحت يد أحد من جهتك ويخرج له في صفة الناصحين الشفقين فاذا أجابه الى ذلك كان أمره معه على قسمين ان ائتمنه وجعل المال بيده أعطاه اليسير منه على صفة انه من الربح وطاول به الاوقات ودفع اليه في المدة الطويلة الشئ اليسير من ماله ثم يحتج عليه ببعض الآفات ويدعي الخسارة فان لزمه صاحب المال قابحه ويبرطل من جملة المال صاحب جاه فيدفعه ويقول هذا رابحي فان روعي صاحب المال وفق بينهما على أن يكتب عليه ببقية المال وثيقة فلا يستوفي ما فيها الا في الآخرة وان هو لم يأتمنه وعول ان يكون القبض بيده والمتاع مخزونا لديه واطلعه البائعين والمشترين وحصل لنفسه وعمل ما يقول به فان حصل لصاحب المال أدنى ربح أوهمه ان مفاتيح الارزاق بيده وان كسد المشتري أو رخص أحال الامر على الاقدار وقال ليس لي علم بالغيب ومن أشد المطمعين المتعرضون لصنعة الكيمياء وهم الطماعون المطمعون في عمل الذهب والفضة من غير معدنهما فيجب أن يحذر التقرب منهم والاستماع لهم في شئ من حديثهم فان كذبهم ظاهر وذلك أنهم يوهمون الغير أنهم ينيلونهم خيرا ويطلعونهم على صنعتهم ابتداء منهم لا لحاجة وهذا يستحيل ويحتجون بان ما يلجئهم الى ذلك الا عدم الامكان وتعذر المكان فمنهم من يكون شوقه الى أن يدخل الى مكان ويترك عنده عدة لها قيمة فيأخذها ويذهب ومنهم من يشترط أن عمله لا ينتهي الى مدة فيقنع في تلك المدة بالا كل غدوة وعشية ويستبيله بعد ذلك ان كان معروفا قال فسد على العمل من جهة كيت وكيت ويقول

للذى ينفق عليه هل لك فى المعاودة فان حمله الطمع ووافقه كان هذا له أتم غرض ثم يحتال آخر المدة على الفراق بأى سبب كان وان كان منكورا غافل صاحب المكان وخرج هاربا ومن المطمعين قوم يجعلون فى الجمال أمارات من ردم وحجر ويأتون الى أصحاب الاموال ويقولون انا نعرف علم كنز فيه من الامارات كيت وكيت ثم يوقفونهم على ورقة متصنعة ويقولون نريد أن تأخذ لنا عدة وتنفق علينا ومهما حصل من فضل الله تعالى لنا ولك فيوافقهم على ذلك ويوطن نفسه على أن المدة تكون قريبة فيعملون يوما أو يومين فيظهر لهم أكثر الامارات فيزداد طمعا ويعتقد الصحة ثم يدرجونه الى أن ينفق عليهم ماشاء الله تعالى ويكون آخر أمرهم كصاحب الكيمياء وان كانوا منكورين ورغبتهم الطمعة فى قماشه أو فى العدة التى معه فربما قتلوه هناك لاجل ذلك ومضوا فهذا أمر المطمعين (وأما المبرطحون) فهم من الخونة والناس بهم أكثر غرر وذلك انهم اذا ندب صاحب المال أحدا منهم لشراء حاجة سارع فيها واحتاط فى جودتها وتوفير كيلها أو وزنها أو ذرعها ووضع من أصل ثمنها شيأ وزنه من عنده سرا حتى يبيض وجهه عند صاحب المال ويعتقد نصحه وأمانته ونجح مساعيه وكذلك ان ندبه لشئ يبيعه استظهر واستجاد النقد ولا يزال هكذا دأبه حتى يلقى مقاليد أموره اليه فيستعطفه ويفوز به ثم يغير الحال الاول فى الباطن فينبغى لصاحب المال أن لا يغفل عنه (وأما المحترفون الموهمون) فهم الذين يتعرضون لذوى الاموال فيظهرون لهم الغنى والكفاية ويباسطونهم مباسطة الاصدقاء ويعتمدون جودة اللباس ويستعملون كثيرا من الطيب ثم ان أحدهم يذكر أنه يربح الارباح العظيمة فيما يعانيه ويذكر ذلك مع الغير ولا يزال كذلك حتى يثبت ويستقر فى ذهن صاحب المال انه يكتسب فى كل سنة الجمل الكثيرة من المال وانه لا يبالى اذا أنفق أو أكل أو شرب فتشره نفس صاحب المال لذلك فيقول له على سبيل المداعبة يافلان تريد الدنيا كلها لنفسك لم لا تشركنا فى متاجرك هذه وأرباحك فيقول له أنت جبان يعز عليك اخراج الدينار وتظن أنك ان أظهرته خطف منك ولا تدرى انه مثل البازى ان أرسلته أكل وأطعمك وان أمسكته لم يصد شيأ واحتجت الى أن تطعمه والامات وأنا والله لو كان عندى علم أنك تنبسط لهذا كنت فعلت معك خيرا كثيرا ولكن ما كان الا هكذا وما كان لا كلام فيه والعمل فى المستأنف فيشكره صاحب المال ويسأله أخذ المال فيمطله بتسليمه فيزداد فيه رغبة الى أن يسلمه اليه فيكون حاله كحال المطمع اذا صار المال تحت يده (وأما المتمسون) فهم أهل الرياء المظهرون التعفف والنسك ومجانبة الحرام ومواظبة الصلاة والصيام لكى يشتهر ذكرهم عند الخاص والعام ثم يلقون ذوى الاموال بالبشر والاكرام والتلطف فى المقال ويمشون الى أبواب الملوك على صفة التهانى بالاعياد وربما يأتى معه باحد من الاولاد ويظهرون النزاهة والغنى ويجعلون الدين سلما الى الدنيا وأكثر أغراضهم ان تودع عندهم الاموال وتفوض اليهم الوصايا ويحلهم العوام وتقبل شهاداتهم الحكام وتندبهم الملوك الى الوصايا والاموال وهؤلاء أشر من اللصوص والقطاع وذلك ان شهرة اللصوص والقطاع تدعو

الى الاحتراز منهم وتشبه هؤلاء بأهل الخير يحمل الناس على الاغترار بهم قال الشاعر
صلى وصام لامر كان امله * حتى حواه فما صلى ولا صاما
وقيل لا فقير افقر من غني يأمن الفقر قال الشاعر
الم ترأن الفقير يرجى له الغنى * وأن الغني يخشى عليه من الفقر
وأوصى بعض الحكماء ولده فقال يابني عليك بطلب العلم وجمع المال فان الناس طائفتان خاصة وعامة فالخاصة تكرمك للعلم والعامة تكرمك للمال وقال بعض الحكماء اذا افتقر الرجل اتهمه من كان به واثقا وأساء به الظن من كان ظنه به حسنا ومن نزل به الفقر والفاقة لم يجد بدا من ترك الحياء ومن ذهب حياؤه ذهب بهاؤه وما من خلة هي للغني مدح الا وهي للفقير عيب فان كان شجاعا سمي أهوج وان كان مؤثرا سمي مفسدا وان كان حليما سمي ضعيفا وان كان وقورا سمي بليدا وان كان لسنا سمي مهذارا وان كان صموتا سمي عييا قال ابن كثير
الناس اتباع من دامت له نعم * والويل للمرء ان زلت به القدم
المال زين ومن قلت دراهمه * حي كمن مات الا أنه صنم
لما رأيت اخلائي وخالصتي * والكل مستترعني ومحتشم
أبدوا جفاء واعراضا فقلت لهم * اذنبت ذنبا فقالوا ذنبك العدم
وكان ابن مقلة وزيرا لبعض الخلفاء فزور عنه يهودي كتابا الى بلاد الكفار وضمنه أمورا من اسرار الدولة ثم تحيل اليهودي الى أن أوصل الكتاب الى الخليفة فوقف عليه وكان عند ابن مقلة حظية هويت هذا اليهودي فأعطته درجا بخطه فلم يزل يجتهد حتى حاكى خطه ذلك الخط الذي كان في الدرج فلما اقرأ الخليفة الكتاب أمر بقطع يد ابن مقلة وكان ذلك يوم عرفة وقد لبس خلعة العيد ومضى الى داره وفي موكبه كل من في الدولة فلما قطعت يده وأصبح يوم العيد لم يأت أحد اليه ولا توجع له ثم اتضحت القضية في أثناء النهار للخليفة أنها من جهة اليهودي والجارية فقتلهما شر قتلة ثم أرسل الى ابن مقلة أموالا كثيرة وخلعا سنية وندم على فعله واعتذر اليه فكتب ابن مقلة على باب داره يقول
تحالف الناس والزمان * فحيث كان الزمان كانوا
عاداني الدهر نصف يوم * فانكشف الناس لي وبانوا
يا أيها المعرضون عني * عودوا فقد عاد لي الزمان
ثم أقام بقية عمره يكتب بيده اليسرى قال بعضهم
انما قوة الظهور النقود * وبها يكمل الفتى ويسود
كم كريم ازرى به الدهر يوما * ولئيم تسعى اليه الوفود
والاطباء يعلمون أمراضا من علاجها اللعب بالدينار وشرب الادوية والمساليق التي يغلى فيها الذهب قال الشاعر
احرص على الدرهم والعين * تسلم من العيلة والدين
فقوة العين بانسانها * وقوة الانسان بالعين

واعلم أن القلب عمود البدن فاذا قوى القلب قوى سائر البدن وليس له قوة أشد من المال وبالضد اذا ضعف من الفقر ضعف له البدن (حكى) ان ملكا رأى شيخا قد وثب وثبة عظيمة على نهر فتخطاه والشاب يعجز عن ذلك فعجب منه فاستحضره فحادثه فى ذلك فأراه ألف دينار مربوطة على وسطه وقال لقمان لابنه يابنى شيا آن اذا أنت حفظتهما لاتبالى بما صنعت بعدهما دينك لمعادك ودرهمك لمعاشك والكلام فى هذا المعنى كثير وقد اقتصرت منه على النزر اليسير وقد كان فى الناس من يتظاهر بالغنى ويراه مروأة وفخرا فمن ذلك ماحكى عن أحمد بن طولون انه دخل يوما بعض بساتينه فرأى النرجس وقد تفتح زهره فاستحسنه فدعا بغدائه فتغدى ثم دعا بشرابه فشرب فلما انتشى قال على بألف مثقال من المسك فنثره على أوراق النرجس * ولنذكر الآن نبذة من الذخائر والتحف (حكى) الرشيد بن الزبير فى كتابه الملقب بالعجائب والطرف أن أبا الوليد ذكر فى كتابه المعروف بأخبار مكة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما فتح مكة عام الفتح فى سنة ثمان من الهجرة وجد فى الجب الذى كان فى الكعبة سبعين ألف أوقية من الذهب مما كان يهدى للبيت قيمتها ألف ألف وتسعمائة ألف وتسعون ألف دينار وباع زهرة التميمى يوم القادسية منطقة كان قتل صاحبها بثمانين ألف دينار ولبس سلبه وقيمته خمسمائة ألف وخمسون ألفا وأصاب رجل يوم القادسية راية كسرى فعوض عنها ثلاثين ألف دينار وكانت قيمتها ألف ألف دينار ومائتى ألف ووجد المستورد بن ربيعة يوم القادسية أبريق ذهب مرصعا بالجوهر فلم يدر أحد ما قيمته فقال رجل من الفرس انا آخذه بعشرة آلاف دينار ولم يعرف قيمته فذهب به الى سعد بن أبى وقاص فأعطاه اياه وقال لاتبعه الا بعشرة آلاف دينار فباعه سعد بمائة ألف دينار ولما أتت الترك الى عبد الله بن زياد بخارى فى سنة أربع وخمسين كان مع ملكهم امرأته خاتون فلما هزمهم الله تعالى أعجلوها عن لبس خفيها فلبست احدى فردتيه ونسيت الاخرى فأصابها المسلمون فقومت بمائتى ألف دينار ولما فتح قتيبة بن مسلم بخارى فى سنة تسع وثمانين وجد فيها قدورا ذهب ينزل اليها بسلالم ودفع مصعب بن الزبير حين أحس بالقتل الى زياد مولاه فصا من ياقوت أحمر وقال له انج به وكان قد قوم ذلك الفص بألف ألف درهم فأخذه زياد ورضه بين حجرين قال والله لا ينتفع به أحد بعد مصعب وذكر مصعب بن الزبير أن بعض عمال خراسان فى ولايته ظهر على كنز فوجد فيه حلة كانت لبعض الاكاسرة مصوغة من الذهب مرصعة بالدر والجوهر والياقوت الاحمر والاصفر والزبرجد فحملها الى مصعب بن الزبير فخرج من قومها فبلغت قيمتها ألفى ألف دينار فقال الى من أدفعها فقيل الى نسائك وأهلك فقال لا بل الى رجل قدم عندنا يدا وأولانا جميلا ادع لى عبد الله بن أبى دريد فدفعها اليه ولما صار موجود عماد الدولة فى قبضة أمير الجيوش وجد فى جملته دملج ذهب فيه جوهرة حمراء كالبيضة وزنها سبعة عشر مثقالا فأنفذها أمير الجيوش الى المستنصر فقومت بتسعين ألف دينار ووجد فى بستان العباس بن الحسن الوزير مما أعده من آلة الشرب يوم قتل سبعمائة صينية من ذهب وفضة ووجد له مائة ألف مثقال عنبر * وترك هشام بن عبد

الملك بعد موته اثني عشر ألف قميص وشي وعشرة آلاف تكة حرير وجملت كسوته لما حج على سبعمائة جمل وترك بعد وفاته أحد عشر ألف ألف دينار ولم تأت دولة بني العباس الا وجميع أولاده فقراء لامال لواحد منهم وبين الدولة العباسية ووفاة هشام سبع سنين ولما قتل الافضل بن أمير الجيوش في شهر رمضان سنة خمس عشرة وخمسمائة خلف بعده مائة ألف ألف دينار ومن الدراهم مائة وخمسين اردبا وخمسة وسبعين ألف ثوب ديباج ودواة من الذهب قوم ماعليها من الجواهر والمواقيت بمائتي ألف دينار وعشرة بيوت في كل بيت منها مسمار ذهب قيمته مائة دينار على كل مسمار عمامة لونا وخلف كعبة عنبر يجعل عليه ثيابه اذا نزعها وخلف عشرة صناديق مملوأة من الجوهر الفائق الذي لايوجد مثله وخلف خمسمائة صندوق كبار الكسوة حشمه وخلف من الزبادي الصيني والبلور المحكم وسق مائة جمل وخلف عشرة آلاف ملعقة فضة وثلاثة آلاف ملعقة ذهب وعشرة آلاف زبدية فضة كبار وصغار وأربع قدور ذهبا كل قدر وزنها مائة رطل وسبعمائة جام ذهبا بفصوص زمرد وألف خريطة مملوأة دراهم خارجا عن الارادب في كل خريطة عشرة آلاف درهم وخلف من الخدم والرقيق والخيل والبغال والجمال وحلي النساء مالا يحصى عدده الا الله تعالى وخلف ألف حسكة ذهبا وألفي حسكة فضة وثلاثة آلاف نرجسة ذهب وخمسة آلاف نرجسة فضة وألف صورة ذهبا وألف صورة فضة منقوشة عمل المغرب وثلثمائة تور ذهبا وأربعة آلاف تور فضة وخلف من البسط الرومية والاندلسية ماملأ به خزائن الايوان وداخل قصر الزمرذ وخلف من البقر والجاموس والاغنام مايباع لبنه في كل سنة بثلاثين ألف دينار وخلف من الحواصل المملوأة من الحبوب مالا يحصى ولما احتوى الناصر على ذخائر قصر العاضد وجد فيه طبلا كان بالقرب من موضع العاضد محتفظا به فلما رأوه سخروا منه فضرب عليه انسان فضرط فضحكوا منه ثم أمسكه آخر وضربه فضرط فضحكوا عليه فكسروه استهزاء وسخرية ولم يدروا خاصيته وكانت الفائدة فيه أنه وضع للقولنج فلما أخبروا بخاصيته ندموا على كسره وقد جمعت الملوك من الاموال والذخائر والتحف كنوزا لاتحصى وبعد ذلك ماتوا ونفدت ذخائرهم وفنيت أموالهم فسبحان من يدوم ملكه وبقاؤه قال بعضهم

هب الدنيا تقاد اليك عفوا * أليس مصير ذلك للزوال

فضمنت أنا هذا البيت وقلت

أيا من عاش في الدنيا طويلا * وأفنى العمر في قيل وقال

وأتعب نفسه فيما سيفنى * وجمع من حرام أو حلال

هب الدنيا تقاد اليك عفوا * أليس مصير ذلك للزوال

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

(الباب الثاني والخمسون في ذكر الفقر ومدحه)

قد دل قوله تعالى كلا ان الانسان ليطغى أن رآه استغنى على ذم الغنى ان كان سبب الطغيان وسئل أبو حنيفة رحمه الله عن الغنى والفقر فقال وهل طغى من طغى من خلق الله

عزوجل الا بالغنى وتلا هذه الآية المتقدمة والمحققون يرون الغنى والفقر من قبل النفس لا فى المال وكان الصحابة رضى الله عنهم يرون الفقر فضيلة وحدث الحسن رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يدخل فقراء أمتى الجنة قبل الاغنياء باربعين عاما فقال جليس للحسن أمن الأغنياء أنا أم من الفقراء فقال هل تغديت اليوم قال نعم قال فهل عندك ما تتعشى به قال نعم قال اذا أنت من الاغنياء وقال ابن عباس رضى الله عنهما كان النبى صلى الله عليه وسلم يبيت طاويا الليالى ماله ولا لاهله عشاء وكان عامة طعامه الشعير وكان يعصب الحجر على بطنه من الجوع وكان صلى الله عليه وسلم يأكل خبز الشعير غير منخول هذا وقد عرضت عليه مفاتيح كنوز الارض فأبى أن يقبلها صلوات الله وسلامه عليه وكان يقول اللهم توفنى فقيرا ولا تتوفنى غنيا واحشرنى فى زمرة المساكين وقال جابر رضى الله تعالى عنه دخل النبى صلى الله عليه وسلم على ابنته فاطمة الزهراء رضى الله تعالى عنها وهى تطحن بالرحى وعليها كساء من وبر الابل فبكى وقال تجرعى يا فاطمة مرارة الدنيا لنعيم الآخرة * قال الله تعالى ولسوف يعطيك ربك فترضى وقال صلى الله عليه وسلم الفقر موهبة من مواهب الآخرة وهبها الله تعالى لمن اختاره ولا يختاره الا أولياء الله تعالى وفى الخبر اذا كان يوم القيامة يقول الله عز وجل للملائكة أدنوا الى أحبائى فتقول الملائكة ومن أحباؤك يا اله العالمين فيقول فقراء المؤمنين أحبائى فيدنونهم منه فيقول يا عبادى الصالحين انى مازويت الدنيا عنكم لهوانكم على ولكن لكرامتكم تمتعوا بالنظر الى وتمنوا ماشئتم فيقولون وعزتك وجلالك لقد أحسنت البنا بما زويت عنا منها ولقد أحسنت بما صرفت عنا فيأمر بهم فيكرمون ويحبرون ويزفون الى أعلى مراتب الجنان وقال صلى الله عليه وسلم هل تنصرون الا بفقرائكم وضعفائكم والذى نفسى بيده ليدخلن فقراء أمتى الجنة قبل أغنيائها بخمسمائة عام والاغنياء يحاسبون على زكاتهم وقال عليه الصلاة والسلام رب أشعث أغبر ذى طمرين لا يؤبه به لو أقسم على الله تعالى لأبره أى لو قال اللهم انى أسألك الجنة لاعطاه الجنة ولم يعطه من الدنيا شيأ وقال عليه الصلاة والسلام ان أهل الجنة كل أشعث أغبر ذى طمرين لا يؤبه به الذين اذا استأذنوا على الامراء لا يؤذن لهم وان خطبوا النساء لم ينكحوا واذا قالوا لم ينصت لهم حوائج أحدهم تتلجلج فى صدره لو قسم نوره على الناس يوم القيامة لوسعهم وروى عن خالد بن عبد العزيز انه قال كان حيوة بن شريح من البكائين وكان ضيق الحال جدا فجلست اليه ذات يوم وهو جالس وحده يدعو فقلت له يرحمك الله لو دعوت الله تعالى ليوسع عليك فى معيشتك قال فالتفت يمينا وشمالا فلم ير أحدا فأخذ حصاة من الارض وقال اللهم اجعلها ذهبا فاذا هى تبرة فى كفه ما رأيت أحسن منها قال فرمى بها الى وقال هو أعلم بما يصلح عباده فقلت ما أصنع بهذه قال أنفقها على عيالك فهبته والله ان أردها عليه وقال عون بن عبد الله صحبت الاغنياء فلم أجد فيهم أحدا أكثر منى هما لانى كنت أرى ثيابا أحسن من ثيابى ودابة أحسن من دابتى ثم صحبت الفقراء بعد ذلك فاسترحت قال بعضهم

وقد يهلك الانسان كثرة ماله * كما يذبح الطاوس من أجل ريشه

وقال عبد الله بن طاهر

ألم تر أن الدهر يهدم ما بنى * ويأخذ ما أعطى ويفسد ما أسدى
فمن سره أن لا يرى ما يسوءه * فلا يتخذ شيأ يخاف به فقدا

وكان من دعاء السلف رضى الله عنهم اللهم انى أعوذ بك من ذل الفقر وبطر الغنى وقيل مكتوب على باب مدينة الرقة ويل لمن جمع المال من غير حقه وويلان لمن ورثه لمن لا يحمده وقدم على من لا يعذره ولما فتحت بلخ فى زمن عمر رضى الله عنه وجد على بابها صخرة مكتوب فيها انما يتبين الفقير من الغنى بعد الانصراف من بين يدى الله تعالى اى بعد العرض قال الشاعر

ومن يطلب الاعلى من العيش لم يزل * حزينا على الدنيا رهين غبونها
اذا شئت أن تحيا سعيدا فلا تكن * على حالة الا رضيت بدونها

وقال آخر

ولا ترهبن الفقر ما عشت فى غد * لكل غد رزق من الله وارد

وقال هرون بن جعفر الطالى

بوعدت همتى وقور ب مالى * ففعالى مقصر عن مقالى
ما اكتسى الناس مثل ثوب اقتناع * وهو من بين ما اكتسوا سربالى
ولقد تعلم الحوادث أنى * ذو اصطبار على صروف الليالى

وقال اعرابى من ولد فى الفقر أبطره الغنى ومن ولد فى الغنى لم يزده الا تواضعا فما أحسن الفقر وأكثر ثوابه وأعظم أجر من رضى به وصبر عليه اللهم اجعلنا من الصابرين برحمتك يا أرحم الراحمين يارب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

(الباب الثالث والخمسون فى التلطف فى السؤال وذكر من سئل فجاد)

روى الامام مالك فى الموطا عن زيد بن أسلم رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أعطوا السائل ولو جاء على فرس وما سئل عليه السلام شيأ قط فقال لا وأتى اعرابى على على رضى الله عنه فسأله شيأ فقال والله ما أصبح فى بيتى شئ فضل عن قوتى فولى الاعرابى وهو يقول والله ليسألنك الله عن موقفى بين يديك يوم القيامة فبكى على رضى الله عنه بكاء شديدا وأمر برده وقال يا قنبر ائتنى بدرعى الفلانية فدفعها الى الاعرابى وقال لا تخدعن عنها فطالما كشفت بها الكروب عن وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال قنبر يا أمير المؤمنين كان يجزيه عشرون درهما فقال يا قنبر والله ما يسرنى ان لى زنة الدنيا ذهبا وفضة فتصدقت به وقبل الله منى ذلك وانه يسألنى عن موقف هذا بين يدى وقال على رضى الله عنه ان لكل شئ ثمرة وثمرة المعروف تعجيل السراح وقال مسلمة انصب سائلى فقال كفك بالعطية ابسط من لسانى بالمسئلة فقال لحاجبه ادفع اليه ألف دينار وسأل رجل الحسن رضى الله عنه فقال له ما وسيلتك قال وسيلتى انى أتيتك عام أول فبررتنى فقال مرحبا بمن توسل الينا بنا ثم وصله وأكرمه ويقال الكريم اذا سئل ارتاح واللئيم اذا سئل ارتاع ولما وفد المهدى من الرى الى العراق امتدحه الشعراء فقال أبو دلامة

انى نذرت لئن رأيتك قادما * أرض العراق وأنت ذو وفر
لتصلين على النبى محمد * ولتملأن دراهما حجرى

فقال المهدى صلى الله على محمد فقال أبو دلامة ما أسرعك للاولى وأبطأك عن الثانية فضحك وأمر ببدرة فصبت فى حجره وسمع الرشيد اعرابية بمكة تقول

طحنتنا كلاكل الاعوام * وبرتنا طوارق الايام
فاتيناكم نمد أكفا * لاتقام من زادكم والطعام
فاطلبوا الاجر والمثوبة فينا * أيها الزائرون بيت حرام

فبكى الرشيد وقال ان معه سألتكم بالله تعالى الامادفعتم اليها صدقاتكم فالقوا عليها الثياب حتى وارتها كثرة وملؤا حجرها دراهم ودنانير وسأل اعرابى بمكة وأحسن فى سؤاله فقال أخ فى الله وجار فى بلد الله وطالب خير من عند الله فهل من أخ يواسينى فى الله قال الشاعر

ليس فى كل وهلة وأوان * تتهيأ صنائع الاحسان
فاذا أمكنت فبادر اليها * حذرا من تعذر الامكان

وقال البصرى

أضحت حوائجنا اليك مناخة * معقولة برحابك الوصال
أطلق فديتك بالنجاح عقالها * حتى تثور بنا بغير عقال

وعن على رضى الله عنه قال يا كميل مر اهلك أن يروحوا فى كسب المكارم و يدلجوا فى حاجة من هو نائم فوالذى وسع سمعه الاصوات ما من أحد اودع قلبا سرورا الاخلق الله تعالى من ذلك السرور لطفا فاذا نابته نائبة جرى اليها كالماء فى انحداره حتى يطردها عنه كما تطرد غريبة الابل وقال لجابر بن عبد الله يا جابر من كثرت نعم الله تعالى عليه كثرت حوائج الناس اليه فاذا قام بما يحب الله فيها فقد عرضها للدوام والبقاء ومن لم يقم بما يحب الله فيها عرض نعمه لزوالها وكان لبيد رحمه الله تعالى آلى على نفسه كلما هبت الصبا أن ينحر ويطعم ورب بما ذبح العناق اذا ضاق الخناق فخطب الوليد بن عتبة يوما فقال قد علمتم ما جعل أبو عقيل على نفسه فاعينوه على مروأته ثم بعث اليه بخمس من الابل وبهذه الابيات

أرى الجزار يشحذ مديتيه * اذا هبت رياح بنى عقيل
طويل الباع أبلج جعفرى * كريم الجد كالسيف الصقيل
وفى ابن الجعبرى بما نواه * على العلات بالمال القليل

فدعا لبيد بنتا له خماسية وقال يا بنية انى تركت قول الشعر فاجيبى الامير عنى فقالت

اذا هبت رياح بنى عقيل * تداعينا لهبتها الوليدا
طويل الباع أبلج عبشمى * أعان على مروأته لبيدا
بامثال الهضاب كأن ركبا * عليها من بنى حام قعودا
أبا وهب جزاك الله خيرا * نحرناها وأطعمنا الثريدا
فعد ان الكريم له معاد * وظنى فى ابن عتبة أن يعودا

فقال لقد أحسنت والله يا بنية لولا انك سألت وقلت عد فقالت يا أبت ان الملوك لا يستحيا

منهم فى المسئلة فقال والله لانت فى هذا أشعر منى ووفد رجل من بنى ضبة على عبد الملك فانشده والله ماندرى اذامافاتنا * طلب اليك من الذى نتطلب
ولقد ضربنا فى البلاد فلم نجد * أحدا سواك الى المكارم ينسب
فاصبر لعادتك التى عودتنا * أولا فارشدنا الى من نذهب
فأمر له بالف دينار فعاد اليه من قابل وقال يا أمير المؤمنين ان الروى لينازعنى وان الحياء يمنعنى فامر له بالف دينار وقال والله لوقلت حتى تنفد بيوت الاموال لاعطيتك وقيل ان رجلا عرض للمنصور فسأله حاجة فلم يقضها فعرض له بعد ذلك فقال له المنصور أليس قد كلمتنى مرة قبل هذه قال نعم يا أمير المؤمنين ولكن بعض الاوقات أسعد من بعض وبعض البقاع أعز من بعض فقال صدقت وقضى حاجته وأحسن اليه وروى أن أبادلامة الشاعر كان واقفا بين يدى السفاح فى بعض الايام فقال له سلنى حاجتك فقال كلب صيد فقال اعطوه اياه فقال ودابة أصيد عليها فقال اعطوه دابة فقال وغلاما يقود الكلب ويصيد به قال اعطوه غلاما قال وجارية تصلح لنا الصيد وتطعمنا منه قال اعطوه جارية فقال هؤلاء يا أمير المؤمنين عيال ولا بد لهم من دار يسكنونها قال اعطوه دارا تجمعهم قال فان لم يكن لهم ضيعة فمن أين يعيشون قال قد أقطعته عشر ضياع عامرة وعشر ضياع غامرة فقال ما الغامرة يا أمير المؤمنين قال ما لانبات فيها قال قد أقطعتك يا أمير المؤمنين مائة ضيعة غامرة من فيافى بنى أسد فضحك وقال اجعلوها كلها عامرة فانظر الى حذقه بالمسئلة ولطفه فيها كيف ابتدأ بكلب صيد فسهل القضية وجعل يأتى بمسئلة بعد مسئلة على ترتيب وفكاهة حتى سأل ماسأله ولوسأل ذلك بديهة لما وصل اليه (وحكى) عن المأمون انه قال ليحيى بن أكثم يوما سر بنا نتفرج فسارا فبينما هما فى الطريق واذا بقصبة خرج منها رجل بقصة للمأمون يتظلم له فنفرت دابته فالقته على الارض صريعا فامر بضرب ذلك الرجل فقال يا أمير المؤمنين ان المضطر يرتكب الصعب من الامور وهو عالم به ويتجاوز حد الادب وهو كاره لتجاوزه ولو أحسنت الايام مطالبتى لاحسنت مطالبتك ولانت على رد مالم تفعل أقدر من رد ماقد فعلت قال فبكى المأمون وقال بالله أعد على ماقلت فأعاده فالتفت المأمون الى يحيى ابن أكثم وقال أما تنظر الى مخاطبة هذا الرجل باصغريه والنبى صلى الله عليه وسلم يقول المرء بأصغريه قلبه ولسانه والله لاوقفت لك الا وأنا قائم على قدمى فوقف وأمر له بصلة جزيلة واعتذر اليه فلما هم المأمون بالانصراف قال الرجل يا أمير المؤمنين بيتان قد حضرانى ثم أنشد يقول

ماجاد بالوفر الا وهو معتذر * ولا عفا قط الا وهو مقتدر
وكلما قصدوه زاد نائله * كالنار يؤخذ منها وهى تستعر

وقيل ان بعض الحكماء لزم باب كسرى فى حاجة دهرا فلم يوصل اليه فكتب أربعة أسطر فى ورقة ودفعها للحاجب فكان فى السطر الاول العدم لايكون معه صبر على المطالبة وفى السطر الثانى الضرورة والامل أقدمانى عليك وفى السطر الثالث الانصراف من غير فائدة شماتة الاعداء وفى السطر الرابع أمانعم مثمرة وأمالا مريحة فلما قرأها كسرى دفع له

فى كل سطر ألف دينار (وحكى) ان رجلا كان جارا لابن عبيد الله فاصاب الناس قحط بالعراق حتى رحل اكثر الناس عنه فعزم جار ابن عبيد الله على الخروج من البلاد فى طلب المعيشة وكانت له زوجة لا تقدر على السفر فلما رأت زوجها تهيأ للسفر قالت له اذا سافرت من ينفق علينا قال ان لى على ابن عبيد الله دينا ومعى به اشهاد عليه شرعى فخذى الاشهاد وقدميه اليه فاذا قرأه أنفق عليك مما عنده حتى أحضر ثم ناولها رقعة كتب فيها هذه الابيات يقول

قالت وقد رأت الاجمال محدجة * والبين قد جمع المشكو والشاكى
من لى اذا غبت فى ذا المحل قلت لها * الله وابن عبيد الله مولاك

فمضت اليه المرأة وحكت له ما قال زوجها وأخبرته بسفره وناولته الرقعة فقرأها وقال صدق زوجك ومازال ينفق عليها ويواصلها بالبر والاحسان الى ان قدم زوجها فشكره على فضله واحسانه (وحكى) ان مطيع بن اياس مدح معن بن زائدة بقصيدة حسنة ثم أنشدها بين يديه فلما فرغ من انشاده أراد معن أن يباسطه فقال يامطيع ان شئت أعطيناك وان شئت مدحناك كما مدحتنا فاستحيا مطيع من اختيار الثواب وكره اختيار المدح وهو محتاج فلما خرج من عند معن أرسل اليه بهذين البيتين

ثناء من أمير خير كسب * لصاحب نعمة وأخى ثراء
ولكن الزمان برى عظامى * ومالى كالدراهم من دواء

فلما قرأها معن ضحك وقال ما مثل الدراهم من دواء وأمر له بصلة جزيلة ومال كثير قال الشاعر

هززتك لا انى جعلتك ناسيا * لامرى ولا انى أردت التقاضيا
ولكن رأيت السيف من بعد سله * الى الهز محتاجا وان كان ماضيا

وقال آخر

ماذا أقول اذا رجعت وقيل لى * ماذا لقيت من الجواد الافضل
ان قلت اعطانى كذبت وان اقل * بخل الجواد بماله لم يجمل
فاختر لنفسك ما أقول فاننى * لابد اخبرهم وان لم أسئل

وقال آخر

لنوائب الدنيا خبأتك فانتبه * يانائما من جملة النوام
أعلى الصراط تزيل لوعة كربتى * ام فى المعاد تجود بالانعام

ومما يستحسن الحاقه بهذا الباب ذكر شئ مما جاء فى ذم السؤال والنهى عنه روى عن عبد الرحمن بن عوف بن مالك الاشجعى رضى الله عنه قال كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم تسعة أوثمانية أوسبعة فقال ألا تبايعون رسول الله صلى الله عليه وسلم فبسطنا أيدينا وكنا حديثى عهد بالمبايعة فقلنا قد بايعناك يا رسول الله فعلام يارسول الله نبايعك قال أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيأ وتقيموا الصلوات الخمس وتطيعوا الله واسر كلمة خفية وهى ولا تسألوا الناس شيأ فلقد رأيت بعض أولئك النفر يسقط سوط احدهم فما يسأل احدا يناوله اياه رواه مسلم وقال رجل لابنه اياك ان تريق ماء وجهك عند من لا ماء فى وجهه وكان لقمان

يقول

يقول لولده يا بنى اياك والسؤال فانه يذهب ماء الحياء من الوجه وأعظم من هذا استخفاف الناس بك وأوحى الله تعالى الى موسى عليه السلام لأن تدخل يدك فى فم التنين الى المرفق خير لك من أن تدسطها الى غنى قد نشأ فى الفقر وقيل لاعرابى ما السقم الذى لا يبرأ والجرح الذى لا يندمل قال حاجة الكريم الى اللئيم وقال أبو محلم السعدى

اذا مارماك الدهر فى الضيق فانتجع * قديم الغنى فى الناس انك حامده

ولا تطلبن الخير ممن أفاده * حديثا ومن لا يورث المجد والده

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم مسئلة الناس من الفواحش ما أحل من الفواحش غيرها وقال عليه الصلاة والسلام لأن يأخذ أحدكم حبله فيحتطب على ظهره خيرله من أن يأتى رجلا فيسأله اعطاه أو منعه قال الشاعر

ما اعتاض باذل وجهه بسؤاله * عوضا ولو نال الغنى بسؤال

واذا السؤال مع النوال وزنته * رجح السؤال وخف كل نوال

وقال أحمد الانبارى

لموت الفتى خير من البخل للغنى * وللبخل خير من سؤال بخيل

لعمرك ماشئ لوجهك قيمة * فلا تلق انسانا بوجه ذليل

وقال سلم الخاسر

اذا أذن الله فى حاجة * أتاك النجاح على رسله

فلا تسأل الناس من فضلهم * ولكن سل الله من فضله

ويقال أحب الناس الى الله من سأله وأبغض الناس الى الناس من احتاج اليهم وسألهم وفى هذا المعنى قيل

لا تسألن بنى آدم حاجة * وسل الذى ابوابه لا تحجب

الله يغضب ان تركت سؤاله * وبنى آدم حين يسئل يغضب

وقال محمود الوراق

شاد الملوك قصورهم وتحصنوا * من كل طالب حاجة أوراغب

فارغب الى ملك الملوك ولا تكن * ياذا الضراعة طالبا من طالب

وقال ابن دقيق العيد

وقائلة مات الكرام فمن لنا * اذا عضنا الدهر الشديد بنابه

فقلت لها من كان غاية قصده * سؤالا لمخلوق فليس بنابه

اذا مات من يرجى فقصودنا الذى * ترجيه باق فلوذى ببابه

وقال بعض أهل الفضل

لما افتقرت لصحبى ماوجدتهم * لجأت لله ولمانى وأغنانى

واها على بذل وجهى للورى سفها * فلو بذلت الى مولاى والانى

وسأل رجل رجلا حاجة فلم يقضها فقال سألت فلانا حاجة أقل من قيمته فردنى ردا أقبح من خلقته وسأل عروة مصعبا حاجة فلم يقضها فقال علم الله تعالى ان لكل قوم شيخا يفزعون

اليه وأنا أفزع منك ويقال لاشئ أوجع للأخيار من الوقوف بباب الاشرار وقال الامام الشافعي رحمه الله تعالى

بلوت بني الدنيا فلم أر فيهم * سوى من غدا والبخل مل ء اهابه
فجردت من غمد القناعة صارما * قطعت رجائي منهم بذبابه
فلا ذا يراني واقفا في طريقه * ولا ذا يراني قاعدا عند بابه
غني بلا مال عن الناس كلهم * وليس الغنى الا عن الشئ لا به
اذا ظالم يستحسن الظلم مذهبا * ولج عتوا في قبيح اكتسابه
فكله الى صرف الليالي فانها * ستبدي له مالم يكن في حسابه
فكم قد رأينا ظالما متمردا * يرى النجم تيها تحت ظل ركابه
فعما قليل وهو في غفلاته * اناخت صروف الحادثات ببابه
فأصبح لا مال ولا جاه يرتجى * ولا حسنات تلتقي في كتابه
وجوزي بالامر الذي كان فاعلا * وصب عليه الله سوط عذابه

وقال آخر

لا تسألن الى صديق حاجة * فيحول عنك كما الزمان يحول
واستغن بالشئ القليل فانه * ماصان عرضك لا يقال قليل
من عف خف على الصديق لقاؤه * وأخو الحوائج وجهه مملول
وأخوك من وفرت ما في كفه * ومتى علقت به فانت ثقيل

وقال آخر

ليس جود أعطيته بسؤال * قد يهز السؤال غير جواد
انما الجود ما أتاك ابتداء * لم تذق فيه ذلة الترداد

وقال آخر

لا تحسبن الموت موت البلا * انما الموت سؤال الرجال
كلاهما موت ولكن ذا * أخف من ذاك لذل السؤال

وقال الشافعي رضي الله عنه

قنعت بالقوت من زماني * وصنت نفسي عن الهوان
خوفا من الناس ان يقولوا * فضل فلان على فلان
من كنت عن ماله غنيا * فلا أبالي اذا جفاني
ومن رآني بعين نقص * رأيته بالتي رآني
ومن رآني بعين تم * رأيته كامل المعاني

والله تعالى أعلم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

(الباب الرابع والخمسون في ذكر الهدايا والتحف وما أشبه ذلك)

قال الله تعالى واذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن منها أو ردوها فسرها بعضهم بالهدية وقال صلى الله عليه وسلم تهادوا وتحابوا فانها تجلب المحبة وتذهب الشحناء وقال صلى الله عليه وسلم

الهدية مشتركة وقال صلى الله عليه وسلم من سألكم بالله فأعطوه ومن استعاذ كم فأعيذوه ومن أهدى اليكم كراعا فاقبلوه وكان صلى الله عليه وسلم يقبل الهدية ويثيب عليها ما هو خير منها * وفي الاثر الهدية تجلب المودة الى القلب والسمع والبصر * ومن الامثال اذا قدمت من سفر فأهد لاهلك ولو حجرا وقال الفضل بن سهل ما استرضى الغضبان ولا استعطف السلطان ولا سلبت السخائم ولا دفعت المغارم ولا استميل المحبوب ولا توقى المحذور بمثل الهدية وأتى فتح الموصلي بهدية وهي خمسون دينارا فقال حدثنا عطاء عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من آتاه الله رزقا من غير مسئلة ورده فكأنما رده على الله تعالى واهدى رسول الله صلى الله عليه وسلم هدية الى عمر فردها فقال يا عمر لم رددت هديتي فقال رضي الله عنه انى سمعتك تقول خيركم من لم يقبل شيأ من الناس فقال يا عمر انما ذلك ما كان عن ظهر مسئلة فاما اذا أتاك من غير مسئلة فانما هو رزق ساقه الله اليك * وقالت ام حكيم الخزاعية سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول تهادوا فانه يضاعف الحب ويذهب بغوائل الصدر ويقال في نشر المهاداة طي المعاداة

(ذكر انواع الهدايا للخلفاء وغيرهم ممن قصرت به قدرته فأهدى اليسير وكتب معه مكاتبة يعتذر بها)

اهدى الى سليمان بن داود عليهما السلام ثمانية أشياء متباينة في يوم واحد فيلة من ملك الهند وجارية من ملك الترك وفرس من ملك العرب وجوهرة من ملك الصين واستبرق من ملك الروم ودرة من ملك البحر وجرادة من ملك النمل وذرة من ملك البعوض فتأمل ذلك وقال سبحان القادر على جمع الاضداد واهدى ملك الروم الى المأمون هدية فقال المأمون أهدوا له ما يكون ضعفها مائة مرة ليعلم عز الاسلام ونعمة الله تعالى علينا ففعلوا ذلك فلما عزموا على حملها قال ما أعز الاشياء عندهم قالوا المسك والسمور قال وكم في الهدية من ذلك قالوا مائتا رطل مسكا ومائتا فروة سمور وأهدت قطر الندى الى المعتضد بالله في يوم نيروز في سنة اثنتين وثمانين ومائتين هدية كان فيها عشرون صينية ذهب في عشرة منها امثام عنبر وزنها أربعة وثمانون رطلا وعشرون صينية فضة في عشرة منها امثام صندل زنتها نيف وثلاثون رطلا وخمس خلع وشي قيمتها خمسة آلاف دينار * وعملت شمامات ليوم النيروز بلغت النفقة عليها ثلاثة عشر ألف دينار وأهدى يعقوب بن الليث الصفار الى المعتمد على الله هدية في بعض السنين من جملتها عشرة بازات منها باز أبلق لم ير مثله ومائة مهر وعشرون صندوقا على عشر بغال فيهم طرائف الصين وغرائبه ومسجد فضة بدرابزين يصلي فيه خمسة عشر انسانا ومائة رطل من مسك ومائة رطل عود هندي وأربعة آلاف ألف درهم * وأهدت ثريا بنت الاوباري ملكة أفرنجة وماوالاها الى المكتفي بالله في سنة ثلاث وسبعين ومائتين خمسين سيفا وخمسين رمحا وعشرين ثوبا منسوجا بالذهب وعشرين خادما صقلبيا وعشرين جارية صقلبية وعشرة كلاب كبار لا تطيقها السباع وستة بازات وسبع صقور ومضرب حرير متلون بجميع الالوان كأنه قوس قزح يتلون في كل ساعة من ساعات النهار وثلاثة أطيار من الاطيار الافرنجية اذا نظرت الى الطعام أو الشراب

المسموم صاحت صياحا منكرا وصفقت بأجنحتها حتى يعلم بذلك ونحوزا لجذب النصول بعد نبات اللحم عليها بغير وجع وحمارة وحشية عظيمة الخلقة فى قدر البغل وآذانها شبه آذان البغل وهى مخططة تخطيطا عاما لجميع خلقتها وأهدى قسطنطين ملك الروم الى المستنصر بالله فى سنة سبع وثلاثين وأربعمائة هدية عظيمة اشتملت قيمتها على ثلاثين قنطارا من الذهب الاحمر كل قنطار منها عشرة آلاف دينار عربية قيمة ذلك ثلثمائة ألف دينار عربية (وحكى) ان الخيزران جارية المهدى كانت أديبة شاعرة فعزم المهدى على شرب دواء فانفذت اليه جام بلور فيه شراب اختارته له مع وصيفة بكر بارعة الجمال وكتبت اليه تقول

اذا خرج الامام من الدواء * وأعقب بالسلامة والشفاء
وأصلح حاله من بعد شرب * بهذا الجام من هذا الطلاء
فينعم للتى قد أنفذته * اليه بزورة بعد العشاء

فسر بذلك ووقعت الجارية منه اعظم موقع وزار الخيزران وأقام عندها يومين * وأهدى الصابى الى عضد الدولة اسطرلابا فى يوم المهرجان وكتب اليه يقول

أهدى اليك بنو الاملاك واحتفلوا * فى مهرجان جديد أنت تبليه
لكن عبدك ابراهيم حين رأى * سمو قدرك عن شئ يدانيه
لم يرض بالارض يهديها اليك وقد * أهدى لك الفلك الاعلى بما فيه

وأهدى رجل الى المتوكل قارورة ذهب وكتب معها ان الهدية اذا كانت من الصغير الى الكبير فكلما لطفت ودقت كانت أبهى وأحسن واذا كانت من الكبير الى الصغير فكلما عظمت وجلت كانت أوقع وأنفع وأهدى مرة أبو الهذيل الى موسى بن عمران دجاجة ووصفها له بصفات جليلة ثم لم يزل يذكرها وكلما ذكر شئ بجمال أوسمن قال هو أحسن أو أسمن من الدجاجة التى أهديتها اليكم وان ذكر حادث قال ذلك قبل أن اهدى لكم الدجاجة بشهور وما كان بين ذلك وبين اهداء الدجاجة الا أيام قلائل فصارت مثلا لمن يستعظم الهدية ويذكرها قال الشاعر

وان امرأ أهدى الى صنيعة * وذكرنيها مرة للئيم

وقال سفيان الثورى اذا أردت أن تتزوج فأهد للام وكان سفيان يروى عن ابن عباس رضى الله عنه من أهديت اليه هدية وعنده قوم فهم شركاؤه فيها فأهدى اليه صديق له ثيابا من ثياب مصر وعنده قوم فذكروا الخبر فقال انما ذلك فيما يؤكل ويشرب أما فى ثياب مصر فلا * وكتب الحمدونى الى جارية اسمها برهان وقد جح مواليها فقال

حج مواليك يا برهان واعتمروا * وقد أتتك الهدايا من مواليك
فاطرفينى بما قد أطرفوك به * ولا تكن طرفتى غير المساويك
ولست أقبل الا ما حلوت به * ثنيتيك وما ردت فى فيك

وكتب بعضهم الى صديقه وقد أهدى اليه هدية يسيرة يقول

تفضل بالقبول على انى * بعثت بما يقل العبد عندك

وأهدى بعضهم الى صديقه هدية فى يوم نيروز وكتب اليه يقول هذا يوم جرت فيه العادة

بالطاف

بالطاف العبيد للسادة وقدر الامير يجل عما تحيط به المقدرة وفي سودده ما يوجب التفضل بسط المعذرة وقد وجهت ما حضر علما بانه لا يستكثر ما جل ولا يستقل لعبده ما قل فان رأى ان يتطول بقبول القليل كتطوله باهداء الجزيل فعل وجعل يقول

رأيت كثير ما يهدى اليكم * قليلا فاقتصرت على الدعاء

وبلغ الحسن بن عمارة ان الاعمش يقع فيه ويقول ظالم ولي المظالم فاهدى اليه هدية فمدحه الاعمش بعد ذلك وقال الحمد لله الذي ولى علينا من يعرف حقوقنا فقيل له كنت تذمه ثم الآن تمدحه فقال حدثني خيثمة عن عبد الله ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال جبلت القلوب على حب من أحسن اليها وبغض من اساء اليها وقال عبد الملك بن مروان ثلاثة أشياء تدل على عقول أربابها الكتاب يدل على عقل كاتبه والرسول يدل على عقل مرسله والهدية تدل على عقل مهديها والله تعالى أعلم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

(الباب الخامس والخمسون في العمل والكسب والصناعات والحرف وما أشبه ذلك)

أما العمل فقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال أفضل العمل أدومه وان قل وقال علي بن أبي طالب كرم الله وجهه قليل مدام عليه خير من كثير مملول * وفي التوراة حرك يدك أفتح لك باب الرزق * وكان ابراهيم بن أدهم يسقي ويرعى ويعمل بالكراء ويحفظ البساتين والمزارع ويحصد بالنهار ويصلي بالليل * وعن علي رضي الله عنه قال جاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ما ينفي عني حجة العلم قال العمل وعنه صلى الله عليه وسلم انه قال الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والعاجز من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله الاماني * وقال الاوزاعي اذا أراد الله بقوم سوأ أعطاهم الجدل ومنعهم العمل * وأنشد يقول

وما المرء الا حيث يجعل نفسه * ففي صالح الاعمال نفسك فاجعل

وقال بعض الحكماء لا شئ أحسن من عقل زانه حلم ومن عمل زانه علم ومن حلم زانه صدق ودخل بعض الخواص على ابراهيم بن صالح وهو أمير فلسطين فقال له عظني فقال له الولي بلغني رحمك الله ان أعمال الاحياء تعرض على أقاربهم الموتى فانظر ماذا تعرض على رسول الله صلى الله عليه وسلم من عملك فبكى ابراهيم حتى سالت دموعه * وقيل من جد وجد وأنشدوا في المعنى

انى رأيت وفي الايام تجربة * للصبر عاقبة محمودة الاثر
وقل من جد في أمر يحاوله * واستصحب الصبر الا فاز بالظفر

وتقول العرب فلان وثاب على الفرص وقال بعضهم

واني اذا باشرت أمرا أريده * تدانت أقاصيه وهان أشده

وعن أنس رضي الله عنه يتبع الميت ثلاث يرجع اثنان ويبقى واحد يتبعه أهله وماله وعمله فيرجع أهله وماله ولا يرجع عمله * وقال بعضهم العمل سعي الاركان الى الله والنية سعي القلوب الى الله والقلب ملك والاركان جنود ولا يحارب الملك الا بالجنود ولا الجنود

الا بالملك * وقيل الدنيا كلها ظلمات الا موضع العلم والعلم كله هباء الا موضع العمل والعمل كله هباء الا موضع الاخلاص هذا هو العمل وأما الكسب فقد جاء في تفسير قوله تعالى وعلمناه صنعة لبوس لكم أي دروع من الحديد وذلك ان داود عليه السلام كان يدور في الصحارى فاذا رأى من لا يعرفه تحدث معه في أمر داود فاذا سمعه عابه بشيء يصلحه من نفسه فسمع يوما من يقول اني لا أجد في داود عيبا الا انه يأكل من غير كسبه فعند ذلك صلى داود عليه السلام في محرابه وتضرع بين يدى الله تعالى وسأله ان يعلمه ما يستعين به على قوته فعلمه الله تعالى صنعة الحديد وجعله في يده كالشمع فاحترفها واستعان بها على أمره وصار يحكم منها الدروع وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم جعل رزقي تحت رمحي فكانت حرفته الجهاد وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله يحب العبد المحترف * وقال صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى يبغض العبد الصحيح الفارغ وقال عليه السلام من اكتسب قوته ولم يسأل الناس لم يعذبه الله تعالى يوم القيامة ولو تعلمون ما أعلم من المسئلة لما سأل رجل رجلا شيأ وهو يجد قوت يومه وليس عند الله أحب من عبد يأكل من كسب يده ان الله تعالى يبغض كل فارغ من أعمال الدنيا والآخرة وعن أنس رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم من بات كالا في طلب الحلال اصبح مغفورا له وعن الحسن رحمه الله كسب الدرهم الحلال أشد من لقاء الزحف وقيل لمحمد بن مهران ان ههنا أقواما يقولون نجلس في بيوتنا وتأتينا أرزاقنا فقال هؤلاء قوم حمقى ان كان لهم مثل يقين ابراهيم خليل الرحمن فليفعلوا وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه لا يقعدن أحدكم عن طلب الرزق أو يقول اللهم ارزقني فقد علمتم ان السماء لا تمطر ذهبا ولا فضة وقال أيضا انى لارى الرجل فيعجبني فاقول أله حرفة فان قالوا لا سقط من عيني واشترى سلمان وسقا من طعام وهو ستون صاعا فقيل له في ذلك فقال ان النفس اذا أحرزت رزقها اطمأنت قال بعضهم في السعي

خاطر بنفسك كى تصيب غنيمة * ان الجلوس مع العيال قبيح

وقيل ان أول من صنع لسان الميزان عبد الله بن عامر وكان الناس اغا يزنون بالشاهيني وعن أنس رضى الله عنه قال غلا السعر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يارسول الله سعر لنا فقال ان الله الخالق القابض المسعر الرازق وانى لارجو أن ألقى الله تعالى وليس أحد يطلبني بمظلمة ظلمته بها في أهل ولا مال * وأما ما جاء في العجز والتوانى فقد روى عن على ابن أبي طالب كرم الله وجهه أنه قال من أطاع التوانى ضيع الحقوق ومن العجز طلب ما فات مما لا يمكن استدراكه وترك ما أمكن مما تحمد عواقبه * قال الشاعر

على المرء ان يسعى ويبذل جهده * ويقضى الاله الخالق ما كان قاضيا

ومثله قوله

على المرء أن يسعى لما فيه نفعه * وليس عليه أن يساعده الدهر

وقيل احذر مجالسة العاجز فانه من سكن الى عاجز اعداه من عجزه وامده من جزعه وعوده قلة الصبر ونساه مافى العواقب وليس للعجز ضد الا الحزم وقال بعض العلماء من الخذلان مسامرة الامانى ومن التوفيق بغض التوانى وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال

باكروا فى طلب الرزق والحوائج فان الغدوّ بركة ونجاح وقال الامام الشافعى رضى الله عنه احرص على ما ينفعك ودع كلام الناس فانه لاسبيل الى السلامة من ألسنة الناس وقال على رضى الله عنه التوانى مفتاح البؤس وبالعجز والكسل تولدت الفاقة ونتجت الهلكة ومن لم يطلب لم يجد وافضى الى الفساد وقال حكيم من دلائل العجز كثرة الاحالة على المقادير وقال بعض الحكماء الحركة بركة والتوانى هلكة والكسل شؤم وكلب طائف خير من أسد رابض ومن لم يحترف لم يعتلف * وقيل من العجز والتوانى تنتج الفاقة قال هلال بن العلاء الرقاء هذين البيتين من جملة أبيات

كأن التوانى أنكح العجز بنته * وساق اليها حين زوجها مهرا
فراشا وطيئا ثم قال لها اتكى * فانكما لابد أن تلدا الفقرا

وقال آخر

توكل على الرحمن فى الامر كله * ولا ترغبن فى العجز يوما عن الطلب
ألم تر أن الله قال لمريم * وهزى اليك الجذع يساقط الرطب
ولو شاء أن تجنيه من غير هزه * جنته ولكن كل رزق له سبب

وسأل معاوية رضى الله عنه سعيد بن العاصى عن المروأة فقال العفة والحرفة وكان أيوب السختيانى يقول يافتيان احترفوا فانى لا آمن عليكم أن تحتاجوا الى القوم يعنى الامراء وقال رجل للحسن انى انشر مصحفى فأقرؤه بالنهار كله فقال اقرأه بالغداة والعشى ويكون يومك فى صنعتك ومالابد منه ومر رحمه الله باسكاف فقال ياهذا اعمل وكل فان الله يحب من يعمل ويأكل ولا يحب من يأكل ولا يعمل وقال أبو تمام

أعاذلتى ما أحسن الليل مركبا * وأحسن منه فى الملمات راكبه
ذرينى وأهوال الزمان أقاسها * فاهواله العظمى تليها رغائبه
أرى عاجزا يدعى جليدا لغشمه * ولو كلف التقوى لكلت مضاربه
وعفا يسمى عاجزا بعفافه * ولولا التقى ما أعجزته مذاهبه
وليس بعجز المرء أخطأه الغنى * ولا باحتيال أدرك المال كاسبه

وقال آخر

فلا تركن الى كسل وعجز * تحيل على المقادر والقضاء

وقال اعرابى العاجز هو الشاب القليل الحيلة الملازم للامانى المستحيلة وقال فلان يخدعه الشيطان عن الحزم فيمثل له التوانى فى صورة التوكل ويريه الهوينا باحالته على القدر وقال لقمان لابنه يابنى اياك والكسل والضجر فانك اذا كسلت لم تؤد حقا واذا ضجرت لم تصبر على حق قال أبو العتاهية

اذا وضع الراعى على الارض صدره * فحق على المعزى بأن تتبددا

فالتوانى هو الكسل وتضييع الحزم وعدم القيام على مصالح النفس وترك التسبب والاحتراف والاحالة على المقادير وهذا من أقبح الافعال * وأما التأنى فانه خلاف التوانى وهو الرفق ورفض العجلة والنظر فى العواقب * وقد قيل من نظر فى عواقب الامور سلم من

آفات الدهور ومما جاء في ذلك قوله تعالى ولا تعجل بالقرآن من قبل ان يقضى اليك وحيه * وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أعطى حظه من الرفق أعطى حظه من الدنيا والآخرة وقال عليه الصلاة والسلام لعائشة عليك بالرفق فان الرفق لا يخالط شيأ الا زانه ولا يفارق شيأ الا شانه * وفي التوراة الرفق رأس الحكمة * وقالوا العقل أصله التثبت وثمرته السلامة * ووجد على سيف مكتوبا التأني فيما لا يخاف فيه الفوت أفضل من العجلة في ادراك الامل وقال بعض الحكماء اذا شككت فاجزم واذا استوضحت فاعزم وقالوا يد الرفق تجني ثمرة السلامة ويد العجلة تغرس شجرة الندامة وأنشدوا في ذلك

قد يدرك المتأني بعض حاجته * وقد يكون مع المستعجل الزلل

وقالوا التأني حصن السلامة والعجلة مفتاح الندامة وقالوا اذا لم يدرك الظفر بالرفق والتأني فيما ذاك يدرك وقال المهلب أناة في عواقبها درك خير من عجلة في عواقبها فوت * وقالوا من تأنى نال ما تمنى والرفق مفتاح النجاح وقال بعض الحكماء اياك والعجلة فانها تكنى أم الندامة لان صاحبها يقول قبل أن يعلم ويجيب قبل أن يفهم ويعزم قبل أن يفكر ويحمد قبل أن يجرب ولن تصحب هذه الصفة أحدا الا صحب الندامة وجانب السلامة

(وأما الصناعات والحرف وما يتعلق بها) فقد روى عن سهل بن سعد رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عمل الابرار من الرجال الخياطة وعمل الابرار من النساء الغزل وكان صلى الله عليه وسلم يخيط ثوبه ويخصف نعله ويحلب شاته ويعلف ناضحه وقال سعيد بن المسيب كان لقمان الحكيم خياطا وقيل كان ادريس خياطا ووقف علي بن أبي طالب كرم الله وجهه على خياط فقال له يا خياط ثكلتك الثواكل صلب الخيط ودقق الدروز وقارب الغروز فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يحشر الله الخياط الخائن وعليه قميص ورداء مما خاط وخان فيه واحذر السقاطات فان صاحب الثوب أحق بها ولا تتخذ بها الايادي وتطلب المكافأة * وقال فيلسوف ان من القبيح ان يتولى امتحان الصناع من ليس بصانع وفي الحديث أكذب أمتي الصواغون والصباغون * وكذب الدلال مثل وقالوا لكل أحد رأس مال ورأس مال الدلال الكذب وقال عبد الرحمن بن شبل سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول التجار هم الفجار فقيل أليس الله تعالى قد أحل البيع قال نعم ولكن يحدثون فيكذبون ويحلفون فيحنثون وقال الفضيل بخس الموازين سواد في الوجه يوم القيامة وانما أهلكت القرون الاولى لانهم أكلوا الربا وعطلوا الحدود ونقصوا الكيل والميزان وقال مجاهد في قوله تعالى واتبعك الارذلون قيل هم الحاكة والاساكفة وقيل ان حائكا سأل ابراهيم الحربي ما تقول فيمن صلى العيد ولم يشتر ناطفا ما الذي يجب عليه فتبسم ابراهيم ثم قال يتصدق بدرهمين فلما مضى قال ما علينا ان نفرح المساكين من مال هذا الاحمق وقيل لرجل هل فيكم حائك قال لا قيل فمن ينسج لكم ثيابكم قال كل منا ينسج لنفسه في بيته وكان اردشير بن بابك لا يرتضي لمنادمته ذا صناعة رديئة كحائك وحجام ولو كان يعلم الغيب مثلا وقال كعب لا تستشيروا الحاكة فان الله

تعالى سلب عقولهم ونزع البركة من كسبهم لان مريم عليها السلام مرت بجماعة من الحاكين فسألتهم عن الطريق فدلوها على غير الطريق فقالت نزع الله البركة من كسبكم قال أبو العتاهية

الا انما التقوى هى العز والكرم * وحبك للدنيا هو الذل والسقم
وليس على عبد تقى نقيصة * اذا صحح التقوى وان حاك أو حجم

وهذا ما أوردناه سياقه فى هذا الباب والله الموفق للصواب وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

(الباب السادس والخمسون فى شكوى الزمان وانقلابه بأهله والصبر على المكاره والتسلى عن نوائب الدهر وفيه ثلاثة فصول)

*(الفصل الاول فى شكوى الزمان وانقلابه بأهله * روى عن أنس بن مالك رضى الله عنه أنه قال ما من يوم ولا ليلة ولا شهر ولا سنة الا والذى قبله خير منه سمعت ذلك من نبيكم صلى الله عليه وسلم وكان معاوية رضى الله عنه يقول معروف زماننا منكر زمان قد مضى ومنكره معروف زمان لم يأت * وكانت ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم العضباء لا تسبق فجاء اعرابى فسبقها فشق ذلك على الصحابة رضى الله عنهم فقال صلى الله عليه وسلم ان حقا على الله ان لا يرفع شيأ من هذه الدنيا الا وضعه (وحكى) عن شيخ من همدان قال بعثنى أهلى فى الجاهلية الى ذى الكلاع الحميرى بهدايا فمكثت شهرا لا أصل اليه ثم بعد ذلك أشرف اشرافة من كوة له فخر له من حول القصر سجدا ثم رأيته بعد ذلك وقد هاجر الى حمص واشترى بدرهم لحما وسمطه خلف دابته وهو القائل هذه الابيات

أف للدنيا اذا كانت كذا * أنا منها فى بلاء وأذى
ان صفا عيش امرئ فى صبحها * جرعته ممسا كأس الردى
ولقد كنت اذا ما قيل من * أنعم العالم عيشا قيل ذا

وقال يونس بن ميسرة لا يأتى علينا زمان الا بكينا منه ولا يتولى عنا زمان الا بكينا عليه ومن ذلك قوله

رب يوم بكيت منه فلما * صرت فى غيره بكيت عليه

ومثله

وما مر يوم ارتجى فيه راحة * فأخبره الا بكيت على أمسى

ومن كلام ابن الاعرابى

عن الايام عذ فعن قليل * ترى الايام فى صور الليالى

وقال على رضى الله عنه ما قال الناس لشئ طوبى الا وقد خبأ له الدهر يوم سوء وقال الشاعر

فما الناس بالناس الذين عهدتهم * ولا الدار بالدار التى كنت أعهد

ودخل داود عليه السلام غارا فوجد فيه رجلا ميتا وعند رأسه لوح مكتوب فيه أنا فلان ابن فلان الملك عشت ألف عام و بنيت ألف مدينة وافتضضت ألف بكر وهزمت الف جيش ثم صار أمرى الى ان بعثت زنبيلا من الدراهم فى رغيف فلم يوجد ثم بعثت زنبيلا من الجوهر فلم يوجد فدققت الجواهر واستففتها فمت مكانى فمن أصبح وله رغيف وهو يحسب

أن على وجه الارض أغنى منه أماته الله كما ماتى * وذكر ان عبد الرحمن بن زياد لما ولى خراسان حازمن الاموال ماقدر لنفسه أنه ان عاش مائة سنة ينفق فى كل يوم ألف درهم على نفسه انه يكفيه فرؤى بعد مدة وقد احتاج الى أن باع حلية مصحفه وأنفقها وقال هيثم بن خالد الطويل دخلت على صالح مولى منارة فى يوم شات وهو جالس فى قبة مغشاة بالسمور وجميع فروشها سمور وبين يديه كانون فضة يبخر فيه بالعود ثم رأيته بعد ذلك فى رأس الجسر وهو يسأل الناس ولما قتل عامر بن اسمعيل مروان بن محمد ونزل فى داره وقعد على فرشه دخلت عليه عبدة بنت مروان فقالت ياعامر ان دهرا أنزل مروان عن فرشه وأقعدك عليه لقد أبلغ فى عظتك وقال مالك بن دينار مررت بقصر تضرب فيه الجوارى بالدفوف ويقلن

ألا يادار لايدخلك حزن * ولا يغدر بصاحبك الزمان
فنعم الدار تأوى كل ضيف * اذا ماضاق بالضيف المكان

ثم مررت عليه بعد حين وهو خراب وبه عجوز فسألتها عما كنت رأيت وسمعت فقالت ياعبد الله ان الله يغير ولا يتغير والموت غالب كل مخلوق قد والله دخل بها الحزن وذهب بأهلها الزمان وقال أبو العتاهية

لئن كنت فى الدنيا بصيرا فانما * بلاغك منها مثل زاد المسافر
اذا أبقت الدنيا على المرء دينه * فما فاته منها فليس بضائر

وقال عبد الملك بن عمير رأيت رأس الحسين رضى الله عنه بين يدى ابن زياد فى قصر الكوفة ثم رأيت رأس ابن زياد بين يدى المختار ثم رأيت رأس المختار بين يدى مصعب ثم رأيت رأس مصعب بين يدى عبد الملك قال سفيان فقلت له كم كان بين أوّل الرؤس وآخرها قال اثنتاعشرة سنة وقال الشاعر

ان للدهر صرعة فاحذرنها * لاتبيتن قد أمنت الشرورا
قد يبيت الفتى معافى فيردى * ولقد كان آمنا مسرورا

وكان محمد بن عبد الله بن طاهر فى قصره على الدجلة ينظر فاذا هو بحشيش فى وسط الماء وفى وسطه قصبة على رأسها رقعة فدعا بها فاذا فيها مكتوب شعرا وهو للشافعى رضى الله عنه

تاه الاعيرج واستعلى به البطر * فقل له خير ما استعمله الحذر
احسنت ظنك بالايام اذ حسنت * ولم تخف سوء ما يأتى به القدر
وسالمتك الليالى فاغتررت بها * وعند صفو الليالى يحدث الكدر

قال فما انتفع بنفسه مدة وأعجب ماوجد فى السير خبر القاهر أحد الخلفاء وقلعه من الملك وخروجه الى الجامع فى بطانة جبة بغير ظهارة ومديده يسأل الناس بعد ان كان ملكه لاقطار الارض فتبارك الله يعز من يشاء ويذل من يشاء وقيل كان لمحمد المهلبى قبل اتصاله بالسلطان حال ضعيف فبينما هو فى بعض أسفاره مع رفيق له من أصحاب الحرث والحراث الا أنه من أهل الادب اذ أنشده يقول

ألا موت يباع فأشتريه * فهذا العيش مالاخير فيه
ألا رحم المهيمن نفس حر * تصدق بالوفاة على أخيه

قال فرثى له رفيقه وأحضرله بدرهم ماسد به رمقه وحفظ الابيات وتفرقا ثم ترقى المهلبى الى الوزارة وأخنى الدهر على ذلك الرجل الذى كان رفيقه فتوصل الى ايصال رقعة اليه مكتوب فيها

ألا قل للوزير فدته نفسى * مقالا مذكرا ما قد نسيه
أتذكر اذ تقول لضنك عيش * ألا موت يباع فأشتريه

فلما قرأها تذكر فأمر له بسبعمائة درهم ووقع تحت رقعته مثل الذين ينفقون أموالهم فى سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل فى كل سنبلة مائة حبة ثم قلده عملا يرتزق منه

* ودخل مسلمة بن زيد بن وهب على عبد الملك بن مروان فقال له أى الزمان أدركته أفضل وأى الملوك أكمل فقال أما الملوك فلم أر الا حامدا وذاما وأما الزمان فيرفع أقواما ويضع آخرين وكلهم يذكر أنه يبلى جديدهم ويفرق عديدهم ويهرم صغيرهم ويهلك كبيرهم

وقال حبيب ابن أوس

لم أبك زمن من لم أرض خلته * الا بكيت عليه حين ينصرم

وقال آخر

يا معرضا عنى بوجه مدبر * ووجوه دنياه عليه مقبله
هل بعد حالك هذه من حالة * أو غاية الا انحطاط المنزله

وقال عبد الله بن عروة بن الزبير

ذهب الذين اذا رأونى مقبلا * بشوا الى ورحبوا بالمقبل
وبقيت فى خلف كأن حديثهم * ولغ الكلاب تهارشت فى المنزل

وقال آخر فى معناه

يا منزلا عبث الزمان بأهله * فأبادهم بتفرق لا يجمع
أين الذين عهدتهم بك مرة * كان الزمان بهم يضر وينفع
أيام لا يغشى لذكرك مربع * الا وفيه للمكارم مرتع
ذهب الذين يعاش فى أكنافهم * وبقى الذين حياتهم لا تنفع

وقال اسحق بن ابراهيم الموصلى

وانى رأيت الدهر منذ صحبته * محاسنه مقرونة ومعايبه
اذا سرنى فى أول الامر لم أزل * على حذر من أن تذم عواقبه

وقال بعضهم

ذهب الرجال المقتدى بفعالهم * والمنكرون لكل أمر منكر
وبقيت فى خلف يزين بعضه * بعضا ليدفع معور عن معور
خلف الزمان لتأتين بمثلهم * حنثت يمينك يا زمان فكفر

وكان يقال اذا أدبر الأمر أتى الشر من حيث يأتى الخير وكان يقال بتقلب الدهر تعرف جواهر الرجال ويقال زمام العافية بيد البلاء ورأس السلامة تحت جناح العطب وقال بعضهم نحن فى زمن لا يزداد الخير فيه الا ادبارا والشر الا اقبالا والشيطان فى هلاك الناس الا طمعا اضرب بطرفك حيث شئت هل تنظر الا فقيرا يكابد فقرا أو غنيا بدل نعمة الله كفرا

أو بخيلا اتخذ بحق الله وفرا أو متمردا كأن بسمعه عن سماع المواعظ وقرا * وقال آخر نحن في زمان اذا ذكرنا الموتى حييت القلوب واذا ذكرنا الاحياء ماتت القلوب ويؤيد ذلك قوله صلى الله عليه وسلم لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر أخيه فيقول يا ليتني مكانه ويقال لا يقاوم عز الولاية بذل العزل بيت

ما من مسيء وان طالت اساءته * الا ويكفيك يوم من مساعيه

وقال الامين

يا نفس قد حق الحذر * أين المفر من القدر
كل امرئ مما يخا * ف ويرتجيه على خطر
من يرتشف صفو الزما * ن يغص يوما بالكدر

وقال بعضهم

وقائلة ما بال وجهك قد نضت * محاسنه والجسم بان شحوبه
فقلت لها هاتي من الناس واحدا * صفا وقته والنائبات تنوبه

وللامير أبي علي بن منقذ

أما والذي لا يملك الامر غيره * ومن هو بالسر المكتم أعلم
لئن كان كتمان المصائب مؤلما * لاعلانها عندي أشد وأعظم
وبي كل ما يبكي العيون أقله * وان كنت منه دائما أتبسم

وقال علي بن ابي طالب كرم الله وجهه وايم الله ما كان قوم قط في خفض عيش فزال عنهم الا بذنوب اقترفوها الان الله تعالى ليس بظلام للعبيد ولو ان الناس حين ينزل بهم الفقر ويزول عنهم الغنى فزعوا الى ربهم بصدق نياتهم لرد عليهم كل شارد وأصلح لهم كل فاسد قال الشاعر

يقولون الزمان به فساد * وهم فسدوا وما فسد الزمان

وكفى بالقرآن واعظا قال الله تعالى ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم والله أعلم

(الفصل الثاني في الصبر على المكاره ومدح التثبت وذم الجزع) قد مدح الله تعالى الصبر في كتابه العزيز في مواضع كثيرة وأمر به وجعل أكثر الخيرات مضافا الى الصبر وأثنى على فاعله وأخبر انه سبحانه وتعالى معه وحث على التثبت في الاشياء ومجانبة الاستعجال فيها فمن ذلك قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا استعينوا بالصبر والصلاة ان الله مع الصابرين فبدأ بالصبر قبل الصلاة ثم جعل نفسه مع الصابرين دون المصلين وقوله تعالى انما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب وقوله تعالى وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا وقوله تعالى وتمت كلمة ربك الحسنى على بني اسرائيل بما صبروا وبالجملة فقد ذكر الله سبحانه وتعالى الصبر في كتابه العزيز في نيف وسبعين موضعا وأمر نبيه صلى الله عليه وسلم به فقال تعالى فاصبر كما صبر أولوا العزم من الرسل ولا تستعجل لهم وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم في ذلك أخبار كثيرة فمن ذلك قوله صلى الله عليه وسلم النصر في الصبر وقوله عليه الصلاة والسلام بالصبر يتوقع الفرج وقوله الاناة من الله تعالى والعجلة من الشيطان فمن هداه الله تعالى بنور توفيقه ألهمه الصبر في مواطن طلباته والتثبت في حركاته وسكناته وكثيرا

ما أدرك الصابر مرامه أو كاد وفات المستعجل غرضه أو كاد * وقال الاشعث بن قيس دخلت على أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله عنه فوجدته قد أثر فيه صبره على العبادة الشديدة ليلا ونهارا فقلت يا أمير المؤمنين الى كم تصبر على مكابدة هذه الشدة فما زادنى الا أن قال

اصبر على مضض الادلاج فى السحر * وفى الرواح الى الطاعات فى البكر
انى رأيت وفى الايام تجربة * للصبر عاقبة محمودة الاثر
وقل من جد فى أمر يؤمله * واستصحب الصبر الافاز بالظفر

فحفظتها منه والزمت نفسى الصبر فى الامور فوجدت بركة ذلك وعن أبى سعيد الخدرى وأبى هريرة رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال ما يصيب المسلم من نصب ولا وصب ولا هم ولا حزن ولا أذى ولا غم حتى الشوكة يشاكها الا حط الله بها من خطاياه وعن أنس بن مالك رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا أراد الله بعبده الخير عجل له العقوبة فى الدنيا واذا أراد الله بعبده الشر أمسك عنه بذنبه حتى يوافى به يوم القيامة وقال صلى الله عليه وسلم ان عظم الجزاء مع عظم البلاء وان الله تعالى اذا أحب قوما ابتلاهم فمن رضى فله الرضا ومن سخط فله السخط رواه الترمذى وقال حديث حسن وعن اسحق بن عبد الله بن أبى فروة عن أنس بن مالك قال قال النبى صلى الله عليه وسلم الضرب على الفخذ عند المصيبة يحبط الاجر والصبر عند الصدمة الاولى وعظم الاجر على قدر المصيبة ومن استرجع بعد مصيبته جدد الله له أجرها كيوم أصيب بها وروى عن على ابن أبى طالب رضى الله عنه أنه قال احفظوا عنى خمسا ثنتين وثنتين وواحدة لا يخافن أحدكم الا ذنبه ولا يرجو الا ربه ولا يستحى أحد منكم اذا سئل عن شئ وهو لا يعلم أن يقول لا أعلم واعلموا ان الصبر من الامور بمنزلة الرأس من الجسد اذا فارق الرأس الجسد فسد الجسد واذا فارق الصبر الامور فسدت الامور وأيما رجل حبسه السلطان ظلما فمات فى حبسه مات شهيدا فان ضربه فمات فهو شهيد وروى فى الخبر لما نزل قوله تعالى من يعمل سوأ يجز به قال أبو بكر الصديق رضى الله عنه يا رسول الله كيف الفرح بعد هذه الآية فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم غفر الله لك يا أبا بكر أليس تمرض أليس يصيبك الاذى أليس تحزن قال بلى يا رسول الله قال فهذا ما تجزون به يعنى جميع ما يصيبك من سوء يكون كفارة لك وبهذا اتضح لك ان العبد لا يدرك منزلة الاخيار الا بالصبر على الشدة والبلاء وروى عن ابن مسعود رضى الله عنه أنه قال بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلى عند الكعبة وأبو جهل وأصحابه جلوس وقد نحرت جزور بالامس فقال أبو جهل لعنه الله أيكم يقوم الى سلا الجزور فيلقيه على كتفى محمد اذا سجد فانبعث أشقى القوم فأخذه وأتى به فلما سجد صلى الله عليه وسلم وضع بين كتفيه السلا والفرث والدم فضحكوا ساعة وأنا قائم أنظر فقلت لو كان لى منعة لطرحته عن ظهر رسول الله صلى الله عليه وسلم والنبى صلى الله عليه وسلم ساجدا ما يرفع رأسه حتى انطلق انسان فأخبر فاطمة رضى الله عنها فجاءت فطرحته عن ظهره ثم أقبلت عليهم فسبتهم فلما قضى صلى الله عليه وسلم الصلاة رفع

يديه فدعا عليهم فقال اللهم عليك بقريش ثلاث مرات فلما سمع القوم صوته ودعاءه ذهب عنهم الضحك وخافوا دعوته فقال اللهم عليك بأبي جهل وعقبة وشيبة وربيعة والوليد وأمية ابن خلف فقال علي رضي الله عنه والذي بعث محمدا بالحق رأيت الذين سماهم صرعى يوم بدر وكان الصالحون يفرحون بالشدة لاجل غفران الذنوب لان فيها كفارة السيآت ورفع الدرجات وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ثلاث من رزقهن فقد رزق خيرى الدنيا والآخرة الرضا بالقضاء والصبر على البلاء والدعاء في الرخاء (وحكى) ان امرأة من بني اسرائيل لم يكن لها الا دجاجة فسرقها سارق فصبرت وردت أمرها الى الله تعالى ولم تدع عليه فلما ذبحها السارق ونتف ريشها نبت جميعه في وجهه فسعى في ازالته فلم يقدر على ذلك الى أن أتى حبرا من أحبار بني اسرائيل فشكاله فقال لا أجد لك دواء الا أن تدعو عليك هذه المرأة فارسل اليها من قال لها أين دجاجتك فقالت سرقت فقال لقد آذاك من سرقها قالت قد فعل ولم تدع عليه قال وقد فجعك في بيضها قالت هو كذلك فما زال بها حتى أثار الغضب منها فدعت عليه فتساقط الريش من وجهه فقيل لذلك الحبر من أين علمت ذلك قال لانها لما صبرت ولم تدع عليه انتصر الله لها فلما انتصرت لنفسها ودعت عليه سقط الريش من وجهه فالواجب على العبد أن يصبر على ما يصيبه من الشدة ويحمد الله تعالى ويعلم ان النصر مع الصبر وان مع العسر يسرا وان المصائب والرزايا اذا توالت أعقبها الفرج والفرج عاجلا ومن أحسن ما قيل في ذلك من المنظوم

واذا مسك الزمان بضر * عظمت دونه الخطوب وجلت
وأتت بعده نوائب أخرى * سئمت نفسك الحياة وملت
فاصطبر وانتظر بلوغ الاماني * فالرزايا اذا توالت تولت
واذا أوهنت قواك وجلت * كشفت عنك جملة وتخلت

ولمحمد بن بشر الخارجي

ان الامور اذا استدت مسالكها * فالصبر يفتح منها كل مارتجا
لا تيأسن وان طالت مطالبة * اذا استعنت بصبر أن ترى فرجا

ولزهير بن أبي سلمى

ثلاث يعز الصبر عند حلولها * ويذهل عنها عقل كل لبيب
خروج اضطرار من بلاد يحبها * وفرقة اخوان وفقد حبيب

وقال بعضهم

عليك باظهار التجلد للعدا * ولا تظهرن منك الذبول فتحقرا
أما تنظر الريحان يشمم ناضرا * ويطرح في البيدا اذا ما تغيرا

ولابن نباتة

صبرا على نوب الزما * ن وان أبى القلب الجريح
فلكل شئ آخر * اما جميل أو قبيح *

وقال أبو الاسود وأجاد

وان امرأ قد جرب الدهر لم يخف * تقلب عصريه لغير لبيب

وما الدهر والايام الا كما ترى * رزية مال أو فراق حبيب

ومن كلام الحكماء ما جوهد الهوى بمثل الرأى ولا استنبط الرأى بمثل المشورة ولا حفظت النعم بمثل المواساة ولا اكتسبت البغضاء بمثل الكبر وما استنجحت الامور بمثل الصبر وقال نهشل

ويوم كأن المصطلين بحره * وان لم يكن نار قيام على الجمر

صبرنا له صبرا جميلا وانما * تفرج أبواب الكريهة بالصبر

وقال ابن طاهر

حذرتنى وذا الحذر * ليس يغنى من القدر

ليس من يكتم الهوى * مثل من باح واشتهر

انما يعرف الهوى * من على مره صبر

نفس يا نفس فاصبرى * فاز بالصبر من صبر

وكان يقال من تبصر تصبر وكان يقال ان نوائب الدهر لا تدفع الا بعزائم الصبر وكان يقال لا دواء لداء الدهر الا بالصبر ولله در القائل

الدهر أدبنى والصبر ربانى * والقوت اقنعنى واليأس أغنانى

وحنكتنى من الايام تجربة * حتى نهيت الذى قد كان ينهانى

وما أحسن ما قال محمود الوراق

انى رأيت الصبر خير معول * فى النائبات لمن أراد معولا

ورأيت أسباب القناعة أكدت * بعرا الغنى فجعلتها لى معقلا

فاذا نبا بى منزل جاوزته * وجعلت منه غيره لى منزلا

واذا غلا الشئ على تركته * فيكون أرخص ما يكون اذا غلا

وقال بعضهم

اذا ما أتاك الدهر يوما بنكبة * فأفرغ لها صبرا ووسع لها صدرا

فان تصاريف الزمان عجيبة * فيوما ترى يسرا ويوما ترى عسرا

وقال بعضهم

وما مسنى عسر ففوضت أمره * الى الملك الجبار الا تيسرا

وما أحسن ما قيل

الدهر لا يبقى على حالة * لا بد ان يقبل أو يدبر

فان تلقاك بمكروهه * فاصبر فان الدهر لا يصبر

ونقل عن محمد بن الحسن رحمه الله تعالى قال كنت معتقلا بالكوفة فخرجت يوما من السجن مع بعض الرجال وقد زاد همى وكادت نفسى ان تزهق وضاقت على الارض بما رحبت واذا برجل عليه آثار العبادة قد أقبل على ورأى ما أنا فيه من الكآبة فقال ما حالك فاخبرته القصة فقال الصبر الصبر فقد روى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال الصبر ستر للكروب وعون على الخطوب وروى عن ابن عمه على رضى الله عنه انه قال الصبر مطية لا تدبر

وسيف لا يكل وأنا أقول

ما أحسن الصبر في الدنيا وأجمله * عند الاله وانجاه من الجزع
من شد بالصبر كفا عند مؤلمة * ألوت يداه بحبل غير منقطع

فقلت له بالله عليك زدني فقد وجدت بك راحة فقال ما يحضرني شيء عن النبي صلى الله عليه وسلم ولكني أقول

أما والذي لا يعلم الغيب غيره * ومن ليس في كل الامور له كفو
لئن كان بدء الصبر مرا مذاقه * لقد يجتني من بعده الثمر الحلو

ثم ذهب فسألت عنه فما وجدت احدا يعرفه ولا رآه احد قبل ذلك في الكوفة ثم أخرجت في ذلك اليوم من السجن وقد حصل لي سرور عظيم بما سمعت منه وانتفعت به ووقع في نفسي انه من الابدال الصالحين قيضه الله تعالى لي يوقظني ويؤدبني ويسليني * وقيل ان رجلا كان يضرب بالسياط ويجلد جلدا بليغا ولم يتكلم ويصبر ولم يتأوه فوقف عليه بعض مشايخ الطريقة فقال له اما يؤلمك هذا الضرب الشديد فقال بلى قال لم لا تصيح فقال ان في هذا القوم الذين وقفوا على صديقا لي يعتقد في الشجاعة والجلادة وهو يرقبني بعينه فأخشى ان صحت يذهب ماء وجهي عنده ويسوء ظنه بي فانا أصبر على شدة الضرب وأحتمله لاجل ذلك قال الشاعر

على قدر فضل المرء تأتي خطوبه * ويحمد منه الصبر مما يصيبه
فمن قل فيما يلتقيه اصطباره * لقد قل فيما يرتجيه نصيبه

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعائشة رضي الله عنها يا عائشة ان الله تعالى لم يرض من أولي العزم من الرسل الا بالصبر ولم يكلفني الا ما كلفوا به فقال عز وجل فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل واني والله لاصبرن كما صبروا فان النبي صلى الله عليه وسلم لما صبر كما أمر أسفر وجه صبره عن ظفره ونصره وكذلك الرسل صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين الذين هم أولو العزم لما صبروا ظفروا وانتصروا وقد اختلف أهل العلم فيهم على أقوال كثيرة فقال مقاتل رضي الله عنه هم نوح وابراهيم واسحق ويعقوب ويونس وأيوب صلوات الله عليهم وقال قتادة هم نوح وابراهيم وموسى وعيسى عليهم السلام ويقال ما الذي صبروا عليه حتى سماهم الله تعالى أولي العزم فأقول (ذكر ما صبروا عليه) أما نوح عليه السلام فقد قال ابن عباس رضي الله عنهما كان نوح عليه السلام يضرب ثم يلف في لبد ويلقى في بيته يرون انه قد مات ثم يعود ويخرج الى قومه ويدعوهم الى الله تعالى ولما أيس منهم ومن ايمانهم جاءه رجل كبير يتوكأ على عصاه ومعه ابنه فقال لابنه يا بني انظر الى هذا الشيخ واعرفه ولا يغرنك فقال له ابنه يا أبت مكني من العصا فاخذها من ابيه وضرب بها نوحا عليه السلام شج بها رأسه وسال الدم على وجهه فقال رب قد ترى ما يفعل بي عبادك فان يكن لك فيهم حاجة فاهدهم والا فصبرني الى أن تحكم فأوحى الله تعالى اليه انه لن يؤمن من قومك الا من قد آمن فلا تبتئس بما كانوا يفعلون واصنع الفلك قال يا رب وما الفلك قال بيت من خشب يجري على وجه الماء أنجي فيه أهل طاعتي وأغرق أهل معصيتي قال يا رب وأين الماء قال

آناعلى كل شئ قدير قال يارب وأين الخشب قال اغرس الخشب فغرس الساج عشرين سنة
وكف عن دعائهم وكفوا عن ضربه الا أنهم كانوا يستهزؤن به فلما أدرك الشجر أمره ربه
فقطعها وجففها وقال يارب كيف أتخذ هذا البيت قال اجعله على ثلاث صور وبعث
الله له جبريل فعلمه وأوحى الله تعالى اليه أن عجل بعمل السفينة فقد اشتد غضبي على من
عصاني فلما فرغت السفينة جاء أمر الله سبحانه وتعالى بانتصار نوح ونجاته واهلاك قومه
وعذابهم الا من آمن معه وفار التنور وظهر الماء على وجه الارض وقذفت السماء بأمطار
كأفواه القرب حتى عظم الماء وصارت أمواجه كالجبال وعلا فوق أعلى جبل في الارض
أربعين ذراعا وانتقم الله سبحانه وتعالى من الكافرين ونصر نبيه نوحا عليه السلام وفي تمام
قصته وحديث السفينة كلام مبسوط لاهل التفسير ليس هذا موضع شرحه وبسطه فهذا
زبدة صبر نوح عليه السلام وانتصاره على قومه وأما ابراهيم عليه السلام فانه لما كسر أصنام
قومه التي كانوا يعبدونها لم يروا في قتله ونصرة آلهتهم أبلغ من احراقه فأخذوه وحبسوه
ببيت ثم بنوا حائزا كالحوش طول جداره ستون ذراعا الى سفح جبل عال ونادى منادي
ملكهم أن احتطبوا لاحراق ابراهيم ومن تخلف عن الاحتطاب أحرقه فلم يتخلف منهم أحد
وفعلوا ذلك أربعين يوما ليلا ونهارا حتى كاد الحطب يساوي رؤس الجبال وسدوا أبواب
ذلك الحائز وقذفوا فيه النار فارتفع لهبها حتى كان الطائر يمر بها فيحترق من شدة لهبها ثم بنوا
بنيانا شامخا وبنوا فوقه منجنيقا ثم رفعوا ابراهيم على رأس البنيان فرفع ابراهيم عليه
السلام طرفه الى السماء ودعا الله تعالى وقال حسبي الله ونعم الوكيل وقيل كان عمره يومئذ
ستة وعشرين سنة فنزل اليه جبريل عليه السلام وقال يا ابراهيم ألك حاجة قال أما اليك فلا
فقال جبريل سل ربك فقال حسبي من سؤالي علمه بحالي فقال الله تعالى يانار كوني بردا
وسلاما على ابراهيم فلما قذفوه فيها نزل معه جبريل عليه السلام فجلس به على الارض وأخرج
الله له ماء عذبا قال كعب ما أحرقت النار غير كتافه وأقام في ذلك الموضع سبعة أيام وقيل
اكثر من ذلك ونجاه الله تعالى ثم أهلك نمروذ وقومه بأخس الاشياء وانتقم منهم وظفر ابراهيم
عليه السلام بهم فهذه ثمرة صبره على مثل هذه الحالة العظمى ولم يجزع منها وصبر وفوض
أمره الى الله تعالى في ذلك وتوكل عليه ووثق به ثم جاءته قصة ذبح ولده وأمره الله تعالى بذلك
فقابل أمره بالتسليم والامتثال وسارع الى ذبحه من غير اهمال ولا امهال وقصته مشهورة
وتفاصيل القصة في كتب التفسير مسطورة فلما ظهر صدقه ورضاه ومبادرته الى طاعة مولاه
وصبره على ما قدره وقضاه عوضه الله تعالى عن ذبح ولده أن فداه واتخذه خليلا من بين
خلقه واجتباه * وأما الذبيح صلوات الله وسلامه عليه فانه صبر على بلية الذبح وتلخيصها أن
الله تعالى لما ابتلى ابراهيم عليه السلام بذبح ولده قال انى أريد أن أقرب قربانا فأخذ ولده
والسكين والحبل وانطلق فلما دخل بين الجبال قال ابنه أين قربانك يا أبت قال ان الله تعالى
قد أمرني بذبحك فانظر ماذا ترى قال يا أبت افعل ما تؤمر ستجدني ان شاء الله من الصابرين
يا أبت اشدد وثاقي كي لا أضطرب واجمع ثيابك حتى لا يصل اليها رشاش الدم فتراه أمي
فيشتد حزنها وأسرع امرار السكين على حلقي ليكون أهون للموت علي واذا لقيت أمي فاقرأ

السلام عليها فاقبل ابراهيم عليه السلام على ولده يقبله ويبكي ويقول نعم العون أنت يا بني على ما أمر الله تعالى قال مجاهد لما أمر السكين على حلقه انقلبت السكين فقال يا أبت اطعن بها طعنا وقال السدي جعل الله حلقه كصفيحة من نحاس لا تعمل فيها السكين شيأ فلما ظهر فيهما صدق التسليم نودي أن يا ابراهيم هذا فداء ابنك فأتاه جبريل عليه السلام بكبش أملح فأخذه وأطلق ولده وذبح الكبش فلا جرم ان جعل الذبيح نبيا بصبره وامتثاله لامره * وأما يعقوب عليه الصلاة والسلام فانه لما ابتلى بفراق ولده وذهاب بصره واشتداد حزنه قال فصبر جميل وكذلك يوسف صلاة الله وسلامه عليهم أجمعين لما ابتلاه الله تعالى بالقائه في ظلمة الجب وبيعه كما تباع العبيد وفراقه لابيه وادخاله السجن وحبسه فيه بضع سنين وانه تلقى ذلك كله بصبره وقبوله فلا جرم أورثهما صبرهما جمع شملهما واتساع القدرة بالملك في الدنيا مع ملك النبوة في الآخرة وأما أيوب عليه الصلاة والسلام فانه ابتلاه الله تعالى بهلاك أهله وماله وتتابع المرض المزمن والسقم المهلك حتى أفضى أمره الى ما تضعف القوى البشرية عن حمله * ولنذكر شيأ مختصرا من ذلك وهو أن ملكا من ملوك بني اسرائيل كان يظلم الناس فنهاه جماعة من الانبياء عن الظلم وسكت عنه أيوب عليه السلام فلم يكلمه ولم ينهه لاجل خيل كانت له في مملكته فأوحى الله تعالى الى أيوب عليه السلام تركت نهيه عن الظلم لاجل خيلك لاطيلن بلاءك فقال ابليس لعنه الله يا رب سلطني على أولاده وماله فسلطه فبث ابليس مردته من الشياطين فبعث بعضهم الى دوابه ورعاتها فاحتملوها جميعا وقذفوها في البحر وبعث بعضهم الى زرعه وجنانه فأحرقوها وبعث بعضهم الى منازله وفيها أولاده وكانوا ثلاثة عشر ولدا وخدمه وأهله فزلزلوها فهلكوا ثم جاء ابليس الى أيوب عليه السلام وهو يصلي فتمثل له في صورة رجل من غلمانه فقال يا أيوب أنت تصلي ودوابك ورعاتك قد هبت عليها ريح عظيمة وقذفت الجميع في البحر وأحرقت زرعك وهدمت منازلك على أولادك وأهلك فهلك الجميع ما هذه الصلاة فالتفت اليه وقال الحمد لله الذي أعطاني ذلك كله ثم قبله مني ثم قام الى صلاته فرجع ابليس ثانيا فقال يا رب سلطني على جسده فسلطه فنفخ في ابهام رجله فانتفخ ولا زال يسقط لحمه من شدة البلاء الى أن بقي امعاؤه تبين وهو مع ذلك كله صابر محتسب مفوض أمره الى الله تعالى وكان الناس قد هجروه واستقذروه وألقوه خارجا عن البيوت من نتن ريحه وكانت زوجته رحمة بنت يوسف الصديق قد سلمت فترددت اليه متفقدة فجاءها ابليس يوما في صورة شيخ ومعه سخلة وقال لها يذبح أيوب هذه السخلة على اسمي فيبرأ فجاءته فأخبرته فقال لها ان شفاني الله تعالى لاجلدنك مائة جلدة تأمريني أن أذبح لغير الله تعالى فطردها عنه فذهبت وبقي ليس له من يقوم به فلما رأى انه لا طعام له ولا شراب ولا أحد من الناس يتفقده خر ساجدا لله تعالى وقال رب اني مسني الضر وأنت أرحم الراحمين فلما علم الله تعالى منه ثباته على هذه البلوى طول هذه المدة وهي على ما قيل ثمان عشرة سنة وقيل غير ذلك وانه تلقى جميع ذلك بالقبول وما شكا الى مخلوق ما نزل به عاد الله تعالى بألطافه عليه فقال تعالى فكشفنا ما به من ضر وآتيناه أهله ومثلهم معهم رحمة من عندنا وافاض عليه من نعمه

ما أنساه به البلوى نقمه ومنحه من أقسام كرمه أن أفتاه في محنته تحلة قسمه ومدحه في نص الكتاب فقال تعالى وخذ بيدك ضغثا فاضرب به ولا تحنث انا وجدناه صابرا نعم العبد انه أوّاب فلولم يكن الصبر من أعلى المراتب وأسنى المواهب لما أمر الله تعالى به رسله ذوى الحزم وسماهم بسبب صبرهم أولى العزم وفتح لهم بصبرهم أبواب مرادهم وسؤالهم ومنحهم من لدنه غاية أمرهم ومأمولهم ومرامهم فما أسعد من اهتدى بهداهم واقتدى بهم وان قصر عن مداهم وقيل العسر يعقبه اليسر والشدة يعقبها الرخاء والتعب يعقبه الراحة والضيق يعقبه السعة والصبر يعقبه الفرج وعند تناهى الشدة تنزل الرحمة والموفق من رزقه صبرا وأجرا والشقى من ساق القدر اليه جزعا ووزرا * ومما شنف السمع من نجح هذه الاشارة وأتحف النفع فى نهج هذه العبارة ماروى عن الحسن البصرى رضى الله عنه قال كنت بواسط فرأيت رجلا كانه قد نبش من قبر فقلت ماد هاك يا هذا فقال اكتم على أمرى حبسنى الحجاج منذ ثلاث سنين فكنت فى أضيق حال وأسوأ عيش وأقبح مكان وأنا مع ذلك كله صابر لا أتكلم فلما كان بالامس أخرجت جماعة كانوا معى فضربت رقابهم وتحدث بعض أعوان السجن أن غدا تضرب عنقى فأخذنى حزن شديد وبكاء مفرط وأجرى الله تعالى على لسانى فقلت الهى اشتدّ الضر وفقد الصبر وأنت المستعان ثم ذهب من الليل أكثره فأخذتنى غشية وأنا بين اليقظان والنائم اذ أتانى آت فقال لى قم فصل ركعتين وقل يا من لا يشغله شئ عن شئ يامن أحاط علمه بما ذرأ وبرأ أنت عالم بخفيات الامور ومحصى وساوس الصدور وأنت بالمنزل الاعلى وعلمك محيط بالمنزل الادنى تعاليت علوا كبيرا يامغيث أغثنى وفك أسرى واكشف ضرى فقد نفد صبرى فقمت وتوضأت فى الحال وصليت ركعتين وتلوت ماسمعته منه ولم تختلف علىّ منه كلمة واحدة فما تم القول حتى سقط القيد من رجلى ونظرت الى أبواب السجن فرأيتها قد فتحت فقمت فخرجت ولم يعارضنى أحد فأنا والله طليق الرحمن وأعقبنى الله بصبرى فرجا وجعل لى من ذلك الضيق مخرجا ثم ودّعنى وانصرف يقصد الحجاز * وفيما يروى عن الله تعالى انه أوحى الى داود عليه السلام ياداود من صبر علينا وصل الينا وقال بعض الرواة دخلت مدينة يقال لها دقار فبينما أنا أطوف فى خرابها اذ رأيت مكتوبا بباب قصر خرب بماء الذهب واللازورد هذه الابيات

يامن ألحّ عليه الهم والفكر * وغيرت حاله الايام والغير
أما سمعت لما قد قيل فى مثل * عند الاياس فأين الله والقدر
ثم الخطوب اذا أحداثها طرقت * فاصبر فقد فاز أقوام بما صبروا
وكل ضيق سيأتى بعده سعة * وكل فوت وشيك بعده الظفر

ولما حبس أبو أيوب فى السجن خمس عشرة سنة ضاقت حيلته وقل صبره فكتب الى بعض اخوانه يشكو اليه طول حبسه وقلة صبره فرد عليه جواب رقعته يقول

صبرا أبا أيوب صبر مبرح * واذا عجزت عن الخطوب فمن لها
ان الذى عقد الذى انعقدت به * عقد المكاره فيك يملك حلها
صبرا فان الصبر يعقب راحة * ولعلها أن تنجلى ولعلها

فأجابه أبو أيوب يقول

صبرتني ووعظتني وأنا لها * وستنجلي بل لا أقول لعلها
ويحلها من كان صاحب عقدها * كرماً به اذ كان يملك حلها

فلبث بعد ذلك أياماً حتى أطلق مكرماً وأنشدوا

اذا ابتليت فثق بالله وارض به * ان الذي يكشف البلوى هو الله
اليأس يقطع أحياناً بصاحبه * لا تيأسن فان الصانع الله
اذا قضى الله فاستسلم لقدرته * فما ترى حيلة فيما قضى الله

(الفصل الثالث من هذا الباب في التأسي في الشدة والتسلي عن نوائب الدهر)

قال الثوري رحمه الله تعالى لم يفقه عندنا من لم يعد البلاء نعمة والرخاء مصيبة وقيل الهموم التي تعرض للقلوب كفارات للذنوب وسمع حكيم رجلاً يقول لآخر لا أراك الله مكروها فقال كأنك دعوت عليه بالموت فان صاحب الدنيا لا بد له أن يرى مكروها وتقول العرب ويل أهون من ويلين وقال ابن عيينة الدنيا كلها غموم فما كان فيها من سرور فهو ربح وقال العتبي اذا تناهى الغم انقطع الدمع بدليل أنك لا ترى مضروبا بالسياط ولا مقدما لضرب العنق يبكي وقيل تزوج مغن بنائحة فسمعها تقول اللهم أوسع لنا في الرزق فقال لها يا هذه انما الدنيا فرح وحزن وقد أخذنا بطرفي ذلك فان كان فرح دعوني وان كان حزن دعوك وقال وهب بن منبه اذا سلك بك طريق البلاء سلك بك طريق الانبياء وقال مطرف ما نزل بي مكروه قط فاستعظمته الا ذكرت ذنوبي فاستصغرته * وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه يرفعه يود أهل العافية يوم القيامة ان لحومهم كانت تقرض بالمقاريض لما يرون من ثواب الله تعالى لأهل البلاء * وروى أبو عتبة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا أحب الله عبداً ابتلاه فاذا أحبه الحب البالغ اقتناه قالوا وما اقتناه قال لا يترك له مالا ولا ولدا ومر موسى عليه السلام برجل كان يعرفه مطيعاً لله عز وجل قد مزقت السباع لحمه واضلاعه وكبده ملقاة على الارض فوقف متعجباً فقال أي رب عبدك ابتليته بما أرى فاوحى الله تعالى اليه انه سألني درجة لم يبلغها بعمله فأحببت أن ابتليه لابلغه تلك الدرجة * وكان عروة بن الزبير صبوراً حين ابتلي (حكي) انه خرج الى الوليد بن يزيد فوطئ عظماً فما بلغ الى دمشق حتى بلغ به كل مذهب فجمع له الوليد الاطباء فأجمع رأيهم على قطع رجله فقالوا له اشرب مرقداً فقال ما أحب ان أغفل عن ذكر الله تعالى فأحمي له المنشار وقطعت رجله فقال ضعوها بين يدي ولم يتوجع ثم قال لئن كنت ابتليت في عضو فقد عوفيت في أعضاء فبينما هو كذلك اذ أتاه خبر ولده انه أطلع من سطح على دواب الوليد فسقط بينها فمات فقال الحمد لله على كل حال لئن أخذت واحداً لقد أبقيت جماعة وقدم على الوليد وفد من عبس فيهم شيخ ضرير فسأله عن حاله وسبب ذهاب بصره فقال خرجت مع رفقة مسافرين ومعي مالي وعيالي ولا أعلم عبسياً يزيد ماله على مالي فعرسنا في بطن واد فطرقنا سيل فذهب ما كان لي من أهل ومال وولد غير صبي صغير وبعير فشرد البعير فوضعت الصغير على الارض ومضيت لآخذ البعير فسمعت صيحة الصغير فرجعت اليه فاذا رأس الذئب

في بطنه وهو يأكل فيه فرجعت الى البعير فلطم وجهي برجليه فذهبت عيناي فأصبحت بلا عينين ولا ولد ولا مال ولا أهل فقال الوليد اذهبوا به الى عروة ليعلم أن في الدنيا من هو أعظم مصيبة منه وقيل الحوادث الممضة مكسبة لحظوظ جليلة اما ثواب مدخر أو تطهير من ذنب أو تنبيه من غفلة أو تعريف لقدر النعمة قال البحتري يسلي محمد بن يوسف على حبسه

وما هذه الايام الا منازل * فمن منزل رحب الى منزل ضنك
وقد هذبتك الحادثات وانما * صفا الذهب الابريز قبلك بالسبك
أما في نبي الله يوسف اسوة * لمثلك محبوس على الظلم والافك
أقام جميل الصبر في السجن برهة * فآل به الصبر الجميل الى الملك

وقال علي بن الجهم لما حبسه المتوكل

قالوا حبست فقلت ليس بضائري * حبسي وأي مهند لا يغمد
والشمس لولا انها محجوبة * عن ناظريك لما أضاء الفرقد
والنار في أحجارها مخبوأة * لا تصطلى ان لم تثرها الازند
والحبس مالم تغشه لدنية * شنعاء نعم المنزل المتوردد
بيت يجدد للكريم كرامة * ويزار فيه ولا يزور ويحمد
لو لم يكن في الحبس الا أنه * لا تستذلك بالحجاب الاعبد
غير الليالي باديات عود * والمال عارية يعار وينفد
ولكل حي معقب ولربما * أجلى لك المكروه عما يحمد
لا يؤيسنك من تفرج نكبة * خطب رماك به الزمان الانكد
كم من عليل قد تخطاه الردى * فنجى ومات طبيبه والعود
صبرا فان اليوم يعقبه غد * ويد الخلافة لا تطاولها يد

قال وأنشد اسحق الموصلي ابراهيم بن المهدي حين حبس

هي المقادير تجري في أعنتها * فاصبر فليس لها صبر على حال
يوما تريك خسيس الاصل ترفعه * الى العلاء ويوما تخفض العالي

فما أمسى حتى وردت عليه الخلع السنية من المأمون ورضي عنه وقال ابراهيم بن عيسى الكاتب في ابراهيم بن المدني حين عزل

ليهن أبا اسحق أسباب نعمة * مجددة بالعزل والعزل انبل
شهدت لقد منوا عليك وأحسنوا * لانك يوم العزل أعلى وأفضل

وقال آخر

قد زال ملك سليمان فعاوده * والشمس تنحط في المجرى وترتفع

وقال أبو بكر الخوارزمي لمعزول الحمد لله الذي ابتلى في الصغير وهو المال وعافى في الكبير وهو الحال

ولا عار ان زالت عن الحر نعمة * ولكن عارا أن يزول التجمل

وقيل المال حظ ينقص ثم يزيد وظل ينحسر ثم يعود وسئل بزرجمهر عن حاله في نكبته فقال

عولت على أربعة أشياء أولها أنى قلت القضاء والقدر لا بد من جريانهما الثانى أنى قلت ان لم أصبر فما أصنع الثالث أنى قلت قد كان يجوز أن يكون أعظم من هذا الرابع أنى قلت لعل الفرج قريب والله تعالى أعلم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

الباب السابع والخمسون ماجاء فى اليسر بعد العسر والفرج بعد الشدة والفرح والسرور ونحو ذلك مما يتعلق بهذا الباب

فمما يليق بهذا الباب من كتاب الله عز وجل قوله تعالى سيجعل الله بعد عسر يسرا وقوله تعالى وهو الذى ينزل الغيث من بعد ماقنطوا وينشر رحمته وهو الولى الحميد وقوله تعالى حتى اذا استيأس الرسل وظنوا أنهم قد كذبوا جاءهم نصرنا فنجى من نشاء ويروى عن ابن مسعود رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال لو كان العسر فى جحر لدخل عليه اليسر حتى يخرجه وقال عليه الصلاة والسلام عند تناهى الشدة يكون الفرج وعند تضايق البلاء يكون الرخاء وقال على رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم أفضل عبادة أمتى انتظارها فرج الله تعالى وقال الحسن لما نزل قوله تعالى فان مع العسر يسرا ان مع العسر يسرا قال النبى صلى الله عليه وسلم أبشروا فلن يغلب عسر يسرين ومن كلام الحكماء ان تيقنت لم يبق هم وقال أبو حاتم

اذا اشتملت على اليؤس القلوب * وضاق بما به الصدر الرحيب
وأوطنت المكاره واطمأنت * وأرست فى مكامنها الخطوب
ولم تر لانكشاف الضر وجها * ولا أغنى بحيلته الأريب
أتاك على قنوط منك غوث * يمن به اللطيف المستجيب

وقال آخر

عسى الهم الذى أمسيت فيه * يكون وراءه فرج قريب
فيأمن خائف ويغاث عان * ويأتى أهله النائى الغريب

وقال آخر

تصبر أيها العبد اللبيب * لعلك بعد صبرك ماتخيب
وكل الحادثات اذا تناهت * يكون وراءها فرج قريب

وقال ابراهيم بن العباس

ولرب نازلة يضيق بها الفتى * ذرعا وعند الله منها المخرج
ضاقت فلما استحكمت حلقاتها * فرجت وكان يظنها لا تفرج

وقال آخر

لئن صدع البين المشتت شملنا * فللبين حكم فى الجموع صدوع
وللنجم من بعد الرجوع استقامة * وللشمس من بعد الغروب طلوع
وان نعمة زالت عن الحر وانقضت * فان لها بعد الزوال رجوع
فكن واثقا بالله واصبر لحكمه * فان زوال الشر عنك سريع

(ولنذكر نبذة ممن حصل له الفرج بعد الشدة) روى أن الوليد بن عبد الملك كتب الى

صالح بن عبد الله عامله على المدينة المنورة ان أخرج الحسن بن الحسن بن على من السجن وكان محبوسا واضربه فى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم خمسمائة سوط فأخرجه الى المسجد واجتمع الناس وصعد صالح يقرأ عليهم الكتاب ثم نزل يأمر بضربه فبينما هو يقرأ الكتاب اذ جاء على بن الحسين عليه السلام فأفرج له الناس حتى أتى الى جنب الحسن فقال يا ابن العم مالك ادع الله تعالى بدعاء الكرب يفرج الله عنك قال ماهو يا ابن العم فقال لا اله الا الله الحليم الكريم لا اله الا الله العلى العظيم سبحان رب السموات السبع ورب العرش العظيم الحمد لله رب العالمين ثم انصرف عنه وأقبل الحسن يكررها فلما فرغ صالح من قراءة الكتاب ونزل قال أراه فى سحنته مظلوما أخروه وأنا أراجع أمير المؤمنين فى أمره فأطلق بعد أيام وأتاه الفرج من عند الله تعالى وقال الربيع لما حبس المهدى موسى ابن جعفر رأى فى المنام عليا رضى الله عنه وهو يقول يا محمد فهل عسيتم ان توليتم أن تفسدوا فى الارض وتقطعوا أرحامكم قال الربيع فأرسل المهدى الى ليلا فراعنى ذلك فجئته فاذا هو يقرأ هذه الآية وكان حسن الصوت فقص على الرؤيا ثم قال ائتنى بموسى بن جعفر فجئته به فعانقه وأجلسه الى جانبه وقال يا أبا الحسن رأيت أمير المؤمنين يقرأ على كذا فعاهدنى أن لا تخرج على ولا على أحد من ولدى فقال والله ماذاك من شأنى فقال صدقت ثم قال يا ربيع أعطه ثلاثة آلاف دينار ورده الى أهله بالمدينة قال الربيع فأحكمت أمره ليلا فما أصبح الا على الطريق وقال اسمعيل بن بشار

وكل حزوان طالت بليته * يوما تفرج غمّاه وتنكشف

وقال مسلم بن الوليد كنت يوما جالسا عند خياط بازاء منزلى فرّبى انسان أعرفه فقمت اليه وسلمت عليه وجئت به الى منزلى لاضيفه وليس معى درهم بل كان عندى زوج أخفاف فارسلتهما مع جاريتى لبعض معارفى فباعهما بتسعة دراهم واشترى بهاما قلته لها من الخبز واللحم فجلسنا نأكل واذا بالباب يطرق فنظرت من شق الباب واذا بانسان يسأل هذا منزل فلان ففتحت الباب وخرجت فقال أنت مسلم بن الوليد فقلت نعم واستشهدت له بالخياط على ذلك فاخرج لى كتابا وقال هذا من الامير يزيد بن مزيد فاذا فيه قد بعثنا لك بعشرة آلاف درهم لتكون فى منزلك وثلاثة آلاف درهم تتحمل بها القدوم علينا فادخلته الى دارى وزدت فى الطعام واشتريت فاكهة وجلسنا فأكلنا ثم وهبت لضيفى شيأ يشترى به هدية لاهله وتوجهنا الى باب يزيد بالرقة فوجدناه فى الحمام فلما خرج استؤذن لى عليه فدخلت فاذا هو جالس على كرسى وبيده مشط يسرح به لحيته فسلمت عليه فرد أحسن رد وقال ما الذى أقعدك عنا فقلت قلة ذات اليد وأنشدته قصيدة مدحته بها قال أتدرى لم أحضرتك قلت لا أدرى قال كنت عند الرشيد منذ ليال أحادثه فقال لى يا يزيد من القائل فيك هذه الابيات

سلّ الخليفة سيفا من بنى مضر * يمضى فيخترق الاجسام والهاما

كالدهر لا ينثنى عما يهم به * قد أوسع الناس انعاما وارغاما

فقلت والله لا أدرى يا أمير المؤمنين فقال سبحان الله أيقال فيك مثل هذا ولا تدرى من

قال له فسألت فقيل لي هو مسلم بن الوليد فأرسلت اليك فانهض بنا الى الرشيد فسرنا اليه واستؤذن لنا فدخلنا عليه فقبلت الارض وسلمت فردّ عليّ السلام فأنشدته ما لي فيه من شعر فأمر لي بمائتي ألف درهم وأمر لي يزيد بمائة وتسعين ألف درهم وقال ما ينبغي لي أن أساوي أمير المؤمنين في العطاء فانظر الى هذا التيسير الجسيم بعد العسر العظيم وما أحسن ما قيل

الأمن والخوف أيام مداولة * بين الانام وبعد الضيق تتسع

ولما وجه سليمان بن عبد الملك محمد بن يزيد الى العراق ليطلق أهل السجون ويقسم الاموال ضيق على يزيد بن أبي مسلم فلما ولي يزيد بن عبد الملك الخلافة ولي يزيد بن أبي مسلم افريقية وكان محمد بن يزيد واليا عليها فاستخفى محمد بن يزيد فطلبه يزيد بن أبي مسلم وشدد في طلبه فأتى به اليه في شهر رمضان عند المغرب وكان في يد يزيد بن أبي مسلم عنقود عنب فقال لمحمد بن يزيد حين رآه يا محمد بن يزيد قال نعم قال طالما سألت الله أن يمكنني منك فقال وأنا والله طالما سألت الله أن يجيرني منك فقال والله ما أجارك ولا أعاذك وان سبقني ملك الموت الى قبض روحك سبقته والله لا آكل هذه الحبة العنب حتى أقتلك ثم أمر به فكتف ووضع في النطع وقام السياف فأقيمت الصلاة فوضع العنقود من يده وتقدم ليصلي وكان أهل افريقية قد أجمعوا على قتله فلما رفع رأسه ضربه رجل بعمود على رأسه فقتله وقيل لمحمد بن يزيد اذهب حيث شئت فسبحان من قتل الامير وفك الاسير قال اسحق بن ابراهيم الموصلي رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في النوم وهو يقول أطلق القاتل فارتعت لذلك ودعوت بالشموع ونظرت في أوراق السجن واذا ورقة انسان ادعى عليه بالقتل وأقرّ به فأمرت باحضاره فلما رأيته وقد ارتاع فقلت له ان صدقتني أطلقتك فحدثني أنه كان هو وجماعة من أصحابه يرتكبون كل عظيمة وأن عجوزا جاءت لهم بامرأة فلما صارت عندهم صاحت الله الله وغشي عليها فلما افاقت قالت انشدك الله في أمري فان هذه العجوز غرتني وقالت ان في هذه الدار نساء صالحات وانا شريفة جدي رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمي فاطمة وأبي الحسين بن علي فاحفظوهم فيّ فقمت دونها وناضلت عنها فاشتدّ عليّ واحد من الجماعة وقال لا بدّ منها وقاتلني فقتلته وخلصت الجارية من يده فقالت سترك الله كما سترتني وسمع الجيران الصيحة فدخلوا علينا فوجدوا الرجل مقتولا والسكين بيدي فأمسكوني واتوا بي اليك وهذا أمري فقال اسحق قد وهبتك لله ولرسوله فقال وحق اللذين وهبتني لهما لا أعود الى معصية أبدا وأمر الحجاج باحضار رجل من السجن فلما حضر أمر بضرب عنقه فقال أيها الامير اخرني الى غد قال وأي فرج لك في تأخير يوم واحد ثم أمر بردّه الى السجن فسمعه الحجاج وهو راجع الى السجن يقول

عسى فرج يأتي به الله انه * له كل يوم في خليقته أمر

فقال الحجاج والله ما أخذه الا من كتاب الله وهو قوله تعالى كل يوم هو في شأن وأمر باطلاقه وقال بعض جلساء المعتمد كنا بين يديه ليلة فخفق رأسه بالنعاس فقال لا تبرحوا حتى أغفي سويعة فغفا ساعة ثم أفاق جزعا مرعوبا وقال امضوا الى السجن وائتوني بمنصور الجمال فجاؤا به فقال له كم لك في السجن قال سنة ونصف قال على ماذا قال أنا جمال من أهل الموصل

وضاق علي الكسب ببلدي فأخذت جملي وتوجهت الى بلد غير بلدي لا عمل عليه فوجدت جماعة من الجند قد ظفروا بقوم غير مستقيمي الحال وهم مقدار عشرة أنفس وجدوهم يقطعون الطريق فدفع واحد منهم شيأ للاعوان فأطلقوه وأمسكوني عوضه وأخذوا جملي فناشدتهم الله فابوا وسجنت أنا والقوم فأطلق بعضهم ومات بعضهم وبقيت أنا فدفع له المعتمد خمسمائة دينار وأجرى له ثلاثين دينارا في كل شهر وقال اجعلوه على جمال النائم قال أتدرون ما سبب فعلي هذا قالوا لا قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقول أطلق منصورا الجمال من السجن وأحسن اليه وأخذ الطاعون أهل بيت فسد بابه ففضل فيه طفل يرضع لم يشعر به أحد ففتح الباب بعد شهر فوجدوا الطفل قد عطف الله عليه كلبة ترضعه مع جرولها فسبحان القادر على كل شئ لا اله غيره ولا معبود سواه قال الشاعر

اذا تضايق أمر فانتظر فرجا * فضيق الامر أدناه الى الفرج

وقال آخر

فلا تجزعن ان أظلم الدهر مرة * فان اعتكار الليل يؤذن بالفجر

وقال آخر

لعمرك ما كل التعطل ضائرا * ولا كل شغل فيه للمرء منفعه

اذا كانت الارزاق في القرب والنوى * عليك سواء فاغتنم لذة الدعه

فان ضقت فاصبر يفرج الله ما ترى * الا رب ضيق في عواقبه سعه

وقال الرياشي ما اعتراني هم فانشدت قول أبي العتاهية حيث قال

هي الايام والغير * وأمر الله ينتظر أتيأس أن ترى فرجا * فأين الله والقدر

الاسرى عني وهبت ريح الفرج ويروى ان سلطان صقلية ارق ذات ليلة ومنع النوم فارسل الى قائد البحر وقال له انفذ الآن مركبا الى افريقية يأتوني باخبارها فعمد القائد الى مقدم مركب وأرسله فلما أصبحوا اذا بالمركب في موضعه كانه لم يبرح فقال الملك لقائد البحر اليس قد فعلت ما أمرتك به قال نعم قد امتثلت أمرك وأنفذت مركبا فرجع بعد ساعة وسيحدثك مقدم المركب فامر باحضاره فجاء ومعه رجل فقال له الملك ما منعك ان تذهب حيث امرت قال ذهبت بالمركب فبينما أنا في جوف الليل والرجال يجدفون اذا بصوت يقول يا الله يا الله يا غياث المستغيثين يكررها مرارا فلما استقر صوته في أسماعنا ناديناه مرارا لبيك لبيك وهو ينادي يا الله يا الله يا غياث المستغيثين فجدفنا بالمركب نحو الصوت فلقينا هذا الرجل غريقا في آخر رمق من الحياة فطلعنا به المركب وسألناه عن حاله فقال كنا مقلعين من افريقية فغرقت سفينتنا منذ أيام وأشرفت على الموت ومازلت أصيح حتى أتاني الغوث من ناحيتكم فسبحان من أسهر سلطانا وأرقه في قصره لغريق في البحر حتى استخرجه من تلك الظلمات الثلاث ظلمة الليل وظلمة البحر وظلمة الوحدة فسبحانه لا اله غيره ولا معبود سواه (وحكى) سيدي أبو بكر الطرطوشي في كتابه سراج الملوك قال أخبرني أبو الوليد الباجي عن أبي ذر قال كنت أقرأ على الشيخ أبي حفص عمر بن أحمد بن شاهين ببغداد جزأ من الحديث في حانوت رجل عطار فبينما أنا جالس معه في الحانوت اذ جاءه رجل من الطوافين ممن يبيع

العطر في طبق يحمله على يده فدفع اليه عشرة دراهم وقال له أعطني بها أشياء سماها له من العطر فاعطاه اياها فاخذها في طبقه وأراد أن يمضي فسقط الطبق من يده فانكب جميع ما فيه فبكى الطواف وجزع حتى رحمناه فقال أبو حفص لصاحب الحانوت لعلك تعينه على بعض هذه الاشياء فقال سمعا وطاعة فنزل وجمع له ماقدر على جمعه منها ودفع له ماعدم منها وأقبل الشيخ على الطواف يصبره ويقول له لا تجزع فامر الدنيا أيسر من ذلك فقال الطواف أيها الشيخ ليس جزعي لضياعي ماضاع لقد علم الله تعالى أني كنت في القافلة الفلانية فضاع لي هميان فيه أربعة آلاف دينار ومعها فصوص قيمتها كذلك فما جزعت لضياعها حيث كان لي غيرها من المال ولكن ولد لي ولد في هذه الليلة فاحتجنا الاهبة ماتحتاج النفساء ولم يكن عندي غير هذه العشرة دراهم فخشيت أن أشتري بها حاجة النفساء فابقى بلا رأس مال وأنا قد صرت شيخا كبيرا لا أقدر على التكسب فقلت في نفسي اشتري بها شيأ من العطر فاطوف به صدر النهار فعسى أستفضل شيأ أسد به رمق أهلي ويبقى راس المال أتكسب به واشتريت هذا العطر فحين انكب الطبق علمت انه لم يبق لي الا الفرار منهم فهذا الذي اوجب جزعي قال ابو حفص وكان رجل من الجند جالسا الى جانبي يستوعب الحديث فقال للشيخ ابي حفص ياسيدي اريدان تأتي بهذا الرجل الى منزلي فظننا انه يريد ان يعطيه شيأ قال فدخلنا الى منزله فاقبل على الطواف وقال له سمعت من جزعك فاعاد عليه القصة فقال له الجندي وكنت في تلك القافلة قال نعم وكان فيها فلان وفلان فعلم الجندي صحة قوله فقال وما علامة الهميان وفي اى موضع سقط منك فوصف له المكان والعلامة قال الجندي اذا رأيته تعرفه قال نعم فاخرج الجندي له هميانا ووضعه بين يديه فحين رآه صاح وقال هذا هميانى والله وعلامة صحة قولي ان فيه من الفصوص ماهو كيت وكيت ففتح الهميان فوجده كما ذكر فقال الجندي خذ مالك بارك الله لك فيه فقال الطواف ان هذه الفصوص قيمتها مثل الدنانير واكثر فخذها وانت في حل منها ونفسي طيبة بذلك فقال الجندي ما كنت لآخذ على امانتي مالا وأبى ان يأخذ شيأ ثم دفعها للطواف جميعها فاخذها ومضى ودخل الطواف وهو من الفقراء وخرج وهو من الاغنياء اللهم أغن فقرنا ويسر أمرنا برحمتك يا ارحم الراحمين (وحكى) ان الملك ناصر الدولة من آل حمدان كان يشكو وجع القولنج حتى اعيا الاطباء دواؤه ولم يجدوا له شفاء فدسوا على قتله وأرصدوا له رجلا ومعه خنجر فلما كان في بعض دهاليز القصر وثب عليه ذلك الرجل وضربه بالخنجر فجاءت الضربة أسفل خاصرته فلم تخط المعا الذى فيه القولنج فخرج مافيه من الخلط فعافاه الله تعالى وبرئ احسن ما كان ونظير هذا ما حكاه أبو بكر الطرطوشي قال حدثنا القاضي أبو مروان الداراني بطرطوشة قال نزلت قافلة بقرية خربة من اعمال دانية فاووا الى دار خربة هنالك فاستكنوا فيها من الرياح والامطار واستوقدوا نارهم وسووا معيشتهم وكان في تلك الخربة حائط مائل قد أشرف على الوقوع فقال رجل منهم ياهؤلاء لا تقعدوا تحت هذا الحائط ولا يدخلن أحد في هذه البقعة فابوا الا دخولها فاعتزلهم ذلك الرجل وبات خارجا عنهم ولم يقرب ذلك المكان فاصبحوا في عافية وحملوا على دوابهم

فبينما

فبينما هم كذلك اذ دخل ذلك الرجل الى الدار ليقضي حاجته فخر عليه الحائط فمات لوقته
قال وأخبرني أبو القاسم بن حبيش بالموصل قال لقد جرت في هذه الدار وأشار الى دار هناك
قصة عجيبة قلت وما هي قال كان يسكن هذه الدار رجل من التجار ممن يسافر الى الكوفة
في تجارة الخز فاتفق انه جعل جميع ما معه من الخز في خرج وحمله على حماره وسار مع القافلة
فلما نزلت القافلة أراد انزال الخرج عن الحمار فثقل عليه فأمر انسانا هناك فأعانه على
انزاله ثم جلس يأكل فاستدعى ذلك الرجل ليأكل معه فسأله عن أمره فأخبره أنه من
أهل الكوفة وأنه خرج لحاجة عرضت له بغير نفقة ولا زاد فقال له الرجل كن رفيقي آنس
بك وتعينني على سفري ونفقتك ومؤنتك على فقال له الرجل وأنا أيضا أختار صحبتك
وأرغب في مرافقتك فسار معه في سفره وخدمه أحسن خدمة الى أن وصلا الى تكريت
فنزل الرفقة خارج المدينة ودخل الناس الى قضاء حوائجهم فقال التاجر لذلك الرجل
احفظ حوائجنا حتى أدخل المدينة وأشتري ما نحتاج اليه ثم دخل المدينة وقضى جميع
حوائجه ورجع فلم يجد القافلة ولا صاحبه ورحلت الرفقة ولم ير أحدا فظن انه لما رحلت
الرفقة رحل ذلك الخادم معهم فلم يزل يسير ويجد السير في المشي الى ان أدرك القافلة بعد
جهد عظيم وتعب شديد فسألهم عن صاحبه فقالوا ما رأيناه ولا جاء معنا ولكنه ارتحل على
اثرك فظننا انك أمرته فكر الرجل راجعا الى تكريت وسأل عن الرجل فلم يجد له أثرا
ولا سمع له خبرا فيئس منه ورجع الى الموصل مسلوب المال فوصلها نهارا فقيرا جائعا
عريانا مجهودا فاستحى أن يدخلها نهارا فتشمت به الاعداء نعوذ بالله من شماتتهم وخشي
أن يحزن الصديق اذا رآه على تلك الحالة فاستخفى الى الليل ثم عاد الى داره فطرق الباب
فقيل له من هذا قال فلان يعني نفسه فأظهروا له سرورا عظيما وحاجة اليه وقالوا الحمد لله
الذي جاء بك في هذا الوقت على ما نحن فيه من الضرورة والحاجة فانك أخذت مالك معك
وما تركت لنا نفقة كافية وأطلت سفرك واحتجنا وقد وضعت زوجتك اليوم والله
ما وجدنا ما نشتري به شيأ للنفساء فأتنا بدقيق ودهن نسرج به علينا فلا سراج عندنا فلما
سمع ذلك ازداد غما على غمه وكره أن يخبرهم بحاله فيحزنهم بذلك فأخذ وعاء للدهن ووعاء
للدقيق وخرج الى حانوت أمام داره كان فيه رجل يبيع الدقيق والزيت والعسل ونحو
ذلك وكان البياع أطفأ سراجه وأغلق حانوته ونام فناداه فعرفه فأجابه وشكر الله على
سلامته فقال له افتح حانوتك وأعطنا ما نحتاج اليه من دقيق وعسل ودهن فنزل البياع
الى حانوته وأوقد المصباح ووقف يزن له ما طلب فبينما هو كذلك اذ حانت من التاجر
التفاتة الى قعر الحانوت فرأى خرجه الذي هرب به صاحبه فلم يملك نفسه أن وثب اليه
والتزمه وقال يا عدو الله ائتني بمالي فقال له البياع ما هذا يا فلان والله ما علمتك متعديا
وأنا أبدا ما جنيت عليك ولا على غيرك فما هذا الكلام قال هذا خرجي هرب به خادم
كان يخدمني وأخذ حماري وجميع مالي فقال البياع والله ما لي علم غير أن رجلا ورد علي
بعد العشاء واشترى مني عشاءه واعطاني هذا الخرج فجعلته في حانوتي وديعة الى حين
يصبح والحمار في دار جارنا والرجل في المسجد نائم قال له اجعل معي الخرج وامض بنا الى

الرجل فرفع الخرج على عاتقه ومضى معه الى المسجد فاذا الرجل نائم فى المسجد فوكزه برجله فقام الرجل مرعوبا فقال مالك قال أين مالى يا خائن قال ها هو فى خرجك فوالله ما أخذت منه ذرة قال فاين الحمار وآلته قال هو عند هذا الرجل الذى معك فعفا عنه وخلى سبيله ومضى بخرجه الى داره فوجد متاعه سالما فوسع على أهله وأخبرهم بقصته فازداد سرورهم وفرحهم وتبركوا بذلك المولود فسبحان من لا يخيب من قصده ولا ينسى من ذكره (ولنلحق بهذا الباب ذكر شئ مما جاء فى التهنئة والبشائر) كتب بعضهم الى أخيه وقد أتاه خبرا ستبشر به سمعت عنك خبرا سار اكتب فى الالواح وامتزج بالأرواح وعد فى جملة البشائر العظام وجرى فى العروق وتمشى فى العظام وكان خالد بن عبد الله القسرى أخا هشام بن عبد الملك من الرضاع وكان يقول له انى لارى فيك آثار الخلافة ولا تموت حتى تليها فقال له ان أنا وليتها فلك العراق فلما ولى أتاه فقام بين الصفين وقال يا أمير المؤمنين أعزك الله بعزته وأيدك بملائكته وبارك لك فيما ولاك ورعاك فيما استرعاك وجعل ولايتك على أهل الاسلام نعمة وعلى أهل الشرك نقمة لقد كانت الولاية اليك أشوق منك اليها وأنت لها أزين منها لك وما مثلها ومثلك الا كما قال الاحوص هذه الابيات

وان الدر زاد حسن وجوه * كان للدر حسن وجهك زينا
وتزيدين أطيب الطيب طيبا * ان تمسيه أين مثلك أينا

ودخل على المهدى أعرابى فقال له فيم جئت قال أتيتك برسالة قال هاتها قال أتانى آت فى منامى فقال ائت أمير المؤمنين فأبلغه هذه الابيات

لكم ارث الخلافة من قريش * تزف اليكمو أبدا عروسا
الى هرون تهدى بعد موسى * تميس ومالها ان لا تميسا

فقال المهدى يا غلام على بالجواهر فحشا فاه حتى كاد ينشق ثم قال اكتبوا هذه الابيات واجعلوها فى مخانق صبياننا وقال ابراهيم الموصلى فى تهنئة الرشيد بالخلافة

ألم تر أن الشمس كانت مريضة * فلما أتى هرون أشرق نورها
تلبست الدنيا جمالا بملكه * فهرون واليها ويحيى وزيرها

وغناه بهما من وراء الحجاب فوصله بمائة ألف دينار ويحيى بخمسين ألفا ودخل عطاء بن أبى صيفى على يزيد بن معاوية وهو أول من جمع بين التهنئة والتعزية فقال رزئت خليفة الله وأعطيت خلافة الله قضى معاوية نحبه فغفر الله ذنبه ووليت الرياسة وكنت أحق بالسياسة فاحتسب عند الله أعظم الرزية واشكر الله على أعظم العطية ومر عمر بن هبيرة بعد اطلاقه من السجن بالرقة فاذا امرأة من بنى سليم على سطح لها تحادث جارة لها الىلا وهى تقول لا والذى أسأله أن يخلص عمر بن هبيرة مما هو فيه ما كان كذا فرمى اليها بصرة فيها مائة دينار وقال قد خلص الله عمر بن هبيرة فطيبى نفسا وقرى عينا والله تعالى أعلم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

* (الباب الثامن والخمسون فى ذكر العبيد والاماء والخدم وفيه فصلان) *

* (الفصل

(الفصل الاول في مدح العبيد والاماء والاستيصاء بهم خيرا) عن علي رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أول من يدخل الجنة شهيد وعبد أحسن عبادة ربه ونصح لسيده وعن ابن عمر رضي الله عنهما رفعه ان العبد اذا نصح لسيده وأحسن عبادة ربه فله أجره مرتين وكان زيد بن حارثة خادما لخديجة رضي الله عنها اشترى لها بسوق عكاظ فوهبته لرسول الله صلى الله عليه وسلم فجاءه أبوه يريد شراءه منه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان رضي بذلك فعلت فسئل زيد فقال ذل الرق مع صحبة رسول الله صلى الله عليه وسلم أحب الي من عز الحرية مع مفارقته فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا اختارنا اخترناه فاعتقه وزوجه أم أيمن وبعدها زينب بنت جحش وعن علي رضي الله عنه قال كان آخر كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم أوصيكم بالصلاة واتقوا الله فيما ملكت أيمانكم وعن أبي هريرة رضي الله عنه لا يقولن أحدكم عبدي وأمتي كلكم عبيد الله وكل نسائكم اماء الله ولكن ليقل غلامي وجاريتي وفتاي وفتاتي وعن ابن مسعود الانصاري قال ضربت غلاما لي فسمعت من خلفي صوتا اعلم أبا مسعود أن الله اقدر عليك منك عليه فالتفت فاذا هو النبي صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله هو حر لوجه الله تعالى فقال أما انك لو لم تفعل للفحتك النار وروي عن ابن عمر رضي الله عنهما قال جاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله كم تعفو عن الخادم ثم أعاد عليه فصمت فلما كانت الثالثة قال له أعفو عنه كل يوم سبعين مرة وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال حدثني أبو القاسم نبي التوبة صلى الله عليه وسلم من قذف مملوكه وهو بريء مما قال جلد له يوم القيامة حدا وقيل أراد رجل بيع جاريته فبكت فقال لها مالك فقالت لو ملكت منك ماملكت مني ما أخرجتك من يدي فاعتقها وتزوجها وقال أبو اليقظان ان قريشا لم تكن ترغب في أمهات الاولاد حتى ولدن ثلاثة هم خير أهل زمانهم علي بن الحسين والقاسم بن محمد وسالم بن عبد الله وذلك ان عمر رضي الله عنه أتي ببنات يزدجرد بن شهريار بن كسرى مسبيات فاراد بيعهن فاعطاهن للدلال ينادي عليهن بالسوق فكشف عن وجه احداهن فلطمته لطمة شديدة على وجهه فصاح واعمراه وشكا اليه فدعاهن عمر وأراد ان يضربهن بالدرة فقال علي رضي الله عنه يا أمير المؤمنين ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أكرموا عزيز قوم ذل وغني قوم افتقر ان بنات الملوك لا يبعن ولكن قوموهن فقومهن وأعطاه أثمانهن وقسمهن بين الحسن بن علي ومحمد بن أبي بكر وعبد الله بن عمر فولدن هؤلاء الثلاثة وقيل استبق بنو عبد الملك فسبقوا مسلمة وكان ابن أمة فتمثل عبد الملك بقول عمرو العبدي

نهيتكمو أن تحملوا فوق خيلكم * هجينا لكم يوم الرهان فيدرك
فتعثر كفاه ويسقط سوطه * وتخدر ساقاه فما يتحرك
وهل يستوي المرآن هذا ابن حرة * وهذا ابن أخرى ظهرها متشرك

فقال له مسلمة يغفر الله لك يا أمير المؤمنين ليس هذا مثلي ولكن كما قال ابن المعمر هذه الابيات

فما أنكحونا طائعين بناتهم * ولكن خطبناهم بارماحنا قسرا

فما زاد نافيها السماء مذلة * ولا كلفت خبزا ولا طبخت قدرا
وكم قد ترى فينا من ابن سدينة * اذا لقى الابطال يطعنهم شزرا
ويأخذ ريان الطعان بكفه * فيوردها بيضا ويصدرها حمرا
فقبل رأسه وعينيه وقال أحسنت يا بنى ذاك والله أنت وأمر له بمائة ألف درهم مثل ما أخذ السابق والله أعلم

(الفصل الثانى فى ذم العبيد والخدم) روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال بئس المال فى آخر الزمان المماليك وقال مجاهد اذا كثرت الخدم كثرت الشياطين وقال لقمان لابنه لا تأمنن امرأة على سر ولا تطأ خادما تريدها للخدمة ووصف بعضهم عبدا فقال يأكل فارها ويعمل كارها ويبغض قوما ويحب نوما وقيل لبعضهم ألك غلام فقال

ومالى غلام فادعوبه * سوى من أبوه أخو عمتى

وقالوا كثم الحر حروان مسه الضر والعبد عبد وان ألبسته الدر ودعا بعض أهل الكوفة اخوانه وله جارية فقصرت فيما ينبغى لهم من الخدمة فقال

اذا لم يكن فى منزل المرء حرة * رأى خللا فيما تولى الولائد
فلا يتخذ منهن حرقعيدة * فهن لعمر الله بئس القعائد

وكان لرجل غلام من اكسل الناس فارسله يوما يشترى له عنبا وتينا فابطأ عليه حتى عيل صبره ثم جاء باحدهما فضربه وقال ينبغى لك اذا استقضيتك حاجة ان تقضى حاجتين فمرض الرجل فأمر الغلام ان يأتيه بطبيب فغاب ثم جاء بالطبيب ومعه رجل آخر فسأله عنه فقال أما ضربتنى وأمرتنى ان أقضى حاجتين فى حاجة فجئتك بالطبيب فان شفاك الله تعالى والا حفر لك هذا قبرك فهذا طبيب وهذا حفار وقيل كان عمرو الاعجمى يلى حكم السند فكتب الى موسى الهادى ان رجلا من اشراف أهل الهند من آل المهلب ابن ابى صفرة اشترى غلاما اسود فرباه وتبناه فلما كبر وشب اشتد به هوى مولاته فراودها عن نفسها فاجابته فدخل مولاه يوما على غفلة منه من حيث لا يعلم فاذا هو على صدر مولاته فعمد اليه فجب ذكره وتركه يتشحط فى دمه ثم أدركته عليه رقة وندم على ذلك فعالجه الى ان برئ من علته فاقام الغلام بعدها مدة يطلب ان يأخذ ثاره من مولاه ويدبر عليه أمرا يكون فيه شفاء غليله وكان لمولاه ابنان أحدهما طفل والآخر يافع كأنهما الشمس والقمر فغاب الرجل يوما عن منزله لبعض الامور فاخذ الاسود الصبيين فصعد بهما على ذروة سطح عال فنصبهما هناك وجعل يعللهما بالمطعم مرة وباللعب أخرى الى أن دخل مولاه فرفع رأسه فرأى ابنيه فى شاهق مع الغلام فقال ويلك عرضت ابنى للموت قال أجل والله الذى لا يحلف العبد باعظم منه لئن لم تجب ذكرك مثل ما جببتنى لارمين بهما فقال الله الله يا ولدى فى تربيتى لك قال دع هذا عنك فوالله ماهى الا نفسى وانى لاسمح بها فى شربة ماء فجعل يكرر عليه ويتضرع له وهو لا يقبل ذلك ويذهب الوالد يريد الصعود اليه فيدليهما من ذلك الشاهق فقال أبوهما ويلك فاصبر حتى أخرج مدية وأفعل ما أردت ثم أسرع وأخذ مدية فجب نفسه وهو يراه فلما رأى الاسود ذلك رمى الصبيين من ذلك

الشاهق فتقطعا وقال ان جعلت لنفسك ثارى وقتل أولادك زيادة فيه فأخذ الاسود وكتب بخبره الى موسى الهادى فكتب موسى لصاحب السند عمرو الاعجمى بقتل الغلام وقال ما سمعت بمثل هذا قط وأمر أن يخرج من مملكته كل أسود فما ترى اردأ من العبيد ولا أقل خيرا منهم وأكثرهم رداءة المولدون لو أحسنت الى أحدهم الدهر كله بكل ما تصل يدك اليه ما شكره كان لم ير منك شيأ وكلما أحسنت اليه تمرد وان أسأت اليه خضع وذل وقد جربت أنا ذلك كثيرا وما أحسن ما قيل

اذا أنت أكرمت الكريم ملكته * وان أنت أكرمت اللئيم تمردا

وقيل ان العبد اذا شبع فسق وان جاع سرق وكان جدى لامى يقول شر المال تربية العبيد والمولدون منهم ألأم من الزنوج واردأ لان المولد لا يعرف له ابا وربما يعرف الزنجى أبويه ويقال فى المولد بغل لانه مجنس والبغل تكون أمه فرسا وأبوه حمارا وبالعكس فلا تثق بمولد لانه قل أن يكون فيه خير وان كان فذلك نادر والنادر لا حكم له وأنا أستغفر الله العظيم وحسبنا الله ونعم الوكيل وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

(الباب التاسع والخمسون فى أخبار العرب الجاهلية واوابدهم وذكر غرائب من عوائدهم وعجائب من أكاذيبهم)

للعرب اوابد وعوائد كانوا يرونها فضلا وقد دل على بعضها القرآن العظيم وأكذب الله دعاويهم فيها فمن ذلك قوله تعالى ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام ولكن الذين كفروا يفترون على الله الكذب وأكثرهم لا يعقلون * قال أهل اللغة البحيرة ناقة كانت اذا نتجت خمسة ابطن وكان الاخير ذكرا بحروا اذنها أى شقوا اذنها وامتنعوا من ذكاتها ولا تمنع من ماء ولا مرعى * وكان الرجل اذا أعتق عبدا وقال هو سائبة فلا عقد بينهما ولا ميراث * وأما الوصيلة ففى الغنم كانت الشاة اذا ولدت أنثى فهى لهم وان ولدت ذكرا جعلوه لآلهتهم فان ولدت ذكرا وأنثى قالوا وصلت أخاها فلا يذبح الذكر لآلهتهم * وأما الحام فالذكر من الابل كانت العرب اذا نتج من صلب الفحل عشرة أبطن قالوا حمى ظهره فلا يحمل عليه ولا يمنع من ماء ولا مرعى * وقال تعالى انما الخمر والميسر والانصاب والازلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون فالخمر ما خامر العقل ومنه سميت الخمر خمرا والميسر القمار والانصاب حجارة وكانت لهم يعبدونها وهى الاوثان واحدها نصب والازلام سهام كانت لهم مكتوب على بعضها أمرنى ربى وعلى بعضها نهانى ربى فاذا أراد الرجل سفرا أو أمرا يهتم به ضرب بتلك القداح فاذا خرج الامر مضى لحاجته واذا خرج النهى لم يمض * ومن أوابدهم وأد البنات أى دفنهن احياء كانوا فى الجاهلية اذا رزق أحدهم أنثى وأدها واذا بشر بها ضاق صدره وكظم وجهه وهو قوله تعالى واذا بشر أحدهم بالانثى ظل وجهه مسودا وهو كظيم وقال تعالى ولا تقتلوا أولادكم خشية املاق نحن نرزقهم واياكم وقد قيل انهم كانوا يقتلونهن خوف العار وبمكة جبل يقال له أبو دلامة كانت قريش تئد فيه البنات * وقيل ان

صعصعة جد الفرزدق كان يشتري البنات ويفديهن من القتل كل بنت بناقتين عشراوين وجمل وفاخر الفرزدق رجلا عند بعض خلفاء بني أمية فقال أنا ابن محيي الموتى فأنكر الرجل ذلك فقال ان الله تعالى يقول ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعا * وأما الرفادة في الحج فكانت خرجا تخرجه قريش في كل موسم من أموالهم الى قصي فيصنع به طعاما للحاج فيأكله من لم يكن له سعة ولا زاد وذلك ان قصيا فرضه على قريش فقال لهم حين أمرهم به يا معشر قريش انكم جيران الله وأهل بيته وأهل الحرم وان الحجاج ضيف الله وزوار بيته وهم أحق الضيف بالكرامة فاجعلوا لهم طعاما وشرابا أيام الحاج حتى يصدروا عنكم ففعلوا وكانوا يخرجون ذلك كل عام من أموالهم فيدفعونه اليهم وقيل أول من أقام الرفادة عبد المطلب وهو الذي حفر بئر زمزم وكانت مطمومة واستخرج منها الغزالين الذهب اللذين عليهما الدر والجوهر وغير ذلك من الحلي وسبعة أسياف وخمسة دروع سوابغ فضرب من الاسياف باب الكعبة وجعل أحد الغزالين الذهب صفائح الذهب وجعل الآخر في الكعبة واعلم وفقني الله واياك انه لم يسمع بعجب أعظم من عجب سعيد بن زرارة وعبد الله بن زياد التميمي وابن سماك الاسدي الذين ضرب بهم المثل فاما سعيد بن زرارة فقيل انه مرت به امرأة فقالت له يا عبد الله كيف الطريق الى مكان كذا فقال لها يا هنتاه مثلي يكون من عبيد الله واما عبد الله بن زياد التميمي فقيل انه خطب الناس بالبصرة فأحسن واوجز فنودي من نواحي المسجد كثر الله فينا مثلك فقال لقد كلفتم الله شططا وأما ابن سماك فانه أضل راحلته فالتمسها فلم توجد فقال والله لئن لم يرد راحلتي علي لا صليت له ابدا فوجدت وقد تعلق زمامها ببعض اغصان الشجر فقيل له قد رد الله عليك راحلتك فصل فقال انما كانت يميني يمينا قصدا فانظر رحمك الله الى هذا العجب كيف ذهب بهم حتى أفضى بهم الى الكفر وصاروا احديثا مستبشعا ومثلا بين العالمين مستشنعا نعوذ بالله من الخذلان المؤدي الى النيران ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم (حكى) عن الحجاج بن يوسف الثقفي انه قيل له كيف وجدت منزلك بالعراق قال خير منزل ان الله أظفرني باناس بلغني الامل فيهم وأعانني على الانتقام منهم فكنت أتقرب اليه بدمائهم فقيل له من هم فذكر هؤلاء الثلاثة وذكر حديثهم ولا محالة انها من محاسن الحجاج وان قلت في جنب سيآته والله أعلم

(ذكر اديان العرب في الجاهلية) كانت النصرانية في ربيعة وغسان وبعض قضاعة وكانت اليهودية في حمير وبني كنانة وبني الحرث بن كعب وكندة وكانت المجوسية في بني تميم منهم زرارة بن عدي وابنه علي وكان تزوج ابنته ثم ندم ومنهم الاقرع بن حابس كان مجوسيا وكانت الزندقة في قريش أخذوها من الجزيرة وكانت بنو حنيفة اتخذوا في الجاهلية صنما من حيس فعبدوه دهرا طويلا ثم أدركتهم مجاعة فأكلوه وقد قيل ان أول من غير الحنيفية عمرو بن لحي أبو خزاعة وهو انه رحل الى الشام فرأى العمالقة يعبدون الاصنام فأعجبه ذلك فقال ما هذه الاصنام التي أراكم تعبدونها قالوا هذه أصنام نستمطرها فتمطرنا ونستنصرها فتنصرنا فقال اعطوني منها صنما أسير به الى أرض العرب فيعبدونه فأعطوه

صنما يقال له هبل فقدم به مكة فنصبه وأمر الناس بعبادته وتعظيمه وقيل ان أول ما كانت عبادة الاحجار في بني اسمعيل وسبب ذلك انه كان لا يظعن من مكة ظاعن منهم حتى ضاقت عليهم وتفرقوا في البلاد وما من أحد الا حمل معه حجرا من حجارة الحرم تعظيما للحرم فحيثما نزلوا وضعوه وطافوا به كطوافهم بالكعبة وأفضى ذلك بهم الى أن عبدوا ما استحسنوه من الحجارة ثم خلفت الخلوف ونسوا ما كانوا عليه من دين اسمعيل فعبدوا الاوثان وصاروا الى ما كانت عليه الامم قبلهم من الضلال وكانت قريش قد اتخذت صنما على بئر في جوف الكعبة يقال له هبل وأيضا اتخذوا اسافا ونائلة على موضع زمزم فينحرون عندها ويطعمون وكان اساف ونائلة رجلا وامرأة فوقع اساف على نائلة في الكعبة فمسخهما الله حجرين واتخذ أهل كل دار في دارهم صنما يعبدونه فاذا أراد الرجل سفرا تمسح به حين يركب وكان ذلك آخر ما يصنع اذا توجه الى سفره واذا قدم من سفره بدأ به قبل أن يدخل الى أهله واتخذت العرب الاصنام وانهمكوا على عبادتها وكانت لقريش وبني كنانة العزى وكان حجابها بني شيبة وكانت اللات لثقيف بالطائف وكان حجابها بني معتب من ثقيف وكانت مناة للاوس والخزرج ومن دان بدينهم * وأما يغوث ويعوق ونسر فقيل انهم كانوا أسماء أولاد آدم عليه السلام وكانوا اتقياء عبادا فمات أحدهم فحزنوا عليه حزنا شديدا فجاءهم الشيطان وحسن لهم أن يصوروا صورته في قبلة مسجدهم ليذكروه اذا نظروه فكرهوا ذلك فقال اجعلوه في مؤخر المسجد ففعلوا وصوروه من صفر ورصاص ثم مات آخر ففعلوا ذلك الى أن ماتوا كلهم فصوروهم هناك وأقام من بعدهم على ذلك الى أن تركوا الدين وحسن لهم الشيطان عبادة شئ غير الله فقالوا له من نعبد قال آلهتكم المصورة في مصلاكم فعبدوها الى أن بعث الله نوحا عليه السلام فنهاهم عن عبادتها فقالوا كما أخبر الله عنهم لا تذرن آلهتكم ولا تذرن ودا ولا سواعا الآية ولما عم الطوفان الارض طمها وعلا عليها التراب زمانا طويلا فأخرجها الشيطان لمشركي العرب فعبدوها وذكر الواحدي في الوسيط أن هذه أسماء قوم صالحين كانوا بين آدم ونوح عليهما السلام فسول الشيطان لقومهم بعد موتهم أن يصوروا صورهم ليكون انشط لهم وأشوق للعبادة كما رأوهم ففعلوا ثم نشأ بعدهم قوم جهال بالاحوال فحسن لهم عبادتها وان من سبقهم من قومهم عبدوها فسموها بأسمائهم وقال الواقدي كان ود على صورة رجل وسواع على صورة امرأة ويغوث على صورة أسد ويعوق على صورة فرس ونسر على صورة نسر والله تعالى أعلم أي ذلك كان

(ذكر أوابدهم) الرتم شجر معروف كانت العرب اذا خرج أحدهم الى سفر عمد الى شجرة منه فيعقد غصنا منها فاذا عاد من سفره ووجده قد انحل قال قد خانتني امرأتي وان وجده على حالته قال لم تخني * الرتيمة ناقة كانت العرب اذا مات واحد منهم عقلوا ناقته عند قبره وسدوا عينيها حتى تموت يزعمون أنه اذا بعث من قبره ركبها * التعمية والتفقئة كان الرجل اذا بلغت ابله ألفا قلع عين الفحل يقولون ان ذلك يدفع عنها العين فاذا زادت على الالف فقأ عينه الاخرى * العرداء يصيب الابل شبه الجرب كانوا يكوون السليمة ويزعمون أن ذلك يبرئ داء العر * ضرب الثور عن البقر كانت البقر اذا امتنعت عن الشرب ضربوا

الثور يزعمون ان الجن يركبون الثيران فيصدون البقر عن الشرب * الهامة كانوا يزعمون ان الانسان اذا قتل ولم يؤخذ بثاره يخرج من رأسه طائر يسمى الهامة وهو كالبومة فلا يزال يصيح على قبره اسقوني اسقوني الى أن يؤخذ بثاره وكان للعرب مذاهب في الجاهلية في النفس وتنازع في كيفياتها فمنهم من زعم ان النفس هي الدم وان الروح الهواء الذي في باطن جسم الانسان الذي منه نفسه وقالوا ان الميت لا يوجد فيه الدم وانما يوجد في الحياة مع الحرارة والرطوبة لان كل حي فيه حرارة ورطوبة فاذا مات ذهبت حرارته وحل به اليبس والبرودة وطائفة منهم يزعمون ان النفس طائر ينشط من جسم الانسان اذا مات أو قتل ولا يزال متصورا في صورة الطائر يصرخ على قبره مستوحشا له وفي ذلك يقول بعضهم

سلط الموت والمنون عليهم * فلهم في صدى المقابر هام

ثم جاء الاسلام والعرب ترى صحة أمر الهام حتى قال النبي صلى الله عليه وسلم لا عدوى ولا طيرة ولا صفر ولا هام وزعموا ان هذا الطائر يكون صغيرا ويكبر حتى يصير كضرب من البوم ويتوحش ويصرخ ويوجد في الديار المعطلة والنواويس ومصارع القتلى ويزعمون ان الهامة لا تزال عند ولد الميت لتعلم ما يكون من خبره فتخبر الميت * الصفر زعموا ان الانسان اذا جاع عض على شرسوفه الصفر وهي حية تكون في البطن * تثنية الضربة زعموا ان الحية تموت في أول ضربة فاذا ثنيت عاشت * الغيلان والتغول للعرب في الغيلان والتغول أخبار وأقاويل يزعمون ان الغول يتغول لهم في الخلوات في أنواع الصور فيخاطبونها وتخاطبهم وزعمت طائفة من الناس ان الغول حيوان مشؤم وانه خرج منفردا لم يستأنس وتوحش وطلب القفار وهو يشبه الانسان والبهيمة ويتراءى لبعض السفار في أوقات الخلوات وفي الليل (وحكى) ان سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه رآه في سفره الى الشام فضربه بالسيف وقال الجاحظ الغول كل شئ يتعرض للسفارة ويتلون في ضروب من الصور والثياب وفيه خلاف وقالوا انه ذكر وأنثى الا ان أكثر كلامهم انه أنثى وأما القطرب في قولهم فهو نوع من الاشخاص المتشيطنة يعرف بهذا الاسم فيظهر في أكناف اليمن وصعيد مصر في أعاليه وربما انه يلحق الانسان فينكحه فيدود دبره فيموت وربما نزا على الانسان وأمسكه فيقول أهل تلك النواحي التي ذكرناها أمنكوح هو أو مذعور فان كان قد نكحه أيسوا منه وان كان قد ذعر سكن روعه وشجع قلبه واذا رآه الانسان وقع مغشيا عليه ومنهم من يظهر له فلا يكترث به لشهامته وثبات قلبه

(ذكر الهواتف) أما الهواتف فقد كانت كثرت في العرب وكان أكثرها أيام ولد سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأن من حكم الهواتف ان تهتف بصوت مسموع وجسم غير مرئي * ومن عجيب ما حكي من أمر الهواتف ما حكاه أبو عمرو بن العلاء قال خرجنا حجاجا فصاحبنا رجل وجعل يقول في طريقه ليت شعري هل بغت على * فلما انصرفنا من مكة قالها في بعض الطريق فاجابه صوت في الظلام نعم نعم وناكها جبه * وهو رجل أحمر ضخم في قفاه كية فسكت الرجل فلما سرنا الى البصرة أخبرنا ذلك الرجل قال دخل جيراني يسلمون على فاذا فيهم رجل أحمر ضخم في قفاه كية فقلت لاهلي من هذا قالت رجل كان الطف

جيرانه ابنا فجزاه الله خيرا فسألتها عن اسمه فقالت جحية فقلت الحق باهلك * وأما بكاء المقتول فكانت النساء لا يبكين المقتول حتى يؤخذ بثاره فاذا أخذ بثاره بكينه * وأما رمي السن فكانوا يزعمون ان الغلام اذا ثغر فرمى سنه في عين الشمس بسبابته وابهامه وقال ابدليني بأحسن منها فانه يأمن على اسنانه العوج والفلج * وأما خضاب النحر فكانوا اذا أرسلوا الخيل على الصيد فسبق واحد منها خضبوا صدره بدم الصيد علامة وأما نصب الراية فكانت العرب تنصب الرايات على أبواب بيوتها لتعرف بها * وأما جز النواصي فكانوا اذا أسروا رجلا ومنوا عليه وأطلقوه جزوا ناصيته وأما الالتفات فكانوا يزعمون ان من خرج في سفر والتفت وراءه لم يتم سفره فان التفت تطيروا له * وكانوا يقولون من علق عليه كعب الارنب لم تصبه عين ولا سحر وذلك ان الجن تهرب من الارنب لانها تحيض وليست من مطايا الجن ويزعمون ان المرأة اذا أحبت رجلا وأحبها ثم لم يشق عليها رداءه وتشق عليه برقعها فسد حبهما ويزعمون ان الرجل اذا قدم قرية يخاف وباءها فوقف على بابها قبل أن يدخلها ونهق كما تنهق الحمير لم يصبه وباؤها ويزعمون ان الحرقوص وهو دويبة اكبر من البرغوث تدخل في فروج الابكار فتفتضهن ويزعمون ان الرجل اذا ضل فقلب ثيابه اهتدى وكانوا يزعمون ان الناقة اذا نفرت وذكر اسم امها فانها تسكن وكانت لهم خرزة يزعمون ان العاشق اذا حكها وشرب ما يخرج منها صبر وتسمى السلوان ونكاح المقت من سننهم وهو ان الرجل اذا مات قام ولده الاكبر فألقى ثوبه على امرأة أبيه فورث نكاحها فان لم يكن له بها حاجة زوجها بعض اخوته بمهر جديد فكانوا يرثون النكاح كما يرثون المال ولهم حكايات عجيبة وأحوال غريبة والله تعالى أعلم بالصواب واليه المرجع والمآب وصلى الله على سيدنا محمد النبي الامي وعلى آله وصحبه وسلم

(الباب الستون في الكهانة والقيافة والزجر والعرافة والفأل والطيرة والفراسة والنوم والرؤيا وما أشبه ذلك)

أما الكهانة فكانت فاشية في الجاهلية حتى جاء الاسلام فلم يسمع فيه بكاهن وكان ذلك من معجزات النبوة وآياتها وللكهنة اخبار فمنهم سطيح ورد عليه عبد المسيح وهو يعالج الموت وأخبره على مايزعمون بما جاء لاجله وذلك ان الموبذان رأى ابلا صعابا تقود خيلا عرابا قد قطعت دجلة وانتشرت في بلادها فلما اصبح اعلم كسرى بذلك فتصبر كسرى تشجعا ثم رأى أن لا يكتم ذلك عن وزرائه ورؤساء مملكته فلبس تاجه وقعد على سريره وجمع وزراءه ورؤساء مملكته فأخبرهم بالخبر فبينما هم كذلك اذ ورد عليهم كتاب بخمود النيران وارتجاس الايوان فازداد واغما على غمهم فكتب كسرى كتابا الى النعمان بن المنذر أما بعد فوجه الى رجلا عالما بما اريد أن اسأله عنه فوجه اليه عبد المسيح الغساني فقال له كسرى أعندك علم بما أريد ان أسألك عنه قال ليخبرني الملك فان كان عندي علم منه والا أخبرته بمن يعلمه به فاخبره بما رآه الموبذان فقال علم ذلك عند كاهن يسكن مشارف الشام يقال له سطيح قال فأته فاسأله عما سألتك وائتني بالجواب فركب عبد المسيح * وتوجه الى سطيح *

فوجده قد أشرف على الضريح * فسلم عليه وحياه ولم يحبره عبد المسيح بما جاء بسببه غير انه أنشده شعرا يذكر فيه انه جاء برسالة من قبل ملك العجم ولم يذكر له السبب فرفع رأسه وقال عبد المسيح على جمل يسيح الى سطيح بعثك ملك بني ساسان لارتجاس الايوان وخمود النيران ورؤيا الموبذان رأى ابلا صعابا تقود خيلا عرابا قد قطعت الدجلة وانتشرت فى بلادها ياعبد المسيح اذا كثرت التلاوه وفاض وادى سماوه وغاضت بحيرة ساوه وخمدت نار فارس فليس الشام لسطيح شاما ولا العجم لعبد المسيح مقاما يرتفع أمر العرب وأظن ان وقت ولادة محمد قد اقترب يملك منهم ملوك وملكات بعدد الشرافات وكل ما هو آت آت ثم قضى سطيح مكانه فثار عبد المسيح الى راحلته وعاد فاخبر كسرى بذلك (وحكى) ان ربيعة بن مضر اللخمى رأى مناما هاله فأراد تفسيره فقال له أهل مملكته ما يفسره لك الاشق وسطيح فاحضرهما وقال لسطيح انى رأيت مناما هالنى فان عرفته فقد أصبت تفسيره فقال رأيت جمجمة خرجت من ظلمة فوقعت بارض تهمة فاكل منها كل ذات جمجمة فقال له الملك ما أخطأت شيأ فما تفسيره قال ليهبطن بارضك الحبش وتملك ما بين أبين الى جرش فقال الملك ان هذا الغائظ موجع فتى هو كائن افى زمانى أم بعده قال بل بعده بحين أكثر من ستين أو سبعين تمضى من السنين ثم يقتلون بها أجمعين ويخرجون منها هاربين قال ومن ذا الذى يملك بعدهم قال أراه ذا يزن يخرج عليهم من عدن فما يترك منهم أحدا باليمن قال الملك فيدوم ذلك أم ينقطع قال بل ينقطع قال ومن يقطعه قال نبى زكى * يأتيه الوحى من العلى * قال وممن يكون هذا النبى * قال من ولد عدنان بن فهر بن مالك بن النضر * يكون فى قومه الملك الى آخر الدهر * قال وهل للدهر من آخر قال نعم يوم يجمع فيه الاولون والآخرون * ويسعد فيه المحسنون ويشقى المسيؤن * قال احق ما تخبر قال والشفق والقمر اذا اتسق ان ما أنبأتك به لحق ثم دعا شق فقال مثل ما قال سطيح * ومن ذلك ما حكى ان أمية بن عبد شمس دعا هاشم بن عبد مناف الى المفاخرة فقال له هاشم أفاخرك على خمسين ناقة سود الحدق تنحر بمكة فرضى أمية بذلك وجعلا بينهما الخزاعى الكاهن حكما فخبؤا له شيأ وخرجا اليه ومعهما جماعة من قومهما فقالوا قد خبأنا لك خبأ فان علمته تحاكمنا اليك وان لم تعلمه تحاكمنا الى غيرك فقال لقد خبأتم لى كمت وكمت قالوا اصدقت احكم بين هاشم بن عبد مناف وبين أمية بن عبد شمس أيهما أشرف بيتا ونسبا ونفسا فقال والقمر الباهر * والكوكب الزاهر * والغمام الماطر * وما بالجو من طائر * وما اهتدى بعلم مسافر * لقد سبق هاشم أمية الى المآثر * ولامية أواخر * فاخذ هاشم الابل ونحرها واطعمها من حضر وخرج أمية الى الشام وأقام بها عشر سنين ويقال انها أول عداوة وقعت بين بنى هاشم وبنى أمية (وحكى) ان هند بنت عتبة بن ربيعة كانت تحت الفاكه بن المغيرة وكان الفاكه من فتيان قريش وكان له بيت ضيافة خارجا عن البيوت تغشاه الناس من غير اذن فخلا البيت ذات يوم واضطجع فيه هو وهند ثم نهض لحاجة فاقبل رجل ممن كان يغشى البيت فولجه فلما رأى هندا رجع هاربا فلما نظره الفاكه دخل عليها فضربها برجله وقال لها من هذا الذى خرج من عندك قالت ما رأيت أحدا قط

وما انتهت حتى انتهتي قال فارجعي الى بيت أبيك وتكلم الناس فيها فقال أبوها يا بنية ان الناس قد أكثروا فيك الكلام فان يكن الرجل صادقا دسيت عليه من يقتله لينقطع كلام الناس وان يك كاذبا حاكمته الى بعض كهان اليمن فقالت له لا والله ما هو على صادق فقال له يا فاكه انك قد رميت ابنتي بأمر عظيم فحاكمني الى بعض كهان اليمن فخرج الفاكه في جماعة من بني مخزوم وخرج أبوها في جماعة من بني عبد مناف ومعهم هند ونسوة فلما شارفوا البلاد قالوا غدا نرد على هذا الرجل فتغيرت حالة هند فقال لها أبوها اني أرى حالك قد تغير وما هذا الا لمكروه عندك فقالت لا والله ولكن أعرف انكم تأتون بشرا يخطئ ويصيب ولا آمنه أن يسمني بسيما تكون على سبة فقال لها الا تخشى فسوف أختبره فصفر لفرسه حتى أدلى ثم ادخل في احليله حبة حنطة وربطه فلما أصبحوا قدموا على الرجل فأكرمهم ونحر لهم فلما تغدوا قال له عتبة قد جئناك في أمر وقد خبأنا لك خبيئة نختبرك بها قال خبأتم لي ثمرة في كمرة قال اني أريد ابين من هذا قال حبة بر في احليل مهر قال فانظر في أمر هؤلاء النسوة فجعل يأتي الى كل واحدة منهن ويضرب بيده على كتفها ويقول لها انهضي حتى بلغ هندا فقال انهضي غير رسحاء ولا زانية وستلدين ملكا اسمه معاوية فنهض اليها الفاكه فأخذ بيدها فجذبت يدها من يده وقالت اليك عني فوالله اني لاحرص أن يكون ذلك من غيرك فتزوجها أبو سفيان فولدت منه أمير المؤمنين معاوية رضي الله عنه

(وأما القيافة) فهي على ضربين قيافة البشر وقيافة الاثر فاما قيافة البشر فالاستدلال بصفات اعضاء الانسان وتختص بقوم من العرب يقال لهم بنو مدلج يعرض على أحدهم مولود في عشرين نفرا فيلحقه باحدهم (وحكى) عن بعض أبناء التجار أنه كان في بعض أسفاره راكبا على بعيره يقوده غلام أسود فمر بهؤلاء القبيلة فنظر اليه واحد منهم وقال ما أشبه الراكب بالقائد قال ولد التاجر فوقع في نفسي من ذلك شئ فلما رجعت الى أمي ذكرت لها القصة فقالت يا ولدي ان أباك كان شيخا كبيرا ذا مال وليس له ولد فخشيت أن يفوتنا ماله فمكنت هذا الغلام من نفسي فحملت بك ولولا ان هذا شئ ستعلمه غدا في الدار الآخرة لما أعلمتك به في الدنيا *وأما قيافة الاثر فالاستدلال بالاقدام والحوافر والخفاف وقد اختص به قوم من العرب أرضهم ذات رمل اذا هرب منهم هارب أو دخل عليهم سارق تتبعوا آثار قدمه حتى يظفروا به ومن العجب انهم يعرفون قدم الشاب من الشيخ والمرأة من الرجل والبكر من الثيب والغريب من المستوطن ويذكر أن في قطيعة ونفر البراس أقواما بهذه الصفة وقد وقعت من قريش حين خرج النبي صلى الله عليه وسلم وأبو بكر الى الغار على صخر صلد وأحجار صم ولا طين ولا تراب تبين فيه الاقدام فحجبهم الله تعالى عن نبيه صلى الله عليه وسلم بما كان من نسج العنكبوت وما لحق القائف من الحيرة وقوله الى ههنا انتهت الاقدام هذا ومعهم الجماعة من قريش وأبصارهم سليمة ولولا أن هناك لطيفة لا يتساوى الناس فيها يعني في علمها لما استأثر بعلم ذلك طائفة دون أخرى وقيل ان القيافة لبني مدلج في أحياء مضر واختلف رجلان من القافة في أمر بعير وهما بين مكة ومنى فقال أحدهما هو جمل وقال الآخر هي ناقة وقصدا يتبعان الاثر حتى دخلا شعب

بني عامر فاذا بعير واقف فقال أحدهما لصاحبه أهو ذا قال نعم فوجداه خفني فأصابا جميعا ومنهم من كان يخط الرمل في الارض ويقول فيوافق قوله ما يأتي بعد وقال رجل شردت لي ابل فجئت الى خراش فسألته عنها فأمر بنته ان تخط لي في الارض فخطت ثم قامت فضحك خراش ثم قال أتدري قيامها لاي شئ قلت لا قال قد علمت انك تجدا بلك وتتزوجها فاستحييت ثم خرجت فوجدت ابلي ثم تزوجتها وخرج عمرو بن عبد الله بن معمر ومعه مالك بن خراش الخزاعي غازيين فرا بامرأة وهي تخط للناس في الارض فضحك منها مالك هزوا وقال ما هذا فقالت أما والله لا تخرجن من سجستان حتى تموت ويتزوج عمرو هذا زوجتك فكان كما ذكرت

(وأما الزجر والعرافة) فاحسنه ماروي ان كسرى ابرويز بعث الى النبي صلى الله عليه وسلم حين بعث زاجرا ومصورا فقال للزاجر انظر ماترى في طريقك وعنده وقال للمصور ائتني بصورته فلما عاد اليه أعطاه المصور صورته صلى الله عليه وسلم فوضعها كسرى على وسادته ثم قال للزاجر ماذا رأيت قال ما رأيت ما أزجر به الا انه سيعلوا أمره عليك لانك وضعت صورته على وسادتك وبعث صاحب الروم الى النبي صلى الله عليه وسلم رسولا وقال له انظر اليه ومن الى جانبه وانظر الى ما بين كتفيه حتى ترى الخاتم والشامة فقدم الرسول فرأى النبي صلى الله عليه وسلم على نشز عال واضعا قدميه في الماء وعن يمينه علي رضي الله عنه فلما رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له تحول فانظر ما أمرت به فنظر الرسول فلما رجع الى صاحبه أخبره الخبر فقال ليعلون أمره وليملكن ما تحت قدمي فتفاءل بالنشز العلو وبالماء الحياة * وقال المدايني وقع الطاعون بمصر في ولاية عبد العزيز بن مروان حين أتاها فخرج هاربا ونزل بقرية من قرى الصعيد فقدم عليه حين نزلها رسول لعبد الملك ابن مروان فقال للرسول ما اسمك قال طالب بن مدرك فقال أوه ما أظن اني أرجع الى الفسطاط فمات ولم يرجع وكانت نائلة بنت عمار الكلبي تحت معاوية فقال لفاختة بنت قرظة اذهبي فانظري اليها فذهبت ونظرت فقالت ما رأيت مثلها ولكني رأيت تحت سرتها خالا ليوضعن معه رأس زوجها في حجرها فطلقها معاوية وتزوجها بعده رجلان حبيب بن مسلمة والنعمان بن بشير فقتل أحدهما ووضع رأسه في حجرها وبينما مروان ابن محمد جالس في ايوانه يتفقد الامور اذ تصدعت زجاجة من الايوان فوقعت منها الشمس على منكب مروان وكان هناك عراف وقيل قائف فقام فتبعه ثوبان مولى مروان فسأله فقال صدع الزجاج صدع السلطان ستذهب الشمس بملك مروان بقوم من الترك أو خراسان ذلك عندي واضح البرهان فما مضى غير شهرين حتى مضى ملك مروان وروى المدايني ان عليا رضي الله عنه بعث معقلا في ثلاثة آلاف ليقيم بالرقة وذلك في وقعة صفين فسار حتى نزل الحديثة فبينما هو ذات يوم جالس اذ نظر الى كبشين ينتطحان فجاء رجلان فاخذ كل واحد منهما كبشا فذهب به فقال شداد بن أبي ربيعة الخثعمي الزاجر انكم لتنصرفون من موجهكم هذا لا تغلبون ولا تغلبون اما ترى الكبشين كيف انتطحا حتى حجز بينهما فتفرقا ولا فضل لاحدهما على الآخر (وحكي) أن الاسكندر ملك بعض البلاد

فدخل فيها فوجد امرأة تنسج ثوبا فلما رأته قالت له أيها الملك قد أعطيت ملكا ذا طول وعرض ثم دخل عليها بعد ذلك فقالت ستعزل من الملك قال فغضب عند ذلك فقالت له لا تغضب فانك في المرة الاولى دخلت علي والشقة بيدي ادبر طولها وعرضها ودخلت علي الآن والشقة في يدي أريد قطعها لاني قد فرغت من نسجها فلا تغضب فان النفوس تعلم أشياء بعلامات قال الراوي فكان كذلك (وحكى) أن سيف بن ذي يزن لما استنجد كسرى على قتال الحبشة بعث اليه بجيش عظيم فخرج اليهم ملك الحبشة وهو مسروق بن ابرهة في مائة ألف من الحبشة وكان بين عينيه ياقوتة حمراء بعلاقة من الذهب على تاجه تضئ كالنور وهو على فيل عظيم قال وكان في عسكر ذي يزن رجل يقال له زهير فتأمل ذلك منه ثم قال لاميره اصبر لننظر ما يكون من أمره قال فتحول مسروق من الفيل الى جمل فقال اصبر فتحول بعد ذلك الى فرس ثم الى بغل ثم الى حمار وكأنه انف من مقاتلتهم على شئ من ذلك الا على حمار لما انه استصغرهم واستحقرهم وتفرس ذلك الرجل فيه من الانتقال من أعلى الى أدنى وقال احملوا عليهم فان ملكهم قد ذهب فانه انتقل من كبير الى صغير فحملوا عليهم فكسروهم وقتل الملك (وحكى) انه كان عراف من الطرقيين ببغداد يخبر بما يسئل عنه فلم يخطئ فسأله رجل عن شخص محبوس هل ينطلق قال نعم ويخلع عليه قال فقلت له باي شئ عرفت ذلك فقال انك لما سألتني التفت يمينا وشمالا فوجدت رجلا على ظهره قربة ماء ففرغها ثم حملها على كتفه فأولت الماء بالمحبوس وتفريغه بالانطلاق ووضعها على كتفه بالخلعة قال وكان الامر كذلك

(وأما الفال) فقد روي ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يحب الفال الصالح والاسم الحسن وروي أنه صلى الله عليه وسلم لما نزل المدينة على كلثوم دعا غلامين له يا بشار ويا سالم فقال صلى الله عليه وسلم لابي بكر رضي الله عنه أبشر يا أبا بكر فقد سلمت لنا الدار وقال الاصمعي سالت ابن عون عن الفال فقال هو أن يكون مريض فيسمع يا سالم أو طالب حاجة فيسمع يا واجد وما أشبه ذلك وأما الطيرة فقد كان صلى الله عليه وسلم يحب الفال ويكره الطيرة وقيل ذكرت الطيرة عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال من عرض له من هذه الطيرة شئ فليقل اللهم لا طير الا طيرك ولا خير الا خيرك ولا اله غيرك ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم وعنه صلى الله عليه وسلم أنه قال ليس منا من تطير أو تطير له أو تكهن أو تكهن له وعن ابن عباس رضي الله عنهما رفعه من اقتبس علما من النجوم اقتبس شعبة من السحر وعن أبي هريرة رضي الله عنه رفعه من أتى كاهنا فصدقه فيما يقول أو أتى امرأته حائضا أو أتى امرأته في دبرها فقد برئ مما نزل على محمد وأنشد المبرد هذه الابيات يقول

لا يعلم المرء ليلا ما يصبحه * الا كواذب مما يجري به الفال

والفال والزجر والكهان كلهم * مضللون ودون الغيب اقفال

وقال لبيد

لعمري ما تدري الطوارق بالحصى * ولا زاجرات الطير ما الله صانع

وقال آخر

تعلم انه لا طير الا * على متطير وهو الثبور
بلى شئ يوافق بعض شئ * أحايينا وباطله كثير

وكانت العرب تتطير باشياء كثيرة منها العطاس وسبب تطيرهم منه أن دابة يقال لها العاطوس كانوا يكرهونها وكانوا اذا أرادوا سفرا خرجوا من الغلس والطير في أوكارها على الشجر فيطيرونها فان أخذت يمينا أخذوا يمينا وان أخذت شمالا أخذوا شمالا ومنه قول امرئ القيس

وقد أغتدي والطير في وكناتها * بمنجرد قيد الاوابد هيكل
مكر مفر مقبل مدبر معا * كجلمود صخر حطه السيل من عل

والعرب أعظم ما يتطير منه الغراب فالقول فيه أكثر من أن يطالب عليه شاهد ويسمونه حاتما لانه يحتم عندهم بالفراق ويسمونه الاعور على جهة التطير اذ كان أصح الطير بصرا وفيه يقول بعضهم

اذا ما غراب البين صاح فقل له * ترفق رماك الله يا طير بالبعد
لانت على العشاق أقبح منظر * وأبشع في الابصار من رؤية اللحد
تصيح ببين ثم تعثر ماشيا * وتبرز في ثوب من الحزن مسود
متى صحت صح البين وانقطع الرجا * كانك من يوم الفراق على وعد

وأعرض بعضهم عن الغراب وتطير بالابل وسبب ذلك لكونها تحمل اثقال من ارتحل وفي ذلك قال بعضهم مفردا وأجاد

زعموا بان مطيهم سبب النوى * والمؤذنات بفرقة الاحباب

وقالوا من تطير من شئ وقع فيه (وحكى) عن ابراهيم بن المهدى قال أرسل الى محمد بن زبيدة في ليلة من ليالي الصيف مقمرة يقول يا عم انى مشتاق اليك فاحضر الآن عندنا فجئته وقد بسط له على سطح زبيدة وعنده سليمان بن أبي جعفر وجارية نعيم فقال لها غنينا شيأ فقد سررت بعمومتي فغنت وهي تقول هذه الابيات

هم قتلوه كى يكونوا مكانه * كما فعلت يوما بكسرى مرازبه
بني هاشم كيف التواصل بيننا * وعند أخيه سيفه ونجائبه

قال فغضب وتطير وقال لها ما قصتك ويحك انتهى وغني ما يسرني فغنت تقول

كليب لعمرى كان أكثر ناصرا * وأكثر جرما منك ضرج بالدم

فقال لها ويحك ما هذا الغناء في هذه الليلة غني غير هذا فغنت تقول هذه الابيات

مازال يعدو عليهم ريب دهرهم * حتى تفانوا وريب الدهر عداء
تبكي فراقهم عيني فأرقها * ان التفرق للمشتاق بكاء

قال فانتهرها وقال لها قومي الى لعنة الله فقالت والله يا مولاى لم يجر على لساني غير هذا وما ظننت الا أنك تحبه ثم انها قامت من بين يديه وكان بين يديه قدح بلور كان أبوه يحبه فاصابه طرف ردائها فانكسر قال ابراهيم بن المهدى فالتفت الى وقال يا عمي أرى أن

هذا آخر أمرنا فقلت كلا بل يبقيك الله يا أمير المؤمنين و يسرك فسمعت هاتفا يقول قضى الامر الذى فيه تستفتيان فقال لى اسمعت ما سمعت يا عم فقلت ما سمعت شيأ وما هذا الا توهم فاذا الصوت قد علا فقال يا عم اذهب الى بيتك فمحال أن يكون بعد هذا اجتماع قال فانصرفت من عنده وكان هذا آخر عهدى به وخرج أبو الشمقمق مع خالد بن يزيد ابن مزيد وقد تقلد الموصل فلما أراد الدخول اليها اندق لواؤه فى أول درب منها فتطير لذلك فأنشده أبو الشمقمق يقول

ماكان مندق اللواء لريبة * تخشى ولا أمر يكون مبذلا

لكن هذا الرمح ضعف متنه * صغر الولاية فاستقل الموصلا

فسر خالد وأمر لابى الشمقمق بعشرة آلاف درهم ودخل الحجاج الكوفة متوجها الى عبد الملك فصعد المنبر فانكسر تحت قدمه لوح فعلم انهم قد تطيروا له بذلك فالتفت الى الناس قبل ان يحمد الله تعالى فقال شاهت الوجوه وتبت الايدى وبؤتم بغضب من الله اذا انكسر عود جذع ضعيف تحت قدم أسد شديد تفاءلتم بالشؤم وانى على أعداء الله تعالى لانكد من الغراب الابقع وأشأم من يوم نحس مستمر وانى لا عجب من لوط وقوله لو أن لى بكم قوة أو آوى الى ركن شديد فاى ركن أشد من الله تعالى أوما علمتم ما أنا عليه من التوجه الى أمير المؤمنين وقد وليت عليكم أخى محمد بن يوسف وأمرته بخلاف ما أمر به رسول الله صلى الله عليه وسلم معاذا فى أهل اليمن فانه أمره أن يحسن الى محسنهم ويتجاوز عن مسيئهم وقد أمرته ان يسئ الى محسنكم وأن لا يتجاوز عن مسيئكم وانا اعلم انكم تقولون بعدى لا أحسن الله له الصحابة وأنا معجل لكم الجواب لا أحسن الله عليكم الخلافة أقول قولى هذا واستغفر الله العظيم لى ولكم وخرج بعض ملوك الفرس الى الصيد فأول من استقبله أعور فضربه وأمر بحبسه ثم ذهب للصيد فاصطاد صيدا كثيرا فلما عاد استدعى بالاعور فامر له بمال فقال لا حاجة لى به ولكن ائذن لى فى الكلام فقال تكلم فقال أيها الملك انك تلقيتنى فضربتنى وحبستنى وتلقيتك فصدت وسلمت فاينا اشأم صباحا على صاحبه فضحك منه وأمر له بصلة (وحكى) أيضا ان صاحب قرطبة أصابه وجع فأمر بعض جواريه أن تغنيه لبلهو عن وجعه فقالت مفردا

هذى الليالى علمنا ان ستطوينا * فشعشعينا بماء المزن واسقينا

قال فتطير من ذلك وأمرها بالانصراف ولم يقم بعد ذلك غير خمسة أيام ومات (وحكى) ان نور الدين محمودا وهمام الدين ركبا فى يوم عيد وخرجا للتفرج فتجاولا فى الكلام ثم قال محمود يا من درى هل نعيش الى مثل هذا اليوم فقال له همام الدين قل هل نعيش الى آخر هذا الشهر فان العام كثير قال فاجرى الله على منطقهما ما كان مقدرا فى الازل فمات أحدهما قبل تمام الشهر ومات الآخر قبل تمام العام

(وأما الفراسة) فقد قال الله تعالى ان فى ذلك لآيات للمتوسمين وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اتقوا فراسة المؤمن فانه ينظر بنور الله وقال على رضى الله عنه ما أضمر أحد شيأ الا ظهر فى فلتات لسانه وصفحات وجهه وقيل أشار ابن عباس رضى الله عنهما على على

رضى الله عنه الشئ فلم يعمل به ثم ندم فقال يرحم الله ابن عباس كأنما ينظر الى الغيب من ستر رقيق وحكى أبو سعيد الخراز أنه كان فى الحرم فقير ليس عليه الا ما يستر عورته فانفت نفسى منه فتفرس ذلك منى فقرأ واعلموا ان الله يعلم مافى أنفسكم فاحذروه فندمت واستغفرت الله فى قلبى فتفرس ذلك ايضا فقرأ وهو الذى يقبل التوبة عن عباده (وحكى) عن الشافعى ومحمد بن الحسن انهما رأيا رجلا فقال احدهما انه نجار وقال الآخر انه حداد فسألاه عن صنعته فقال كنت حدادا وأنا الآن نجار (وحكى) ان شخصا من أهل القرآن سأل بعض العلماء مسئلة فقال له اجلس فانى أشم من كلامك رائحة الكفر فاتفق بعد ذلك انه سافر السائل فوصل الى القسطنطينية فدخل فى دين النصرانية قال من رآه ولقد رأيته متكئا على دكة وبيده مروحة يروح بها عليه فقلت السلام عليك يافلان فسلم على وتعارفنا ثم قلت له بعد ذلك هل القرآن باق على حاله أم لا فقال له لا اذكر منه الا آية واحدة وهى قوله تعالى ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين قال فبكيت عليه وتركته وانصرفت وكان الحسن بن السقاء من موالى بنى سليم ولم يكن فى الارض أحزر منه كان ينظر الى السفينة فيحزر ما فيها فلا يخطئ وكان حزره المكيول والموزون والمعدود سواء كان يقول فى هذه الرمانة كذا كذا حبة وزنتها كذا وكذا ويأخذ العود الآس فيقول فيه كذا وكذا ورقة فلا يخطئ وقالوا اذا رأيت الرجل يخرج بالغداة ويقول الشئ ما عند الله خير وأبقى فاعلم ان فى جواره وليمة ولم يدع اليها واذا رأيت قوما يخرجون من عند قاض وهم يقولون ماشهدنا الا بما علمنا فاعلم ان شهادتهم لم تقبل واذا قيل للمتزوج صبيحة البناء على أهله كيف ما تقدمت عليه فقال الصلاح خير من كل شئ فاعلم ان امرأته قبيحة واذا رأيت انسانا يمشى ويلتفت فاعلم انه يريد أن يحدث واذا رأيت فقيرا يعدو ويهرول فاعلم انه فى حاجة غنى واذا رأيت رجلا خارجا من عند الوالى وهو يقول يد الله فوق أيديهم فاعلم انه صفع ويقال عين المرء عنوان قلبه وكانوا يقولون عظم الجبين يدل على البله وعرضه يدل على قلة العقل وصغره يدل على لطف الحركة واذا وقع الحاجب على العين دل على الحسد والعين المتوسطة فى حجمها دليل الفطنة وحسن الخلق والمروءة والتى يطول تحديقها يدل على الحمق والتى يكسر طرفها تدل على خفة وطيش والشعر فى الاذن يدل على جودة السمع والاذن الكبيرة المنتصبة تدل على حمق وهذيان وكان الفرس تقول اذا فشا الموت فى الوحوش دل على ضيقة واذا فشا فى الفار دل على الخصب واذا نعق غراب فجاوبته دجاجة عمر الخراب واذا قوقت دجاجة فجاوبها غراب خرب العمار والله أعلم بكل شئ عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحدا وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها الا هو ويعلم ما فى البر والبحر وما تسقط من ورقة الا يعلمها ولا حبة فى ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس الا فى كتاب مبين وأما النوم والسهر وما جاء فيهما فقد روى عن ابن عباس رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال أشراف أمتى حملة القرآن وأصحاب الليل وروى ان أم سليمان بن داود عليهما السلام قالت له يابنى لا تكثر النوم بالليل فان صاحب النوم يجئ يوم القيامة مفلسا وكان زمعة بن صالح يصلى ليلا طويلا فاذا أسحر نادى أهله

يا أيها الركب المعرسونا * أكل هذا الليل ترقدونا

فيتوا ثبون بين باك وداع ومتضرع فاذا أصبح نادى * عند الصباح يحمد القوم السرى
وأنشدوا

يا أيها الراقد كم ترقد * قم يا حبيبي قد دنا الموعد

وخذ من الليل وساعاته * حظا اذا ما هجع الرقد

من نام حتى ينقضي ليله * لم يبلغ المنزل أو يجهد

قل لذوي الالباب أهل التقى * قنطرة الحشر لكم موعد

وقيل ان نومة الضحى تورث الغم والخوف ونومة العصر تورث الجنون وأنشد بعضهم مفردا

ألا ان نومات الضحى تورث الفتى * غموما ونومات العصر جنون

وعن العباس بن عبد المطلب أنه مر يوما بابنه وهو نائم نومة الضحى فوكزه برجله وقال له قم لا أنام الله عينك أتنام في ساعة يقسم الله تعالى فيها الرزق بين العباد أو ما سمعت ما قالت العرب انها مكسلة مهزلة منسية للحاجة والنوم على ثلاثة أنواع نومة الخرق ونومة الخلق ونومة الحمق فنومة الخرق نومة الضحى ونومة الخلق هي التي أمر النبي صلى الله عليه وسلم بها أمته فقال قيلوا فان الشياطين لا تقيل ونومة الحمق النومة بعد العصر لا ينامها الا سكران أو مجنون وكان هشام بن عبد الملك يقول لولده لا تصطبح بالنوم فانه شؤم ونكد وقال الثوري لطبيب دلني على شئ اذا أردت النوم جاءني فقال ادهن رأسك وأكثر من ذلك واتق الله وكان طاوس يقول لأن تختلف السياط على ظهري أحب الي من أن أنام يوم الجمعة والامام يخطب وكان شداد بن أوس يتلوى على فراشه كالحبة على المقلى ويقول اللهم ان النار منعتني النوم وأنشدوا في المعنى

غيرت موضع مرقدي * يوما ففارقني السكون

قل لي فأول ليلتي * في حفرتي أني أكون

وأنشد أبو دلف

أما لكتي ردي على رقاديا * ونومي فقد شردته عن وساديا

أما تتقين الله في قتل عاشق * أمت الكرى عنه فأحيا اللياليا

وانشد أبو غانم الثقفي مفردا

رقدت رقاد الهيم حتى لو انني * يكون رقادي مغنما لغنمت

فقيل لمن هذا فقال لرقاد من رقاد العرب وقيل ان نوم عبود يضرب به المثل وكان عبود هذا عبدا أسود قيل انه نام اسبوعا وقيل انه تماوت على أهله وقال اندبوني لأعلم كيف تندبوني اذا أنا مت فسجي ونام وندب فاذا هو قد مات

(وأما الرؤيا) فقد قيل فيها أقاويل وهو انهم قالوا ان النوم هو اجتماع الدم وانحداره الى الكبد ومنهم من رأى ان ذلك هو سكون النفس وهدو الروح ومنهم من زعم ان ما يجده الانسان في نومه من الخواطر انما هو من الاطعمة والاغذية والطبائع وذهب جمهور الاطباء الى أن الاحلام من الاخلاط وان ذلك بقدر مزاج كل واحد منها وقوته فالذي يغلب عليه الصفراء يرى بحورا وعيونا ومياها كثيرة ويرى انه يسبح ويصيد سمكا ومن

غلبت على مزاجه السوداء رأى فى منامه اجداثا وأمواتا مكفنين بسواد و بكاء وأشياء مفزعة ومن غلب على مزاجه الدم رأى الخمر والرياحين وأنواع الملاهى والثياب المصبغة والذى يقع عليه التحقيق ان الرؤيا الصالحة كما قد جاء جزء من ستين جزأ من النبوة وكان النبى صلى الله عليه وسلم أول ما بدئ به من الوحى الرؤيا الصالحة فكان لا يرى رؤيا الا جاءت مثل فلق الصبح والرؤيا على ضربين فمنهم من يرى رؤيا فتجىء على حالها لا تزيد ولا تنقص ومنهم من يرى الرؤيا فى صورة مثل ضرب له فمن ذلك ما حكى ان النبى صلى الله عليه وسلم رأى فى الجنة غرفا فقال لمن هذه فقيل لابى جهل بن هشام فقال مالابى جهل والجنة والله لا يدخلها أبدا قال فأتاه عكرمة ولده مسلما فتأولها به وكذلك تأول فى قتل الحسين لما رأى ان كلبا يقع يلغ فى دمه وكان ذلك بعد رؤياه عليه الصلاة والسلام بخمسين عاما وكذلك حين قال لابى بكر رضى الله عنه انى رأيت كأنى رقيت انا وأنت درجا فى الجنة فسبقتك بدرجتين ونصف فقال أبو بكر رضى الله عنه يا رسول الله أقبض بعدك بسنتين ونصف فكان كذلك ورأت عائشة رضى الله عنها سقوط ثلاثة أقمار فى حجرتها فأولها أبوها بموته وموت النبى صلى الله عليه وسلم وموت عمر رضى الله عنهما ودفنهم فى حجرتها فكان الامر كذلك وحكى ان أم الشافعى رضى الله عنه لما حملت به رأت كأن المشترى خرج من فرجها وانقض بمصر ثم تفرق فى كل بلد قطعة فأول بعالم يكون بمصر وينتشر علمه باكثر البلاد فكان كذلك (وحكى) أيضا ان عاملا أتى عمر رضى الله عنه فقال رأيت الشمس والقمر اقتتلا فقال له عمر مع من كنت قال مع القمر فقال مع الآية الممحوة والله لا وليت لى عملا فعزله ثم اتفق ان عليا رضى الله عنه وقع بينه وبين معاوية ماوقع فكان ذلك الرجل مع معاوية واما من مهر فى تعبير الرؤيا فهو ابن سيرين جاءه رجل فقال له رأيت كأنى أسقى شجرة زيتون زيتا فاستوى حالسا فقال ما التى تحتك قال علجة اشتريتها وفى رواية جارية وأنا أطؤها فقال أخاف أن تكون أمك فكشف عنها فوجدها أمه وجاءه رجل فقال رأيت كأن فى يدى خاتما أختم به فروج النساء وأفواه الرجال فقال له أنت مؤذن تؤذن بالليل فتمنع الرجال والنساء من الاكل والوطء وجاءه رجل فقال رأيت جارة لى قد ذبحت فى بيت من دارها فقال هى امرأة نكحت فى ذلك البيت وكانت امرأة اصدقت ذلك الرجل فاغتم لذلك ثم بلغه ان الرجل قدم فى تلك الليلة وجامع زوجته فى ذلك البيت وجاءه رجل ومعه جراب فقال له رأيت فى النوم كأنى أسد الزقاق سدا وثيقا شديدا فقال له أنت رأيت هذا قال نعم فقال لمن حضره ينبغى أن يكون هذا الرجل يخنق الصبيان وربما يكون فى جرابه آلة الخنق فوثبوا عليه وفتشوا الجراب فوجدوا فيه أوتارا وحلقا فسلموه الى السلطان وجاءته امرأة وهو يتغدى فقالت له رأيت فى النوم كأن القمر دخل فى الثريا ونادى مناد من خلفى ان ائتى ابن سيرين فقصى عليه فتقاصت يده وقال ويلك كيف رأيت هذا فاعادت عليه فقال لاخته هذه تزعم انى أموت لسبعة أيام وامسك يده على فؤاده وقام يتوجع ومات بعد سبعة أيام وجاءه رجل فقال رأيت كأنى آخذ البيض واقشره فآكل بياضه وألقى صفاره فقال ان صدق منامك فانت نباش الموتى فكان كذلك (وحكى)

ان ابن سيرين رأى الجوزاء قد تقدمت على الثريا فعمل بوصى وقال يموت الحسن وأموت بعده وهو أشرف منى فمات الحسن ومات بعده بمائة يوم (وحكى) ان رجلا رأى عيسى عليه السلام فقال له يانبى الله صلبك حق قال نعم فعبره على بعضهم فقال تكذب رؤياك بقوله تعالى وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم ولكن هو عائد على الرائى فكان كذلك وأتى ابنة مغيث آت فى المنام فقال لها الك البشرى بولد * أشبه شئ بالاسد * اذا الرجال فى كبد * تغالبوا على بلد * كان له حظ الاسد * فولدت المختار بن ابى عبيد وذلك فى عام الهجرة وقال رجل لسعيد بن المسيب رأيت كأنى بلت خلف المقام أربع مرات قال كذبت لست صاحب هذه الرؤيا قال هو عبد الملك فقال بلى أربعة من صلبه الخلافة وقال الشافعى رضى الله عنه رأيت عليا رضى الله تعالى عنه فى المنام فقال لى ناولنى كتبك فناولته اياها فأخذها وبددها فأصبحت أخا كآبة فأتيت الجعد فأخبرته فقال سيرفع الله شأنك وينشر علمك وعن ابن مسعود رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال من رآنى فى منامه فقد رآنى حقا فان الشيطان لا يتمثل بى وجاء رجل الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال رأيت كان رأسى قد قطع وأنا أنظر اليه فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال باى عين كنت تنظر الى رأسك فلم يلبث رسول الله صلى الله عليه وسلم أن توفى وأولوا رأسه بنبيه ونظره اليه باتباع سنته وقال رجل لعلى بن الحسين رأيت كانى أبول فى يدى فقال تحتك محرم فنظروا فاذا بينه وبين امرأته رضاع وقال أبو حنيفة رضى الله عنه رأيت كانى نبشت قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فضممت عظامه الى صدرى فهالنى ذلك فسألت ابن سيرين فقال ما ينبغى لاحد من أهل هذا الزمان أن يرى هذه الرؤيا قلت انا رأيتها قال ان صدقت رؤياك لتحيين سنة نبيك صلى الله عليه وسلم * وقال النبى صلى الله عليه وسلم الرؤيا الصالحة بشارة للمؤمن بماله عند الله من الكرامة فى الدنيا والآخرة وعن ابن عمر رضى الله عنهما قال تضرعت الى ربى سنة ان يرينى أبى فى النوم حتى رأيته وهو يمسح العرق عن جبينه فسألته فقال لولا رحمة الله لهلك أبوك انه سألنى عن عقال بعير للصدقة فسمع بذلك عمر بن عبد العزيز فصاح وضرب بيده على رأسه وقال فعل هذا بالتقى الطاهر فكيف بالمقترف عمر بن عبد العزيز رضى الله عنهم أجمعين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

(الباب الحادى والستون فى الحيل والخدائع المتوصل بها الى بلوغ المقاصد والتيقظ والتبصر)

الحيلة من فوائد الآراء المحكمة وهى حسنة مالم يستبح بها محظور وقد سئل بعض الفقهاء عن الحيل فى الفقه فقال علمكم الله ذلك فانه قال وخذ بيدك ضغثا فاضرب به ولا تحنث وكان صلى الله عليه وسلم اذا أراد غزوة ورّى بغيرها وكان يقول الحرب خدعة ولما أراد عمر رضى الله عنه قتل الهرمزان استسقى ماء فأتوه بقدح فيه ماء فأمسكه فى يده واضطرب فقال له عمر لا بأس عليك حتى تشربه فألقى القدح من يده فأمر عمر بقتله فقال أولم تؤمنى قال كيف امنتك قال قلت لا بأس عليك حتى تشربه وقولك لا بأس عليك امان ولم أشربه فقال

عمر قاتلك الله أخذت مني امانا ولم أشعر وقيل كان دهاة العرب أربعة كلهم ولدوا بالطائف معاوية وعمرو بن العاص والمغيرة بن شعبة والسائب بن الاقرع * وكان يقال الحاجة تفتح أبواب الحيل وكان يقال ليس العاقل الذي يحتال للامور اذا وقع فيها بل العاقل الذي يحتال للامور ان لا يقع فيها وقال الضحاك بن مزاحم لنصراني لو اسلمت فقال مازلت محبا للاسلام الا انه يمنعني منه حبي للخمر فقال اسلم واشربها فلما أسلم قال له قد أسلمت فان شربتها حددناك وان ارتددت قتلناك فاختر لنفسك فاختار الاسلام وحسن اسلامه فأخذه بالحيلة وقيل دليت من السماء سلسلة في أيام داود عليه السلام عند الصخرة التي في وسط بيت المقدس وكان الناس يتحاكمون عندها فمن مد يده اليها وهو صادق نالها ومن كان كاذبا لم ينلها الى ان ظهرت فيهم الخديعة فارتفعت وذلك ان رجلا أودع رجلا جوهرة فخبأها في مكانه في عكازة ثم ان صاحبها طلبها من الذي أودعها عنده فأنكرها فتحاكما عند السلسلة فقال المدعي اللهم ان كنت صادقا فلتدن مني السلسلة فدنت منه فمسها فدفع المدعى عليه العكازة للمدعي وقال اللهم ان كنت تعلم اني رددت الجوهرة اليه فلتدن مني السلسلة فدنت منه فمسها فقال الناس قد سوت السلسلة بين الظالم والمظلوم فارتفعت بشؤم الخديعة واوحى الله تعالى الى داود عليه السلام أن احكم بين الناس بالبينة واليمين فبقي ذلك الى قيام الساعة وكان المختار بن أبي عبيد الثقفي من دهاة ثقيف وثقيف دهاة العرب قيل انه وجه ابراهيم بن الاشتر الى حرب عبيد الله بن زياد ثم دعا برجل من خواصه فدفع اليه حمامة بيضاء وقال له ان رأيت الامر عليكم فأرسلها ثم قال للناس اني لاجد في محكم الكتاب وفي اليقين والصواب ان الله ممدكم بملائكة غضاب صعاب تاتي في صور الحمام تحت السحاب * فلما كادت الدائرة تكون على أصحابه عمد ذلك الرجل الى الحمامة فأرسلها فتصايح الناس الملائكة الملائكة وحملوا فانتصروا وقتلوا ابن زياد * وعن ابي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال خرجت امرأتان ومعهما صبيان فعدا الذئب على صبي احداهما فأكله فاختصما في الصبي الباقي الى داود عليه السلام فقال كيف امركما فقصتا عليه القصة فحكم به للكبرى منهما فاختصما الى سليمان عليه السلام فقال ائتوني بسكين اشق الغلام نصفين لكل منهما نصف فقالت الصغرى اتشقه يانبي الله قال نعم قالت لا تفعل ونصيبي فيه للكبرى فقال خذيه فهو ابنك وقضى به لها وجاء رجل الى سليمان بن داود عليه السلام وقال يانبي الله ان لي جيرانا يسرقون أوزي فلا اعرف السارق فنادى الصلاة جامعة ثم خطبهم وقال في خطبته وان احدكم ليسرق اوز جاره ثم يدخل المسجد والريش على راسه فمسح الرجل رأسه فقال سليمان خذوه فهو صاحبكم وخطب المغيرة بن شعبة وفتى من العرب امرأة وكان شابا جميلا فأرسلت اليهما أن يحضرا عندها فحضرا وجلست بحيث تراهما وتسمع كلامهما فلما رأى المغيرة ذلك الشاب وعاين جماله علم انها تؤثره عليه فأقبل على الفتى وقال لقد أوتيت جمالا فهل عندك غير هذا قال نعم فعدد محاسنه ثم سكت فقال له المغيرة كيف حسابك مع أهلك قال ما يخفى علي منه شئ واني لأستدرك منه أدق من الخردل فقال المغيرة لكني أضع

المدرة في بيتي فينفقها أهلي على ما يريدون فلا أعلم بنفادها حتى يسألوني غيرها فقالت المرأة والله لهذا الشيخ الذي لا يحاسبني أحب الي من هذا الذي يحصي على مثقال الذرة فتزوجت المغيرة وبلغ عضد الدولة ان قوما من الاكراد يقطعون الطريق و يقيمون في جبال شامخة ولا يقدر عليهم فاستدعى بعض التجار ودفع اليه بغلا عليه صندوقان فيهما حلواء مسمومة كثيرة الطيب في ظروف فاخرة ودنانير وافرة وأمره أن يسير مع القافلة و يظهر ان هذه هدية لاحد نساء الامراء ففعل التاجر ذلك وسار امام القافلة فنزل القوم فأخذوا الامتعة والاموال وانفرد أحدهم بالبغل وصعد به الجبل فوجد به الحلوى فقبح على نفسه أن ينفرد بها دون أصحابه فاستدعاهم فأكلوا على مجاعة فماتوا عن آخرهم وأخذ أرباب الاموال أموالهم وأتى لبعض الولاة برجلين قد اتهما بسرقة فأقامهما بين يديه ثم دعا بشربة ماء فجيء له بكوز فرماه بين يديه فارتاع أحدهما وثبت الآخر فقال للذي ارتاع اذهب الى حال سبيلك وقال للآخر أنت أخذت المال وتلذذت به وتهدده فأقر فسئل عن ذلك فقال ان اللص قوي القلب والبري يجزع ولو تحرك عصفور لفزع منه وقصد رجل الحج فاستودع انسانا مالا فلما عاد طلبه منه فجحده المستودع فأخبر بذلك القاضي اياس فقال اعلم بأنك جئتني قال لا قال فعد الي بعد يومين ثم ان القاضي اياسا بعث الى ذلك الرجل فأحضره ثم قال له اعلم انه قد تحصلت عندي أموال كثيرة للايتام وغيرهم وودائع للناس واني مسافر سفرا بعيدا وأريد أن أودعها عندك لما بلغني من دينك وتحصين منزلك فقال حبا وكرامة قال فاذهب وهيئ موضعا للمال وقوما يحملونه فذهب الرجل وجاء صاحب الوديعة فقال له القاضي اياس امض الى صاحبك وقل له ادفع الي مالي والا شكوتك للقاضي اياس فلما جاءه وقال له ذلك دفع اليه ماله واعتذر اليه فأخذه وأتى الى القاضي اياس فأخبره ثم بعد ذلك أتى الرجل ومعه الحمالون لطلب الاموال التي ذكرها له القاضي فقال له القاضي بعد ان أخذ الرجل ماله منه بدا لي ترك السفر امض لشأنك لا كثر الله في الناس مثلك ولما أراد شيرويه قتل أبيه أبرويز قال ابرويز للداخل عليه ليقتله اني لأدلك على شيء فيه غناك لوجوب حقك علي قال وما هو قال الصندوق الفلاني فلما قتله ذهب الى شيرويه وأخبره الخبر فأخرج الصندوق فاذا فيه حق فيه حب ورقعة مكتوب فيها من تناول منه حبة واحدة افتض عشرة أبكار وكان لشيرويه غرام في الباه فتناول منه حبة فهلك من ساعته فكان ابرويز أول مقتول أخذ بثاره من قاتله ولما بايع الرشيد لاولاده الثلاثة بولاية العهد تخلف رجل مذكور من الفقهاء فقال له الرشيد لم تخلفت فقال عاقني عائق فقال اقرؤا عليه كتاب البيعة فقال يا أمير المؤمنين هذه البيعة في عنقي الى قيام الساعة فلم يفهم الرشيد ما أراد وظن انه الى قيام الساعة يوم الحشر وما أراد الرجل الا قيامه من المجلس وقال المغيرة بن شعبة لم يخدعني غير غلام من بني الحرث بن كعب فاني ذكرت امرأة منهم لاتزوجها فقال أيها الامير لا خير لك فيها فقلت ولم قال رأيت رجلا يقبلها فأعرض عنها فتزوجها الفتى فلمته وقلت ألم تخبرني انك رأيت رجلا يقبلها قال نعم رأيت أباها يقبلها وأتى رجل الى الاحنف فلطمه فقال ما حملك

على هذا فقال جعل لي جعل على أن ألطم سيد بني تميم فقال لست بسيدهم عليك بحرثة ابن قدامة فانه سيدهم فمضى اليه فلطمه فقطعت يده وقال الشعبي وجهني عبد الملك الى ملك الروم فقال لي من أهل بيت الخلافة أنت قلت لا ولكني رجل من العرب فكتب الى عبد الملك رقعة ودفعها الي فلما قرأها عبد الملك قال لي أتدري ما فيها قلت لا قال فيها العجب لقوم فيهم مثل هذا كيف يولون أمرهم غيره قال أتدري ما أراد بهذا قلت لا قال حسدني عليك فأراد أن أقتلك فقلت انما كبرت عنده يا أمير المؤمنين لانه لم يرك ولم يترك شيأ الا سألني عنه وأنا أجيبه فبلغ ملك الروم ما قاله عبد الملك للشعبي فقال لله أبوه ما عدا ما في نفسي ولما ولى عبد الملك بن مروان أخاه بشرا الكوفة وكان شابا ظريفا غزلا بعث معه روح بن زنباع وكان شيخا متورعا فثقل على بشر مرافقته فذكر ذلك لندمائه فتوصل بعض ندمائه الى أن دخل بيت روح بن زنباع ليلا في خفية فكتب على حائط قريب من مجلسه هذه الابيات

يا روح من لبنيات وأرملة * اذا نعاك لاهل المغرب الناعي

ان ابن مروان قد حانت منيته * فاحتل بنفسك يا روح بن زنباع

فتخوف من ذلك وخرج من الكوفة فلما وصل الى عبد الملك أخبره بذلك فاستلقى على قفاه من شدة الضحك وقال ثقلت على بشر وأصحابه فاحتالوا لك (ومن الحيل الظريفة) ما حكي ان النبي صلى الله عليه وسلم لما فتح خيبر وأعرس بصفية وفرح المسلمون جاءه الحجاج ابن علاط السلمي وكان أول ما أسلم في تلك الايام وشهد خيبر فقال يا رسول الله ان لي بمكة مالا عند صاحبتي أم شيبة ولي مال متفرق عند تجار مكة فأذن لي يا رسول الله في العود الى مكة عسى أسبق خبر اسلامي اليهم فاني أخاف ان علموا باسلامي أن يذهب جميع مالي بمكة فأذن لي لعلي أخلصه فأذن له رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله اني أحتاج أن أقول فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم قل وأنت في حل قال الحجاج فخرجت فلما انتهيت الى الثنية ثنية البيضاء وجدت بها رجالا من قريش يتسمعون الاخبار وقد بلغهم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سار الى خيبر فلما أبصروني قالوا هذا لعمر الله عنده الخبر أخبرنا يا حجاج فقد بلغنا ان القاطع يعنون محمدا صلى الله عليه وسلم قد سار الى خيبر قال قلت انه قد سار الى خيبر وعندي من الخبر ما يسركم قال فأحدقوا حول ناقتي يقولون ايه يا حجاج قال فقلت هزم هزيمة لم تسمعوا بمثلها قط وأسر محمد وقالوا لا نقتله حتى نبعث به الى مكة فيقتلونه بين أظهرهم بمن كان أصاب من رجالهم قال فصاحوا بمكة قد جاءكم الخبر وهذا محمد انما تنتظرون أن يقدم به عليكم فيقتل بين أظهركم قال فقلت أعينوني على جمع مالي من غرمائي فاني أريد أن أقدم خيبر فاغنم من ثقل محمد وأصحابه قبل أن يسبقني التجار الى هنالك فقاموا معي فجمعوا لي مالي كأحسن ما أحب فلما سمع العباس بن عبد المطلب الخبر أقبل على حتى وقف الى جانبي وأنا في خيمة من خيام التجار فقال يا حجاج ما هذا الخبر الذي جئت به قال فقلت وهل عندك حفظ لما أودعه عندك من السر فقال نعم والله قال قلت استأخر

عنى حتى القاك على خلاء فانى فى جمع مالى كما ترى فانصرف عنى حتى اذا فرغت من جمع
كل شئ كان لى بمكة وأجمعت على الخروج لقيت العباس فقلت له احفظ على حديثى يا أبا
الفضل فانى أخشى أن يتبعونى فاكتم على ثلاثة أيام ثم قل ماشئت قال لك على ذلك قال
قلت والله ماتركت ابن أخيك الا عروسا على ابنة ملكهم يعنى صفية وقد افتتح خيبر وغنم
مافيها وصارت له ولاصحابه قال أحق ماتقول ياحجاج قال قلت اى والله ولقد أسلمت وما
جئت الا مسلما الا آخذ مالى خوفا من أن أغلب عليه فاذا مضت ثلاثة فاظهر أمرك فهو والله
على ماتحب قال فلما كان فى اليوم الرابع لبس العباس حلة له وتخلق بالطيب وأخذ
عصاه ثم خرج حتى أتى الكعبة فطاف بها فلما رأوه قالوا يا أبا الفضل هذا والله هو التجلد
لحر المصيبة قال كلا والذى حلفتم به لقد افتتح محمد خيبر وترك عروسا على ابنة ملكهم
وأحرز أموالهم ومافيها فاصبحت له ولاصحابه قالوا من جاءك بهذا الخبر قال الذى جاءكم بما
جاءكم به ولقد دخل عليكم مسلما وأخذ ماله وانطلق ليلحق محمدا وأصحابه ليكون معهم
قالوا تفلت عدو الله اما والله لو علمنا به لكان لنا وله شأن قال ولم يلبثوا أن جاءهم الخبر
بذلك فتوصل الحجاج بفطنته واحتياله الى تخليصه وتحصيل ماله ولما اجتمعت الاحزاب
على حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الخندق وقصدوا المدينة وتظاهروا وهم فى
جمع كثير وجم غفير من قريش وغطفان وقبائل العرب وبنى النضير وبنى قريظة من اليهود
ونازلوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن معه من المسلمين واشتد الأمر واضطرب المسلمون
وعظم الخوف على ماوصفه الله تعالى فى قوله تعالى اذ جاؤكم من فوقكم ومن أسفل منكم
واذ زاغت الابصار وبلغت القلوب الحناجر وتظنون بالله الظنونا هنالك ابتلى المؤمنون
وزلزلوا زلزالا شديدا فجاء نعيم بن مسعود بن عامر الغطفانى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال يارسول الله انى قد أسلمت وان قومى لم يعلموا باسلامى فمرنى بما شئت فقال له رسول
الله صلى الله عليه وسلم خذل عنا ان استطعت فان الحرب خدعة فخرج نعيم بن مسعود حتى
أتى بنى قريظة وكان نديما لهم فى الجاهلية فقال يابنى قريظة قد علمتم ودى اياكم وخاصة
مابينى وبينكم قالوا اصدقت لست عندنا بمتهم فقال لهم ان قريشا وغطفان ليسوا كأنتم
فان البلد بلدكم وبه أموالكم وأبناؤكم ونساؤكم لاتقدرون على ان تتحولوا منه الى غيره
وان قريشا وغطفان قد جاؤا لحرب محمد وأصحابه وقد ظاهرتموهم عليه وأموالهم وأولادهم
ونساؤهم بغير بلدكم وليسوا مثلكم لانهم ان رأوا فرصة اغتنموها وان كان غير ذلك لحقوا
ببلادهم وخلوا بينكم وبين الرجل ببلدكم ولا طاقة لكم به ان خلا بكم فلا تقاتلوا مع القوم
حتى تأخذوا منهم رهنا من أشرافهم يكونون بايديكم ثقة لكم على أن تقاتلوا معهم محمدا
قالوا أشرت بالرأى ثم أتى قريشا فقال لابى سفيان بن حرب وكان اذ ذاك قائد المشركين من
قريش ومن معه من كبراء قريش قد علمتم ودى لكم وفراقى محمدا وانه قد بلغنى أمر
وأحببت أن أبلغكموه نصحا لكم فاكتموه على قالوا نعم قال اعلموا ان معشر يهود بنى قريظة
قد ندموا على مافعلوا فيما بينهم و بين محمد وقد أرسلوا اليه يقولون انا قد ندمنا على نقض
العهد الذى بيننا وبينك فهل يرضيك أن نأخذ لك من القبيلتين من قريش وغطفان

رجالا من أشرافهم فنسلمهم اليك فتضرب رقابهم ثم نكون معك على من بقى منهم فنستأصلهم فأرسل يقول نعم فان بعث اليكم يهود يلتمسون منكم رهائن من رجالكم فلا تدفعوا اليهم منكم رجلا واحدا ثم خرج حتى أتى غطفان فقال لهم مثل ما قال لقريش وحذرهم فلما كانت ليلة السبت أرسل أبو سفيان ورؤس بنى غطفان الى بنى قريظة يقولون لهم انا لسنا بدار مقام وقد هلك الخف والحافر فاعتدوا للقتال حتى نناجز محمدا ونفرغ فيما بيننا وبينه فأرسلوا يقولون لهم ان اليوم يوم السبت وهو يوم لا نعمل فيه شيأ ولسنا مع ذلك بالذين نقاتل محمدا حتى تعطونا رهنا من رجالكم يكونون بأيدينا ثقة لنا حتى نناجز محمدا فانا نخشى ان دهمتكم الحرب واشتد عليكم القتال أن تشمروا الى بلادكم وتتركونا والرجل فى بلدنا ولا طاقة لنا به فلما رجعت اليهم الرسل بما قالت بنو قريظة قالت قريش وغطفان والله ان الذى حدثكم به نعيم بن مسعود لحق فأرسلوا الى بنى قريظة يقولون انا لا ندفع اليكم رجلا واحدا من رجالنا فان كنتم تريدون القتال فاخرجوا وقاتلوا فقالت بنو قريظة حين انتهت اليهم الرسل ان الكلام الذى ذكره نعيم بن مسعود لحق وما يريد القوم الا أن تقاتلوا فان رأوا فرصة انتهزوها وان كان غير ذلك شمروا الى بلادهم وخلوا بينكم وبين الرجل فى بلدكم فأرسلوا الى قريش وغطفان انا لا نقاتل معكم حتى تعطونا رهنا فأبوا عليهم فخذل الله تعالى بينهم وأرسل عليهم الريح فتفرقوا وارتحلوا وكان هذا من لطف الله تعالى أن ألهم نعيم بن مسعود هذه الفتنة وهداه الى اليقظة التى عم نفعها وحسن وقعها

(وأما ما جاء فى التيقظ والتبصر فى الامور) فقد قالت الحكماء من أيقظ نفسه وألبسها لباس التحفظ أيس عدوه من كيده له وقطع عنه أطماع الماكرين به وقالوا اليقظة حارس لا ينام وحافظ لا يرتشى فمن تدرع بها أمن من الاختلال والغدر والجور والكيد والمكر وقيل ان كسرى انوشروان كان أشد الناس تطلعا فى خفايا الامور وأعظم خلق الله تعالى فى زمانه تفحصا وبحثا عن أسرار الصدور وكان يبث العيون على الرعايا والجواسيس فى البلاد ليقف على حقائق الاحوال ويطلع على غوامض القضايا فيعلم المفسد فيقابله بالتأديب والمصلح فيجازيه بالاحسان ويقول متى غفل الملك عن تعرف ذلك فليس له من الملك الا اسمه وسقطت من القلوب هيبته وروى عن أنس بن مالك رضى الله عنه أنه قال خرج أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه فى ليلة من الليالى يطوف يتفقد أحوال المسلمين فرأى بيتا من الشعر مضروبا لم يكن قد رآه بالامس فدنا منه فسمع فيه أنين امرأة ورأى رجلا قاعدا فدنا منه وقال له من الرجل فقال له رجل من البادية قدمت الى أمير المؤمنين لاصيب من فضله قال فما هذا الانين قال امرأة تتمخض قد أخذها الطلق قال فهل عندها أحد قال لا فانطلق عمر والرجل لا يعرفه فجاء الى منزله فقال لامرأته أم كلثوم بنت على بن أبى طالب بنت فاطمة الزهراء رضى الله عنهما هل لك فى أجر قد ساقه الله تعالى لك قالت وما هو قال امرأة تتمخض ليس عندها أحد قالت ان شئت قال فخذى معك ما يصلح للمرأة من

الخرق والدهن وائتيني بقدر وشحم وحبوب فجاءت به فحمل القدر ومشت خلفه حتى أتى البيت فقال ادخلي الى المرأة ثم قال للرجل أوقد لي نارا ففعل فجعل عمر ينفخ النار ويضرمها والدخان يخرج من خلال لحيته حتى أنضجها وولدت المرأة فقالت أم كلثوم رضي الله عنها بشر صاحبك يا أمير المؤمنين بغلام فلما سمعها الرجل تقول يا أمير المؤمنين ارتاع وخجل وقال واخجلتاه منك يا أمير المؤمنين أهكذا تفعل بنفسك قال يا أخا العرب من ولي شيأ من أمور المسلمين ينبغي له أن يتطلع على صغير أمورهم وكبيره فانه عنها مسؤول ومتى غفل عنها خسر الدنيا والآخرة ثم قام عمر رضي الله عنه وأخذ القدر من على النار وحملها الى باب البيت وأخذتها أم كلثوم وأطعمت المرأة فلما استقرت وسكنت طلعت أم كلثوم فقال عمر رضي الله تعالى عنه للرجل قم الى بيتك وكل ما بقي في البرمة وفي غد ائت الينا فلما أصبح جاءه فجهزه بما أغناه به وانصرف وكان رضي الله تعالى عنه من شدة حرصه على تعرف الاحوال واقامة قسطاس العدل وازاحة أسباب الفساد واصلاح الأمة يعس بنفسه ويباشر أمور الرعية سرا في كثير من الليالي حتى انه في ليلة مظلمة خرج بنفسه فرأى في بعض البيوت ضوء سراج وسمع حديثا فوقف على الباب يتجسس فرأى عبدا أسود قدامه اناء فيه مزر وهو يشرب ومعه جماعة فهم بالدخول من الباب فلم يقدر من تحصين البيت فتسور على السطح ونزل اليهم من الدرجة ومعه الدرة فلما رأوه قاموا وفتحوا الباب وانهزموا فمسك الاسود فقال له يا أمير المؤمنين قد أخطأت واني تائب فاقبل توبتي فقال أريد ان أضربك على خطيئتك فقال يا أمير المؤمنين ان كنت قد أخطأت في واحدة فانت قد أخطأت في ثلاث فان الله تعالى قال ولا تجسسوا وأنت تجسست وقال تعالى وأتوا البيوت من أبوابها وأنت أتيت من السطح وقال تعالى لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على أهلها وأنت دخلت وما سلمت فهب هذه لهذه وأنا تائب الى الله تعالى على يدك أن لا أعود فاستتوبه واستحسن كلامه وله رضي الله عنه وقائع كثيرة مثل هذه وكان معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه قد سلك طريق أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه في ذلك وكان زياد بن أبيه يسلك مسلك معاوية في ذلك حتى نقل عنه ان رجلا كلمه في حاجة له وجعل يتعرف اليه وظن ان زيادا لا يعرفه فقال انا فلان بن فلان فتبسم زياد وقال له أتتعرف الي وانا أعرف بك منك بنفسك والله اني لأعرفك وأعرف أباك وأعرف أمك وأعرف جدك وجدتك واعرف هذه البردة التي عليك وهي لفلان وقد أعارك اياها فبهت الرجل وارتعد حتى كاد يغشى عليه ثم جاء بعدهم من اقتدى بهم وهو عبد الملك ابن مروان والحجاج ولم يسلك بعدهما ذلك الطريق واقتفى آثار ذلك الفريق الا المنصور ثاني خلفاء بني العباس ولي الخلافة بعد أخيه السفاح وهي في غاية الاضطراب فنصب العيون وأقام المتطلعين وبث في البلاد والنواحي من يكشف له حقائق الامور والرعايا فاستقامت له الامور ودانت له الجهات ولقد ابتلي في خلافته باقوام نازعوه وأرادوا خلعه وتمردوا عليه وتكاثروا فلولا ان الله تعالى أعانه بتيقظه وتبصره ما ثبت له في الخلافة قدم ولا رفع له مع قصد أولئك القاصدين علم لكنه بث العيون فعرف من انطوى

على خلافه فعالجه باتلافه واطلع على عزائم المعاندين فقط رؤس عنادهم باسيافه وكان لكمال يقظته يتلقى المحذور ويدفعه دون رفعه ويعاجل المخوف بتفريق شمله قبل جمعه فذلت له الرقاب ولانت لخلافته الصعاب وقرر قواعدها واحكمها باوثق الاسباب فمن آثار يقظته وفطنته مانقله عنه عقبة الازدى قال دخلت مع الجند على المنصور فارتابنى فلما خرج الجند أدنانى وقال لى من أنت فقلت رجل من الازد وانا من جند أمير المؤمنين قدمت الآن مع عمر بن حفص فقال انى لأرى لك هيئة وفيك نجابة وانى أريدك لامر وانا به معنى فان كفيتنيه رفعتك فقلت انى لأرجو أن أصدق ظن أمير المؤمنين فى فقال أخف نفسك واحضر فى يوم كذا قال فغبت عنه الى ذلك اليوم وحضرت فلم يترك عنده أحدا ثم قال لى اعلم ان بنى عمنا هؤلاء قد أبوا الا كيدملكنا واغتياله ولهم شيعة بخراسان بقرية كذا يكاتبونهم ويرسلون اليهم بصدقات أموالهم والطاف بلادهم فخذ معك عينا من عندى وألطافا وكتبا واذهب حتى تأتى عبد الله بن الحسن بن على بن أبى طالب فاقدم عليه متخشعا والكتب على ألسنة أهل تلك القرية والالطاف من عندهم اليه فاذا رآك فانه سيردك ويقول لا أعرف هؤلاء القوم فاصبر عليه وعاوده وقل له قد سيروني سرا وسيروا معى ألطافا وعينا وكما جهلك وأنكر اصبر عليه وعاوده واكشف باطن أمره قال عقبة فأخذت كتبه والعين والالطاف وتوجهت الى جهة الحجاز حتى قدمت على عبد الله بن الحسن فلقيته بالكتب فأنكرها ونهرنى وقال ما أعرف هؤلاء القوم قال عقبة فلم أنصرف وعاودته القول وذكرت له اسم القرية وأسماء أولئك القوم وأن معى ألطافا وعينا فأنس بى وأخذ الكتب وما كان معى قال عقبة فتركته ذلك اليوم ثم سألته الجواب فقال أما كتاب فلا أكتب الى أحد ولكن أنت كتابى اليهم فاقرأهم السلام وأخبرهم ان ابنى محمدا وابراهيم خارجان لهذا الامر وقت كذا وكذا قال عقبة فخرجت من عنده وسرت حتى قدمت على المنصور فاخبرته بذلك فقال لى المنصور انى أريد الحج فاذا صرت بمكان كذا وكذا وتلقانى بنو الحسن وفيهم عبد الله فانى اعظمه وأكرمه وارفعه واحضر الطعام فاذا فرغ من أكله ونظرت الى فتمثل بين يدى وقف قدامه فانه سيصرف وجهه عنك فدر حتى تقف من ورائه واغمز ظهره بابهام رجلك حتى يملأ عينيه منك ثم انصرف عنه واياك ان يراك وهو يأكل ثم خرج المنصور يريد الحج حتى اذا قارب البلاد تلقاه بنو الحسن فاجلس عبد الله الى جانبه وحادثه فطلب الطعام للغداء فأكلوا معه فلما فرغوا أمر برفعه فرفع ثم أقبل على عبد الله بن الحسن وقال يا أبا محمد قد علمت أن مما اعطيتنى من العهود والمواثيق أنك لا تريدنى بسوء ولا تكيد لى سلطانا قال فانا على ذلك يا أمير المؤمنين قال عقبة فلحظنى المنصور بعينه فقمت حتى وقفت بين يدى عبد الله بن الحسن فاعرض عنى فدرت من خلفه وغمزت ظهره بابهام رجلى فرفع رأسه وملأ عينيه منى ثم وثب حتى جثى بين يدى المنصور وقال اقلنى يا أمير المؤمنين أقالك الله فقال له المنصور لا أقالنى الله ان لم أقتلك وأمر بحبسه وجعل يتطلب ولديه محمدا وابراهيم ويستعمل أخبارهما قال على الهاشمى صاحب غدائه دعانى المنصور يوما فاذا بين يديه جارية صفراء وقد عاقبها بانواع العذاب وهو يقول

لهـا ويلك اصدقيني فوالله ما أريد الا الالفة ولئن صـدقتيني لاصلن رحمـه ولأتابعن البر اليه واذا هو يسألها عن محمد بن عبد الله بن الحسن بن علي بن أبي طالب وهي تقول لا أعرف له مكانا فأمر بتعذيبها فلما بالغ العـذاب منها أغمي عليها فقال كفوا عنها فلما رأى ان نفسها كادت تتلف قال ما دواء مثلها قالوا اشمام الطيب وصب الماء البارد على وجهها وان تسقى السويق ففعلوا بها ذلك وعالج المنصور بعضه بيده فلما أفاقت سألها عنـه فقالت لا أعلم فلما رأى اصرارها على الجحود قال لها أتعرفين فلانة الحجامة فلما سمعت منـه ذلك تغير وجهها وقالت نعم يا أمير المؤمنين تلك في بني سليم قال صدقت هي والله أمتي ابتعتها بمالي ورزقي يجري عليها في كل شهر وكسوة شتائها وصيفها من عندي سيرتها وأمرتها أن تدخل منازلكم وتحجمكم وتتعرف أحوالكم وأخباركم ثم قال لها أتعرفين فلانا البقال قالت نعم يا أمير المؤمنـين هو في بني فلان قال صـدقت هو والله غلامي دفعت اليـه مالا وأمرته أن يبتاع به ما يحتاج اليـه من الامتعة وأخبرني ان أمة لكم يوم كذا وكذا جاءت اليه بعد صلاة المغرب تسأله حناء وحوائج فقال لها ما تصنعين بهذا قالت كان محمد بن عبد الله بن الحسن في بعض الضـياع بناحية البقيع وهو يدخل الليلة وأردنا هذا ليتخذ النساء ما يحتجن اليه عند دخول أزواجهن من المغيب فلما سمعت الجارية هذا الـكلام من المنصور ارتعـدت من شدة الخوف وأذعنت له بالحـديث وحـدثتـه بكل ما أراد والله سبحانه وتعالى أعـلم بالصواب واليه المرجع والمآب وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

(الباب الثاني والستون في ذكر الدواب والوحوش والطير والهوام والحشرات وما أشبه ذلك مرتبا على حروف المعجم)

(حرف الهمزة)

(الاسد) من السباع والانثى أسدة وله أسماء كثيرة فمن أشهرها اسامة والحرث وقسور والغضنفر وحيدرة والليث والضرغام ومن كناه أبو الابطال وأبو شبل وأبو العباس وهو أنواع منها ما وجهه وجه انسان وشكل جسده كالبقر وله قرون سود نحو شبر ومنها ما هو أحمر كالعناب وغير ذلك وتلده أمـه قطعة لحم وتسـهر تحرسه ثلاثة أيام ثم يأتي أبوه فينفخ فيه فتتفرج اعضاؤه وتتشكل صورته ثم ترضعه وتستمر عيناه مغلقة سبعة أيام ثم يفتح ويقيم على تلك الحالة بين أبيـه وأمه الى سـتة أشهر ثم يتـكلف الـكسب بعد ذلك وله صـبر على الجوع والعطش وعنده شرف نفس يقال انه لا يعاود فريسته ولا يأكل من فريسة غـيره ولا يشرب من ماء ولغ فيه كلب وفي ذلك يقول بعضهم

سأترك حبكم من غير بغض * وذاك لكثرة الشركاء فيـه
اذا وقع الذباب عـلى طعام * رفعت يدي ونفسي تشتهيه
وتجتنب الاسود ورود ماء * اذا كان الـكلاب يلغن فيه

واذا أكل نهش نهشا وريقه قليل جدا ولذلك يوصف بالبخر وعنده شجاعة وجبن وكرم فمن شجاعتـه الاقدام على الامور وعدم الاكتراث بالغير ومن جبنه أنه يفر من صوت الديك والسنور والطست ويتحير عند رؤية النار ومن كرمه أنه لا يقرب المرأة خصوصا اذا كانت

حائضا وقيل أربع عيون تضيء بالليل عين الاسد وعين النمر وعين السنور وعين الأفعى وروى انه لما تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم والنجم اذا هوى قال عتبة بن أبي لهب كفرت برب النجم يعني نفسه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم سلط عليه كلبا من كلابك ينهشه فخرج مع أصحابه في عير الى الشام حتى اذا كانوا بمكان يقال له الزرقاء زأر الأسد فجعلت فرائصه ترتعد فقالوا له من أي شئ ترتعد فرائصك فوالله ما نحن وأنت الا سواء فقال ان محمدا دعا علي ووالله ما أظلت السماء من ذي لهجة أصدق من محمد ثم وضعوا العشاء فلم يدخل يده فيه ثم جاء النوم فحاطوا أنفسهم بمتاعهم وجعلوه بينهم وناموا فجاء الاسد يتهمس وشمهم رجلا رجلا حتى انتهى اليه فضغطه ضغطة كانت اياها فسمع وهو بآخر رمق يقول ألم أقل لكم ان محمدا أصدق الناس ولبعضهم في الاسد

عبوس شموس مصلخدم كابد * جرئ على الاقران للقرن قاهر
براثنه شثن وعيناه في الدجى * كجمر الغضى في وجهه الشر ظاهر
يدل بانياب حداد كأنها * اذا قلص الاشداق عنها خناجر

(فائدة) اذا أقبلت على واد مسبع فقل أعوذ بدانيال والجب من شر الاسد وسبب ذلك على ما قيل ان بختنصر رأى في نومه ان هلاكه يكون على يدي مولود فجعل يأمر بقتل الاطفال فخافت أم دانيال عليه فجاءت الى بئر فالقته فيه فأرسل الله له أسدا يحرسه وقيل ان بختنصر توهم ذلك في دانيال فضرى له أسدين وجعلهما في الجب والقاه عليهما فلم يؤذياه وصارا يبصبصان حوله ويلحسانه فأقام ماشاء الله تعالى أن يقيم ثم اشتهى الطعام والشراب فأوحى الله تعالى الى أرمياء بالشام ان اذهب الى أخيك دانيال بجب كذا بمكان كذا قال أرمياء فسرت الى ذلك الموضع فلما وقفت على رأس ذلك الجب ناديته فعرفني فقال من أرسلك الي قلت ارسلني اليك ربك بطعام وشراب فقال الحمد لله الذي لا ينسى من ذكره والحمد لله الذي لا يخيب من قصده والحمد لله الذي من وثق به لا يكله الى غيره والحمد لله الذي يجزي بالاحسان احسانا وبالصبر نجاة وغفرانا والحمد لله الذي يكشف ضرنا بعد كربنا والحمد لله الذي هو ثقتنا حين تسوء ظنوننا باعمالنا والحمد لله الذي هو رجاؤنا حين تنقطع الحيل عنا قال ثم صعد به أرمياء من الجب وأقام عنده مدة ثم فارقه ورجع (وحكى) ان يحيى بن زكريا عليهما السلام مر بقبر دانيال عليه السلام فسمع منه صوتا يقول سبحان من تعزز بالقدرة وقهر العباد بالموت قال بعض الصالحين من قال هذه الكلمات استغفر له كل شئ (وحكى) ان ابراهيم بن أدهم كان في سفره ومعه رفقة فخرج عليهم الاسد فقال لهم قولوا اللهم احرسنا بعينك التي لا تنام واحفظنا بركنك الذي لا يرام وارحمنا بقدرتك علينا فلا نهلك وأنت رجاؤنا يا الله يا الله يا الله قال فولى الاسد هاربا وقيل لما حمل نوح عليه السلام في سفينته من كل زوجين اثنين قال أصحابه كيف نطمئن ومعنا الاسد فسلط الله عليه الحمى وهي أول حمى نزلت في الارض ثم شكوا اليه العذرة فامر الله الخنزير فعطس فخرج منه الفار فلما كثر وزاد ضرره شكوا ذلك لنوح عليه السلام فامر الله سبحانه وتعالى الاسد فعطس فخرج منه الهر فخبب الفار عنهم ويحرم أكل السبع لنهيه عليه الصلاة والسلام عن أكل

كل ذى ناب من السباع وكل ذى مخلب من الطير (خواصه) فمن خواصه ان صوته يقتل
التماسيح وشحمه من طلى به يده لم يقربه سبع ومرارة الذكر منه تحل المعقود ولحمه ينفع من
الفالج واذا وضعت قطعة من جلده فى صندوق لم يقربه سوس ولا أرضة واذا وضع على
جلد غيره من السباع تساقط شعره وهو من الحيوان الذى يعيش ألف سنة على ماذكر
وعلامة ذلك كثرة سقوط أسنانه (الابل) قيل ماخلق الله شيأ من الدواب خيرا من الابل ان
حملت أثقلت وان سارت أبعدت وان حلبت اروت وان نحرت أشبعت وفى الحديث الابل
عز لاهلها والغنم بركة والخيل معقود بنواصيها الخير الى يوم القيامة وهى من الحيوان
العجيب وان كان عجبه قد سقط لكثرة مخالطته الناس وقد أطاعها الله للآدمى وغيره حتى
قيل ان قطارا كان ببعض حمله دهن فرت فأرة فجذبته فسار معها القطار بواسطة جذبها
له وهى مراكب البر ولذلك قرنها الله تعالى بالسفن فقال تعالى وعليها وعلى الفلك تحملون
ولما كانت مراكب البر والبر فيه ماماؤه قليل وماماؤه كثير جعل الله له صبرا على العطش
حتى قيل انه يرتفع ظمؤها الى عشر وفى الحديث لا تسبوا الابل فانها من نفس الله تعالى أى
مما وسع به على الناس حكاه ابن سيده والذى يعرف لا تسبوا الريح فانها من نفس الرحمن
قال أصحاب الكلام فى طبائع الحيوان ليس لشئ من الفحول مثل ما للجمل عند هيجانه
فانه يسوء خلقه فيظهر زبده ويقل رغاؤه فلو حمل عليه ثلاثة أضعاف عادته حمل ويقل أكله
ويخرج له عند رغائه شقشقة لا تعرف من أى شئ هى من أجزائه وهو من الاحرار حتى قيل
انه لا ينزو على أمه ولا على أخته حتى قيل ان بعض العرب ستر ناقة بثوب ثم أرسل عليها
ولدها فلما عرف ذلك عمد الى احليله فأكله ثم حقد على صاحبه حتى قتله وليس له مرارة
ولذلك كثر صبره وقيل يوجد على كبده شئ رقيق يشبه المرارة ينفع الغشاوة فى العين كحلا
وفى معدته قوة حتى انها تهضم الشوك وتستطيبه ويحل أكله بالنص والاجماع وأما تحريم
يعقوب عليه السلام أكلها فاجتهاد منه وذلك انه كان يسكن البوادى فاشتكى عرق
النسا فلم يجد ما يلائمه الا ترك اكل لحومها فلذلك حرمها وأما انتقاض الوضوء بأكل
لحمها فاختلف العلماء فى ذلك فذهب الاكثرون الى انه لا ينقض وعليه الخلفاء الاربعة
وابن مسعود وأبى وابن عباس وأبو الدرداء وأبو طلحة وعامر بن ربيعة وأبو أمامة وجماهير
التابعين وبه أخذ مالك والشافعى وأبو حنيفة وأصحابهم وخالف فى ذلك احمد واسحق
ويحيى بن يحيى وابن المنذر وابن خزيمة واختاره البيهقى وهو مذهب الشافعى القديم
(خواصه) قال ابن زهر وغيره أكل لحمه يزيد فى الماء وفى الانعاظ بعد الجماع وبوله يفيق
السكران ووبره اذا أحرق وذر على دم سائل قطعه وقراده اذا ربط على كم عاشق يزول عشقه
(الارضة) بفتح الهمزة والراء دويبة صغيرة كنصف العدسة تأكل الخشب والورق ولما
كان فعلها فى الارض أضيف اسمها اليها قال القزوينى اذا أتى على الارضة سنة نبتت لها
جناحان طويلان تطير بهما ويقال انها الدابة التى دلت الجن على موت سليمان عليه
السلام ومن شأنها انها تبنى لنفسها بيتا من عيدان تجمعها مثل بيت العنكبوت مخروطا
من أسفله الى أعلاه وله فى احدى جهاته باب مربع ومنه تعلم الاوائل وضع النواويس

لموتاهم والنمل عدوّها وهو أصغر منها فيأتي من خلفها ويحملها ويمشي بها الى جحره لانه اذا أتاها مستقبلا لا يغلبها (الارنب) حيوان شبه العناق قصير اليدين طويل الرجلين يطأ الارض على مؤخر قدميه وهو اسم يطلق على الذكر والانثى وله شدة شبق وربما تسفد وهي حبلى ويكون عاما ذكرا وعاما انثى ومن عجائبها انها تنام وعيناها مفتوحتان فيأتي الصياد فيظنها مستيقظة قيل من رأى أرنبا عند توجهه من بيته أول ما يخرج أو رآه عند قيامه من نومه واصطبح به لم تقض له حاجة في ذلك اليوم ومن عجيب أمره أن تحمل الانثى منه باثنين وثلاثة وأربعة ولا تلد الا تحت الارض خوفا على أولادها من الانسان وتحفر تحت الارض الحفائر القويه حتى انها تخرب الجدران وعند ولادتها ينحل شعرها وهي تحضن الاولاد الى عشرين يوما ومن طبعه انه ابله وفيه قوة وشدة وفي سفاده حالة نزوه يصرخ الذكر والانثى كالسنانير فاذا وقع منه الانزال وقع على الارض قليل الحركة وعند سفاده تدبر له وجهها فاذا امكنها بعد ذلك فانها تجرى به وهو راكب عليها ويجرى معها (فائدة) ذكر ابن الاثير في الكامل أن صديقا له اصطاد أرنبا وله انثيان وذكر وفرج وقيل التقطت الارنب تمرة فاختلسها الثعلب فاكلها فانطلقا يختصمان الى الضب فقالت الارنب يا أبا حسل فقال سميعا دعوت قالت أتيناك لنختصم قال عادلا حكيما قالت فاخرج الينا قال في بيته يؤتى الحكم قالت اني وجدت تمرة حلوة قال فكلها قالت قد اختلسها الثعلب قال لنفسه بغى الخير قالت فلطمته قال بحقك أخذت قالت فلطمني قال اقتص قالت فاقض بيننا قال قد قضيت فذهبت أقواله امثالا ومن ذلك ما حكى ان عدى بن ارطاة أتى شريحا القاضي في مجلس حكمه فقال له أين أنت قال بينك وبين الحائط قال فاسمع مني قال للاستماع جلست قال اني تزوجت امرأة قال بالرفاء والبنين قال فشرط أهلها أن لا أخرجها من بينهم قال أوف لهم بالشرط قال فأنا أريد الخروج قال الشرط أملك قال أريد أن أذهب قال في حفظ الله قال فاقض بيننا قال قد فعلت قال فعلى من قضيت قال على ابن أمك قال بشهادة من قال بشهادة ابن أخت خالك (الخواص) قال الجاحظ من علق عليه كعب ارنب لم تضره عين ولا سحر وأكل دماغه يبرئ من الارتعاش العارض من البرد وان شربت المرأة الحامل انفحة الذكر ولدت ذكرا وان شربت انفحة الانثى ولدت أنثى وان علقت عليها زبلها لم تحمل والارنب البحرى من السموم فلا يحل اكله (سقنقور) دابة شكلها كالوزغة اذا أخذت وسلخت وملحت وشرب منها مثقال زاد في الباه وهو من الاشياء النفيسة عند أهل الهند يقال انه يهدى اليهم فيذبحونه بسكين من الذهب ويحشونه من ملح مصر فاذا وضعوا منه مثقالا على لحم أو بيض نفع نفعا عظيما (الافعى) الانثى من الحيات والذكر أفعوان وهو يعيش ألف سنة على ما يقال ويعرف بالشجاع والاسود وهو أشر الحيات وأشرها حيات وأفاعى سجستان ومن أعجب ما يحكى عنها انها لدغت انسانا في رجله فانصدعت جبهته * وحكى انها نهشت ناقة وفصيلها يرتضع فمات قبل أمه وقيل لما دخل شبيب بن شبة على المنصور قال له يا شبيب ادخلت سجستان فقال له نعم قال صف لى أفاعيها قال يا أمير المؤمنين هي دقاق الاعناق صغار الاذناب مفلصة الرؤس رقش برش

كأنما كسين أعلام الحبرات كبارهن حتوف وصغارهن سيوف وقيل انها تندفن في التراب أربعة أشهر في البرد ثم تخرج وقد أظلمت عيناها فتمر بشجر الرازيانج وهو الشمر الاخضر فتحك عينها به فيرجع اليها بصرها فسبحان من ألهمها ذلك وقال الزمخشري اذا عميت الافعى بعد ألف سنة ألهمها الله تعالى ان تأتي البساتين وتلقي نفسها على هذه الشجرة وتحك عينها بها فتبصر وقيل اذا قطع ذنبها عاد كما كان واذا قلع نابها عاد بعد ثلاثة أيام وهي أعدى عدو للانسان وقال بعضهم رأيت حية قد ابتلعت كبشا عظيم القرنين فجعلت تضرب به الحجارة يمينا ويسارا حتى كسرت القرنين وابتلعته وقرنيه والله تعالى أعلم وقيل اذا قطع ذنب الحية تعيش ان سلمت من الذر وقيل ان بالحبشة حيات لها أجنحة تطير بها وقيل ان جلدها ينسلخ عنها في كل سنة مرة وقيل ان الجلد لا ينسلخ وانما الذي ينسلخ قشر فوق الجلد وغلاف يخلق لها كل عام وهي تبيض على عدد اضلاعها أي ثلاثين بيضة فيجتمع عليها النمل فيفسدها بقدرة الله تعالى الا نادرا ومن عجيب أمرها انها لا ترد الماء ولا تريده ولكنها اذا شمت رائحة الخمر فلا تكاد تصبر عنه مع أنه سبب هلاكها لانها اذا شربت سكرت فتعرضت للقتل والذكر لا يقيم في الموضع وانما تقيم الانثى لاجل فراخها حتى تكتسب قوة فاذا قويت أخذتهم وانسابت فأي جحر وجدته دخلت فيه وأخرجت صاحبه منه وعينها لا تدور واذا قلعت عادت ومن عجيب أمرها انها تهرب من الرجل العريان وتفرح بالنار وتقرب منها وتحب اللبن حبا شديدا واذا دخلت بصدرها في جحر لا يستطيع أقوى الناس اخراجها منه ولو قطعت قطعا وليس لها قوائم ولا أظفار وانما تقوى بظهرها لكثرة أضلاعها * وحكى عمر بن يحيى العلوي قال كنا في طريق مكة فاصاب رجلا منا استسقاء فاتفق أن العرب سرقوا منا قطار جمال على أحدها ذلك الرجل قال ثم بعد أيام جمعتنا المقادير فوجدته قد برئ فسألناه عن حاله فقال ان العرب لما أخذوني جعلوني في أواخر بيوتهم فكنت في حالة أتمنى فيها الموت وبينما انا كذلك اذ أتوا يوما بافاعي اصطادوها وقطعوا رؤسها وأذنابها وشووها بعد ذلك فقلت في نفسي هؤلاء اعتادوها فلا تضرهم فلعلي ان أكلت منها امت فاستريحت فاستطعمتهم فأطعموني واحدة فلما استقرت في بطني أخذني النوم فنمت نوما ثقيلا ثم استيقظت وقد عرقت عرقا شديدا واندفعت طبيعتي نحو مائة مرة فلما أصبحت وجدت بطني قد ضمر وقد انقطع الالم فطلبت منهم مأكولا فأكلت وأقمت عندهم أياما فلما نشطت ووثقت من نفسي بالحركة أخذت في الطريق مع بعضهم وأتيت الكوفة (فائدة) قيل ان الريحان الفارسي لم يكن قبل كسرى وانما وجد في زمانه وسببه ان كسرى كان ذات يوم جالسا في بعض متفرجاته اذ جاءته حية فانسابت بين يديه وتمرغت وصارت تتقلق مثل الذي يشتكي فأراد بعض الجند قتلها فنعهم الملك ثم قال لهم انظروا أمرها فلما سمعت ذلك انسابت بين يديه فأمرهم أن يتبعوها الى المكان الذي تريده قال فجاءت الى بئر وصارت تنظر فيه قال فنظروا فاذا فيه حية عظيمة وعلى ظهرها عقرب أسود فنخسها بعضهم برمح فقتلها وتركوها ورجعوا فاخبروا الملك بذلك فلما كان الغد جاءت الحية للملك وفي فمها بزر فنثرته بين يدي الملك وذهبت فقال الملك انها أرادت

مكافأتنا اجعلوه فى الارض لننظر ما يكون من أمره قال ففعلوا ذلك فطلع منه الريحان قال فلما انتهى أمره أتوا به الى الملك قال وكان به زكام فشمه فبرئ (لطيفة) من غريب ما اتفق لعماد الدولة انه لما ملك شيراز اجتمع عليه أصحابه وطلبوا منه مالا ولم يكن عنده ما يرضيهم به فاغتم لذلك ونام مستلقيا على قفاه مفكرا فى ذلك واذا بحية عظيمة خرجت من سقف ذلك المجلس ودخلت فى سقف آخر قال فطلب سلما وصعد لينظر المكان الذى خرجت منه فلما رآه وجد كوة فنظر فى داخلها فاذا هى مطمورة فدخلها فوجد فيها صندوقا فيه خمسمائة ألف دينار فأمر باخراجه وانفاقه على عسكره ومن ألطف ما اتفق له أيضا انه كان بتلك البلد خياط أطروش وكان الملك الذى قبله قد أودع عنده وديعة مال قال فطلبه عماد الدولة ليخيط له على عادته لانه هو الذى يخيط للملوك قال فتوهم الاطروش انه غمز عليه بسبب الوديعة فلما حضر بين يدى عماد الدولة قال له ان فلانا الملك لم يدع عندى سوى اثنى عشر صندوقا ولم أدر ما فيها فأمر باحضارها فأحضرها فأخذها عماد الدولة ووسع بها على جنده وتعجب من هاتين القضيتين فكانت هذه الاسباب من دلائل السعادة له وأمر النبى صلى الله عليه وسلم بقتل الحيات بعد أن تنذر ثلاث مرات وقيل ثلاثة أيام وأما سكان البيوت فالانذار لها متعين وفى الحديث من قتل حية فكأنما قتل مشركا ومن لبس خفا فلينفضه ومن أوى الى فراشه فلينفضه (الخواص) يقال ان دمعها يجلو البصر وقلبها اذا علق على انسان لا يؤثر فيه السحر وضرسها اذا علق على من به وجع الضرس سكن الايمن للايمن والايسر للايسر وجهها قال بقراط الحكيم من أكله أمن من الامراض الصعبة (الانيس) وتسميه الرماة الانيسة لانه من طيور الواجب عندهم وهو طير له لون حسن غذاؤه الفاكهة ومأواه الانهار والبساتين والغياض وله صوت حسن كالقمرى (الاوز) طير يحب السباحة وفراخه تخرج من البيضة تسبح (الخواص) فى جوفه حصاة تنفع المبطون ودهنه ينفع من ذات الجنب ودماء الثعلب اذا طلى به ولسانه ينفع لقطار البول وغذاؤه جيد الا انه بطئ الهضم (الايل) بتشديد الياء المكسورة ذكر الوعل وله اسماء باختلاف اللغات وهو يشبه بقر الوحش واذا خاف من الصياد رمى بنفسه من رأس الجبل ولا يتضرر بذلك واذا لسعته حية ذهب الى البحر فأكل السرطان فيشفى (خواصه) ان السمك يحب رؤيته وهو يحب ذلك ولذلك أكثر ما يكون بقرب البحر والصيادون يعرفون ذلك فيلبسون جلده ليراهم السمك فيأتى لهم وهو مولع بأكل الحيات وربما لسعته فتسيل دموعه تحت محاجر عينيه حتى تصير نقرتين من كثرة ذلك ثم تجمد تلك الدموع فتصير كالشمع فتؤخذ وتجعل دواء للسم وهو الذى يسمى بالبنزهير الحيوانى وأجوده الاصفر وأكثر ما يكون ببلاد الهند والسند وفارس واذا وضع على لسعة الحيات أبرأها وان وضعه الملسوع فى فيه نفعه وهذا الحيوان لا تنبت قرناه الا بعد سنتين ويثبتان فى أول الامر مستقيمين ثم بعد ذلك يحصل فيهما التشعب ولا يزال يزيد الى ست سنين فحينئذ يصيران كنخلتين ثم بعد ذلك يلقيهما فى كل سنة مرة ثم ينبتان قال ارسطو وهذا النوع يصاد بالصفير والاصوات المطربة فانه يحب الطرب والصيادون

يشتغلون به بذلك ويأتونه من ورائه فاذا رأوه قد استرخت اذناه وثنوا عليه وقرنه مصمت واحلمله من عصب لا عظم فيه ولا لحم وهو من الحيوان الذي يزيد في السمن فاذا حصل له ذلك فر من مكانه خوفا من الصيادين وحكمه حل أكله (الخواص) اذا بخر بقرنه البيت طرد الهوام التي فيه واذا أحرق واستاك به الذي به صفرة الاسنان زال ذلك عنه ومن علق عليه شيء منه ذهب نومه ومن خواصه ان دمه يفتت الحصاة التي بالمثانة شربا والله تعالى أعلم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

(حرف الباء الموحدة)

(باز) كنيته أبو الاشعث وهو من أشد الحيوان تكبرا وأضيقها خلقا قال القزويني انها لا تكون الا أنثى وذكرها من غيرها امامن جنس الحدأة أو الشواهين ولاجل ذلك تختلف ألوانها وهو أصناف منها البازي والباشق والشاهين والبيدق والصقر والبازي أحرها مزاجا لانه لا يصبر على العطش فلذلك لا يفارق الماء والاشجار المتسعة والظل الظليل وهو خفيف الجناح سريع الطيران تكثر أمراضه من كثرة طيرانه لانه كلما طار انحط لحمه وهزل وأحسن أنواعه ماقل ريشه واحمرت عيناه مع حدة فيهما قال الشاعر

لو استضاء المرء في ادلاجه * بعينه كفته عن سراجه

ودونه الازرق الاحمر العينين والاصفر دونهما ومن صفاته المحمودة أن يكون طويل العنق عريض الصدر بعيد مابين المنكبين شديد الانحطاط من الجو غليظ الذراعين مع قصر فيهما (لطيفة) من عجيب أمره أن الرشيد خرج ذات يوم للصيد فأرسل بازا فغاب قليلا ثم أتى وفي فيه سمكة فاحضر الرشيد العلماء وسألهم عن ذلك فقال مقاتل يا أمير المؤمنين روينا عن جدك ابن عباس رضي الله عنهما انه قال ان الجو معمور بامم مختلفة الخلق وفيه دواب تبيض وتفرخ على هيئة السمك لها أجنحة ليست بذوات ريش فأجاز مقاتلا على ذلك وأكرمه (بالة) سمكة عظيمة قال القزويني يقال ان طولها يبلغ خمسمائة ذراع وقال غيره خمسون ويقال لها العنبر وهي تظهر في بعض الاحايين لاصحاب المراكب فاذا رأوها طبلوا وبالطبول حتى انها تنفر لان لها جناحين كالقناطر اذا نشرتهما أغرقتهم فاذا بغت على حيوان البحر وزاد شرها أرسل الله عليها سمكة نحو الذراع تلتصق باذنها ولا خلاص لها منها فتنزل الى قعر البحر وتضرب رأسها به حتى تموت ثم تطفو وبعد ذلك فيقذفها الريح الى الساحل فيأخذها أهله ويشقون جوفها ويستخرجون منها العنبر (ببغاء) هي أصناف كثيرة منها الاخضر والرمادي والاصفر والابيض يتخذها الملوك والرؤساء لحسن لونها وصوتها وفصاحتها (حكي) انه أهدى لمعز الدولة درة بيضاء سوداء الرجلين والمنقار ويقال ان نوعا منها يقرأ القرآن (الخواص) من أكل لسانها فصح واذا جفف دمها وجعل بين الصديقين حصلت بينهما الخصومة وزبلها يخلط بماء الحصرم ويكتحل به ينفع من الرمد وظلمة البصر (بجع) طائر أبيض اللون يميل الى صفرة طويل المنقار كبير البطن أكثر أكله السمك (بح) طائر

لطيف يأوي اطراف الماء وهو خلقة شريفة لم يوجد غالبا الا اثنين فقط (براق) هو الدابة التي ركبها النبي صلى الله عليه وسلم وهو دون البغل وفوق الحمار أبيض اللون (برذون) نوع من الخيل دون الفرس العربي وفي الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم ركبه وكذا عمر رضي الله عنه فلما ركبه عمر جعل يتخلخل به فنزل عنه وضرب وجهه وقال لاعلم الله من علمك هذه الخيلاء ولم يركب برذونا قبله ولا بعده وكنيته ابو الاخطل لطول ذنبه وأنشد السراج الوراق في ذم البراذين يقول

لصاحب الاحماس برذونة * بعيدة العهد عن القرط
اذا رأت خيلا على مربط * تقول سبحانك يا معطي
تمشي الى خلف اذا ما مشت * كأنما تكتب بالقبطي

(الخواص) اذا شربت امرأة دمه لم تحمل أبدا اوز بله يخرج المشيمة والجنين الميت واذا جفف وذر منه على من به الرعاف انقطع رعافه وكذا الجرح (برغوث) تفتح منه الباء وتضم وكنيته أبو طامر وأبو عدي وابو وثاب وهو يثب الى ورائه (وحكي) انه يعرض له الطيران كالنمل وهو يطيل السفاد ويبيض ويفرخ وأصله أولا من التراب لاسيما في الاماكن المظلمة وسلطانه في أواخر الشتاء وأول فصل الربيع ويقال انه على صورة الفيل وله أنياب وخرطوم وقال بعضهم دبيبها من تحتي أشد من عضها وليس ذلك بدبيب ولكن البرغوث خبيث يستلقي على ظهره ويرفع قوائمه فيرغزغ بها فيظن من لاعلم له أنه يمشي تحت جنبه وكان أبو هريرة رضي الله عنه يفلي ثوبه فيلتقط البراغيث ويدع القمل فقال له أنس في ذلك فقال أبدأ بالفرسان وأكر على الرجالة وأنشد أعرابي

ليل البراغيث أعياني وأنصبني * لا بارك الله في ليل البراغيث
كأنهن وجلدي اذ خلون به * قضاة سوء أغاروا في المواريث

وقال أبو الرماح الازدي

تطاول بالفسطاط ليلي ولم يكن * بوادي الغضى ليلي علي يطول
تؤرقني حدب قصار أذلة * وان الذي يؤذينه لذليل
اذا جالت بعض الليل منهن جولة * تعلقن في رجلي حيث أجول
اذا ماقتلناهن أضعفن كثرة * علينا ولا ينعى لهن قتيل
الا ليت شعري هل أبيتن ليلة * وليس لبرغوث علي سبيل

وقال ابن أيبك الصفدي

أشكو الى الرحمن ما نالني * من البراغيث الخفاف الثقال
نعصبوا بالليل لما دروا * أني تقنعت بطيف الخيال

ولا يسب البرغوث لما ورد أن النبي صلى الله عليه وسلم سمع رجلا يسب برغوثا فقال لاتسبه فانه أيقظ نبيا الى صلاة الفجر (فائدة) سئل مالك عن البرغوث من يقبض روحه فقال أله نفس قيل نعم قال الله يتوفى الانفس حين موتها ولقد شكا عامل افريقية الى عمر بن عبد العزيز شر الهوام فكتب اليه اذا أوى أحدكم الى فراشه فليقرأ ومالنا أن

لا نتوكل على الله الآية وقال حنين بن اسحق الحيلة فى دفع البرغوث أن تأخذ شيأ من الكبريت فتدخن به فى البيت فانها تفر من ذلك وقيل يرش البيت بماء السذاب وقيل مشاق المراكب يحرق فى البيت مع قشور النارنج (بعوض) قيل انه على خلقة الفيل الا انه أكثر أعضاء منه فان للفيل أربعة أرجل وللبعوض ستة ويزيد عليه بأربعة أجنحة وله خرطوم مجوف نافذ فاذا طعن به جسد انسان استقى الدم وقذف به الى جوفه فهو له كالبلعوم والحلقوم ومما ألهمه الله تعالى انه اذا جلس على عضو انسان يتتبع مسام العروق فانها أرق وأسرع له فى اخراج الدم وعنده شره فى مصه حتى قيل انه لا يعص شيأ فيتركه باختياره الى أن ينشق أو يطار ومن عجيب أمره انه ربما قتل البعير وغيره من ذوات الاربع فيتركه طريحا وقال الجاحظ من علم البعوض ان وراء جلد الجاموس دما وأن ذلك الدم غذاء لها وانها اذا طعنت فى ذلك الجلد الغليظ نفذ فيه خرطومها مع ضعفه ولو أنك طعنت فيه بمسلات شديدة المتن رهيفة الحد لانكسرت فسبحان من رزقها على ضعفها بقوته وقدرته قال بعضهم

أقول لنازل البستان طوبى * لعيشك لم تشك فيه البعوض
يملله فليس له قرار * ويخفه فليس له نهوض
حماه قرصه وطنينه أن * يبيت وعينه فيها غموض
كأنك حين تهدى الاغانى * تكرر فى مسامعك العروض

ومن الحكم التى أودعها الله تعالى اياها ان جعل الله فيها قوة الحافظة والفكر وحاسة اللمس والبصر والشم ومنفذ الغذاء وجوفا ومخاوعروقا وعظاما فسبحان من قدر فهدى ولم يترك شيأ سدى وقال الزمخشرى فى تفسير سورة البقرة فى ذلك

يامن يرى مد البعوض جناحها * فى ظلمة الليل البهيم الاليل
ويرى مناط عروقها فى نحرها * والمخ من تلك العظام النحل
ويرى خرير الدم فى أوداجها * متنقلا من مفصل فى مفصل
ويرى وصول غذا الجنين ببطنها * فى ظلمة الاحشا بغير تمقل
ويرى مكان الوطء من أقدامها * فى سيرها وحثيثها المستعجل
ويرى ويسمع حس ماهو دونها * فى قاع بحر مظلم متهول
امنن على بتوبة تمحو بها * ما كان منى فى الزمان الاول

(بغل) معروف وكنيته أبو قوص وأبو حرون وله كنى غير ذلك كثيرة وهو مركب من الفرس والحمار ولذلك صار له صلابة الحمار وعظم الخيل وهو عقيم لا نسل له روى ابن عساكر فى تاريخ دمشق عن على كرم الله وجهه أنها كانت تتناسل فدعا عليها ابراهيم الخليل لانها كانت تسرع فى نقل الحطب لنار المنجنيق فقطع الله نسلها وهو أشر الطباع لانه تجاذبه الاعراق المتضادة والاخلاق المتباينة والعناصر المتباعدة ومن العجب ان كل عضو فرضته منه كان بين الفرس والحمار (الخواص) يقال ان حافر البغلة السوداء ينفع لطرد الفار اذا بخر به البيت واذا سحق حافره بعد حرقه وخلط بدهن الآس وجعل على

رأس الاقرع نبت شعره وزبله اذا شمه المزكوم زال زكامه على ماذكر (بقر) هو حيوان شديد القوة خلقه الله تعالى لمنفعة الانسان وهو أنواع منها الجواميس وهي أكثر ألبانا وكل حيوان اناثه ارق أصواتا من ذكوره الا البقر واناثه يضربها الفحل في السنة مرة واذا اشتد شبقها تركت المرعى وذهبت واذا طلع عليها الفحل التوت تحته اذا أخطأ المجرى لشدة صلابة ذكره قال المسعودي رأيت بالري البقر تحمل كالبعير فتبرك على ركبتها ثم تثور بالحمل (عجيبة) حكى في الاحياء ان شخصا كان له بقرة وكان يشوب لبنها بالماء ويبيعه فجاء السيل في بعض الاودية وهي واقفة ترعى فرعليها فغرقها فجلس صاحبها يندبها فقال له بعض بنيه يا أبت لاتندبها فان المياه التى كنا نخلطها بلبنها اجتمعت فغرقتها (فائدة) ذكر ابن الفضل في كتابه عن وهب بن منبه أنه قال لما خلق الله تعالى الارض ماجت واضطربت كالسفينة فخلق الله تعالى ملكا في نهاية العظم والقوة وأمره أن يدخل تحتها ويجعلها على منكبيه فدخل وأخرج يدا من المشرق ويدا من المغرب وقبض على أطراف الارض وأمسكها ثم لم يكن لقدميه قرار فخلق الله تعالى صخرة من ياقوتة حمراء في وسطها سبعة آلاف ثقب يخرج من كل ثقب بحر لا يعلم عظمه الا الله تعالى ثم أمر الصخرة أن تدخل تحت قدمي الملك ثم لم يكن للصخرة قرار فخلق الله تعالى ثورا عظيما يقال له كيوثا له أربعة آلاف عين ومثلها انوف وآذان وأفواه وألسنة وقوائم ما بين كل قائمتين منها مسيرة خمسمائة عام وأمر الله تعالى هذا الثور فدخل تحت الصخرة وحملها على ظهره وقرونه ثم لم يكن للثور قرار فخلق الله تعالى حوتا يقال له يهموت ثم أمره الله تعالى أن يدخل تحته ثم جعل الحوت على ماء ثم جعل الماء على الهواء ثم جعل الهواء على ماء أيضا ثم جعل الماء على الثرى ثم الثرى على الظلمة ثم انقطع علم الخلائق (الخواص) شحم البقر اذا خلط بزرنيخ أحمر طرد العقارب واذا طلى به اناء اجتمعت البراغيث اليه واذا شرب لبنها زاد في الانعاظ وقرنها اذا سحق وجعل في طعام صاحب الحمى فأكله زالت الحمى ومرارتها اذا خلطت بماء الكراث نفعت من البواسير طلاء واذا طلى به على الاثر الاسود في البدن ازاله وخصية الفحل اذا جففت وسحقت وجعلت في عسل وأكلت فانها تزيد في الباه وشعرها اذا أحرق واستيك به نفع من وجع الاسنان واذا خلط مع السكنجبين وشرب نفع من الطحال على ماذكر (بومة) وكنيتها أم الخراب وأم الصبيان ومن طبعها ان تدخل على كل طير في وكره وتأكل افراخه ولمعاداة الطيور لها يجعلها الصيادون في اشراكهم حتى يقع عليها الطير ونقل المسعودي عن الجاحظ أن البومة لاتخرج بالنهار خوفا من العين لانها تظن انها حسناء وهي أصناف وكلها تحب الخلوة بنفسها (الخواص) من خواصها أنها تنام باحدى عينيها والاخرى مفتوحة فاذا أخذت المفتوحة وجعلت تحت فص خاتم فمن لبسه لم ينم مادام في يده وعكسها المغموضة واذا أردت معرفة ذلك فألقهما في الماء فالراسبة للنوم والطافية لليقظة واذا أخذ قلب البومة وجعل على اليد اليسرى من المرأة وهي نائمة تحدثت بجميع مافعلته في نومها (بوقير) طير أبيض يأتى منه في كل سنة طائفة الى جبل بالصعيد يقال له جبل الطير فيه كوة فتدخل من تلك الكوة فيمسك منها شئ

فان أمسكت واحدة كان ذلك العام متوسط الخصب وان أمسكت ثنتين كان كثير الخصب وان لم تمسك شيأ كانت السنة مجدبة وأهل تلك الناحية تعرف ذلك وهذا الجبل بالقرب من بلدة مارية أم ابراهيم ولد النبي صلى الله عليه وسلم

(حرف التاء)

(تمساح) حيوان عجيب على صورة الضب له فم واسع وفيه ستون نابا وقيل ثمانون وبين كل نابين سن صغيرة وهي انثى في ذكر اذا أطبق فمه على شئ لا يفلته حتى يخلعه من موضعه وله لسان طويل وظهر كالسلحفاة ولا يعمل الحديد فيه وله أربعة أرجل وذنب طويل وهو لا يوجد الا بنيل مصر وقال المسافرون انه يوجد ببحر الهند وطوله في الغالب ستة أذرع الى عشرة في عرض ذراعين أو ذراع ويقيم في البحر تحت الماء أربعة أشهر لا يظهر وذلك في زمن الشتاء ويتغوط من فيه في الغالب ويحصل في فيه الدود فيؤذيه فيلهمه الله تعالى فيخرج الى بعض الجزائر ويفتح فاه فيرسل الله تعالى له طيرا يقال له القطقاط فيدخل في فيه فيأكل ما فيه من الدود فيحصل له راحة فعند ذلك يطبق فمه على الطير ليأكله فيضربه بريشتين خلقهما الله تعالى في جناحيه كريشة الفصاد فيؤلمه فيفتح فاه فيخرج ولذلك يضرب به المثل فيقال جازاه مجازاة التمساح وزعم بعض الباحثين عن احوال التمساح ان له ستين نابا وستين عرقا ويسفد ستين مرة ويبيض ستين بيضة ويحضن ذلك ستين يوما ويعيش ستين سنة فاذا أفرخ فما صعد الجبل صار ورلا وما نزل البحر صار تمساحا وفكه الاسفل لا يستطيع تحريكه لان فيه عظما متصلا بصدره واذا أراد السفاد أخذ انثاه وطلع بها الى البر وقلبها وجامعها فاذا قضى حاجته قلبها ثانيا الا انه لو تركها على تلك الحالة بقيت حتى تموت وما ذلك الا انها لا تستطيع الانقلاب ليبوسة ظهرها وصلابته وقد سلط الله تعالى عليه أضعف الحيوان وهو كلب الماء يقال انه يتلطخ بالطين ويغافل التمساح ويقذف بنفسه في فيه فيبتلعه لنعومته فاذا حصل في جوفه ذاب ما عليه من سخونة بطنه فيعمد الى امعائه فيقطعها ويقطع مراق بطنه فيقتله (الخواص) عينه تشد على من به رمد اليمنى لليمنى واليسرى لليسرى وشحمه اذا قطر في أذن من به صمم نفعه (تنين) ضرب من الحيات وهو طويل كالنخلة السحوق وجسده كالليل أحمر العينين لهما بريق واسع الفم والجوف يبتلع الحيوان وأول أمره يكون حية متمردة ثم تطغى وتتسلط على حيوان البر فيستغيث منها فيأمر الله تعالى ملكا فيحملها ويلقيها في البحر فتقيم فيه مدة ثم تتسلط على حيوانه أيضا فيستغيث منها الى ربه فيأمر الله تعالى بالقائها في النار فيعذب بها الكافرين وقيل يأمر الله تعالى بالقائها على يأجوج ومأجوج وروى ابن أبي شيبة عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يسلط الله على الكافر في قبره تسعة وتسعين تنينا تنهشه وتلدغه حتى تقوم الساعة ولو أن تنينا منها نفخ على الارض ما نبتت فيها خضراء

(حرف الثاء)

(ثعلب) وهو معروف ذو مكر وخديعة وله حيل في طلب الرزق فمن ذلك انه يتماوت وينفخ

بطنه و يرفع قوائمه حتى يظن انه مات فاذا قرب منه حيوان وثب عليه وصاده وحيلته هذه لاتتم على كلب الصيد ومن حيلته انه اذا تعرض للقنفذ نفش القنفذ شوكه فيسلح هو عليه فيلم شوكه فينقبض على مراق بطنه و يأكله وسلحه انتن من سلح الحبارى ومن لطيف أمره انه اذا تسلطت عليه البراغيث حملها وجاء الى الماء وقطع قطعة من صوفه وجعلها فى فيه ونزل فى الماء والبراغيث تطير قليلا حتى تجتمع فى تلك الصوفة فيلقيها فى الماء ويخرج وفروه ادفأ الفراء وفيه الابيض والرمادى وغير ذلك وذكر فى عجائب المخلوقات انه أهدى الى أبى منصور السامانى ثعلب له جناحان من ريش اذا قرب الانسان منه نشرهما واذا بعد ألصقهما (لطيفة) ذكر ابن الجوزى فى آخر كتاب الاذكياء والحافظ أبو نعيم فى حلية الاولياء عن الشعبى انه قال مرض الأسد فعادته السباع والوحوش ما خلا الثعلب فنم عليه الذئب فقال الاسد اذا حضر فأعلمنى فلما حضر الثعلب أعلمه الذئب بذلك وكان قد أخبر بما قاله الذئب فقال الأسد أين كنت يا أبا الفوارس قال كنت أطلب لك الدواء قال وأى شئ أصبته قال قيل لى خرزة فى عرقوب أبى جعد قال فضرب الاسد بيده فى ساق الذئب فأدماه ولم يجد شيأ فخرج ودمه يسيل على رجله وانسل الثعلب فمر به الذئب فناداه ياصاحب الخف الاحمر اذا قعدت عند الملوك فانظر مايخرج منك فان المجالس بالأمانات وقيل خرج الأسد والثعلب والذئب يتصيدون فاصطادوا حمار وحش وضبا وغزالا ثم جلسوا يقتسمون فقال الاسد للذئب اقسم علينا فقال حمار الوحش لى والغزال لابى الحرث والضب للثعلب فضربه الاسد فى رأسه فرضخها فقال الثعلب انا اقسم حمار الوحش لابى الحرث يتغدى به والغزال لابى الحرث يتعشى به والضب لابى الحرث يتنقل به فيما بين ذلك فقال له الاسد لله درك من فرضى ما أعلمك بالفرائض من علمك هذا قال علمنى التاج الاحمر الذى ألبسته هذا وأشار الى الذئب (وحكى) ان الثعلب مر فى السحر بشجرة فرأى فوقها ديكا فقال له أما تنزل نصلى جماعة فقال ان الامام نائم خلف الشجرة فايقظه فنظر الثعلب فرأى الكلب فضرط وولى هاربا فناداه أما تأتى لنصلى فقال قد انتقض وضوئى فاصبر حتى أجدد لى وضوأ وأرجع ومن العجب فى قسمة الارزاق ان الذئب يصيد الثعلب فيأكله والثعلب يصيد القنفذ فيأكله والقنفذ يصيد الافعى فيأكلها والافعى تصيد العصفور والعصفور يصيد الجراد والجراد يصيد الزنابير والزنابير تصيد النحل والنحل تصيد الذباب والذباب يصيد البعوض والبعوض يصيد النمل والنمل يأكل كل ماتيسر من صغير وكبير فتبارك الله الذى اتقن ماصنع (الخواص) رأسه اذا ترك فى برج حمام هرب الحمام منه ونابه يشد على الصبى يحسن خلقه ومرارته يجعل منها فى أنف المصروع يبرأ ولحمه ينفع من اللقوة والجذام وخصيته تشد على الصبى تنبت أسنانه وفروه أنفع شئ للمربوط ودمه اذا جعل على رأس أقرع نبت شعره اذا كان دون بلوغ وطحاله يشد على من به وجع الطحال يبرأ (ثعبان) هو الكبير من الحيات ذكرا كان او أنثى وهو عجيب الشأن فى هلاك بنى آدم يلتوى على ساق الانسان فيكسرها وليس له عدو الا النمس ولولا النموس لاكلت الثعابين أهل مصر (لطيفة) قيل ان عبدالله بن جدعان

كان فى ابتداء أمره صعلوكا وكان شريرا يفتك ويقتل وكان أبوه يعقل عنه فضجر من ذلك وأراد قتله فخرج هاربا على وجهه فتوصل الجبل فوجد فيه شقا فدخل فيه فوجد فى صدره شيأ كهيئة الثعبان فدنا منه وقال لعله يثب على فيقتلنى وأستريح قال فدنا منه فوجده مصنوعا من ذهب وعيناه ياقوتتان ثم وجد من داخله بيتا فيه جثث طوال بالية على أسرة الذهب والفضة وعند رؤسهم لوح مكتوب فيه تاريخهم واذا بهم رجال من جرهم وفى وسط البيت كوم من الياقوت الاحمر والزمرذ والذهب والفضة واللؤلؤ فأخذ منه قدر ما يحمل وعلم الشق وذهب الى قومه فأغناهم ورجع فلم يدر مكان الشق قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد كنت أستظل بجفنة عبد الله بن جدعان من الهجير قالت عائشة يارسول الله هل ينفعه ذلك شيأ قال لا لانه لم يقل رب اغفر لى خطيئتى يوم الدين

(حرف الجيم)

(جراد) حيوان معروف وليس له جهة مخصوصة وانما يكون هائما هاربا واذا أراد أن يبيض ذهب الى بعض الصخور فضربها بذنبه فتنفرج له فيلقى بيضه فيها وله ستة أرجل وطرفا أرجله كالمنشار وهو ألوان عديدة وفيه خلقة عشرة من الجبابرة وجه فرس وعينا فيل وعنق ثور وقرنا أيل وصدر أسد وبطن عقرب وجناحا نسر وفخذا جمل ورجلا نعامة وذنب حية وهو من الحيوان الذى ينقاد الى رئيسه كالعسكر اذا ظعن أميره تتابع خلفه وفى الحديث ان جرادة وقعت بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا مكتوب على جناحها بالعبرانية نحن جند الله الاكبر ولنا تسعة وتسعون بيضة ولوتمت لنا المائة لأكلنا الدنيا بما فيها فقال عليه الصلاة والسلام اللهم أهلك الجراد اللهم اقتل كبارها وأمت صغارها وأفسد بيضها وسد أفواهها عن مزارع المسلمين وعن معايشهم انك سميع الدعاء قال فجاءه جبريل فقال انه قد استجيب لك فى بعضها وفى الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله تعالى خلق ألف أمة ستمائة منها فى البحر وأربعمائة فى البر وان أول هلاك هذه الامم الجراد فاذا هلك الجراد تتابعت الامم مثل الدر اذا قطع سلكه قيل كان طعام يحيى بن زكريا عليهما السلام الجراد وقلوب الشجر وكان يقول من أنعم منك يا يحيى وقد أجمع المسلمون على أكل لحمه ومن خواصه أن الانسان اذا تبخر به نفعه من عسر البول (جرو) بكسر الجيم وفتحها وضمها وهو الصغير من أولاد الكلاب والسباع وقد كان صلى الله عليه وسلم أمر بقتل الكلاب وسببه أن جبريل عليه السلام وعده لما أتيه فتأخر قال فلقيه النبى صلى الله عليه وسلم بعد ذلك فقال ما أخرك عن وعدك فقال ما تأخرت ولكن لاندخل بيتا فيه صورة ولا كلب فأمر بقتلها وروى مسلم والطبرانى عن خولة بزيادة ولفظها ان جروا دخل تحت سرير فى بيته صلى الله عليه وسلم فمات فمكث النبى صلى الله عليه وسلم أياما لا يأتيه الوحى قال لعله حدث فى البيت شئ فخرج للمسجد فنزل عليه الوحى قالت خولة فقممت البيت فوجدت الكلب تحت السرير *(عجيبة)* حكى أن رجلا لم يولد له ولد فكان يأخذ أولاد الناس فيقتلهم فنهته زوجته عن ذلك وقالت يؤاخذك الله بذلك فقال لوآخذ لفعل فى يوم كذا وصار يعدد أفعاله لها فقالت

له ان صاعك لم يمتلئ ولو امتلأ آخذ ذلك قال فخرج ذات يوم واذا بغلامين يلعبان ومعهما جعل فأخذهما الرجل ودخل البيت فقتلهما وطرد الجعل فطلبهما أبوهما فلم يجدهما فانطلق الى نبي لهم فأخبره بذلك فقال ألهما لعبة كانا يلعبان بها قال جعل قال ائتني به فأتاه به فجعل خاتمه بين عينيه ثم قال له اذهب خلفه فأي بيت دخله ادخل معه فان أولادك فيه قال فجعل الجعل يجوز الدروب والحارات حتى دخل بيت القاتل فدخل الناس خلفه واذا بالغلامين متعفران بدمهما وهو قائم يحفر لهما مكانا يدفنهما فيه فأمسكوه وأتوا به لنبيهم فأمر بصلبه فلما رأته زوجته على الخشبة قالت ألم أحذرك هذا اليوم وتقول ما تقول الآن امتلأ صاعك وسيأتي الكلام على الكلب في حرف الكاف ان شاء الله تعالى (جعل) دويبة معروفة تسمى أبا جعران والزعقوق بعض البهائم في وجهها فتهرب منه وهو أكبر من الخنفساء شديد السواد في بطنه لون حمرة للذكر قرنان يوجد كثيرا في مراح البقر والجاموس قيل انه يتولد من أخثائهما ومن شأنه جمع الروث وادخاره ومن عجيب أمره أنه اذا شم الوردمات ويعيش بعوده للروث وله جناحان لا يكادان يريان الا اذا طار وله ستة أرجل وسنام مرتفع جدا وهو يمشي القهقرى ومن طبعه انه يحرس النيام فاذا قام أحدهم يتغوط تبعه ليأكل من رجيعه وذلك من شدة شهوته للغائط

(حرف الحاء)

(حجل) طير فوق الحمامة أغبر اللون أحمر المنقار والرجلين يسمى دجاج البر وهو صنفان نجدي وتهامي النجدي أغبر والتهامي أبيض وله شدة الطيران واذا تقاتل ذكران تبعت الأنثى الغالب وله شدة شبق وأفراخه تخرج من البيض كاسية ويعمر في الغالب عشرين سنة واذا قوي على غيره أخذ بيضه فحضنه ومن سر الله تعالى انه اذا أفرخ ذلك البيض تبع الفرخ أمه التي باضته ومن طبعه انه يخدع غيره في قرقرته ولذلك يتخذه الصيادون في أشراكهم *غريبة* قيل ان أبا نصر بن مروان أكل مع بعض مقدمي الاكراد فأتى على سماطه بحجلتين مشويتين فلما رآهما ضحك فقال لم تضحك قال كنت أقطع الطريق في عنفوان شبابي فربي تاجر فأخذته فلما أردت قتله تضرع الي فلم أقله فلما علم أنه لا بد لي من قتله التفت يمينا وشمالا فرأى حجلتين كانتا بقربنا فقال اشهدا الي أنه قاتلي ظلما فقتلته فلما رأيت هاتين الحجلتين تذكرت حمقه في استشهاده بهما فقال أبو نصر والله لقد شهدا عليك عند من أقادك بالرجل ثم أمر به فضربت عنقه (الخواص) لحمها جيد معتدل الهضم ومرارتها تنفع الغشاوة في العين واذا سعط بها انسان في كل شهر مرة جاد ذهنه وقل نسيانه وقوي بصره (حدأة) بكسر الحاء وفتح الدال مع همزة أخس الطير وتبيض بيضتين وربما باضت ثلاثا وتحضن عشرين يوما ومن ألوانها الاسود والرمادي وهي لا تصيد الاخطفا وفي طبعها أنها تقف في الطيران وهي أحسن الطير مجاورة لانها اذا جاعت لا تأكل أفراخ جارها ويقال انها اطرشاء وفي طبعها انها لا تخطف من الجهة اليمنى لانها عسراء وهي سنة ذكر وسنة أنثى كالارنب *عجيبة* روى الحافظ النسفي في فضائل الاعمال أن عاصم بن أبي النجود شيخ القراء في زمانه قال أصابتني خصاصة فجئت

الى بعض اخوانى فاخبرته بأمرى فرأيت فى وجهه الكراهة فخرجت من منزله الى الجبانة
فصليت ماشاء الله ثم وضعت رأسى على الارض وقلت يامسبب الاسباب يافاتح الابواب
ياسامع الاصوات يامجيب الدعوات ياقاضى الحاجات اكفنى بحلالك عن حرامك
وأغننى بفضلك عمن سواك قال فوالله مارفعت رأسى حتى سمعت وقعة بقربى فاذا بحدأة
قد طرحت كيسا أحمر فقمت فأخذته فاذا فيه ثمانون دينارا وجوهرة ملفوفة فى قطن
قال فاتجرت بذلك واشتريت لى عقارا وتزوجت (الخواص) مرارتها تجفف فى الظل
وتنقع فى اناء زجاج فمن لسع قطر منها فى ذلك الموضع واكتحل بها الى الجهة اللسع ثلاثة أميال
ابرأته ودسمها اذا خلط بقليل من المسك وماء الورد وشرب على الريق نفع من ضيق النفس
واذا وضع فى بيت لم تدخله حية ولا عقرب (حرباء) دويبة صغيرة على هيئة السمك ورأسها
تشبه رأس العجل اذا رأت الانسان انتفشت وكبرت ولها أربعة أرجل وسنام كهيئة
الجمل ولها كنى كثيرة منها أم قرة ويقال لها جمل اليهود وهى أبدا تطلب الشمس فمن أجل
ذلك يقال انها مجوسية وتستقبلها بوجهها وتدور معها كيفما دارت فاذا غابت الشمس
أخذت فى كسبها ومعاشها ويقال ان لسانها طويل نحو ذراع وهو مطوى فى حلقها فلذلك
تخطف به ما بعد عنها من الذباب وتبتلعه والانثى من هذا النوع تسمى أم حبين ويقال
ان الصبيان ينادونها * أم حبين انشرى برديك * ان الامير ناظر اليك * وضارب بسوطه
جنبيك * فاذا زادوا عليها نشرت جناحيها وانتصبت على رجليها فاذا زادوا عليها أيضا
نشرت اجنحة أحسن من تلك ملونة واذا مشت تطأطئ برأسها وتتلون ألوانا ولذا يقال يتلون
كالحرباء (حمار أهلى) معروف ليس فى الحيوان من ينزو على غير جنسه الا هو والفرس
ونزوه بعد تمام ثلاثين شهرا وكنيته أبو محمود وأبو جحش وغير ذلك وهو أنواع فمنه
ما هو لين الاعطاف سريع الحركة ومنه ما هو بضد ذلك ويوصف بالهداية الى سلوك
الطريق *لطيفة* فى الحديث عن النبى صلى الله عليه وسلم انه لما فتح خيبر أصاب
حمارا أسود فكلمه فقال ما اسمك فقال يزيد بن شهاب أخرج الله تعالى من نسل جدى
ستين حمارا كلها لا يركبها الا نبى ولم يبق من الانبياء غيرك وكنت أتوقعك لتركبنى وأنا عند
يهودى يجيع بطنى ويضرب ظهرى وكنت أعثر به عمدا فسماه النبى صلى الله عليه وسلم
يعفور وقال له أتشتهى الاناث قال لا وكان صلى الله عليه وسلم يركبه فى حوائجه واذا أراد
حاجة عند انسان أرسله اليه فيدفع الباب برأسه فيخرج صاحب البيت فيعرفه ويقضى
حاجته فلما مات النبى صلى الله عليه وسلم ذهب الى بئر كانت لابى الهيثم فتردى فيها جزعا
على النبى صلى الله عليه وسلم فكانت قبره وقيل هذا الحديث منكر وقد ذكره السهيلى فى
التعريف والاعلام وللناس فى ذمه ومدحه أقوال متباينة بحسب الاغراض فمن مدحه
أن أبا صفوان وجد راكبا على حمار فقيل له فى ذلك فقال عير هنى من نسل الاكراد يحمل
الرحل ويبلغ العقبة ويمنعنى أن أكون جبارا فى الارض وقال آخر هو أقل الدواب مؤنة
وأكثرها معونة وأخفضها مهوى وأقربها مرتعا وكان حمار أبى سيارة مثلا فى الصحة
والقوة وهو حمار أسود حمل الناس عليه من منى الى المزدلفة أربعين سنة وكان خالد بن

صفوان والفضل بن عيسى الرقاشي يختاران ركوب الحمار ويجعلان أبا سيارة قدوة لهما رحمة ومن ذمه ما نقل عن عبد الحميد الكاتب انه قال لا تركبوا الحمار فان كان فارها أتعب يدك وان كان بليدا أتعب رجلك وقيل ما ينبغي لمركب الدحال أن يكون مركبا للرجال وقال اعرابي الحمار بئس المطية ان أوقفته أدلى وان تركته ولى كثير الروث قليل الغوث سريع الى الفرارة بطيء في الغارة لا توفى به الدماء ولا تمهر به النساء ولا يحلب في الاناء قال الزمخشري

ان الحمار ومن فوقه * حماران شرهما الراكب

ومن العرب من لا يركبه أبدا ولو بلغت به الحاجة والجهد قيل كان لرجل بالبادية حمار وكلب وديك فالديك يوقظه للصلاة والكلب يحرسه اذا نام والحمار يحمل أثاثه اذا رحل قال فجاء الثعلب فأكل الديك فقال عسى أن يكون خيرا ثم أصيب الكلب بعد ذلك فقال لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم عسى أن يكون خيرا ثم جاء الذئب فبقر بطن الحمار فقال عسى أن يكون خيرا قال ثم ان جيرانه من الحي أغير عليهم فأخذوا فأصبح ينظر الى منازلهم وقد خلت فقيل له انما أخذوا بأصوات دوابهم فقال انما كانت الخيرة في هلاك ما عندي فمن عرف لطف الله رضي بفعله (حمام) هو أنواع كثيرة والكلام في الذي ألف البيوت وهو قسمان أحدهما برى وهو الذي يوجد في القرى والآخر أهلي وهو أنواع وأشكال فمنه الرواعب والمراعيش والشداد والغلاب والمنسوب ومن طبعه أنه يطلب وكره ولو كان في مسافة بعيدة ولاجل ذلك يحمل الأخبار ومنه من يقطع عشرة فراسخ في يوم واحد وربما صيد وغاب عن وطنه عشر سنين وهو على ثبات عقله وقوة حفظه حتى يجد فرصة فيطير ويعود الى وطنه وسباع الطير تطلبه أشد الطلب وخوفه من الشاهين أشد من غيره وهو أطير منه لكن اذا أبصره يعتريه ما يعتري الحمار اذا رأى الاسد والشاة اذا رأت الذئب والفأر اذا رأى الهر ومن طبعه أنه لا يريد الاذكر الى أن يهلك أو يفقد أحدهما ويحب الملاعبة والتقبيل ويسفد لتمام أربعة أشهر ويحمل أربعة عشر يوما ويبيض بيضتين ويحضن عشرين يوما ويخرج من احدى البيضتين ذكر والاخرى أنثى واتخاذها في البيوت لا بأس به غير أنه لا يجوز تطييرها والاشتغال بها والارتقاء بها على الاسطحة وعليه حمل أهل العلم قوله عليه الصلاة والسلام شيطان يتبع شيطانة حين رأى شخصا يتبع حمامة فان لم يحصل شيء مما ذكر جاز اتخاذها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اتخذوا الحمام في بيوتكم فانها تلهي الجن عن صبيانكم واللعب بها من عمل قوم لوط وقال النخعي من لعب بالحمام لم يمت حتى يذوق ألم الفقر ولم يوجد شيء أبله من الحمام فانه تؤخذ أفراخه فتذبح في مكان ثم يعود في ذلك المكان ويبيض فيه ويفرخ وقال الجاحظ وللحمام من الفضيلة والفخر ان الحمامة قد تباع بخمسمائة دينار ولم يبلغ ذلك القدر شيء من الطير غيره وهو الهادر الذي جاوز الغاية قالوا ولو دخلت بغداد والبصرة وجدت ذلك بلا معاناة ولو حدثت أن برذونا أو فرسا بيع بخمسمائة دينار لكان ذلك سمرا وقد تباع البيضة الواحدة من بيض ذلك الحمام بخمسة دنانير والفرخ بعشرين

فمن كان له زوج منه قام فى الغلة مقام ضعة وأصحابه يبنون من أثمانه الدور والحوانيت وهو مع ذلك ملهى عجيب ومنظر أنيق (الخواص) دمه ينفع الجراحات العارضة للعين والغشاوة ويقطع الرعاف ويبرئ حرق النار اذا خلط بالزيت منه وزبل الاحمر ينفع للسع العقرب اذا وضع عليه واذا شرب منه مقدار درهمين مع ثلاثة دراهم دارصينى نفع من الحصاة

(حرف الخاء)

(الخطاف) أنواع كثيرة فمنه نوع دون العصفور رمادى اللون يسكن ساحل البحر ومنه ما لونه أخضر وتسميه أهل مصر الخطار ونوع طويل الاجنحة رقيق يألف الجبال ونوع أصغر منه يألف المساجد يسميه الناس السنونو وزعم بعضهم انه الطير الابابيل ويقال ان آدم عليه السلام لما أهبط الى الارض حصل له وحشة فخلق الله له هذا الطير تؤنسه فلاجل ذلك لا تجده ما تفارق البيوت وهى تبنى بيتها فى أعلى مكان بالبيت وتحكم بنيانه وتطينه فان لم تجد الطين ذهبت الى البحر فتمرغت فى التراب والماء وأتت فطينته وهى لا تزبل داخله بل على حافته أو خارجاعنه وعنده ورع كثير لانه وان ألف البيوت لا يشارك أهلها فى أقواتهم ولا يلتمس منهم شيأ ولقد أحسن واصفه حيث يقول

كن زاهدا فيما حوته يد الورى * تضحى الى كل الانام حبيبا

وانظر الى الخطاف حرّم زادهم * أضحى مقيما فى البيوت ربيبا

ومن شأنه انه لا يفرخ فى عش عتيق بل يجدد له عشا وأصحاب اليرقان يلطخون أفراخه بالزعفران فيذهب فيأتى بحجر اليرقان ويلقيه فى عشه لتوهمه أن اليرقان حصل لاولاده وهو حجر صغير فيه خطوط يعرفه غالب الناس فعند ذلك يأخذه من به اليرقان ويحكه ويستعمله ومن عجيب أمره أنه يكاد يموت من صوت الرعد واذا عمى ذهب الى شجرة يقال لها عين شمس فيتمرغ فيها فيفيق من غشاوته ويفتح عينيه *لطيفة* قيل ان خطافا وقف على قبة سليمان وتكلم مع خطافة وراودها عن نفسها فامتنعت فقال لها تمتنعين منى ولو شئت قلبت هذه القبة قال فسمع سليمان فدعاه وقال ما حملك على ما قلت فقال يا نبى الله ان العشاق لا يؤاخذون بأقوالهم (الخواص) مرارته تسود الشعر ولحمه يورث السهر وقلبه يهيج الباه اذا أكل جافا ودمه يسكن الصداع (خفاش) طير يوجد فى الاماكن المظلمة وذلك بعد الغروب وقبل العشاء لانه لا يبصر نهارا ولا فى ضوء القمر وقوته البعوض وهذا الوقت هو الذى يخرج فيه البعوض أيضا لطلب رزقه فيأكله الخفاش فيتسلط طالب رزق على طالب رزق وهو من الحيوان الشديد الطيران قيل انه يطير الفرسخين فى ساعة وهو يعمر مثل النسر وتعاديه الطيور فتقتله لانه قيل ان عيسى عليه السلام لما سأله النصارى فى طير لا عظم فيه صنع لهم ذلك باذن الله تعالى فهى تكرهه لانه مباين لخلقتها ومن طبعه الحنو على ولده حتى قيل انه يرضعه وهو طائر (خنزير) حيوان معروف وله كنى كثيرة منها أبو جهم وأبو زرعة وأبو دلف وهو مشترك بين البهيمة والسبع لانه ذو ناب ويأكل العشب والعلف وهو كثير الشبق حتى قيل انه يجامع الانثى وهى سائرة

فيرى في مشيها ستة أرجل فيتوهم الرائي انه حيوان بستة أرجل وليس كذلك والذكر منها يطرد الذكر مثله فمن غلب استقل بالنزو على الانثى وتحرك أذنابها في زمن هيجانها وتطاطئ رأسها وتغير أصواتها وتحبل من نزوة واحدة وتحمل ستة أشهر وتضع عشرين ولدا وينزو الذكر اذا بلغ ستة أشهر وقيل أربعة باختلاف البلاد وقيل ثمانية واذا بلغت الانثى خمس عشرة سنة لا تحمل وهذا الجنس أفسد الحيوان والذكر أقوى الفحول وليس لذوات الاربع ما للخنزير في نابه من القوة حتى قيل انه يضرب به السيف والرمح فينقطع ما لاقاه واذا التقى ناباه من الطول مات لانهما حينئذ يمنعانه من الاكل ومن عجيب أمره انه يأكل الحيات ولا يؤثر فيه سمها واذا عض كلبا سقط شعره واذا مرض وأطعم السرطان يفيق ومن عجيب أمره انه اذا ربط على ظهره حمار وبال الحمار وهو على ظهره مات ولا يسلخ جلده الا بالقلع مع شئ من لحمه على ما ذكروا (خنفساء) دويبة تتولد من عفونات الارض وبينها وبين العقرب مودة وكنيتها أم فسولان كل من وضع يده عليها يشم رائحة كريهة (فائدة) قيل ان رجلا رأى خنفساء فقال ما يصنع الله بهذه فابتلاه الله تعالى بقرحة عجز الاطباء فيها فبينما هو ذات يوم واذا بطرقي يقول من به وجع كذا الى أن قال من به قرحة فخرج اليه ذلك الرجل فلما رأى ما به قال ائتوني بخنفساء فضحك منه الحاضرون فقال ائتوه بالذى يطلب فأتوه بها فاخذها فاحرقها وأخذ رمادها وجعل منه على تلك القرحة فبرئت فعلم ذلك المقروح أن الله تعالى ما خلق شيأ سدى وأن في أخس المخلوقات أهم الادوية فسبحان القادر على كل شئ (الخواص) اذا قطعت رؤس الخنافس وجعلت في برج الحمام كثر الحمام في ذلك البرج والاكتحال بما في جوفها من الرطوبة يحد البصر ويجلو الغشاوة والبياض واذا بخر المكان بورق الدلب هربت منه الخنافس على ماذكر (خيل) جماعة الافراس وسميت بذلك لانها تختال في مشيتها وهي من الحيوان المشرف ولقد مدحها الله تعالى ووصى بها النبي عليه الصلاة والسلام فقال الخير معقود بنواصي الخيل الى يوم القيامة وقال عليكم باناث الخيل فان ظهورها عز وبطونها كنز وروى عن ابن عباس أو علي رضي الله عنهم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لما أراد الله تعالى خلق الخيل أوحى الى الريح الجنوب وقال اني خالق منك خلقا فاجتمعي فاجتمعت فأتى جبريل فاخذ منها قبضة فخلق الله منها فرسا كميتا وقال خلقتك عربيا وفضلتك على سائر البهائم فالرزق بناصيتك والغنائم تقاد على ظهرك وبصهيلك أرهب المشركين وأعز المؤمنين ثم وسمه بغرة وتحجيل فلما خلق الله تعالى آدم قال له يا آدم اختر أي الدابتين الفرس أو البراق فقال الفرس يا رب فقال الله تعالى اخترت عزك وعز أولادك وفي الحديث ما من فرس الا ويقول في كل يوم اللهم من جعلتني له فاجعلني أحب أهله اليه وقيل الخيل ثلاثة فرس للرحمن وهي المغزو عليها وفرس لك وهي التي تسابق عليها وفرس للشيطان وهي التي جعلت للخيلاء وفي الحديث ان الملائكة لا تحضر شيأ من اللهو الا في مسابقة الخيل وملاعبة الرجل أهله ولقد سابق النبي صلى الله عليه وسلم على الخيل وقيل ان الذكر من الخيل أقوى من الانثى ولا يرد علينا ركوب جبريل في قصة موسى وفرعون الانثى

لان ذلك من حكمة الله تعالى حتى تبعتها احصنتهم فاغرقوا لان الحصان اذا رأى الحجرة تبعها
وقيل ان الله تعالى أمر نبيه موسى أن يعبر البحر فعبره وهو خلفه فاعمى اعينهم عن الماء
فكانوا يرون بلقعا والخيل تراه ماء فلولا دخول جبريل البحر بفرسه لما دخلت خيلهم وهي
أصناف منها الصافنات وهي التي اذا ربطت في مكان ووقفت على احدى رجليها وقلبت
بعض الاخرى في الوقوف وقيل غير ذلك وكانت الصافنات ألف فرس لسليمان عليه
السلام فعرضها يوما ففاتته الصلاة قيل صلاة العصر فامر بعقرها فعوضه الله عنها الريح
فكانت فرسه وقيل انما عقرها على وجه القربى كالهدي وقيل ان الفرس لا يحب الماء
الصافي ولا يضرب فيه بيده كما يضرب بها في الماء الكدر فرحا به فانه يرى شخصه في الماء
الصافي فيفزعه ولا يراه في الماء الكدر وقد قيل في الحث على حب الخيل

أحبوا الخيل واصطبروا عليها * فان العز فيها والجمالا
اذا ما الخيل ضيعها اناس * ربطناها فأشركت العيالا
نقاسمها المعيشة كل يوم * ونكسبنا الاباعر والجمالا

(حرف الدال)

(دابة) اسم لكل ما دب على الارض وأما التي ذكرها الله تعالى في سورة سبأ فقيل الارضة
وقيل السوسة وسبب ذلك أن سليمان عليه السلام كان قد أمر الجن ببناء صرح فبنوه
ودخل فيه وأراد أن يصفوله يوم واحد من دهره فدخل عليه شاب فقال له كيف دخلت
من غير استئذان فقال أذن لي رب البيت فعلم سليمان أن رب البيت هو الله تعالى وان
الشاب ملك الموت أرسل ليقبض روحه فقال سبحان الله هذا اليوم طلبت فيه الصفاء
فقال طلبت ما لم يخلق قال وكان قد بقي من بناء المسجد الاقصى بقية فقال له يا أخي
يا عزرائيل أمهلني حتى يفرغ قال ليس في أمر ربي مهلة قال فقبض روحه وكان من عادته
الانقطاع في التعبد شهرين وثلاثة ثم يأتي فينظر ما صنعت الجن فلما قبض كان متوكئا على
عصاه واستمر ذلك مدة والجن تتوهم أنه مشرف عليها فتعمل كل يوم بقدر عشرة أيام حتى
أراد الله ما أراد فسلط على العصا الارضة فأكلتها فخر ميتا فتفرقت الجن عنه وقيل ان
واحدا منهم مر عليه فسلم فلم يجبه فدنا منه فلم يجد له نفسا فحركه فسقطت العصا فاذا هو
ميت قال وكان عمره ثلاثا وخمسين سنة والعصا التي اتكأ عليها من خرنوب قال الله تعالى
فلما خر تبينت الجن أن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب المهين قال فشكرت الجن
الارضة حتى قيل انهم كانوا يأتونها بالماء حيث كانت وأما الدابة التي من أشراط الساعة
فاختلف في أمرها فقيل تخرج من الصفا وهو الصحيح وقيل من الطائف وقيل من الحجر
وطولها ستون ذراعا ذات قوائم وهي مختلفة الالوان وذلك في ليلة يكون الناس مجتمعين
بمنى أو سائرين الى منى ومعها عصا موسى وخاتم سليمان لا يدركها طالب ولا يفوتها هارب
تلحق المؤمن فتضربه بالعصا فتكتب في وجهه مؤمن وتدرك الكافر فتسمه بالخاتم
وتكتب في وجهه كافر وروي انها تخرج اذا انقطع الامر بالمعروف والنهي عن المنكر

وفى الخبر (داجن) هو ما يربيه الناس فى البيوت من صغار الغنم والحمام والدجاج وغير ذلك وفى حديث الافك ما نعلم لها قضية غير انها جارية حديثة السن تعجن وتنام فتأتى الداجن فتأكل العجين (دب) من السباع وكنيته أبو جهينة وأبو جهل وغير ذلك ولا يخرج زمن الشتاء حتى يطيب الهواء واذا جاع يمص يديه ورجليه فيندفع جوعه وهو كثير الشبق ومعتزل بانثاه وتضع جروا واحدا وتصعد به الى أعلى شجرة خوفا عليه من النمل لانها تضعه قطعة لحم ثم لا تزال تلحسه وترفعه فى الهواء اياما حتى تنفرج اعضاؤه وتخشن ويصير له جلد وفى ولادتها صعوبة وربما ماتت منها وقد تلده ناقص الخلق شوقا منها للسفاد وهى من الحيوان الذى يدعو الانسان للفعل به وقيل ان الدب يقيم أولاده تحت شجرة الجوز ثم يصعد فيرمى بالجوز اليها الى أن تشبع وربما قطع من الشجرة الغصن العتل الضخم الذى لا يقطع الا بالفأس والجهد ثم يشد به على الفارس فلا يضرب أحدا الا قتله (دجاجة) وكنيتها أم ناصر الدين وأم الوليد وغير ذلك واذا هرمت لم يبق لبيضها مح وتوصف بقلة النوم قيل ان نومها بقدر ما تتنفس وعندها خوف فى الليل ولاجل ذلك تطلب وقت الغروب مكانا عاليا وتخشى الثعلب قيل انها اذا رأته ألقت نفسها اليه من شدة الخوف ولا تخشى من بقية السباع وقيل يعرف الذكر من الانثى بامساك منقاره فان تحرك فذكر والا فانثى ومن الدجاج ما يبيض فى اليوم مرتين وهو من أسباب موتها ويستكمل خلق البيضة فى بطن الدجاجة فى عشرة أيام وفى الحديث ان النبى صلى الله عليه وسلم أمر باتخاذ الغنم للاغنياء وباتخاذ الدجاج للفقراء ومن العجب فى صنعة الله تعالى أن خلق الفروج من البياض وجعل الصفار غذاء له كما خلق الطفل من المنى وجعل دم الحيض غذاء له فتبارك الله أحسن الخالقين (الخواص) لحم الدجاج الفتى يزيد فى العقل ويصفى اللون ويزيد فى المنى ويقيم الباه والمداومة عليه تورث النقرس والبواسير على ماذكر (دج) طير كبير أغبر يكون بساحل البحر كثيرا وبالقرب من الاسكندرية والناس يصطادونه ويأكلونه (دود) اسم جنس ومنه دود القز ويقال لها الهندية ومن عجيب أمرها أنها تكون أولا مثل بزر التين ثم تصير دودا وذلك فى أوائل فصل الربيع ويكون عند خروجه مثل الذر فى قدره ولونه ويخرج فى الاماكن الدافئة اذا كان مصرورا فى حق وربما تأخر خروجه فتجعله النساء تحت ثديهن بصرته فيخرج وغذاؤه ورق التوت الابيض قال ولا يزال يكبر حتى يصير بقدر اصبع وينتقل من السواد الى البياض وكل ذلك فى مدة ستين يوما قال ثم يأخذ فى النسج بما يخرجه من فيه الى أن ينفد ما فى جوفه ثم يخرج شيأ كهيئة الفراش له جناحان لا يسكنان من الاضطراب وعند خروجه يهيج الى السفاد ويلصق الذكر مؤخره الى مؤخر الانثى ويلتحمان مدة ثم يفترقان قال ويكون قد فرش لهما خرقة بيضاء فينثران البزر عليها ثم يموتان هذا اذا أريد منهما البزر وان أريد الحرير ترك فى الشمس بعد فراغهما من النسج فيموت وهو سريع العطب حتى انه ليخشى عليه من صوت الرعد والعطاس ومس المرأة الحائض والرجل الجنب ورائحة الدخان والحر الشديد والبرد الشديد ونحو ذلك قال أبو الفتح البستى

ألم تر أن المرء طول حياته * معنى بأمر لا يزال يعالجه
كذلك دود القز ينسج دائما * ويهلك غما وسط ما هو ناسجه

وقال آخر

يفنى الحريص بجمع المال مدته * وللحوادث ما يبقى وما يدع
كدودة القز ما تبنيه يهلكها * وغيرها بالذى تبنيه ينتفع

(ديك) وكنيته أبو حسان وأبو حماد وغير ذلك ويسمى الانيس والمؤانس ومن طبعه لا يألف زوجة واحدة وهو أبله الطبيعة لأنه اذا سقط من بيت أصحابه لا يهتدى الى الرجوع اليه وفيه من الخصال الحميدة ما لا يحصر منها انه يساوى بين أزواجه فى الطعمة ويذكر الله تعالى فى الليل حتى قيل انه ليوقته ويقسمه وربما لا يخرم فى توقيته وفى الصحيح اذا سمعتم صياح الديك فاذكروا الله تعالى فانه يصيح بصياح ديك العرش وروى الغزالى عن ميمون بن مهران ان لله ملكا تحت العرش على صورة الديك فاذا مضى ثلث الليل الاول ضرب بجناحيه وقال ليقم المسلمون فاذا مضى الثلث الثانى ضرب بجناحيه وقال ليقم الذاكرون فاذا كان السحر وطلع الفجر ضرب بجناحيه وقال ليقم الغافلون وعليهم أوزارهم وفى الحديث ان النبى صلى الله عليه وسلم قال ان لله ديكا أبيض له جناحان موشحان بالزبرجد والياقوت واللؤلؤ جناح بالمشرق وجناح بالمغرب ورأسه تحت العرش وقوائمه فى الهواء فاذا كان ثلث الليل الاول خفق بجناحيه وقال سبحان الملك القدوس فاذا كان الثلث الثانى خفق بجناحيه وقال قدوس قدوس فاذا كان الثلث الثالث خفق بجناحيه وقال ربنا الرحمن الرحيم لا آله الا هو وروى الثعلبى باسناده عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال ثلاثة أصوات يحبها الله تعالى صوت الديك وصوت قارئ القرآن وصوت المستغفر بالاسحار وفى الحديث لا تسبوا الديك فانه يوقت للصلاة وزعم أهل التجربة ان الرجل اذا ذبح الديك الابيض الافرق لم يزل ينكب فى أهله وماله (نادرة) قيل كان لابراهيم بن مزيد ديك وكان كريما عليه فجاء العيد وليس عنده شئ يضحى عليه فأمر امرأته بذبحه واتخاذ طعام منه وخرج الى المصلى فأرادت المرأة تمسكه ففر فتبعته فصار يخترق من سطح الى سطح وهى تتبعه فسألها جيرانها وهم قوم هاشميون عن موجب ذبحه فذكرت لهم حال زوجها فقالوا ما نرضى أن يبلغ الاضطرار بأبى اسحق الى هذا القدر فأرسل اليه هذا شاة وهذا شاتين وهذا بقرة وهذا كبشا حتى امتلأت الدار فلما جاء ورأى ذلك قال ما هذا فقصت عليه زوجته القصة فقال ان هذا الديك لكريم على الله فان اسمعيل نبى الله فدى بكبش واحد وهذا فدى بما أرى

(حرف الذال)

(ذباب) وكنيته أبو جعفر وهو أصناف كثيرة يتولد من العفونة ومن عجيب أمره أنه يلقى رجيعه على الابيض يسود وعلى الاسود يبيض ولا يقعد على شجرة الدباء وفى الحديث اذا وقع الذباب فى اناء أحدكم فليغمسه فان فى احدى جناحيه دواء وفى الاخرى داء وان من

طمعه أن باقي نفسه بالجناح الذي فيه الداء (وحكي) أن المنصور كان جالسا فألح عليه الذباب حتى أضجره فقال انظروا من بالباب من العلماء فقالوا مقاتل بن سليمان فدعا به ثم قال له هل تعلم لاي حكمة خلق الله الذباب قال ليذل به الجبابرة قال صدقت ثم أجازه ومن خصائص النبي صلى الله عليه وسلم انه كان لا يقع عليه ذباب قط وقال المأمون قالوا ان الذباب اذا دلك به موضع لسعة الزنبور سكن ألمه فلسعني زنبور فحككت على موضعه أكثر من عشرين ذبابة فما سكن له ألم فقالوا هذا كان حتفا قاضيا ولولا هذا العلاج لقتلك وقال الجاحظ من منافع الذباب انها تحرق وتخلط بالكحل فاذا اكتحلت بها المرأة كانت عينها أحسن ما يكون وقيل ان المواشط تستعمله ويأمرن به العرائس وقيل ان الذباب اذا مات وألقي عليه برادة الحديد عاش واذا بخر البيت بورق القرع هرب منه الذباب (ذئب) حيوان معروف وكنيته أبو جعدة وأبو جاعد وأبو ثمامة لونه رمادي وهو من الحيوان الذي ينام باحدى عينيه ويحرس بالاخرى حتى تمل فيغمضها ويفتح الاخرى كما قال بعض واصفيه

ينام باحدى مقلتيه ويتقي * باخرى المنايا فهو يقظان هاجع

واذا أراد السفاد اختفى ويطول في سفاده كالكلب واذا جاع عوى فتجتمع الذئاب حوله فمن هرب منها أكلوه واذا خاف منه الانسان طمع فيه وليس في الارض أسد بعض على عظم الا ويسمع لتكسيره صوت بين لحييه الا الذئب فان اسانه يبري العظم بري السيف ولا يسمع له صوت وقيل اذا أدماه الانسان فشم الذئب رائحة الدم لا يكاد ينجو منه وان كان أشد الناس قلبا وأتمهم سلاحا كما ان الحية اذا خدشت طلبها الذر فلا تكاد تنجو منه وكالكلب اذا عض الانسان يطلبه الفار فيبول عليه فيكون في ذلك هلاكه فيحتال له بكل حيلة قيل ولا يعرف الالتحام عند السفاد الا في الكلب والذئب واذا هجم الصياد على الذئب والذئبة وهما يتسافدان قتلهما كيف شاء والله أعلم

(حرف الراء)

(رخ) طير عظيم الخلقة يوجد بجزائر الصين قال أبو حامد الاندلسي ذكر لي بعض المسافرين في البحر انهم أرسوا بجزيرة فلما أصبحوا وجدوا في طرفها المعانا وبريقا فتقدموا اليه واذا هم بشيء مثل القبة قال فجعلوا يضربون فيه بالفوس الى أن كسروه فوجدوه كهيئة البيضة وفيه فرخ عظيم قال فتعلقوا بريشه وجروه ونصبوا القدور وخرجوا يحتطبون من تلك الجزيرة حطبا يقال له حطب الشباب فلما أكلوا ذلك الطعام اسودت لحيته ولمة كل ذي شيب قال فلما أصبحوا جاءهم الرخ فوجدهم قد صنعوا بفرخه ما صنعوا فذهب وأتى في رجليه بحجر عظيم وتبعهم بعد ما ساروا في البحر والقاه على سفينتهم فسبقت السفينة وكانت مسرعة بتسع قلوع ووقع الحجر في البحر فنجاهم الله تعالى منه وكان ذلك من لطف الله تعالى بهم قال وقد كان بقي معهم أصل ريشة قيل انهم كانوا يجعلون فيها الماء فتسع مقدار قربة فسبحان الخالق الاكبر (رخم) طير أغبر أصفر المنقار معروف وهو من أشر الطيور ويقال انها صماء وسبب ذلك ما قيل في بعض الحكايات ان موسى عليه السلام لما مات تكلمت بموته وكانت تعرف مكانه فاصمها الله تعالى حتى لا ترشد أحدا الى موضعه

*(حرف

(حرف الزاى)

(زرافة) حيوان غريب الخلقة ولما كان مأكولها ورق الشجر خلق الله تعالى يديها أطول من رجليها وهى ألوان عجيبة يقال انها متولدة من ثلاث حيوانات الناقة الوحشية والبقرة الوحشية والضبع فينزو الضبع على الناقة فتأتى بذكر فينزو ذلك الذكر على البقرة فتتولد منه الزرافة والصحيح انها خلقة بذاتها ذكر وأنثى كبقية الحيوانات لان الله تعالى لم يخلق شيأ الا بحكمة (زنبور) حيوان فوق النحل له ألوان وقد أودعه الله حكمة فى بنيانه بيته وذلك أنه يبنيه مربعا له أربعة أبواب كل باب مستقبل جهة من الرياح الاربع فاذا جاء الشتاء دخل تحت الارض ويبقى الى أيام الربيع فينفخ الله تعالى فيه الروح فيخرج ويطير وفى طبعه التهافت على الدم واللحم ومن خاصيته انه اذا وضع فى الزيت مات وفى الخل عاش ولسعته تزال بعصارة الملوخية

(حرف السين)

(سعلاة) نوع من المتشيطنة قال السهيلى هو حيوان يتراءى للناس بالنهار ويغول بالليل وأكثر ما يوجد بالغياض واذا انفردت السعلاة بانسان وأمسكته صارت ترقصه وتلعب به كما يلعب القط بالفأر قال وربما صادها الذئب وأكلها وهى حينئذ ترفع صوتها وتقول أدركونى فقد أخذنى الذئب وربما قالت من ينقذنى منه وله ألف دينار وأهل تلك الناحية يعرفون ذلك فلا يلتفتون الى كلامها (سمندل) حيوان يوجد بارض الصين ومن عجيب أمره انه يبيض فى النار ويفرخ فيها ويؤخذ وبره فينسج ويجعل منه المناشف وهذه المناشف اذا اتسخت جعلت فى النار فتأكل النار وسخها ولا تحرقها (حكى) أن شخصا بل واحدة من هذه المناشف بالزيت وجعلت فى النار وأوقدت ساعة ولم تحترق (سنجاب) حيوان كهيئة الفأر يوجد فى بلاد الترك على قدر اليربوع اذا أبصر الانسان هرب منه وشعره كشعر الفأر وهو ناعم فيؤخذ ويسلخ جلده ويجعل فروا يلبس وطبعه موافق لكل طبع وأحسنه الازرق (سنور) حيوان متواضع ألوف خلقه الله تعالى لدفع الفار والحشرات كلها وأسماؤه كثيرة (حكى) ان أعرابيا صاد سنورا فرآه شخص فقال ما تصنع بهذا القط ولقيه آخر فقال ما تصنع بهذا الخيدع ولقيه آخر فقال ما تصنع بهذا الخيطل ولقيه آخر فقال ما تصنع بهذا الهر قال أبيعه قيل له بكم قال بمائة درهم فقال انه يساوى نصف درهم قال فرمى به وقال لعنه الله ما أكثر أسماءه وأقل قيمته وهذا الحيوان يهيج فى زمان الشتاء فى شهرين عنه وتراهن يترددن صارخات فى طلب السفاد فكم من حرة خجلت وذى غيرة هاجت حميته وعزب تحركت شهوته وطيب فم السنور كطيب فم الكلب فى النكهة وقيل ان الهرة تحمل خمسين يوما وهو يجمع بين العض بالناب والخمش بالمخلاب وليس كل سبع كذلك وهو يناسب الانسان فى بعض الاحوال فيعطس ويتمطى ويغسل وجهه بلعابه ويلطخ وبر ولده بلعابه حتى يصير كأن الدهن يسرى فى جلده وقيل اذا بال الهر شم بوله ودفنه قيل لاجل الفأر فاذا شمه علم ان هناك هرا فلم يخرج وأما سنور الزباد فهو

بأرض الهند ويوجد الزباد تحت ابطيه وفخذيه (سوس) هو دود الحبوب والفاكهة ومن الفوائد التي تكتب في الحبوب فلا تسوس أسماء الفقهاء السبعة الذين كانوا بالمدينة وقد نظمها بعضهم فقال

ألا كل من لا يقتدي بأئمة * فقسمته ضيزى عن الحق خارجه
فخذهم عبيد الله عروة قاسم * سعيد أبو بكر سليمان خارجه

(حرف الشين)

(شادهوار) حيوان يوجد بارض الترك يقال ان له قرنا عليه اثنان وسبعون شعبة مجوفة فاذا هبت الريح سمع لها تصويت عجيب يكاد يدهش وربما قيل ان فيه شعبة يورث سماعها البكاء والحزن وأخرى تورث الفرح والضحك وانه أهدى الى بعض الملوك شيء من شعبها فرأى فيه ذلك ويقال ان من الحيوان شيأ يوجد بالغياض في قصبة أنفه اثنا عشر ثقبا اذا تنفس يسمع له صوت كصوت المزمار فتأتيه الحيوانات لتسمعه فتدهش فيغفل بعضها من الطرب فيثب عليه فيأخذه ويأكله وهي تعلم ذلك منه وتحترز فاذا لم يمسك منها شيأ ضاق خلقه وصاح بها صيحة فتهرب وتتركه (شاهين) طير يكون كهيئة الصقر الا انه عظيم الهامة واسع العينين ومزاجه أيبس من مزاج الصقر وحركته من العلو الى أسفل أقوى ولذلك ينقض على الطير بشدة فربما يخطئه فيضرب نفسه بالارض بشدة فيموت وقيل أول من صاد به قسطنطين وذلك أنه قد جعل له الحكماء الشواهين تظله من الشمس اذا سار فاتفق في بعض الايام أنه ركب فدارت الشواهين عليه وسار قال فطار واحد منها وانقض على صيد فأخذه فاعجب الملك ذلك وصار يتصيد به (شحرور) طير اسود فوق العصفور يصوت باصوات عجيبة مطربة

(حرف الصاد)

(صرد) حيوان يسمى الصرصار على قدر الخنفساء له جناحان ويقال له الصوام لانه أول طير صام يوم عاشوراء (صعو) طير من صغار العصافير أحمر الرأس

(حرف الضاد)

(ضأن) نوع من الحيوانات ذوات الاربع وهو من الحيوانات المباركة تحمل الانثى منه بواحد واثنين وفيها البركة وغيرها تحمل بالسبعة والتسعة وليس فيها بركة واذا رعت زرعا نبت عوضه وذلك لبركتها بخلاف ذوات الشعر ومن عجيب أمرها انها اذا رأت الذئب تخور وتخاف منه ولا تخاف من سائر السباع قال بعض القصاص مما أكرم الله تعالى به الكبش أن خلقه مستور العورة من قبل ومن دبر ومما أهان به التيس أن خلقه مهتوك الستر مكشوف العورة من قبل ومن دبر ويقال الضأن من دواب الجنة وهي صفوة الله من البهائم ويقال في المدح هو كبش من الكباش وفي الذم هو تيس من التيوس وأهدى بعضهم الى صديقه شاة هزيلة فقال

تقول لي الاخوان حين طبختها * أتطبخ شطرنجا عظاما بلا لحم

ومن العجب انه يأتي غنم من الهند للكبش منها الية في صدره واليات في كتفيه والية على ذنبه وربما تكبر الية الضأن حتى تمنعه من المشي ومن عجب أمرها أنها اذا تسافدت وقت المطر لاتحمل وعندهبوب الريح ان كانت شمالية حملت ذكرا أو جنوبية حملت أنثى والله أعلم (ومن خواصها) أن لحمها ينفع للسوداء ويزيد في المني والباه واذا تحملت المرأة بصوفها قطع حبلها واذا غطى اناء العسل بصوف الضأن الابيض منع وصول النمل اليه واذا دفن قرن كبش تحت شجرة كثر حملها على ماذكروا والله أعلم (ضب) حيوان يجعل جحره في الارض الصلبة وعنده بلم فربما لايهتدى لجحره اذا خرج منه فلذلك لايحفره الا بقرب كودية أو اشارة وهو من الحيوان الذى يعمر قيل انه يعيش سبعمائة سنة ومن طبعه انه يصبر على الماء يقال انه لا يشرب فانه يبول في كل أربعين يوما قطرة والانثى تبيض سبعين بيضة وأكثر وتجعلها في الارض وتتعاهدها في كل يوم الى أربعين يوما فيخرج وبيضها قدر بيض الحمام وهذا الحيوان شديد الخوف من الآدمي ولذلك يجعل العقارب في جحره حتى يمتنع بها ويخرج من جحره كليل البصر فيستقبل الشمس فيحصل له بذلك حدة في بصره واذا عطش تنشق النسيم فيروى بينه وبين الافاعي مناسبة وذلك انه لايخرج زمن الشتاء (فائدة) قيل ان أعرابيا أتى النبي صلى الله عليه وسلم وفي كمه ضب قد صاده وقال لولا أن تسمني العرب عجولا لقتلتك وسررت الناس بقتلك فقال عمر دعني يارسول الله أقتله فقال عليه الصلاة والسلام مهلا يا عمر أما علمت أن الحليم كاد أن يكون نبيا قال ثم أقبل الاعرابي على النبي صلى الله عليه وسلم وقال والله لا آمنت بك أو يؤمن بك هذا الضب وأخرجه من كمه قال فعند ذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم ياضب فأجابه بلسان فصيح لبيك وسعديك يارسول رب العالمين فقال من تعبد قال الذى في السماء عرشه وفي الارض سلطانه وفي البحر سبيله وفي الجنة رحمته وفي النار عذابه فقال من أنا ياضب قال رسول رب العالمين قد أفلح من صدقك وقد خاب من كذبك قال فقال الاعرابي عند ذلك ياويلاه ضب اصطدته بيدي من البرية يشهد لك بالرسالة أنا أولى منه بذلك هات يدك أشهد أن لا اله الا الله وانك رسول الله حقا ولقد أتيتك وما على وجه الارض أحد أكثر بغضا مني اليك ولقد صرت الآن أذهب من عندك وما على وجه الارض أحد أكثر محبة مني اليك ولأنت الساعة أحب الي من أهلي وولدي وماملكت يدي فقد آمن بك شعري وبشري وداخلي وخارجي وسري وعلانيتي فقال النبي صلى الله عليه وسلم الحمد لله الذى هداك لهذا الدين الذى يعلو ولا يعلى عليه ولكن لا يقبله الله الا بصلاة ولا يقبل الصلاة الا بقراءة قال فعلمني ياحبيبي قال فعلمه سورة الفاتحة وسورة الاخلاص وقال من قرأها ثلاث مرات فكانما قرأ القرآن قال الهنا يقبل اليسير ويعفو عن الكثير ثم سأله ألك مال فقال ياحبيبي ليس في بني سليم أفقر مني فقال لاصحابه اعطوه فأعطوه حتى أثقلوه فقال عبد الرحمن بن عوف يارسول الله عندي ناقة عشارية أعطيها له فقال ان الله يعطيك ناقة في الجنة من درة قوائمها من الزبرجد الاخضر وعيناها من الياقوت الاحمر وعليها هودج من السندس تخطف بك من الصراط كالبرق قال فخرج الاعرابي من عنده فتلقاه ألف فارس

من المشركين كلهم يريدون قتل النبي صلى الله عليه وسلم فاخبرهم بقصته فأسلموا عن آخرهم وأمّر النبي صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد عليهم وهذه القصة ذكرها الدارقطني بتمامها والبيهقي والحاكم وابن عدي (الخواص) قلبه يذهب الحزن والخفقان وشحمه يطلى به الذكر يزيد في الباه وكعبه يشد على وجع الضرس يبرأ واذا جعل على وجه فرس لا يسبقه شئ وبعره يذهب البرص والكلف طلاء ومن أكل لحمه لا يعطش زمانا طويلا (ضبع) حيوان معروف ومن كناه أم عامر ومن طبعه حب لحم الآدمي حتى قيل انه ينبش القبور واذا مر بانسان نائم حفر تحت رأسه ووثب عليه وبقر بطنه وشرب دمه (الخواص) من شرب دمه ذهب وسواسه ومن علق عليه عينه أحبه الناس واذا جعلها في خل سبعة أيام ثم جعلها تحت فص خاتم فكل من كان به سحر وجعل الخاتم في قليل ماء وشرب به زال سحره (ضفدع) حيوان يتولد من المياه الضعيفة الجري ومن العفونات وعقب الامطار وأول ما يظهر مثل الحب الاسود ثم ينمو ثم تتشكل له الاعضاء واذا نق جعل فكه الاسفل في الماء والاعلى من خارج وفي صوته حدة قال سفيان ليس من الحيوان أكثر ذكرا لله تعالى من الضفدع وفي الآثار أن داود عليه السلام قال لاسبحن الله تعالى بتسبيح ما سبحه أحد قبلي فنادته ضفدعة يا داود تمن على الله تعالى بتسبيحك وأنا لي تسعون سنة ما جف لساني عن ذكر الله تعالى قال فما تقولين في تسبيحك قالت أقول سبحان من هو مسبح بكل لسان سبحان من هو مذكور بكل مكان فقال داود وما عسى أن أقول وقال بعضهم انها كانت تأخذ الماء بفيها وتجعله على نار ابراهيم الخليل والله أعلم

(حرف الطاء)

(طاوس) طير مليح ذو ألوان عجيبة وعنده الزهو في نفسه والعجب ومن طبعه العفة وهو من الطير كالفرس من الحيوان والانثى تبيض حين يمضي لها من العمر ثلاث سنين وفي ذلك الاوان يكمل ريش الذكر ويتم لونه وتبيض الانثى مرة واحدة في كل سنة وفي السنة اثنا عشر بيضة أو أقل أو أكثر ويسفد الذكر في أيام الربيع ويرمي ريشه في أيام الخريف كالشجر فاذا ابتدأ طلوع الورق طلع ريشه ومدة حضنه ثلاثون يوما (فائدة) قيل ان آدم لما غرس الكرمة جاء ابليس لعنه الله فذبح عليها طاوسا فشربت دمه فلما طلعت أوراقها ذبح عليها قردا فشربت دمه فلما طلعت ثمرتها ذبح عليها أسدا فشربت دمه فلما انتهت ثمرتها ذبح عليها خنزيرا فشربت دمه فمن أجل ذلك تجد شارب الخمر أول ما يشربها وتدب فيه يزهو بنفسه ويميس عجبا كالطاوس فاذا جاء مبادي السكر لعب وصفق بيديه كالقرد فاذا قوي سكره قام وعربد كهيئة الاسد فاذا انتهى سكره انقبض كما ينقبض الخنزير ثم يطلب النوم والناس تتشاءم باقامته بالدور وقيل لانه كان سببا لدخول ابليس الجنة وخروج آدم منها والله على كل شئ قدير

(حرف الظاء)

(ظبي) واحد الغزلان وهو ثلاثة أصناف الاول الارام وهي ظباء الرمل ولونها رمادي وهي

سمينة العنق والثاني العفر ولونها أحمر وهي قصيرة العنق والثالث الادم وهي طويلة العنق وتوصف بحدة البصرة وقيل ان الظبي يقضم الحنظل قضماً ويمضغه مضغاً وماؤه يسيل من شدقيه ويرد الماء الملح فيشرب الاجاج ويغمس خرطومه فيه كما تغمس الشاة جحفلها في الماء العذب فاي شئ أعجب من حيوان يستعذب ملوحة البحر ويستحلي مرارة الحنظل (الخواص) لسانه يجفف ويطعم للمرأة السليطة تزول سلاطتها وبعره وجلده يحرقان ويسحقان ويجعلان في طعام الصبي يزيد ذكاؤه ويصير فصيحاً ذلقاً حافظاً (ظربان) دويبة فوق جرو الكلب منتنة الريح تزعم العرب ان من صادها وفست في ثوبه لا تزول الرائحة منه حتى يبلى الثوب ويحكى من شؤمها انها تأتي بيت الظبي فتفسو فيه ثلاث مرات فتقتل ما فيه وتأكله بعد ذلك

(حرف العين)

(عجل) حيوان معروف وهو ذكر البقر وسمي بذلك لاستعجال بني اسرائيل بعبادته والسبب في ذلك أن موسى عليه السلام وقت الله له ثلاثين ليلة ثم أتمها بعشر وكان فيهم شخص يسمى موسى بن ظفر السامري في قلبه من حب عبادة البقر شئ فابتلى الله به بني اسرائيل فقال ائتوني بحلي قال فأتوه بجميع حليهم فصنع منه عجلاً جسداً وألقى عليه قبضة من التراب الذي كان أخذه من أثر فرس جبريل عليه السلام فصار له خوار كما أخبر الله تعالى فعكفوا على عبادته من دون الله تعالى وكانوا يأتون اليه ويرقصون حوله ويتواجدون فيخرج منه تصويت كهيئة الكلام فيتعجبون من ذلك ويظنون أنه تكلم وانما فعل ذلك باغواء ابليس لعنه الله حتى يطغيهم (فائدة) نقل القرطبي عن سيدي أبي بكر الطرطوسي رحمهما الله أنه سئل عن قوم يجتمعون في مكان فيقرؤن من القرآن ثم ينشد لهم الشعر فيرقصون ويطربون ثم يضرب لهم بعد ذلك بالدف والشبابة هل الحضور معهم حلال أم حرام فقال مذهب الصوفية أن هذه بطالة وجهالة وضلالة وما الاسلام الا كتاب الله وسنة رسوله وأما الرقص والتواجد فاول من أحدثه أصحاب السامري لما اتخذوا العجل فهذه الحالة هي حالة عباد العجل وانما كان النبي صلى الله عليه وسلم مع أصحابه في جلوسهم كانما على رؤسهم الطير مع الوقار والسكينة فينبغي لولاة الامر وفقهاء الاسلام أن يمنعوهم من الحضور في المساجد وغيرها ولا يحل لاحد يؤمن بالله واليوم الآخر أن يحضر معهم ولا يعينهم على باطلهم هذا مذهب الشافعي وأبي حنيفة ومالك وأحمد بن حنبل رحمهم الله (عقرب) هو من الحشرات قال الجاحظ انها تلد من فيها مرتين وتحمل أولادها على ظهرها وهم كهيئة القمل كثير العدد وقال غيره اذا حملت تسلط عليها أولادها فأكلوا بطنها وخرجوا كهيئة الذر ثم يكبرون ويطوفون بالارض ولها ثمانية أرجل ومن عجيب أمرها أنها لا تضرب النائم الا اذا تحرك شئ منه والخنافس تأوي اليها وربما لسعت التنين العظيم فقتلته (غريبة) قال ذو النون المصري بينما أنا في بعض سياحتي اذ مررت بشاطئ البحر فرأيت عقرباً أسود قد أقبل الى أن جاء الى شاطئ البحر فظننت أنه يشرب

فقمت لانظر فاذا بضفدع قد خرج من الماء وأتاه فحمله على ظهره وذهب به الى ذلك الجانب قال ذوالنون فاتزرت بمئزرى وعمت خلفه حتى اذا صعد من ذلك الجانب صعدت وسرت وراءه فمازال حتى جاء الى شجرة فوجدت تحتها غلاما نائما من شدة السكر قد أقبل عليه تنين عظيم قال فالصقت العقرب برأس التنين ولسعته فقتلته ثم رجعت الى ظهر الضفدع فعبر بها الى الماء وساربها الى المكان الذى جاءت منه قال ذوالنون فتعجبت من ذلك وأنشدت

يا راقدا والجليل يحفظه * من كل سوء يكون فى الظلم
كيف تنام العيون عن ملك * يأتيك منه فوائد النعم

ثم أيقظت الغلام وأخبرته بذلك قال فلما سمع ذلك قال أشهدك على أنى قد تبت عن هذه الخصلة ثم جربنا ذلك التنين ورميناه فى البحر ولبس ذلك الغلام مسحا وساح الى أن مات رحمة الله تعالى عليه وما أحسن ما قال بعضهم

اذا لم يسالمك الزمان فحارب * وباعد اذا لم تنتفع بالاقارب
ولا تحتقر كيد الضعيف فربما * تموت الافاعى من سموم العقارب
فقد هد قدما عرش بلقيس هدهد * وخرب فأر قبل ذا سد مأرب
اذا كان رأس المال عمرك فاحترز * عليه من التضييع فى غير واجب
فمن اختلاف الليل والصبح معرك * يكر علينا جيشه بالعجائب

(فائدة) اذا لدغ أحد فاقرأ عليه هذه الكلمات وهى سلام على نوح فى العالمين وصلى الله على سيدنا محمد فى المرسلين من حاملات السم أجمعين لا دابة بين السماء والارض الا ربى آخذ بناصيتها كذلك يجزى عباده المحسنين ان ربى على صراط مستقيم نوح نوح قال لكم من ذكرنى لا تلدغوه ان ربى بكل شئ عليم وصلى الله على سيدنا محمد الكريم وقال بعض العلماء من قال عقدت زبان العقرب ولسان الحية ويد السارق بقول أشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله أمن من العقرب والحية والسارق وفى البخارى ان رجلا جاء الى النبى صلى الله عليه وسلم وقال يا رسول الله ماذا لقيت من عقرب لدغتنى البارحة فقال له النبى صلى الله عليه وسلم أما انك لو قلت اذا أمسيت أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق لم تضرك وروى الترمذى أن من قال حين يمسى أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق ثلاث مرات ثم قال سلام على نوح فى العالمين لم تضره الحية والعقرب والسر فى ذكر نوح دون غيره هو أنه لما ركب فى السفينة سألته الحية والعقرب أن يحملهما معه فشرط عليهما انهما لا يضران من ذكر اسمه بعد ذلك فشرطا له ذلك (الخواص) من بخر البيت بزرنيخ أحمر وشحم بقر هربت منه العقارب ومن شرب مثقالين من حب الاترج أبرأه من سمها ومن علق عليه شئ من ورق الزيتون برئ أيضا لوقته (عقعق) طير ذولونين طويل الذنب قدر الحمامة على شكل الغراب وجناحاه أكبر من جناحى الحمامة وهو لا يأوى الا الاماكن العالية واذا باض جعل حول بيضه ورق الدلب خوفا عليه من الخفاش لا يفسده (الخواص) دمه اذا جعل على قطن وألصق على موضع النصل والشوكة الغائبة فى البدن أخرجه (علق)

دود أحمر وأسود يكون بالماء يعلق بالخيل والآدمي فاذا علقت بك فرش عليها ماء وملحا
واذا علقت بفرس فبخره بوبر الثعلب فانها تنفصل من رائحة دخانه ومن خواصه ان البيت
اذا بخر به هرب ما فيه من البق والبعوض واذا جفف وسحق وقلع الشعر وطلي به مكانه منع
نباته (عنقاء) اختلف فيها فقال بعضهم هو طائر عظيم الخلقة له وجه انسان وفيه من كل
حيوان لون وقال بعضهم هو طير غريب الشكل يبيض بيضا كالجبال ويبعد في طيرانه
وسميت بذلك لانه كان في عنقها طوق أبيض قال القزويني انها تخطف الفيلة لعظمها وكبر
جثتها كما تخطف الحدأة الفأر قال وكانت في قديم الزمان بين الناس الى أن خطفت عروسا
بحليها فذهب أهلها الى نبي ذلك الزمان فشكوها اليه فدعا عليها فذهب بها الى بعض
الجزائر التي خلف خط الاستواء وهي جزيرة لا يصل اليها أحد وجعل لها فيها ما تقتات به من
السباع كالفيل والكركند وغير ذلك وقال أصحاب التواريخ ان هذا الطير يعمر
حتى قيل انه يعيش ألفي سنة ويتزاوج اذا مضى عليه خمسمائة (وحكى) الزمخشري في
ربيع الابرار أن الله تعالى خلق في زمن موسى طيرا يقال له العنقاء له وجه كوجه الانسان
وأربعة أجنحة من كل جانب وخلق له انثى مثله ثم أوحى الله تعالى الى موسى اني خلقت
خلقا كهيئة الطير وجعلت رزقه الوحوش والطير التي حول بيت المقدس قال فتناسلا
وكثر نسلهما فلما توفي موسى عليه السلام انتقلت الى نجد والعراق فلم تزل تأكل الوحوش
وتخطف الصبيان الى أن تنبأ خالد بن سنان العبسي فشكوها اليه فدعا عليها فانقطعت
وانقطع نسلها وانقرضت (عنكبوت) دويبة لها ثمانية أرجل وستة عيون وهي من
الحيوان الذي يصيد الذباب وولده يخرج قويا على النسج من غير تعليم ولا تلقين ويخرج
أولاده دودا صغيرا ثم يتغير ويصير عنكبوتا وتكمل صورته (فائدة) قيل ان امرأة ولدت
جارية ثم قالت لخادم لها اقتبس لنا نارا فخرج فوجد بالباب سائلا فقال له ما ولدت سيدتك
فقال بنتا فقال لا تموت حتى تبغي بألف رجل ويتزوجها خادمها ويكون موتها بالعنكبوت
فقال الخادم وأنا أصبر لهذه حتى يحصل منها ما يحصل فصبر حتى قامت أمها لتقضي بعض
شؤنها وعمد الى البنت فشق بطنها بسكين وهرب قال فجاءت أمها فوجدتها على تلك الحالة
فدعت بمن يعالجها حتى شفيت فلما كبرت بغت قال ثم انها سافرت وأتت مدينة على ساحل
من سواحل البحر فاقامت هناك تبغي قال وأما الرجل فانه صار من التجار وقدم لتلك
المدينة ومعه مال كثير فقال لامرأة عجوز هناك اخطبي لي امرأة حسنة أتزوج بها قال
فوصفتها له وقالت ليس هنا أحسن منها ولكنها تبغي فقال للعجوز ائتيني بها قال فذهبت
وأخبرتها بالقصة فقالت لها حبا وكرامة فاني قد تبت عن البغي فتزوج الرجل بها وأحبها
حبا شديدا وأقام معها أياما وكان يود أن يراها مجردة فلم يمكنه ذلك حتى اذا كان في بعض
الايام خرج على عادته لقضاء أشغاله ودخلت هي الحمام وعرضت له حاجة فرجع الى
الدار وصعد الى قصرها فلم يرها فسأل عنها فقيل له هي في الحمام فدخل عليها فرآها مجردة
ورأى في بطنها أثرا كالخياطة فقال ما هذا قالت له لا أعلم الا أن أمي أخبرتني أنه كان لنا
خادم وانه يوم ولادتي غافل أمي وشق بطني بسكين وهرب وانها حين رأتني كذلك دعت

بعض الاطباء نخاط بطني وعالجني حتى اندمل جرحي وشفيت وبقي هذا الاثر فقال لها أنا ذلك الخادم وحكى لها السبب وأن ذلك السائل أخبره انها تموت بالعنكبوت ثم انه اهتم بامرها وجمع مهندسي البلدة التي هم فيها وسألهم أن يبنوا له بناء لا ينسج عليه العنكبوت فقالوا كل بناء ينسج عليه الا أن يكون البلور لنعومته لا ينسج عليه فأمرهم أن يصنعوا لها قصرا من البلور وبذل لهم ما أرادوا فعملوه وفرشه وأمرها أن تقيم فيه ولا تخرج منه خوفا عليها من العنكبوت قال فبينما هو ذات يوم اذ رأى عنكبوتا قد نسج في ذلك القصر فقام اليه فرماه وقال لها هذا الذي يكون موتك منه قال فداسته بابهامها وقالت كالمستهزئة أهذا الذي يقتلني فشدخته فتعلق بطرف ابهامها من مائه شيء فعمل بها حتى ورمت ساقها ثم وصل الورم الى قلبها فقتلها فما أفاده قصره ولا صرحه شيأ قال الله تعالى أينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم في بروج مشيدة (فائدة) نسج العنكبوت على ثلاثة مواضع على غار النبي صلى الله عليه وسلم وعلى غار عبد الله بن أنيس لما بعثه النبي صلى الله عليه وسلم لخالد الهذلي فقتله وحمل رأسه ودخل به في غار خوفا من أهله ونسج على عورة زيد بن علي ابن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم لما صلب عريانا وقيل انها نسجت مرتين على داود حين كان جالوت يطلبه (الخواص) نسجها ان وضع على الجراح الطرية يقطع دمها ويجلو الفضة اذا دلكت به والذي يوجد من نسجها في بيت الخلاء ينفع المحموم اذا تبخر به (ابن عرس) حيوان معروف وهو بأرض مصر كثير ويسمى العرسة وهو عدو للفار وعنده الحيل قيل انه عدا خلف فأر فصعد منه على شجرة فصعد خلفه وأمر أنثاه ان تقف تحت الشجرة ثم قطع الغصن الذي كان عليه الفار فسقط فاخذته أنثاه ومما يحكى عنه انه يحب الذهب فيسرقه ويلد عليه *عجيبة* قيل ان رجلا صاد فرخا من أولاده وحبسه تحت طاسة فجاء أبوه فوجده فذهب وأتى بدينار فوضعه فلم يفلته ثم ذهب وأتى بآخر ومازال كذلك حتى أتى بخمسة دنانير فلم يفلته ثم أتى بخرقة فلم يفلته فاراد ابن عرس أن يأخذما برطله به فلما علم الرجل ذلك فهم أنه لم يبق عنده شيء فافلته له

(حرف الغين)

(غراب) وكنيته أبو حاتم وله كنى غير ذلك وهو أنواع كثيرة منها الاكحل وغراب الزرع والازرق وهذا النوع يحكي جميع ما سمعه والعرب تتفاءل بصياح الغراب فتقول اذا صاح مرتين فشر واذا صاح ثلاثة فخير وهو كالانسان عند الجماع وفي طبعه الاستتار عن الناس عند مجامعته والانثى تبيض ثلاثا أو أربعا أو خمسا وتحضن ذلك والاب يسعى في طعمتها الى أن تفرخ فاذا فرخت خرجت أفراخها قبيحة المنظر فتتفرق منها وتتركها وتغيب فيرسل الله لها البعوض فتتغذى به ثم لاتزال تتعاهدها حتى ينبت لها الريش فتأتيها ومنه قول الحريري *يارازق النعاب في عشه *وجابر العظم الكسير المهيض ومن طبعه انه لايتعاطى الصيد بل ان وجد رمة أكل منها ويقم من الارض ما وجد ويسمى بالفاسق لانه لما أرسله نوح عليه السلام ليكشف عن الماء فوجد في طريقه رمة فسقط

عليها او ترك ما أرسل اليه ويسمى بالبين لانه اذا رحل العرب من مكان نزل فيه وزعق فى أثرهم ومن الغرائب ان بين الغراب وبين الذئب ألفة وذلك انه اذا رأى الذئب بقر بطن شاة سقط وأكل منها معه والذئب لا يضره (الخواص) اذا غمس الغراب فى الخل ثم جفف وسحق ريشه وطلى به الشعر سوده واذا علق منقاره على انسان زالت عنه العين وزبل الغراب الابقع ينفع الخوانيق والخنازير طلاء وان صر فى خرقة على من به السعال زال (غرغر) دجاج بنى اسرائيل يقال ان فرقة من بنى اسرائيل كانت بتهامة فطغت وبغت وتجبرت وكفرت فعاقبهم الله تعالى بان جعل رجالهم القردة وكلابهم الاسود وغنمهم الاراك وجوزهم المقل ودجاجهم الغرغر وهو دجاج الحبشة فلا ينفع لحمه لرائحته الكريهة وهذا مشاهد فى زماننا هذا الآن على مانقل والله أعلم

(حرف الفاء)

(فاختة) طير أغبر من ذوات الاطواق بقدر الحمام لها حسن الصوت يحكى ان الحيات تهرب من صوتها وفى طبعها الانس فمن أجل ذلك تتخذ بيتها فى البيوت وهى من الحيوان الذى يعمر وقد ظهر منها ما عاش خمسا وعشرين سنة (الخواص) دمها ينفع من الآثار فى العين من ضربة أو قرحة اذا قطر فيها (فارة) وكنيتها أم خراب وغير ذلك وتسمى بالفويسقة وذلك أن النبى صلى الله عليه وسلم انتبه ليلة فوجدها قد جذبت الفتيلة وأحرقت طرف سجادته فقتلها وأمر بقتلها وهى التى قطعت حبل سفينة نوح وأذاها لا يكاد ينحصر ومنه انها تأتى الى اناء الزيت فتشرب منه فاذا نقص صارت تشرب بذنبها فاذا لم تصل اليه ذهبت وأتت فى فمها بماء وأفرغته فيه حتى يعلو لها الزيت فتشربه وربما وضعت فيه بجرا فتكسر به ويقال انها من بقايا الممسوخين الذين كانوا يهودا ومن أراد أن يعلم ذلك فليضع لها لبن ناقة فى اناء فان لم تشربه فهى منهم (الخواص) عينه تشد على الماشى يسهل تعبه واذا بخر البيت بزبل الذئب أو الكلب ذهب منه الفار (فرس البحر) حيوان يوجد بالنيل أفطس الوجه ناصيته كالفرس ورجلاه كالمقروذنبه قصير يشبه ذنب الخنزير وجلده غليظ ووجهه أوسع من وجه الفرس يصعد البر ويرعى الزرع وربما قتل الانسان وغيره (فهد) حيوان شرس الاخلاق قال ارسطو هو متولد من الاسد والنمر وفى طبعه مشابهة بطبع الكلب ونومه ثقيل وفى طبعه الحنو على انثاه وقيل أول من صاد به كليب بن وائل وأول من حمله على الخيل يزيد بن معاوية وأكثر من اشتهر باللعب به أبو مسلم الخراسانى (فيل) حيوان يوجد بأرض الهند وكنيته أبو الحجاج والانثى أم سحل وهو ينزو على انثاه اذا بلغ من العمر خمس سنين وتحمل انثاه سنتين ثم تضع ولا يقربها الذكر فى مدة حملها ولا بعده بثلاث سنين ولا يلقح الا ببلاده واذا أرادت الوضع دخلت النهر لان رجليها لا ينثنيان فتخاف عليه والذكر يحرسها خوفا على ولده من الحيات فانها تأكله وهو عند شدة غلمته كالجمل ويهيج فى زمن الربيع وزعم أهل الهند أن لسانه مقلوب ولولا ذلك لكان يتكلم لشدة ذكائه وقيل ان ثدييه فى صدره كالانسان وهو أضخم الحيوان وأعظمه جرما

وماظنك بخلق ربما كان نابه أكثر من ثلثمائة من وهو مع ذلك أملح وأظرف من كل نحيف الجسم رشيق وربما مر الفيل مع عظم بدنه خلف القاعد فلا يشعر برجله ولا يحس بمروره لخفة همسه واحتمال بعض جسده لبعض وأهل الهند يزعمون ان أنياب الفيل قرناه يخرجان مستبطنين حتى يخرقان وخرطوم الفيل أنفه ويده وبه يتناول الطعام الى جوفه وبه يقاتل وبه يصيح وصياحه ليس فى مقدار جرمه وقيل ان الفيل جيد السباحة واذا سبح رفع خرطومه كما يغيب الجاموس جميع بدنه الا منخريه ويقوم خرطومه مقام عنقه والخرق الذى فى خرطومه لا ينفذ وانما هو وعاء اذا ملأه من طعام أو ماء أولجه فى فيه لانه قصير العنق لا ينال ماء ولا مرعى وأهل الهند تجعله فى القتال وهو أيضا يقاتل مع جنسه فمن غلب دخلوا تحت أمره وقيل جعل الله فى طبع الفيل الهرب من السنور (حكى) عن هرون مولى الازد أنه خبأ معه هرا ومضى بسيف الى الفيل فلما دنا منه رمى بالهر فى وجهه فادبر هاربا وكبر المسلمون وظنوا انه هرب منه قال أبو الشمقمق

يا قوم انى رأيت الفيل بعدكم * تبارك الله لى فى رؤية الفيل
رأيت بيتا له شئ يحركه * فكدت أفعل شيأ فى السراويل

وقيل اذا اغتلم الفيل لم يكن لسواسه هم الا الهرب بانفسهم ويتركونه ومن عجب أمره ان سوطه الذى به يحث ويضرب محجن حديد أحد طرفيه فى جبهته والآخر فى يد راكبه فاذا أراد شيأ غمزه به فى جبهته وأول شئ يؤدبون به الفيل يعلمونه السجود للملك قيل خرج كسرى أبرويز لبعض الاعياد وقد صفوا له ألف فيل واحدق به ثلاثون ألف فارس فلما رأته الفيلة سجدت له فما رفعت رؤسها حتى جذبت بالمحاجن وراضتها الفيالون وتزعم أهل الهند ان جبهة الفيل تعرق كل عام عرقا غليظا سائلا أطيب من رائحة المسك ولا يعرض ذلك العرق الا فى بلادها خاصة وان عظام الفيل كلها عاج الا ان جوهر نابه أكرم وأثمن ولولا شرف العاج وقدره لما فخر الاحنف بن قيس على أهل الكوفة فى قوله نحن أكثر منكم عاجا وساجا وديباجا وخراجا وقيل ان الفيلة لا تتسافد فى غير بلادها (فائدة) من قرأ سورة الفيل ألف مرة فى كل يوم عشرة أيام متوالية ثم جلس على ماء جار وقال اللهم أنت الحاضر المحيط بمكنونات الضمائر اللهم عز الظالم وقل الناصر وأنت المطلع العالم اللهم ان فلانا ظلمنى وأساء فى ولا يشهد بذلك غيرك أنت مالكه فأهلكه اللهم سربله سربال الهوان وقمصه قميص الردى اللهم اقصفه ست مرات اللهم اخفضه مرتين فاخذهم الله بذنوبهم وما كان لهم من الله من واق فان الله يستجيب له مالم يكن ظالما (الخواص) جلده اذا بخر به بيت هرب بقه واذا سقى انسان من وسخ أذنه نام نومة طويلة واذا علق من نابه شئ على شجرة لم تثمر واذا عمل من جلده ترس يكون أصلب من كل ترس

(حرف القاف)

(قاقم) دويبة تشبه السنجاب الا انه ابرد منه مزاجا وهو أبيض يقق وجلده أعز قيمة من السنجاب (قاوند) طير يكون بساحل البحر يبيض فى الرمل ويحضن بيضه سبعة

أيام ثم تخرج أفراخه بعد ذلك فيزقها بعد سبعة أيام ويقال ما عسك الله البحر في هيجانه عن أن يفيض على الساحل الا اكراماله لانه يقال انه يبر والديه (خواصه) انه يقيم المقعد ويحلل البلاغم المزمنة وينفع الامراض الباردة وأوجاع الاعصاب (قرد) حيوان معروف وكنيته أبو خالد وغير ذلك وهو قبيح المنظر مليح الذكاء سريع الفهم يتعلم الصنائع قيل انه أهدى للمتوكل قرد خياط وآخر صائغ وأهل اليمن يعلمون القردة البيع والجلوس في الدكاكين حتى قيل انه يخرز النعل ويصر القرطاس ونحوذ وغيره وعنده لواط حتى قيل انه يعدو خلف المليح من شدة المحبة والتفت ابن الرومي يوما الى أبي الحسن الاخفش وهو يحاكي مشية القرد فقال

هنيأ يا أبا الحسن المفدى * بلغت من الفضائل كل غايه
شركت القرد في قبح وسخف * وما قصرت عنه في الحكايه

(قنفذ) بالذال المعجمة وكنيته أبو سفيان ومن عجيب امره أنه يصعد الكرم فيرمى العنقود ثم ينزل فيأكل منه ما أطاق فان كان له افراخ تمرغ في الباقي فيتعلق بشوكه فيذهب به الى أولاده وهو مولع بأكل الافاعي فاذا لدغته لا يؤثر فيه سمها لدفع ذلك بشوكه واذا تأذى منها ذهب فأكل السعتر البري فيزول أذاها وهو من الحيوان الذي يسفد مباطنة كالرجل وله خمسة أرجل

(حرف الكاف)

(كركند) حيوان يوجد ببلاد الهند والنوبة وهو دون الجاموس وله قرن واحد عظيم لا يستطيع رفع رأسه منه لثقله وهو مصمت قوي يقاتل به الفيل فيغلبه ولا تحمل نابا ه شيأ معه وعرض قرنه شبران وليس بطويل جدا وهو محدد الرأس شديد الملاسة واذا نشر قرنه ظهرت في معاطفه صور عجيبة كالطواوس والغزلان وأنواع الطير والشجر وبني آدم ولذلك يتخذ منه صفائح الأسرة والمناطق للملوك ويتغالون في ثمنها بحيث تبلغ المنطقة أربعة الاف أو أكثر والانثى تحمل ثلاث سنين ويخرج ولدها نابت الاسنان والقرون قوي الحافر ويقال انها اذا قاربت الوضع أخرج الولد رأسه من بطنها وصار يرعى أطراف الشجر فاذا شبع ادخل رأسه بطن أمه ويزعم أهل الهند أنه اذا كان ببلاد لم يدع فيها من الحيوان شيأ حتى يكون بينها وبينه مائة فرسخ من جميع الجهات هيبة له وهربا منه ويسمى الحمار الهندي وهو شديد العداوة للانسان يتبعه اذا سمع صوته فيقتله ولا يأكل منه شيأ (كروان) طير معروف لا ينام غالب الليل خصوصا في القمر وعنده ذكاء قيل انه يتكلم بجميع ما يبصره ولا يحتمل المغابنة (كركي) طير محبوب للملوك وله مشتى ومصيف فمشتاه بارض مصر ومصيفه بارض العراق وهو من الحيوان الرئيس قيل انه اذا نزل بمكان اجتمع حلقة ونام وقام عليه واحد يحرسه وهو يصوت تصويتا لطيفا حتى يفهم انه يقظان فاذا تمت نوبته أيقظ غيره لنوبته قال القزويني واذا مشى وطئ الارض باحدى رجليه وبالاخرى قليلا خوفا من أن يحس به واذا طار سار سطرا يقدمه واحد كهيئة الدليل ثم تتبعه البقية (كلب) معروف وهو نوعان أهلي وسلوقي وهذان النوعان سواء الا أن أنثى السلوقي أسرع في التعلم

من ذكره وهذا الحيوان حليم وعنده رياضة وفي طبعه اكرام الأجلاء من الناس (حكي) أن رجلا عزم جماعة فتخلف شخص منهم في منزله ودخل على زوجة صاحب المنزل فضاجعها فوثب الكلب عليهما فقتلهما فرجع صاحب المنزل فوجدهما قتيلين فأنشد يقول

وما زال يرعى ذمتي ويحوطني * ويحفظ عهدي والخليل يخون
فواعجبا للخل يهتك حرمتي * وواعجبا للكلب كيف يصون

(وحكى) أبو عبيدة قال خرج رجل الى الجبانة ومعه أخوه وجاره لينظروا الى الناس فتبعه كلب له فضربه ورماه بحجر فلم ينته ولم يرجع فلما قعد ربض الكلب بين يديه فجاء عدو له في طلبه فلما رآه خاف على نفسه فاذا بئر هناك قريبة القعر فنزل فيها وأمر أخاه وجاره أن يهيلا عليه التراب ثم ذهب أخوه وجاره الى سبيلهما وصار الكلب ينبح حوله فلما انصرف العدو أتاه الكلب فما زال يبحث في التراب الى أن كشفه عن رأسه فتنفس الرجل ومر به اناس فتناولوه وردوه الى أهله فلما مات ذلك الكلب عمل له قبرا ودفنه فيه وجعل عليه قبة وسمى ذلك قبر الكلب وفي ذلك قيل

تفرق عنه جاره وشقيقه * وما حاد عنه كلبه وهو ضاربه

*ومن ذلك ما حكي أن رجلا قتل ودفن وكان معه كلب فصار يأتي كل يوم الى الموضع الذي دفن فيه وينبح وينبش ويتعلق برجل هناك فقال الناس ان لهذا الكلب شأنا فكشفوا عن ذلك وحفروا ذلك الموضع فوجدوا قتيلا فقبضوا على ذلك الرجل الذي ينبح عليه الكلب وضربوه فاقر بقتله فقتل وهو من الحيوان الذي يعرف الحسنة وقيل ان الانثى تحيض في كل شهر سبعة أيام وأكثر ما تضع اثنا عشر جروا وذلك في النادر والغالب خمسة أو ستة وربما ولدت واحدا ويعيش الكلب في الغالب عشر سنين وربما بلغ عشرين سنة ووصف للمتوكل كلب بارمينية يفترس الاسد فارسل من جاء به اليه فجوع أسدا وأطلقه عليه فتهارشا وتواثبا حتى وقعا ميتين وقيل كلب الصياد يشبه به الفقير المجاور للغني لانه يرى من نعمته وبؤس نفسه ما يفتت كبده وقيل لرجل ما بال الكلب يرفع رجله اذا بال قال يخاف أن يلوث ذراعيه قيل أوللكلب ذراعان قال هو يتوهم ذلك (فائدة) حكي أن الامام أحمد بن حنبل رضي الله عنه سمع أن شخصا من وراء النهر يروي أحاديث مثلثة فسار اليه ودخل عليه فوجده يطعم كلبا وهو مشتغل به قال الامام أحمد فاخذت في نفسي وأضمرت أن أرجع اذ لم يلتفت الرجل الي ثم قال حدثني أبو الزناد عن الاعرج عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من قطع رجاء من ارتجاه قطع الله رجاءه يوم القيامة فلم يلج الجنة وان أرضنا هذه ليست بارض كلاب وقد قصدني هذا الكلب فخشيت ان أقطع رجاءه قال فقال الامام أحمد رحمه الله هذا الحديث يكفيني ثم رجع قافلا الى أهله (فائدة أخرى) قال الترمذي لما أهبط الله تعالى آدم الى الارض سلط عليه ابليس السباع وكان أشدها الكلب قال فنزل عليه جبريل عليه السلام وأمره أن يضع يده عليه ففعل واطمأن اليه وألفه وصار يحرسه وبقيت الالفة فيه لاولاده الى يوم القيامة وقيل

ان

ان أول من اتخذ الكلب بعد آدم نوح عليهما السلام وذلك لان قومه كانوا يعمدون بالليل فيفسدون ما صنعه في السفينة بالنهار فامره الله أن يتخذ كلبا حارسا ففعل قال فكان الكلب اذا أتاه مفسد قام عليه فيتيقظ نوح عليه السلام فيدفعه (فائدة) قيل كان كلب اهل الكهف اسمر واسمه قطمير وقيل اصفر وقيل خلنجي اللون وليس في الحيوان مايدخل الجنة الا هو وكبش اسمعيل وناقة صالح وحمار العزير وبراق النبي صلى الله عليه وسلم (فائدة أخرى) اذا نبح عليك كلب وخفت منه فاقرأ يامعشر الجن والانس ان استطعتم أن تنفذوا من أقطار السموات والارض فانفذوا لاتنفذون الا بسلطان وقل بعد ذلك لا اله الا الله فانك تكفاه

(حرف اللام)

(لغلغ) طير معروف قيل انه من طيور الفواخت ويأتي الى أرض مصر في أيام الشتاء فيأكل ماقسم الله له من الرزق ويأكل منه من له فيه رزق ثم يرحل الى بلاده

(حرف الميم)

(مالك الحزين) طير يوجد بالضحضاح غذاؤه السمك وسمي بذلك لانه قيل انه لا يشرب حتى يروى خوفا من أن ينقص الماء واذا نشف الضحضاح حزن لانه لا يستطيع العوم ونظيره دويبة بارض فارس معروفة عندهم يقال ان غذاءها التراب فاذا أكلت لا تشبع خوفا من أن يفرغ

(حرف النون)

(نمل) قال عليه الصلاة والسلام ألا تنظرون الى صغير ما خلق الله كيف أحكم خلقه وأتقن تركيبه وفلق له السمع والبصر وسوى له العظم والبشر انظروا الى النملة في صغر جثتها ولطافة هيئتها لا تكاد تنال بلحظ البصر ولا بمستدرك الفكر كيف دبت على الارض وسعت في مناكبها وطلبت رزقها تنقل الحبة الى جحرها تجمع في حرها لبردها وفي وردها لصدرها لا يغفل عنها المنان ولا يحرمها الديان ولو فكرت في مجاري أكلها في علوها وسفلها وما في الجوف من شراسيف بطنها وما في الرأس من عينها وأذنها لقضيت من خلقها عجبا ولقيت من وصفها تعبا فتعالى الذي أقامها على قوائمها وبناها على دعائمها لم يشركه في فطرتها فاطر ولم يعنه على خلقها قادر لا اله الا هو ولا معبود سواه وقيل اذا خافت على حبها ان يعفن أخرجته الى ظهر الارض ليجف وقيل انها تفلق الحبة نصفين خوفا من أن تنبت فتفسد الا الكزبرة فانها تفلقها أربعا لانها من دون الحب تنبت نصفها وليس كل أرباب الفلاحة يعرف هذا فسبحان من ألهمها ذلك وقيل انها تشم رائحة الشيء من بعد ولو وضعته على أنفك لم تجد له رائحة واذا عجزت عن حمل شيء استعانت برفقتها فيحملونه جميعا الى باب جحرها وقيل اذا انفتح باب قرية النمل فجعلت فيه زرنيخا أو كبريتا هجرتها والله أعلم

(نحل) حيوان ليس له نظر في العواقب وله معرفة بفصول السنة وأوقاتها وأوقات المطر وفي طبعه الطاعة لأميره والانقياد له ومن شأنه في تدبير معاشه انه يبني له بيتا من الشمع شكلا

مسدسا لا يوجد فيه اختلاف كالقطعة الواحدة واذا طار ارتفع في الهواء وحط على الاماكن
النظيفة وأكل نوار الزهر والاشياء الحلوة وشرب من الماء الصافي وأتى فاخرج ذلك فاول
ما يخرج الشمع ليكون كالوعاء ثم العسل وقيل انه يقسم الاعمال فبعضه يعمل البيوت
وبعضه يعمل الشمع وبعضه يعمل العسل وفي طبعه النظافة فيجعل رجيعه خارج الخلية
وما مات منه أخرجه ورماه وعنده الطرب فيحب الاصوات اللذيذة وله آفات تقطعه كالظلمة
والغيم والريح والمطر والدخان والنار وكذلك المؤمن له آفات تقطعه منها ظلمة الغفلة وغيم
الشك وريح الفتنة ودخان الحرام ونار الهوى (فائدة) قيل مرض شخص فقال ائتوني بماء
وعسل فاتوه بذلك فخلط الجميع وشرب به فشفي وروى أن شخصا شكا للنبي صلى الله عليه وسلم
بطن أخيه فأمره بشرب العسل فشربه ثم جاء ثانيا فأمره بشربه ثم جاء في الثالثة فقال
يا رسول الله ان بطنه لم يزل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم صدق الله وكذب بطن
اخيك اسقه عسلا فسقاه الثالثة فشفي (نادرة) قيل ان بعضهم حضر مجلس المنصور فقال
بعض الحاضرين المراد من قوله تعالى يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه فيه شفاء
للناس أهل البيت فانهم النحل والشراب القرآن فقال له بعض من حضر من اللطفاء
جعل الله طعامك وشرابك مما يخرج من بطون بني هاشم فضحك الحاضرون عليه وأبهته
(الخواص) اذا خلط العسل الخالص بمسك خالص واكتحل به نفع من نزول الماء في العين
والتلطخ به يقتل القمل ولعقه علاج لعضة الكلب والمطبوخ منه نافع للمسموم (نسر)
هو سيد الطيور ويعمر طويلا قيل انه يعيش ألف سنة وله قوة على الطيران حتى قيل انه
يقطع من المشرق الى المغرب في يوم وجثته عظيمة حتى قيل انه يحمل أولاد الفيلة وله قوة
حاسة الشم حتى قيل انه يشم رائحة الجيفة من مسيرة اربعمائة فرسخ واذا سقط على جيفة
تباعدت عنها الطيور هيبة له حتى يفرغ من الاكل وعنده شره قيل انه يأكل حتى يضعف
عن الحركة بحيث ان أضعف الناس لو أراد امساكه في تلك الحالة أمسكه واذا باض ذهب
وأتى بورق الدلب فجعله في عشه خوفا من الخفاش أن يفسد بيضه وهو لا يحضن البيض
وانما يبيض في الاماكن العالية ويلقيه في الشمس فتكون حرارتها له بمنزلة الحضن ومن
طبعه انه لو شم الطيب مات وعنده الحزن على فراق الفه حتى قيل انه ليموت كمدا ويقال
للانثى منه أم قشعم وفي الحديث أتاني جبريل عليه السلام فقال يا محمد لكل شئ سيد فسيد
البشر آدم وسيد ولد آدم أنت وسيد الروم صهيب وسيد فارس سلمان وسيد الحبش بلال
وسيد الطيور النسر وسيد الشهور رمضان وسيد الايام الجمعة وسيد الكلام العربي وسيد
العربي القرآن وسيد القرآن سورة البقرة (الخواص) اذا أخذ قلب النسر وجعل في
جلد ذئب وعلق على شخص كان مهابا عند الناس مقضي الحاجة واذا عسر على المرأة
الوضع جعل تحتها من ريشه يسهل وضعها (نعام) يذكر ويؤنث وتسمى الانثى بأم البيض
والذكر بالظليم ومن عجيب أمرها انها تبيض بيضا طوالا متساوية القدر وتجعلها أثلاثا
ثلثا للحضن وثلثا تأكله في حضنها وثلثا تكسره وتفتحه فيتعفن ويدود فيكون منه غذاء
أولادها وعندها الحمق يقال انها تخرج من حضنها فتجد بيض غيرها فتحضنه وتترك بيض

نفسها (فائدة) روى كعب الاحبار رضي الله عنه أن الله تعالى لما خلق القمح وأنزله على آدم كان على قدر بيض النعام وقال له هذا رزقك ورزق أولادك قم فاحرث وازرع قال ولم يزل الحب على ذلك مدة ثم نزل الى بيض الدجاجة ثم الحمامة ثم النبق وكان في زمن العزير على قدر الحمص وقيل كل حيوان اذا كسرت رجله مشى بالاخرى الا النعام فانه يبرك الى أن يموت وخلق الله تعالى له قوة الشم البليغ حتى قيل انه يشم رائحة القناص من مسيرة نصف ميل وهي لا تشرب الماء كالضب ويقال ان القناص اذا أدركها أدخلت رأسها في شئ اما شعب أو حجر تظن انها قد استترت منه ولها معدة قوية تقطع الحديد والصوان والحجر وفي طبعها الاذى يقال انها تخطف الحلق من اذن الصغير وقيل ان الذئب لا يتعرض لبيض النعام وافراخه مادام الابوان حاضرين لانهما اذا رأياه ركضه الذكر الى أن يسلمه الى الانثى فتركضه الى أن تسلمه الى الذكر ولا يزالان به حتى يقتلاه أو يعجزهما هربا وقيل أشد ما يكون عدوها اذا استقبلت الريح وتقول العرب صنفان من الحيوان اصمان لا يسمعان النعام والافاعي وسأل أبو عمرو الشيباني بعض العرب عن الظليم هل يسمع فقال يعرف بعينيه وأنفه ولا يحتاج معهما الى سمع (نمر) حيوان أغبر وكنيته أبو الصعب وهو صنفان صنف عظيم الجثة صغير الذنب والآخر بالعكس قال الجاحظ وهو يحب الشراب وعنده شراسة في خلقه ويقال ان انثاه لا تدع ولدها الا مطوقا بحية ولا يضره نهشها وذلك لاجل الصياد حتى لا يظفر به واذا مرض أكل الفأر فيبرأ وفي طبعه عداوة الاسد وعنده شرف في نفسه يقال انه لا يأكل جيفة ولا يأكل من صيد غيره ولا يملك نفسه عند الغضب وأدنى وثبته عشرون ذراعا وأكثرها أربعون (الخواص) من حمل من جلده شيأ صار مهابا عند الناس ومن كان به بواسير فجلس على جلده زالت بواسيره

(حرف الهاء)

(هدهد) طير معروف وهو من رسل سليمان عليه السلام وعنده حدة البصر حتى قيل انه يرى الماء تحت الارض وسبب غيابه عن خدمة سليمان عليه السلام حين سأل عنه ولم يجده هو أن هدهدا من سبأ أخبره أن عرش بلقيس صفته كذا وكذا فذهب لينظره فدخلت الشمس من مكانه فرآها سليمان عليه السلام فتفقده وطلبه فلما حضر قال يانبي الله انى رأيت كيت وكيت وقص عليه القصة ويقال انه قال لسليمان عليه السلام لما أراد تعذيبه يانبي الله اذكر وقوفك بين يدي الله تعالى فارتعد سليمان من هذا الكلام وأطلقه (الخواص) اذا بخر البيت بريشه طرد الهوام عنه وعينه اذا علقت على صاحب النسيان ذكر مانسيه وريشه اذا حمله انسان وخاصم غلب خصمه وقضيت حاجته وظفر بما يريد ولحمه اذا أكل مطبوخا نفع من القولنج وان بخر بمخه برج حمام لم يقربه شئ يؤذيه ومن علق عليه لحيه الاسفل أحبه الناس والله أعلم

(حرف الواو)

(ورشان) طير يتولد بين الحمام والفاختة وهو حسن شديد الحنو يقال انه يكاد يقتل نفسه

اذا أمسك القناص أولاده من شدة حنوه قال بعضهم انه يقول فى صياحه لدوا للموت وابنوا للخراب * والهدهد يقول اذا نزل القضاء عمى البصر والفاختة تقول ليت هذا الخلق ماخلقوا وليتهم اذ خلقوا علموا لماذا خلقوا وليتهم لما علموا عملوا والخطاف يقول قدموا خيرا تجدوه عند ربكم والحمامة تقول سبحان ربى الاعلى والبازى يقول سبحان ربى وبحمده والسرطان يقول سبحان المذكور بكل لسان والدراج يقول الرحمن على العرش استوى والعقاب يقول البعد عن الناس رحمة ومن الطيور من يقرأ الفاتحة كالدرة ويمد صوته فى الضالين كالقارئ

(حرف الياء)

(يأجوج ومأجوج) سموا بذلك لكثرتهم وقيل بل هو اسم أعجمى غير مشتق قال مقاتل هم ولد يافث بن نوح عليه السلام وقول من قال ان آدم نام فاحتلم فالتصق منيه بالتراب فتولد منه هذا الحيوان مردود بعدم احتلام الانبياء عليهم الصلاة والسلام وفى الحديث يأجوج ومأجوج أمة عظيمة لا يموت أحدهم حتى يرى من صلبه ألف نسمة اه وهم أصناف منهم ماطوله عشرون ذراعا وماطوله ذراع وأقل وأكثر وعن على بن أبى طالب كرم الله وجهه ان لهم مخالب الطير وأنياب السباع وتداعى الحمام وتسافد البهائم ولهم شعور تقيهم الحر والبرد واذا مشوا فى الارض كان أولهم بالشام وآخرهم بخراسان يشربون مياه المشرق الى بحيرة طبرية ويمنعهم الله تعالى من دخول مكة والمدينة وبيت المقدس ويأكلون كل شئ يمرون به ومن مات منهم أكلوه ويقال ان صنفا منهم له أذنان احداهما اصلدة والاخرى وبرة فهو يلتحف باحداهما ويفترش الاخرى وفى الحديث أنه عليه الصلاة والسلام سئل هل بلغتهم الدعوة فقال عليه السلام دعوتهم ليلة أسرى بى فلم يجيبوا فهم خلق النار وفى الحديث أيضا ان الله عز وجل اذا كان يوم القيامة قال يا آدم أرسل بعث النار فيقول يارب ومابعث النار فيقول الله تعالى من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعون للنار وواحد للجنة قال فاشتد الامر على المسلمين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أبشروا فان من يأجوج ومأجوج ألفا ومنكم واحد وفى الحديث ان رجلا جاء الى النبى صلى الله عليه وسلم فأخبره بالردم فقال صفه فقال يارسول الله انطلقت الى أرض ليس لاهلها الا الحديد يعملونه فدخلت فى بيت فلما كان وقت الغروب سمعت ضجة عظيمة أفزعتنى فارتعدت منها قال فقال صاحب البيت لا بأس عليك ان هذه الضجة أصوات قوم يذهبون هذه الساعة من خلف هذا الردم أتريد أن تنظر اليه فاذا لبنه مثل الصخرة ومساميره مثل جذوع النخل كله من حديد كأنه البرد المحبر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سره أن ينظر الى من رأى الردم فلينظر هذا الرجل قال المفسرون وهذا هو السد الذى بناه ذو القرنين وهذه الأمة خلفه تطلب المجىء الى هذه الجهة تنقبه كل يوم فيعيده الله كما كان الى أن يقضى الله أمره ثم يسلط الله عليهم بعد ذلك دودا يطلع فى حلاقيمهم فيهلكهم الله به والاخبار فى ذلك كثيرة (يحمور) دابة وحشية لها قرنان طويلان كأنهما منشاران تنشر بهما الشجر وقيل هو كالايل يلقى قرنيه فى كل سنة وهما اصامتان وقال الجوهرى هو الحمار

الوحشي (نادرة) قيل ترافق رجلان في طريق فلما قربا من مدينة من المدن قال أحدهما للآخر قد صار لي عليك حق واني رجل من الجان ولي اليك حاجة قال وما هي قال اذا وصلت الى المكان الفلاني من هذه المدينة فهناك عجوز عندها ديك فاشتره منها واذبحه فقال له الآخر وأنا أيضا لي اليك حاجة قال وما هي قال اذا ركب الجني انسانا ما يعمل له قال تشد ابهاميه بسير من جلد اليحمور وتقطر في أذنيه من ماء السذاب في اليمنى أربعا وفي اليسرى ثلاثا فان الراكب له يموت ثم تفرقا ودخل الانسي ففعل ما أمره به الجني من شراء الديك وذبحه فلم يشعر بعد أيام الا وقد أحاط به أهل صبية من تلك البلدة وقالوا له أنت ساحر ومن حين ذبحت الديك سلبت من صبية عندنا عقلها فلا نفلتك الا الى صاحب المدينة قال فقلت لهم ائتوني بسير من جلد اليحمور وقليل من ماء السذاب ودخلت على الصبية فربطت ابهاميها وقطرت ماء السذاب في أذنيها فسمعت صوتا يقول آه علمتك على نفسي ثم مات من ساعته وشفى الله تلك الشابة

(فصل في خواص الطير والحيوان على الاجمال) الضب والخنزير لا يلقيان شيأ من أسنانهما أبدا وكل حيوان يعوم بالطبع الا الانسان والقرد وكل ذي عين فان اهدابه عينه في الجهة العليا فقط الا الانسان فانه من الجهتين والفرس لا طحال له والبعير لا مرارة له والظليم لا مخ لعظمه والحيات لا ألسنة لها والسمكة لا رئة لها الا انها تتنفس من كبدها وكل حيوان لا حافر له فله قرن وما لا قرن له فله حافر والحيوان المتهم باللواط القرد والخنزير والحمار والسنور والعيون التي تضيء بالليل عين الاسد والنمر والافعى والسنور والذي يدخر القوت من الحيوان الانسان والفار والغراب والنحل والنمل والذي يحيض من الحيوان الانسان والفرس والكلب والارنب والضبع والخفاش ويقال أيضا الرعاد من السمك فتبارك الله أحسن الخالقين وهذا آخر ما قصدت ايراده في هذا الباب والله سبحانه وتعالى أعلم بالصواب

(الباب الثالث والستون في ذكر نبذة من عجائب المخلوقات وصفاتهم)

ذكر المسعودي في كتابه عن بعض العلماء أن الله سبحانه وتعالى خلق في الارض قبل آدم ثمانيا وعشرين أمة على خلق مختلفة وهي أنواع منها ذوات أجنحة وكلامهم قرقعة ومنها ماله أبدان كالاسود ورؤس كالطير ولهم شعور وأذناب وكلامهم دوي ومنها ماله وجهان واحد من قبله والآخر من خلفه وأرجل كثيرة ومنها ما يشبه نصف الانسان بيد ورجل وكلامهم مثل صياح الغرانيق ومنها ما وجهه كالآدمي وظهره كالسلحفاة وفي رأسه قرن وكلامهم مثل عي الكلاب ومنها ماله شعر أبيض وذنب كالبقر ومنها ماله أنياب بارزة كالخناجر وآذان طوال ويقال ان هذه الامم تناكحت وتناسلت حتى صارت مائة وعشرين أمة ولم يخلق الله تعالى أفضل ولا أحسن ولا أجمل من الانسان وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه خلق الله تعالى ألف أمة وعشرين أمة منها ستمائة في البحر وأربعمائة وعشرون في البر وفي الانسان من كل خلق فلذلك سخر الله له جميع

الخلق واستجمعت له جميع اللذات وعمل بيده جميع الآلات وله النطق والضحك والبكاء والفكرة والفطنة واختراعات الاشياء واستنباط جميع العلوم واستخراج المعادن وعليه وقع الامر والنهي والوعد والوعيد والنعيم والعذاب واياه خاطب وله قرب وخلق الله تعالى اسرافيل عليه السلام على صورة الانسان وهو أقرب الملائكة اليه وفي الحديث لا تضربوا الوجوه فانها على صورة اسرافيل وآيات الله تعالى في البشر أكثر من أن تحصر فتبارك الله أحسن الخالقين وقال الشيخ عبد الله صاحب كتاب تحفة الالباب دخلت الى باشقرد فرأيت قبور عاد فوجدت سن أحدهم طوله أربعة أشبار وعرضه شبران وكان عندي في باشقرد نصف ثنية أخرجت لي من فك أحدهم الاسفل فكان نصف الثنية شبرين ووزنها ألفا ومائتي مثقال وكان دور فك ذلك العادي سبعة عشر ذراعا وطول عظم عضد أحدهم ثمانية أذرع وعرض كل ضلع من أضلاعهم ثلاثة أشبار كلوح الرخام قال ولقد رأيت في بلغار سنة ثلاثين وخمسمائة من نسل عاد رجلا طويلا طوله أكثر من سبعة وعشرين ذراعا كان يسمى دنقي أو دبقي كان يأخذ الفرس تحت ابطه كما يأخذ الانسان الولد الصغير وكان من قوته يكسر بيده ساق الفرس ويقطع جلده وأعضاءه كما يقطع باقة البقل وكان صاحب بلغار قد اتخذ له درعا تحمل على عجلة وبيضة عادية لرأسه كأنها قطعة من جبل وكان يأخذ في يده شجرة من البلوط كالعصا لو ضرب بها الفيل لقتله وكان خيرا متواضعا كان اذا لقيني يسلم علي ويرحب بي ويكرمني وكان رأسي لا يصل الى ركبته رحمة الله تعالى عليه ولم يكن في بلغار حمام يمكنه دخولها الا حمام واحدة وكانت له أخت على طوله ورأيتها مرات في بلغار وقال لي قاضي بلغار يعقوب بن النعمان ان هذه المرأة العادية قتلت زوجها وكان اسمه آدم وكان أقوى أهل بلغار قيل انها ضمته اليها فكسرت أضلاعه فمات من ساعته وروي عن وهب بن منبه في عوج بن عنق أنه كان من أحسن الناس وأجملهم الا أنه كان لا يوصف طوله قيل انه كان يخوض في الطوفان فلم يبلغ ركبته ويقال ان الطوفان علا على رؤس الجبال أربعين ذراعا وكان يجتاز بالمدينة فيتخطاها كما يتخطى أحدكم الجدول الصغير وعمره الله دهرا طويلا حتى أدرك موسى عليه السلام وكان جبارا في أفعاله يسير في الارض برا وبحرا ويفسد ما شاء ويقال انه لما حصر بنو اسرائيل في التيه ذهب فأتى بقطعة من جبل على قدرهم واحتملها على رأسه ليلقيها عليهم فبعث الله طيرا في منقاره حجر مدور فوضعه على الحجر الذي على رأسه فانثقب من وسطه وانخرق في عنقه وأخبر الله عز وجل نبيه موسى عليه السلام بذلك فخرج اليه وضربه بعصاه فقتله ويقال ان موسى عليه السلام كان طوله عشرة أذرع وعصاه عشرة أذرع وقفز في الهواء عشرة أذرع وضربه فلم يصل الى عرقوبه فتبارك الله أحسن الخالقين ومن ذلك ما قيل عن أمه عنق بنت آدم عليه السلام وكانت مفردة بغير أخ وكانت مشوهة الخلقة لها رأسان وفي كل يد عشرة أصابع ولكل أصبع ظفران كالمخلبين وقال علي بن أبي طالب كرم الله وجهه هي أول من بغى في الارض وعمل الفجور وجاهر بالمعاصي واستخدم الشياطين وصرفهم في وجوه السحر وكان قد أنزل الله تعالى على آدم عليه السلام

أسماء عظيمة تطيعها الشياطين وأمره أن يدفعها الى حواء لتحترز بها فغافلتها عنق وسرقتها
واستخدمت بها الشياطين وتكلمت بشئ من الكهانة فدعا عليها آدم وأمنت على ذلك
حواء فأرسل الله عليها أسدا أعظم من الفيل فهجم عليها وقتلها وذلك بعد ولادتها عوجا
بسنتين * ومن ذلك ما حكى عن بعض فقهاء الموصل انه شاهد ببلاد الاكراد المحمدية فى جبل
من جبال الموصل انسانا طوله تسعة أذرع وهو صبى لم يبلغ الحلم وكان يأخذ بيده الرجل
القوى ويرميه خلف ظهره فأراد صاحب الموصل استخدامه فقيل له فى عقله خبل فتركه
(وروى) عن الامام الشافعى رضى الله عنه أنه قال دخلت بلدة من بلاد اليمن فرأيت
بها انسانا من وسطه الى أسفله بدن واحد ومن وسطه الى أعلاه بدنان مفترقان برأسين
ووجهين وأربع أيد وهما يأكلان ويشربان ويتقاتلان ويتلاطمان ويصطلحان قال
ثم غبت عنهما قليلا ورجعت فقيل لى أحسن الله عزاءك فى أحد الشقين فقلت وكيف صنع
به فقيل ربط فى أسفله حبل وثيق وترك حتى ذبل ثم قطع ورأيت الجسد الآخر بالسوق
ذاهبا وراجعا (ومنه) ما أرسله بطارقة الارمن الى ناصر الدولة وهو رجلان فى جسد
واحد فأحضر الاطباء وسألهم عن انفصال أحدهما عن الآخر فسألوهما هل تجوعان معا
وتعطشان معا قالا نعم فقالوا له لا يمكن فصالهما ويقال انه أحضر أباهما فسأله عن حالهما
فأخبر أنهما يختصمان فى بعض الاحيان وأنه يصلح بينهما * ومن ذلك ما ذكر أنه أهدى
الى أبى منصور السامانى فرس له قرنان وثعلب له جناحان اذا قرب منه انسان نشرهما
واذا بعد ألصقهما وذكر القاضى عياض رحمة الله تعالى عليه انه ولد له مولود على
أحد جنبيه مكتوب لا اله الا الله محمد رسول الله وهذا لا يبعد فانه يوجد كثيرا فى السنور
الدبركى وذكر أنه ولد بالقاهرة غلام له أربعة أرجل ومثلها أيد وذكر أنه كان لبعض
ولاة مصر مملوك يدعى طقطوفولاه قوص من أعمال الصعيد فتزوج بها وولد له ولد ثم انقلب
امرأة فتزوج بها وولدت ولدين * وأما كبش بأربعة قرون ودجاجة بأربع أرجل
وحيوان برأسين والمخرج واحد فكثير وعجائب الله تعالى فى مصنوعاته غير متناهية
فلله الحمد على ما أنعم به علينا لا نحصى ثناء عليه ومن ذلك انسان الماء وهو حيوان يشبه
الآدمى وفى بعض الاوقات يطلع ببحر الشام شيخ بلحية بيضاء ويستبشر الناس برؤيته
فى تلك السنة بالخصب ومن ذلك بنات الماء وهم أمة ببحر الروم يشبهن النساء ذوات
شعور وثدى وفروج وهن حسان ولهن كلام لا يفهم وضحك ولهن رجال من جنسهن ويقال
ان الصيادين يصطادونهن ويجامعونهن فيجدون لذة عظيمة لا توجد فى غيرهن من النساء
ثم يعيدونهن فى البحر ثانيا ويقال ان هذا الصنف يوجد بالبرلس ورشيد على ما ذكر
(وحكى) عن الشيخ أبى العباس الحجازى قال حدثنى بعض التجار أنه فى سنة من السنين
خرجت اليه سمكة عظيمة فنقبوا أذنها وجعلوا فيها الحبال وأخرجوها ففتحت أذنها
فخرجت جارية حسناء جميلة بيضاء سوداء الشعر حمراء الخدين كحلاء العينين من أحسن
ما يكون من النساء ومن سرتها الى نصف ساقها شئ كالثوب يستر قبلها ودبرها ودائر
عليها كالازار فأخذها الرجال الى البر فصارت تلطم وجهها وتنتف شعرها وتعض يدها

وتصيح كما تصيح النساء حتى ماتت في أيديهم فألقوها في البحر فتبارك الله أحسن الخالقين
(وحكى) القزويني عن بعض البحريين أن الريح ألقتهم على جزيرة ذات أشجار وأنهار
فأقاموا بها مدة وكانوا اذا جاء الليل يسمعون بها همهمة وأصواتا وضحكا ولعبا فخرج من
المركب جماعة وكمنوا في جانب البحر فلما جاء الليل خرج بنات الماء على عادتهن فوثبوا
عليهن فأخذوا منهن ثنتين فتزوج بهما شخصان فأما أحدهما فوثق بصاحبته فأطلقها
فوثبت في البحر وأما الآخر فبقي مع صاحبته زمانا وهو يحرسها حتى ولدت له ولدا كأنه
القمر فلما طاب الهواء وركبوا البحر وثق بها فأطلقها فاغفلته وألقت نفسها في البحر فتأسف
عليها تأسفا عظيما فلما كان بعد أيام ظهرت من البحر ودنت من المركب وألقت لصاحبها
صدفا فيه در وجوهر فباعه وصار من التجار * ونظير هذه الحكاية ماذكره ابن زولاق
في تاريخه أن رجلا من الاندلس من الجزيرة الخضراء صاد جارية منهن حسناء الوجه
سوداء الشعر حمراء الخدين نجلاء العينين كأنها البدر ليلة التمام كاملة الاوصاف فأقامت
عنده سنين وأحبها حبا شديدا وأولدها ولدا ذكرا وبلغ من العمر أربع سنين ثم انه أراد
السفر فاستصحبها معه ووثق بها فلما توسطت البحر أخذت ولدها وألقت نفسها في البحر
فكاد أن يلقي نفسه خلفها حسرة عليها فلم يمكنه أهل المركب من ذلك فلما كان بعد ثلاثة
أيام ظهرت له وألقت له صدفا كثيرا فيه در ثم سلمت عليه وتركته فكان ذلك آخر العهد
بها فتبارك الله ما أكثر عجائب خلقه وما لم نشاهده ونسمع به أكثر فسبحان القادر على
كل شئ لا اله الا هو ولا معبود سواه فالعاقل يعرف الجائز والمستحيل ويعلم أن كل مقدور
بالاضافة الى قدرة الله تعالى قليل واذا سمع عجبا جائزا استحسنه ولم يكذب قائله والجاهل
اذا سمع ما لم يشاهده قطع بتكذيب قائله وتزييف ناقله وذلك لقلة عقله وقد وصف
الله تعالى الجاهل بعدم العقل بقوله تعالى أم تحسب أن أكثرهم يسمعون أو يعقلون
وقد أودع الله تعالى من عجائب المصنوعات في الآفاق والسموات ما يدل عليه قوله
تعالى وكأين من آية في السموات والارض يمرون عليها وهم عنها معرضون فلا تكن منكر
العجائب فكل الاشياء من آياته

فيا عجبا كيف يعصى الاله * أم كيف يجحده الجاحد
وفي كل شئ له آية * تدل على أنه الواحد

ومن شاهد حجر المغناطيس وجذبه للحديد وكذلك حجر الماس الذي يعجز عن كسره الحديد
ويكسره الرصاص ويثقب الياقوت والفولاذ ولا يقدر على ثقب الرصاص يعلم أن
الذي أودعه هذا السر قادر على كل شئ فلا تكن مكذبا بما لا تعلم وجه حكمته فان الله
تعالى قال بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ولما يأتهم تأويله قال صاحب تحفة الالباب ان
في بلاد السودان أمة لا رؤس لهم وقد ذكرهم الشعبي في كتاب سير الملوك وذكر أن في بلاد
المغرب أمة من ولد آدم كلهم نساء ولا يعيش في أرضهم ذكر وان هؤلاء النساء يدخلن في
ماء عندهن فيحبلن من ذلك الماء وتلد كل امرأة منهن بنتا ولا يلدن ذكرا أبدا وقيل ان
ولد تبع اليماني وصل اليهم لما أراد أن يصل الى الظلمات التي دخلها ذو القرنين وأن

ولد تبع هذا كان اسمه افريقش وهو الذى بنى افريقية وسماها باسمه وانه وصل الى وادى السبت وهو واد يجرى فيه الرمل كما يجرى السيل لا يمكن أن يدخل فيه حيوان الا هلك فلما رآه استعجل الرجوع وذو القرنين لما وصل اليه أقام الى يوم السبت فسكن جريانه فعبره الى أن وصل الى الظلمات فيما يقال والله تعالى أعلم وتلك الامة التى لا رؤس لهم أعينهم فى مناكبهم وأفواههم فى صدورهم وهم كثيرون كالبهائم يتناسلون ولا مضرة على أحد منهم وأما الملك العظيم والعدل الكثير والنعم الجزيلة والسياسة الحسنة والرخاء والامن الذى لاخوف معه ففى بلاد الهند وبلاد الصين وأهل الهند أعلم الناس بعلم الطب وعلم النجوم والهندسة والصناعات العجيبة التى لا يقدر أحد سواهم على أمثالها وفى بلادهم وجزائرهم ينبت العود وشجر الكافور وجميع أنواع الطيب كالقرنفل والسنبل والدارصينى والكبابة والبسباسة وأنواع العقاقير والادوية وعندهم حيوان المسك وهو حيوان كالغزال يجتمع المسك فى سرته وعندهم حيوان الزباد وهو حيوان كالسنور يخرج منه عرق كالقطران أسود ثخين يسيل من جسده وتزيد رائحته بالتغريب بحيث تكون أذكى من المسك الاذفر ويخرج من بلادهم أنواع اليواقيت وأكثرها فى جزيرة سرنديب وعلى جبلها نزل آدم عليه السلام من الجنة فيما يقال (وحكى) أنه كان ببابل سبع مدائن كل مدينة فيها أعجوبة كان فى احداها تمثال الارض فاذا التوى على الملك بعض أهل مملكته وامتنعوا عن القيام بالخراج خرق أنهارها عليهم فى التمثال فلا يطيق أهل تلك الناحية سد الماء حتى يعتدلوا ومالم يسد فى التمثال لا يسد فى ذلك البلد وفى الثانية حوض اذا أراد الملك أن يجمعهم لطعامه أتى كل واحد بما أحب من الشراب فصبه فى ذلك الحوض فاختلطت الاشربة فكل من سقى من ذلك الحوض كان شرابه الذى جاء به وفى الثالثة طبل اذا أرادوا أن يعلموا حال الغائب عن أهله قرعوه فان كان حيا سمع له صوت وان كان ميتا لم يسمع له صوت وفى الرابعة مرآة اذا أرادوا أن يعلموا حال الغائب نظروا فيها فأبصروه على أى حالة هو عليها كأنهم يشاهدونه وفى الخامسة اوزة من نحاس فاذا دخل فيها الغريب صوتت الاوزة صوتا يسمعه أهل المدينة وفى السادسة قاضيان جالسان على الماء فيأتى الخصمان فيمشى المحق على الماء حتى يجلس مع القاضيين ويقع المبطل فى الماء وفى السابعة شجرة ضخمة لا تظل الاساقها فان جلس تحتها أحد أظلته الى ألف شخص فاذا زادوا على الالف واحدا جلسوا فى الشمس كلهم ولو بسطت المقال فى ذلك لاتسع المجال وقد اقتصرت فى ذلك على ماذكرت والله سبحانه وتعالى أعلم بالصواب واليه المرجع والمآب وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

(الباب الرابع والستون فى خلق الجان وصفاتهم)

روى عن الشيخ عبد الله صاحب تحفة الالباب انه قال قرأت فى بعض الكتب المتقدمة المأثورة عن العلماء رحمهم الله تعالى ان الله تعالى لما أراد أن يخلق الجان خلق نار السموم وخلق من مارجها خلقا سماه جانا كما قال الله تعالى والجان خلقناه من قبل من نار السموم وقال تعالى فى موضع آخر وخلق الجان من مارج من نار وقيل ان الله تعالى خلق الملائكة

من نور النار والجان من لهبها والشياطين من دخانها وقد جاء في بعض الاخبار ان نوعا من الجن في قديم الزمان قبل خلق آدم عليه السلام كانوا سكانا في الارض قد طبقوها برا وبحرا سهلا وجبلا وكان فيهم الملك والنبوّة والدين والشريعة وكانوا يطيرون الى السماء ويسلمون على الملائكة ويستعلمون منهم خبر ما في السماء وكثرت نعم الله عليهم الى أن بغوا وطغوا وتركوا وصايا أنبيائهم فأرسل الله تعالى عليهم جندا من الملائكة فحصل بينهم مقتلة عظيمة وغلبوا الجن وطردوهم الى أطراف البحار وأسروا منهم أمما كثيرة وذكر المسعودي أن الفرس واليونان قالوا كان الجن بالارض قبائل منهم من يسترق السمع ومنهم من يطمع لهب النار ومنهم من يطير ولكل قبيلة ملك وكان من جملتهم ابليس لعنه الله ثم بعد خمسة آلاف سنة افترقوا وملكوا عليهم ملوكا وأقاموا على ذلك مدّة طويلة ثم تحاسدوا على الملك وأغار بعضهم على بعض وجرت بينهم وقائع وحروب وكان ابليس لعنه الله يصعد الى السماء ويختلط بالملائكة فبعثه الله تعالى بجيوش من الملائكة فهزم الجن وقتلهم وتملك الارض مدة طويلة الى أن خلق آدم عليه السلام واتفق له معه ما اتفق وأهبط آدم الى الارض وعظم شأنه فعند ذلك انتقل ابليس الى البحر المحيط وسكن هناك ثم ألقى عليه قوة شهوة السفاد فهو لا يلد لكنه يلقح كالطير ويبيض ويفرخ قيل انه يخرج من كل بيضة سبعون ألف شيطان فيسلطهم على الخلق وأقربهم اليه وأدناهم منه ومن مجلسه أكثرهم ايذاء للخلق وفي الحديث ان ابليس لعنه الله قال يارب أنزلتني الى الارض وطردتني وجعلتني رجيما فاجعل لي مسكنا قال مسكنك الاسواق قال فاجعل لي طعاما قال مالم يذكر اسمي عليه قال فاجعل لي شرابا قال كل مسكر قال فاجعل لي مؤذنا قال المزامير قال فاجعل لي صيدا أو قال مصايد قال النساء

(فصل في مكايده لعنه الله) منها أنه كان في بني اسرائيل عابد يدعى برصيصا وله جار له بنت فحصل لها مرض فقال له جيرانه لو جعلتها الى جارك برصيصا ليدعو لها قال فجاء ابليس الى العابد وقال ان لجارك عليك حق الجوار وان له بنتا مريضة فاضرك لو جعلتها عندك في جانب البيت ودعوت الله لها عقب عبادتك لعلى أن تشفى من مرضها قال فلما أتاه جاره بالبنت قال له العابد دعها وانصرف قال فتركها عنده مدة حتى شفيت فجاء له ابليس ووسوس له حتى وطئها فحملت منه فلما حملت جاءه ابليس لعنه الله فقال له ابتلاها لئلا تفتضح قال فقتلها ودفنها قال فعند ذلك ذهب الشيطان الى أهلها وأعلمهم بذلك فجاؤا الى العابد وكشفوا عن قضيته ثم أخذوه ومضوا ليقتلوه فعارضهم ابليس اللعين في الطريق فقال له ان سجدت لي خلصتك منهم فسجد له فعند ذلك تبرأ منه ومات الرجل كافرا اللهم اعصمنا من مكايد الشيطان برحمتك يا أرحم الراحمين ومن ذلك ما اتفق ان بني اسرائيل اتخذوا شجرة وصاروا يعبدونها فجاء بعض عبادهم بفاس ليقطعها فعارضه ابليس لعنه الله وقال له تركت عبادتك وجئت لشئ لا يعود عليك نفعه ولم يزل به حتى تقاتل معه فصرعه العابد وجلس على صدره ثم رجع ولم يزل يعمل معه ذلك في كل يوم الى ثلاثة أيام فلما رآه لا يرجع قال له اترك قطعها وأنا أجعل لك في كل يوم دينارين تستعين بهما

على نفقتك وعبادتك وعاهده على ذلك فرجع قال فجعل له تحت وسادته دينارين ثم دينارين ثم دينارين ثم قطع ذلك عنه فأخذ العابد الفأس وذهب الى قطع الشجرة فعارضه ابليس فى الطريق وتحاور معه وتجاذبا فصرعه ابليس وجلس على صدره وقال له ان لم ترجع عن قطعها والا ذبحتك فقال له العابد خل عنى وأخبرنى كيف غلبتنى فقال له لما غضبت لله غلبتنى ولما غضبت لنفسك غلبتك ومنها أشياء كثيرة لدس هذا محل استيفائها قال الله تعالى واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس كان من الجن ففسق عن أمر ربه أفتتخذونه وذريته أولياء من دونى وهم لكم عدو بئس للظالمين بدلا

(فصل فى المتشيطنة وهم أنواع كثيرة) منها الولهان يوجد فى جزائر البحار على صورة الانسان (حكى) بعض المسافرين أنه عرض لمركب وهو راكب على نعامة يريد أخذ المركب وصاح بهم صيحة عظيمة خروا منها على وجوههم وأخذ من فى بعض المركب ومنها السعلاة يحكى أن صنفا منها يتزيا بزى النساء ويتراءى للرجال (وحكى) أن بعضهم تزوج امرأة منهن وهو لا يعلم فأقامت معه مدة وولدت منه أولادا ذكورا واناثا فلما كان ذات ليلة صعدت معه السطح فنظرت فرأت نارا من بعد عند الجبانة فاضطربت وقالت ألم تر نيران السعالى وتغير لونها وقالت بنوك وبناتك أوصيك بهم خيرا ثم طارت ولم تعد اليه ومنها نوع يقال له المذهب يخدم العباد ومقصوده بذلك أن يعجبوا بأنفسهم (حكى) أن بعض العباد نزل صومعة يتعبد فيها فأتاه شخص بسراج وطعام فتعجب العابد من ذلك فقال له شخص بالصومعة انه المذهب يريد أن يخيل لك أن ذلك من كرامتى والله انى لأعلم انه شيطان وقال بعض الصوفية المذهب أصناف منهم من يحمل الفانوس بين يدى الشيخ ومنهم من يأتيه بالطعام والشراب وغير ذلك ومنهم من ينشد الشعر وقال بعض المسافرين أبق لى غلام فخرجت فى اثره فاذا أنا بأربعة يتناشدون شعر الفرزدق وجرير قال فدنوت منهم وسلمت عليهم فقالوا ألك حاجة قلت لا فقال بعضهم تريد غلامك قلت وما أعلمك بغلامى قال كعلمى بجهلك قلت أوجاهل أنا قال نعم وأحمق قال ثم غاب وأتانى بالغلام مقيدا فلما رأيته غشى على فلما أفقت قال انفخ فى يده ففعلت فانفرج القيد عنه وصرت لا أنفخ فى شئ من ذلك ولا فى وجع من الاوجاع الا برئ وخلص صاحبه ومنها نوع يقال له العفريت يختطف النساء يقال ان رجلا اختطفت ابنته فى زمن عمر بن الخطاب رضى الله عنه وقال بعض المسافرين بينما نحن سائرون ذات ليلة اذ عرض لى قضاء الحاجة فانفردت عن رفقتى وضللت عنهم فبينما أنا سائر فى أثرهم اذ رأيت نارا عظيمة وخيمة فجئت الى جانبها واذا أنا بجارية جميلة جالسة فيها فسألتها عن حالها فقالت أنا من فزارة اختطفنى عفريت يقال له ظليم وجعلنى ههنا فهو يغيب عنى بالليل ويأتينى بالنهار فقلت لها امضى معى فقالت أهلك أنا وأنت فانه يتبعنا ويأتينا فيأخذنى ويقتلك فقلت لا يستطيع أخذك ولا قتلى ومازلت أرددها الحديث حتى رضيت فأنخت لها ناقتى فركبتها وسرت بها حتى طلع الفجر فالتفت فاذا أنا بشخص عظيم مهول قد أقبل ورجلاه تخطان فى الارض فقالت ها هو قد أتانا فأنخت ناقتى وخططت حولها خطا وقرأت آيات من القرآن وتعوذت بالله

العظيم فتقدم وانشأ يقول

يا ذا الذي للحين يدعوه القدر * خل عن الحسناء رسلاثم سر
وان تكن ذا خبرة فينا اصطبر

قال فأجبته

يا ذا الذي للحين يدعوه الحمق * خل عن الحسناء رسلا وانطلق
ما أنت في الجن بأول من عشق

قال فتبدى لي في صورة أسد وجاذبني وجاذبته ساعة فلم يظفر أحدنا بصاحبه فلما أيس مني قال هل لك في خصال ثلاث خصال قلت وما هن قال مائتان من الابل أو أخدمك أيام حياتي أو ألف دينار الساعة وخل بيني وبين الجارية فقلت لا أبيع ديني بدنياي ولا حاجة لي بخدمتك فاذهب من حيث أتيت قال فانطلق وهو يتكلم بكلام لا أفهمه وسرت بالجارية الى أهلها وتزوجت بها وجاءني منها أولاد وقيل لما سخر الله تعالى الجن لسليمان عليه السلام نادى جبريل عليه السلام أيها الجن والشياطين أجيبوا نبي الله سليمان بن داود باذن الله تعالى قال فخرجت الجن والشياطين من الجبال والكهوف والغيران والاودية والفلوات والآجام وهم يقولون لبيك لبيك والملائكة تسوقهم سوق الراعي للغنم حتى حشرت بين يدي سليمان عليه السلام طائعة ذليلة وكانوا اذ ذاك أربعا وعشرين فرقة فنظر الى ألوانها فاذا هي سود وشقر ورقط وبيض وصفر وخضر وعلى صور جميع الحيوانات ومنهم من رأسه رأس الاسد وبدنه بدن الفيل ومنهم من له خرطوم وذنب ومنهم من له قرون وحوافر وغير ذلك من الانواع قال فعند ذلك تعجب نبي الله سليمان عليه السلام من هذه الاشكال وسجد شكرا لله تعالى وقال الهي ألبسني هيبة من عندك وجعل يسألهم عن طعامهم وعن طعامهم وشرابهم وهم يجيبونه ثم فرقهم في الصنائع من قطع الصخور والاحجار والاشجار والغوص في البحار وأبنية الحصون وفي استخراج المعادن والجواهر قال الله تعالى هذا عطاؤنا فامنن أو أمسك بغير حساب ونكتفي من ذلك بهذا القدر اليسير والله المسؤل في تيسير كل عسير وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

(الباب الخامس والستون في ذكر البحار وما فيها من العجائب وذكر الانهار والآبار وفيه فصول)

(الفصل الاول في ذكر البحار) روى عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال لما أراد الله تعالى أن يخلق الماء خلق ياقوتة خضراء لا يعلم طولها وعرضها الا الله سبحانه وتعالى ثم نظر اليها بعين الهيبة فذابت وصارت ماء فاضطرب الماء فخلق الريح ووضع عليها الماء ثم خلق العرش ووضعه على متن الماء وعليه قوله تعالى وكان عرشه على الماء واعلم أن بحر الظلمات لا يدخله شمس ولا قروان بحر الهند خليج منه وبحر اللاذقية خليج منه وبحر الصين خليج منه وبحر الروم خليج منه وبحر فارس خليج منه وكل هذه البحار التي ذكرتها أصلها من البحر الاسود الذي يقال له البحر المحيط وأما بحر الخزر وبحر خوارزم وبحر ارمينية والبحر

الذى عند مدينة النحاس وغير ذلك من البحار الصغار فهى منقطعة عن البحر الاسود ولذلك ليس فيها جزر ولا مد وقيل سئل النبى صلى الله عليه وسلم عن الجزر والمد فقال هو ملك عال قائم بين البحرين ان وضع رجله فى البحر حصل له المد واذا رفعها حصل له الجزر وقيل انما سمى البحر الاسود لان ماءه فى رأى العين كالحبر الاسود فان أخذ منه الانسان فى يده شيأ رآه أبيض صافيا الا أنه أمر من الصبر مالح شديد الملوحة فاذا صار ذلك الماء فى بحر الروم تراه أخضر كالزنجار والله تعالى يعلم لاى شئ ذلك وكذلك يرى فى بحر الهند خليج أحمر كالدم وبحر أصفر كالذهب وخليج أبيض كاللبن تتغير هذه الالوان فى هذه المواضع والماء فى نفسه أبيض صاف وقيل ان تغير الماء بلون الارض * وأما ما يخرج من البحر من السمك وغيره فقد روى عن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما قال بعثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم الى ساحل البحر وأمّر علينا أبا عبيدة رضى الله عنه نتلقى عير قريش وزودنا جرابا من تمر لم يجد لنا غيره فكان أبو عبيدة يعطينا تمرة تمرة نمصها ثم نشرب عليها الماء فتكفينا يومنا الى الليل فاشرفنا على ساحل البحر فرأينا شيأ كهيئة الكثيب الضخم فأتيناه فاذا هو دابة من دواب البحر تدعى العنبر فأقمنا شهرا نأكل منها ونحن ثلثمائة حتى سمنا ولقد رأيتنا نغترف من الدهن الذى فى وقب عينيها بالقلال ونقطع منه القطعة كالثور ولقد أخذ منا أبو عبيدة ثلاثة عشر رجلا فأقعدهم فى وقب عينها وأخذ ضلعا من أضلاعها فأقامها ثم رحل أعظم بعير معنا فمر من تحتها وتزودنا من لحمها فلما قدمنا المدينة ذكرنا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك فقال هو رزق أخرجه الله لكم فهل معكم شئ من لحمها فتطعمونا فأرسلنا اليه منه فأكله وقيل يخرج من البحر سمكة عظيمة فتتبعها سمكة أخرى أعظم منها لتأكلها فتهرب منها الى مجمع البحرين فتتبعها فيضيق عليها مجمع البحرين لعظمها وكبرها فترجع الى البحر الاسود وعرض مجمع البحرين مائة فرسخ فتبارك الله رب العالمين وقال صاحب تحفة الالباب ركبت فى سفينة مع جماعة فدخلنا الى مجمع البحرين فخرجت سمكة عظيمة مثل الجبل العظيم فصاحت صيحة عظيمة لم أسمع قط أهول منها ولا أقوى فكاد قلبى ينخلع وسقطت على وجهى أنا وغيرى ثم ألقت السمكة نفسها فى البحر فاضطرب البحر اضطرابا شديدا وعظمت أمواجه وخفنا الغرق فنجانا الله بفضله وسمعت الملاحين يقولون هذه سمكة تعرف بالبغل قال ورأيت فى البحر سمكة كالجبل العظيم ومن رأسها الى ذنبها عظام سود كاسنان المنشار كل عظم أطول من ذراعين وكان بيننا وبينها فى البحر أكثر من فرسخ فسمعت الملاحين يقولون هذه السمكة تعرف بالمنشار اذا صادفت أسفل السفينة قصمتها نصفين ولقد سمعت أنا من يقول ان جماعة ركبوا سفينة فى البحر فأرسوا على جزيرة فخرجوا الى تلك الجزيرة فغسلوا ثيابهم واستراحوا ثم أوقدوا نارا ليطبخوا فتحركت الجزيرة وطلعت البحر واذا بها سمكة فسبحان القادر على كل شئ لا اله الا هو ولا معبود سواه وقيل ان فى البحر سمكة تعرف بالمنارة لطولها يقال انها تخرج من البحر الى جانب السفينة فتلقى نفسها عليها فتحطمها وتهلك من فيها فاذا أحس بها أهل السفينة صاحوا وكبروا وضجوا وضربوا الطبول ونقروا الطسوت

والسطول والاخشاب لانها اذا سمعت تلك الاصوات ربما صرفها الله تعالى عنهم بفضله ورحمته وقال الشيخ عبد الله صاحب تحفة الالباب كنت يوما في البحر على صخرة فاذا أنا بذنب حية صفراء منقطة بسواد طولها مقدار باع فطلبت أن تقبض على رجلي فتباعدت عنها فاخرجت رأسها كأنه رأس أرنب من تحت تلك الصخرة فسللت خنجرا كبيرا كان معي فطعنت به رأسها فغار فيه فلم أقدر على خلاصه منها فامسكت نصابه بيدي جميعا وجعلت أجره حتى ألصقتها بباب البحر فتركت البحر وخرجت من تحت الصخرة فاذا هي خمس حيات في رأس واحد فتعجبت من ذلك وسألت من كان هناك عن اسم هذه الحية فقال هذه تعرف بام الحيات وذكروا أنها تقبض على الآدمي في الماء فتمسكه حتى يموت وتأكله وأنها تعظم حتى تكون كل حية أكثر من عشرين ذراعا وانها تقلب الزوارق وتأكل من قدرت عليه من أصحابها وان جلدها أرق من جلد البصل ولا يؤثر فيها الحديد شيأ قال ورأيت مرة في البحر صخرة عليها شيء كثير من النارنج الاحمر الطري الذي كأنه قطع من شجره فقلت في نفسي هذا قد وقع من بعض السفن فذهبت اليه فقبضت منه نارنجة فاذا هي ملتصقة بالحجر فجذبتها فاذا هي حيوان يتحرك ويضرب في يدي فلففت يدي بكم ثوبي وقبضت عليه وعصرته فخرج من فيه مياه كثيرة وضمر فلم أقدر أن اقلعه من مكانه فتركته عجزا عنه وهو من عجائب خلق الله تعالى وليس له عين ولا جارحة الا الفم والله سبحانه وتعالى أعلم لاي شيء يصلح ذلك قال ولقد رأيت يوما على جانب البحر عنقود عنب أسود كبير الحب أخضر العرجون كأنما قطف من كرمه فأخذته وكان ذلك في أيام الشتاء وليس في تلك الارض التي كنت فيها عنب فرمت أن آكل منه فقبضت على حبة منه وجذبتها فلم أقدر أن أقلعها من العنقود حتى كأنها من الحديد قوة وصلابة فجذبتها جذبة أقوى من الاولى فانقشرت قشرة من تلك الحبة كقشر العنب وفي داخلها عجم كعجم العنب فسألت عن ذلك فقيل لي هذا من عنب البحر ورائحته كرائحة السمك وفي البحر أيضا حيوان رأسه يشبه رأس العجل وله أنياب كأنياب السباع وجلده له شعر كشعر العجل وله عنق وصدر وبطن وله رجلان كرجلي الضفدع وليس له يدان يعرف بالسمك اليهودي وذلك انه اذا غابت الشمس ليلة السبت يخرج من البحر ويلقي نفسه في البر ولا يتحرك ولا يأكل ولو قتل ولا يدخل البحر حتى تغيب الشمس ليلة الاحد فحينئذ يدخل البحر ولا تلحقه السفن لخفته وقوته وجلده يتخذ منه نعل لصاحب النقرس فلا يجد له ألما ما دام ذلك الجلد عليه وهو من العجائب وقيل في ان بحر الروم سمكا طويلا السمكة مائة ذراع وأكثر وله أنياب كأنياب الفيل تؤخذ وتباع في بلاد الروم وتحمل الى سائر البلاد وهي أحسن وأقوى من أنياب الفيل واذا شق الناب منها يظهر فيه نقوش عجيبة ويسمونه الجوهر ويتخذون منه نصبا للسكاكين وهو مع قوته وحسن لونه ثقيل الوزن كالرصاص وفي البحر أيضا سمك يسمى الرعاد اذا دخل في شبكة فكل من جر تلك الشبكة أو وضع يده عليها وعلى حبل من حبالها تأخذه الرعدة حتى لا يملك من نفسه شيأ كما يرعد صاحب الحمى فاذا رفع يده زالت عنه الرعدة فان أعادها عادت اليه الرعدة وهذا أيضا من العجائب فسبحان الله جلت

قدرته

قدرته وقال صاحب تحفة الالباب حدثني الشيخ أبو العباس الحجازي قال حدثني رجل يعرف بالهاروني من ولد هرون الرشيد أنه ركب سفينة في بحر الهند فرأى طاوسا قد خرج من البحر أحسن من طاوس البر وأجمل ألوانا قال فكبرنا لحسنه فجعل يسبح وينظر لنفسه وينشر أجنحته وينظر الى ذنبه ساعة ثم غاص في البحر وفي البحر دابة يقال لها الدرفين تنجي الغريق لانها تدنو منه حتى يضع يده على ظهرها فيستعين بالاتكاء عليها ويتعلق بها فتسبح به حتى ينجيه الله بقدرته فسبحان من دبر هذا التدبير اللطيف وأحكم هذه الحكمة البالغة وزعموا ان السمك يتجه نحو الغناء والصوت الحسن ويصغو لسماعه وربما قيل ان بعض الصيادين يحفرون في البحر حفائر ثم يجلسون فيضربون بالمعازف وآلات الطرب فيجتمع السمك ويقع في تلك الحفائر وقيل ان الدرفين وأنواع السمك اذا سمعت صوت الرعد هربت الى قعر البحر وقيل ان خيل البحر توجد بنيل مصر وهي صفة خيل البر وقيل انها تأكل التماسيح وربما خرجت فرعت الزرع واذا رأى أهل مصر أثر حوافرها حكموا ان ماء النيل ينتهي في طلوعه الى ذلك المكان وقيل ان في البحر المحيط شيأ يتراءى كالحصون فيرتفع على وجه الماء ويظهر منه صور كثيرة ويغيب ومن عجيب ما حكي ان فيه جزيرة فيها ثلاث مدن عامرة وهي كثيرة الامطار وأهلها يحصدون زرعها قبل جفافه لقلة طلوع الشمس عندهم ويجعلونه في بيت ويوقدون حوله النيران حتى يجف وعجائبه لا تحصى ولا يمكن حصرها ويقال ان الاسكندر لما سار الى بحر الظلمات مر بجزيرة بها أمة رؤسهم مثل رؤس الكلاب يخرج من أفواههم مثل لهب النار وخرجوا الى مراكبه وحاربوه ثم تخلص منهم وسار فرأى صورا متلونة بالوان شتى وسمكا طوله مائة ذراع وأكثر وأقل فسبحان الله تعالى ما أكثر عجائب خلقه ويقال انه مر في بعض الجزائر على قصر مصنوع من البلور على قلعة محكمة البناء وحولها قناديل لا تطفأ ومن جزائر البحر جزيرة القمر يقال ان بها شجرا طول الشجرة مائتا ذراع ودور ساقها مائة وعشرون ذراعا وبها طوائف من السودان عرايا الابدان يلتحفون بورق الشجر وهو ورق يشبه ورق الموز لكنه أسمك وأعرض وأنعم ويقال ان هذه الجزيرة بالقرب من نيل مصر وان هذه الامة التي بها يتمذهبون بمذهب الامام الشافعي رضي الله عنه وهم في غاية اللطافة من الامر بالمعروف والنهي عن المنكر وبالقرب منهم معدن الذهب والياقوت وبها الفيلة البيض وحيوانات مختلفة الاشكال من الوحوش وغيرها وبها العود القماري والابنوس والطواويس وبها مدن كثيرة ومنها جزيرة الواق خلف جبل يقال له اصطفيون داخل البحر الجنوبي ويقال ان هذه الجزيرة كانت ملكتها امرأة وان بعض المسافرين وصل اليها ودخلها ورأى هذه الملكة وهي جالسة على سرير وعلى رأسها تاج من ذهب وحولها أربعمائة وصيفة كلهن أبكار وفي هذه الجزيرة من العجائب شجر يشبه شجر الجوز وخيار الشنبر ويحمل حملا كهيئة الانسان فاذا انتهى سمع له تصويت يفهم منه واق واق ثم يسقط وهذه الجزيرة كثيرة الذهب حتى قيل ان سلاسل خيلهم ومقاود كلابهم وأطواقها من الذهب ومنها جزيرة الصين يقال ان بها ثلثمائة مدينة ونيفا سوى القرى والاطراف وأبوابها اثنا عشر بابا وهي

جبال فى البحر بين كل جبلين فرجة وهذه الجبال تمر بها المراكب مسيرة سبعة أيام وإذا جاوزت السفينة الابواب سارت فى ماء عذب حتى تصل الى الموضع الذى تريده وفيها من الاودية والاشجار والانهار مالا يمكن وصفه فتبارك الله رب العالمين وقيل ان الاسكندر لما فرغ من بناء سده حمد الله تعالى واثنى عليه ثم نام واذا بحيوان عظيم صعد من البحر الى أن علا وسد الافق فظن من حول الملك انه يريد ابتلاعهم ففزعوا فانتبه فقال مالكم فقالوا له انظر ما حل بنا فقال ما كان الله ليأخذ نفسا قبل انقضاء أجلها وقد منعنى من العدو فلا يسلط على حيوانا من البحر قال فاذا بالحيوان قد دنا من الملك وقال أيها الملك أنا حيوان من هذا البحر وقد رأيت هذا السد بنى وخرب سبع مرات ولم يزد على ذلك ثم غاب فى البحر فتبارك من له هذا الملك العظيم لا اله الا هو العزيز الحكيم وقيل ان بجزيرة النسناس باليمن مدينة بين جبلين وليس لها ما يدخل فيها الا من المطر وطولها نحو ستة فراسخ وهى حصينة ذات كروم ونخل وأشجار وغير ذلك واذا أراد انسان الدخول فيها حثى فى وجهه التراب فان أبى الا الدخول خنق أو صرع وقيل انها معمورة بالجان وقيل بخلق من النسناس ويقال انهم من بقايا عاد الذين أهلكهم الله بالريح العقيم وكل واحد منهما شق انسان ونقل عن بعض المسافرين انه قال بينما نحن سائرون اذ أقبل علينا الليل فبتنا بواد فلما أصبح الصباح سمعنا قائلا يقول من الشجرة يا أبا بحير الصبح قد أسفر والليل قد أدبر والقناص قد حضر فالحذر الحذر قال فلما ارتفع النهار أرسلنا كلبين كانا معنا نحو الشجرة فسمعت صوتا يقول ناشدتك قال فقلت لرفيقى دعهما قال فلما وثقا منا نزلا هاربين فتبعهما الكلبان وجدا فى الجرى فأمسكا شخصا منهما قال فأدركناه وهو يقول

الويل لى مما به دهانى * دهرى من الهموم والاحزان

قفا قليلا أيها الكلبان * الى متى الى تجريان *

قال فأخذناه ورجعنا فذبحه رفيقى وسواه فعفته ولم آكل منه شيأ فتبارك الله ما أكثر عجائب خلقه لا اله الا هو ولا معبود سواه

(الفصل الثانى فى ذكر الانهار والآبار والعيون) قال الله تعالى ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فسلكه ينابيع فى الارض قال المفسرون هو المطر ومعنى سلكه أدخله فى الارض وجعله عيونا ومسايل ومجارى كالعروق فى الجسد فمن الانهار ما هو من الامطار المجتمعة ولهذا ينقطع عند فراغ مادته ومنها ما ينبع من الارض وأطول ما يكون من الانهار ألف فرسخ وأقصره عشرة فراسخ الى اثنين وثلاثة وبين ذلك وكلها تبتدئ من الجبال وتنتهى الى البحار والبطائح وفى ممرها تسقى المدن والقرى وما فضل منها ينصب فى البحر الملح ويختلط به ولا يمكن استيفاء عددها لكنا نشير الى بعضها فنقول *النيل المبارك ليس فى الانهار أطول منه لانه مسيرة شهرين فى بلاد الاسلام وشهرين فى بلاد النوبة وأربعة فى الخراب وقيل ان مسافته من منبعه الى أن ينصب فى البحر الرومى ألف وسبعمائة فرسخ وثمانية وأربعون فرسخا قال ذلك صاحب مباهج الفكر ومناهج العبر واختلف فى زيادته فقيل ان الانهار والعيون تمده فى الوقت الذى يريده الله تعالى وفى الحديث أنه من

انهار

أنهار الجنة وقال أهل الاثران الانهار التى من الجنة تخرج من أصل واحد من قبة فى أرض الذهب ثم تمر بالبحر المحيط وتشق فيه قالوا ولولا ذلك لكانت أحلى من العسل وأطيب رائحة من الكافور * نهر الفرات يوجد بارض أرمينية فضائله كثيرة والنيل أصدق حلاوة منه وبه من السمك الابيض ما تكون الواحدة قنطارا بالدمشقى وطول هذا النهر من حين يخرج من عند ملطية الى أن يأتى الى بغداد ستمائة وثلاثون فرسخا وفى وسطه مدن وجزائر تعد من أعمال الفرات * جيحون نهر عظيم تتصل به أنهار كثيرة ويمر على مدن كثيرة حتى يصل الى خوارزم ولا ينتفع به شئ من البلاد سوى خوارزم لانها متسفلة عنه ثم ينصب فى بحيرة بينها وبين خوارزم ستة أيام وهو يجمد فى الشتاء خمسة أشهر والماء يجرى من تحت الجمد فيحفر أهل خوارزم منه لهم أماكن ليستقوا منها واذا اشتد جوده مروا عليه بالقوافل والعجل المحملة ولا يبقى بينه وبين الارض فرق ويعلوه التراب ويبقى على ذلك شهرين * سيحون نهر عظيم قيل ان مبدأه من حدود الترك ويجرى حتى يتصل ببلاد الفرغانة وربما يجتمع مع جيحون فى بعض الاماكن * الدجلة نهر بغداد وله أسماء غير ذلك وماؤه أعذب المياه بعد النيل وأكثرها نفعا قيل مقداره ثلثمائة فرسخ وفى بعض الاوقات يفيض حتى قيل انه يخشى على بغداد الغرق منه وهو نهر مبارك كثيرا ما ينجو غريقه (حكى) أنه وجد به غريق فيه الروح فلما أفاق سألوه عن حاله فأخبرهم أنه لما غلب على نفسه رأى كأن أحدا يحمله ويصعد به وروى فى الاثر أن الله تعالى أمر دانيال عليه السلام أن يحفر لعباده ما يسقون منه وينتفعون به فكان كلما مر بأرض ناشده أهلها أن يحفر ذلك عندهم الى أن حفر دجلة والفرات * وأما الانهار الصغار فكثيرة ولكنا نذكر منها طرفا فنقول * نهر حصن المهدى قال صاحب تحفة الالباب انه بين البصرة والاهواز وانه يرتفع منه فى بعض الاوقات شئ يشبه صورة الفيل ولا يعرف أحد شأنه * نهر اذربيجان قيل ان بالقرب منه نهرا يجرى فيه الماء سنة ثم ينقطع ثمانى سنين ثم يعود فى التاسعة وقيل انه ينعقد حجرا ويستعمل منه اللبن ويبنى به وقيل ان فى تلك الارض بحيرة تجف فلا يوجد فيها ماء ولا سمك ولا طين سبع سنين ثم يعود الماء والسمك والطين فتبارك الذى بيده الملك وهو على كل شئ قدير * نهر صقلاب يجرى فيه الماء يوما واحدا فى كل أسبوع ثم ينقطع ستة أيام * نهر العاصى بأرض حماة وقيل بحمص وهو نهر معروف وفيه يقول بعضهم

مدينة حمص كعبة القصف أصبحت * يطوف بها الدانى ويسعى لها القاصى

بها روضة من حسنها سندسية * تعلق فى أكناف أذيالها العاصى

* نهر العمود بارض الهند عليه شجرة نابتة من حديد وقيل من نحاس وتحتها عمود من نحاس وقيل من حديد طوله من فوق الماء نحو عشرة أذرع وعرضه ذراع وعلى رأسه ثلاث شعب مسنونة محدودة وعنده رجل يقرأ كتاب الله ويقول يا عظيم البركة طوبى لمن صعد هذه الشجرة وألقى بنفسه على هذا العمود فيدخل الجنة وقال أهل تلك الناحية من يريد ذلك فيصعد على تلك الشجرة ويلقى نفسه فيتقطع * نهر باليمن قال صاحب تحفة

الالباب انه عند طلوع الشمس يجرى من المشرق الى المغرب وعند غروبها يجرى من المغرب الى المشرق * نهر ببلاد الحبشة والسودان يجرى الى المشرق يشبه النيل فى زيادته ونقصانه وأرضه بها الخصب والبركة وبها شجر كالاراك يحمل ثمرا كالبطيخ داخله شئ يشبه القند فى الحلاوة لكن فيه بعض حموضة وهذا النهر يجرى فى بلادهم ثمانية أشهر ثم ينصب فى البحر المحيط فسبحان من دبر هذا التدبير وأحكم هذه الصنعة لا اله الا هو الحكيم الخبير

(الفصل الثالث فى ذكر الآبار) قال مجاهد كنت أحب أن أرى كل شئ غريب فسمعت أن ببابل بئر هاروت وماروت فسرت اليها فلما وصلت الى ذلك المكان وجدت عنده بيوتا فدخلت فى بعضها فوجدت شخصا فسلمت عليه فرحب بى وسألنى عن حاجتى فذكرت له غرضى فأمر يهوديا يذهب معى فوقفنى على البئر وطلعنى على الملكين قال فسرنا الى البئر ففتح سردابا ونزلنا فأمرنى أن لا أذكر اسم الله تعالى قال فلما رأيت الملكين رأيت شيأ كالجبلين العظيمين منكسين على رؤسهما وعليهما الحديد من أعناقهما الى ركبهما قال مجاهد فلما رأيت ذلك ذكرت الله تعالى قال فاضطربا اضطرابا شديدا حتى كادا يقطعان السلاسل قال ففر اليهودى فتعلقت به فقال اما أمرتك أن لا تذكر اسم الله تعالى كدنا والله نهلك * بئر برهوت بقرب حضرموت وهى التى قال النبى صلى الله عليه وسلم انها مجمع أرواح الكفار قال على كرم الله وجهه أبغض البقاع الى الله تعالى بئر برهوت ماؤها أسود منتن تأوى اليها أرواح الكفار والموكل بها ملك يسمى دومة * بئر عسفان ماؤها يستشفى به قيل ان النبى صلى الله عليه وسلم تفل فيها قالت أسماء بنت أبى بكر الصديق رضى الله عنهما كنا نغسل المريض منها فيعافى وقيل ان النبى صلى الله عليه وسلم توضأ منها * بئر معروفة بأرض حلب خاصيتها أنها اذا شرب منها المكلوب زال كلبه مالم يجاوز الاربعين * وبنيسابور آبار كثيرة وهى معادن الفيروزج وانما يمنع الناس عنها كثرة عقاربها * وبأرض فارس بئر ينبع منها ماء فى وقت من السنة فيرتفع على وجه الارض لحظة واحدة ويجرى فينتفع به فى سقى الزرع ثم يعود الى ما كان وعجائب الله كثيرة لا تكاد تنحصر لا اله الا هو ولا معبود سواه

(الباب السادس والستون فى ذكر عجائب الارض ومافيها من الجبال والبلدان وغرائب البنيان وفيه فصول)

(الفصل الاول فى ذكر الارض ومافيها من العمران والخراب) روى وهب بن منبه رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال ان لله تعالى ثمانية عشر ألف عالم الدنيا منها عالم واحد وما العمران فى الخراب الا كخردلة فى كف أحدكم وقال رواة الاثر ان الله عز وجل دابة فى مرج من مروجه فى غامض علمه رزقها فى كل يوم بقدر رزق العالم باسره وجميع مدائن الدنيا أربعة آلاف مدينة وخمسمائة وست وخمسون مدينة وقيل غير ذلك وأقاليم الارض سبعة الاقليم الاول الهند الثانى الحجاز الثالث اقليم مصر الرابع اقليم بابل الخامس اقليم

الروم والشام السادس اقليم الترك السابع اقليم الصين وأوسط الاقاليم اقليم بابل وهو أعمرها وفيه جزيرة العرب وفيه العراق الذى هو سرة الدنيا وبغداد فى وسط هذا الاقاليم فلاعتداله اعتدلت ألوان أهله فسلموا من شقرة الروم وسواد الحبشة وغلظ الترك وجفاء أهل الجبال ودمامة أهل الصين والممالك المشهورة التى ضبطت عدتها فى زمن المأمون ثلثمائة وثلاث وأربعون مملكة أوسعها ثلاثة أشهر وأضيقها ثلاثة أيام وقال أهل الهيئة انه يكون عند خط الاستواء ربيعان وصيفان وخريفان وشتاآن فى سنة واحدة وانه يكون فى بعض البلاد ستة أشهر ليل وستة أشهر نهار وبعضها حر وبعضها برد فسبحان من خلق كل شئ فاتقنه لا اله الا هو ولا معبود سواه

(الفصل الثانى فى ذكر الجبال) قيل ان الله تعالى لما خلق الارض ماجت واضطربت فخلق الجبال وأرساها بها فاستقرت ومجموع ماعرف بالاقاليم السبعة من الجبال مائة وثمانية وتسعون جبلا فمنها ماطوله عشرون فرسخا ومنها ماطوله مائة فرسخ الى ألف فرسخ ولنذكر منها ماهو مشهور معروف بين الناس فن أعجبها (جبل سرنديب) وطوله مائتان ونيف وستون ميلا وفيه أثر قدم آدم عليه السلام حين أهبط وحوله الياقوت وفى أوديته الماس الذى يقطع به الصخور ويثقب به اللؤلؤ وفيه العود والفلفل ودابة المسك ودابة الزباد (جبل الروم) الذى فيه السد وطوله سبعمائة فرسخ وينتهى الى بحر الظلمات (جبل أبى قبيس) سمى بذلك لان آدم عليه السلام كناه بذلك حين اقتبس منه النار التى بين أيدى الناس وقيل غير ذلك (جبل القدس) جبل شريف مبارك فيه غار يضئ بالليل من غير سراج ويزوره الناس (جبل أروند) بهمدان برأسه عين تخرج من صخرة أياما معدودة فى السنة تقصد من كل وجه يستشفى بها (جبل بالشأم) لونه أسود كالفحم وترابه أبيض تبيض به الثياب (جبل الاندلس) فيه غار اذا دهنت فتيلة وأدخلتها فيه أوقدت وبها جبل به عينان احداهما باردة والاخرى حارة والمسافة التى بينهما مقدار شبر وجبل به معدن الكبريت والزئبق والزنجفر (جبل سمرقند) يقطر منه ماء فى الصيف يصير جلمدا وفى الشتاء يحرق من حرارته (جبل الصور) بكرمان يكسر حجره فيخرج منه كصور الآدميين قائمين وقاعدين ومضطجعين واذا سحق وطرح فى الماء يرى كذلك (جبل الارجان) بطبرستان يقطر منه ماء كل قطرة تصير حجرا مسدسا أو مثمنا (جبل هرمز) ينزل منه ماء الى وهدة فان صاح انسان صيحة وقف فان ثنى جرى (جبل الطير) باقليم الصعيد يجتمع عنده الطير فى كل سنة مرة ويدخل فى كوة هناك فتمسك الكوة على واحدة وتطير البقية ويكون ذلك علامة الخصب فى تلك السنة ولنقتصر على ذلك ومن اراد الوقوف على جميعها فعليه بتاريخ مرآة الزمان

(الفصل الثالث فى ذكر المبانى العظيمة وغرائبها وعجائبها) قال أهل التواريخ ونقلة الاخبار ان أول بناء بنى على وجه الارض الصرح الذى بناه نمروذ الاكبر بن كوش بن حام ابن نوح عليه السلام وبقعته بكوثى من أرض بابل وبه الى عصرنا أثر ذلك البناء كأنه جبال شاهقات قالوا وكان طوله خمسة آلاف ذراع بناه بالحجارة والرصاص والشمع واللبان ليمتنع

هو وقومه من طوفان ثان فانخرب الله تعالى ذلك الصرح فى ليلة واحدة بصيحة فتبلبلت بها
ألسنة الناس فسميت أرض بابل (ارم ذات العماد) التى لم يخلق مثلها فى البلاد (حكى)
الشعبى فى كتاب سير الملوك أن شداد بن عاد ملك جميع الدنيا وكان قومه قوم عاد الاولى
زادهم الله بسطة فى الاجسام وقوة حتى قالوا من أشد منا قوة قال الله تعالى أولم يروا أن الله
الذى خلقهم هو أشد منهم قوة وأن الله تعالى بعث اليهم هودا نبيا عليه السلام فدعاهم الى
الله تعالى فقال له شداد ان آمنت بالهك فماذا لى عنده قال يعطك فى الآخرة جنة مبنية
من ذهب ويواقيت ولؤلؤ وجميع أنواع الجواهر قال شداد أنا أبنى مثل هذه الجنة ولا
أحتاج الى ما تعدنى به قال فأمر شداد ألف أمير من جبابرة قوم عاد أن يخرجوا و يطلبوا
أرضا واسعة كثيرة الماء طيبة الهواء بعيدة من الجبال ليبنى فيها مدينة من ذهب قال
فخرج أولئك الامراء ومع كل أمير ألف رجل من خدمه وحشمه فساروا فى الارض حتى
وصلوا الى جبل عدن فرأوا هنالك أرضا واسعة طيبة الهواء فأعجبتهم تلك الارض فأمروا
المهندسين والبنائين فخطوا مدينة مربعة الجوانب دورها أربعون فرسخا من كل جهة
عشرة فراسخ فحفروا الاساس الى الماء وبنوا الجدران بحجارة الجزع اليمانى حتى ظهر على
وجه الارض ثم أحاطوا به سورا ارتفاعه خمسمائة ذراع وغشوه بصفائح الفضة المموهة
بالذهب فلا يكاد يدركه البصر اذا أشرقت الشمس وكان شداد قد بعث الى جميع معادن
الدنيا فاستخرج منها الذهب واتخذه لبنا ولم يترك فى يد أحد من الناس فى جميع الدنيا شيأ
من الذهب الا غصبه واستخرج الكنوز المدفونة ثم بنى داخل المدينة مائة ألف قصر بعدد
رؤساء مملكته كل قصر على عمد من أنواع الزبرجد واليواقيت معقودة بالذهب طول كل
عمود مائة ذراع وأجرى فى وسطها أنهارا وعمل منها جداول لتلك القصور والمنازل وجعل
حصاها من الذهب والجواهر واليواقيت وحلى قصورها بصفائح الذهب والفضة
وجعل على حافات الانهار أنواع الاشجار جذوعها من الذهب وأوراقها وثمرها من أنواع
الزبرجد واليواقيت واللآلئ وطلى حيطانها بالمسك والعنبر وجعل فيها جنة مزخرفة له
وجعل أشجارها الزمرذ واليواقيت وسائر أنواع المعادن ونصب عليها أنواع الطيور المسموعة
الصادح والمغرد وغير ذلك ثم بنى حول المدينة مائة ألف منارة برسم الحراس الذين
يحرسون المدينة فلما كمل بناؤها أمر فى مشارق الارض ومغاربها أن يتخذوا فى البلاد
بسطا وستورا وفرشا من أنواع الحرير لتلك القصور والغرف وأمر باتخاذ أوانى الذهب
والفضة فاتخذوا جميع ما أمر به فلما فرغوا من ذلك جميعه خرج شداد من حضرموت فى
أهل مملكته وقصد مدينة ارم ذات العماد فلما أشرف عليها ورآها قال قد وصلت الى
ما كان هود يعدنى به بعد الموت وقد حصلت عليه فى الدنيا فلما أراد دخولها أمر الله تعالى
ملكا فصاح بهم صيحة الغضب وقبض ملك الموت أرواحهم فى طرفة عين فخروا على
وجوههم صرعى قال الله تعالى وأنه أهلك عادا الاولى وذلك قبل هلاك عاد بالريح العقيم
وأخفى الله تعالى تلك المدينة عن أعين الناس فكانوا يرون بالليل فى تلك البرية التى بنيت
فيها معادن الذهب والفضة واليواقيت تضىء كالمصابيح فاذا وصلوا اليها لم يجدوا هناك

شيأ وقد نقل أن رجلا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يقال له عبد الله بن قلابة الانصارى دخل اليها وذلك أنه ضلت له ابل فخرج فى طلبها فوصل اليها فلما رآها دهش وبهت ورأى ما أذهله وحيره وقال فى نفسه هذه تشبه الجنة التى وعد الله بها عباده المتقين فى الآخرة فقصد بابا من أبوابها فلما وصل اليه أناخ راحلته ودخل المدينة فرأى تلك القصور والانهار والاشجار ولم ير فى المدينة أحدا فقال أرجع الى معاوية وأخبره بهذه المدينة وما فيها ثم حمل معه شيأ من تلك الجواهر واليواقيت فى وعاء وجعله على راحلته وعلم على المدينة علامة وقال قربها من جبل عدن كذا ومن الجهة الفلانية كذا ثم انصرف عنها بعد ما ظفر بابله ثم دخل على معاوية رضى الله تعالى عنه بدمشق وأخبره بجميع مارآه فقال له معاوية فى اليقظة رأيتها أم فى المنام قال بل فى اليقظة وقد حملت معى من حصبائها وأخرج له شيأ مما حمله من الجواهر واليواقيت فتعجب معاوية من ذلك ثم أرسل الى كعب الاحبار رضى الله عنه فلما دخل عليه قال له معاوية يا أبا اسحق هل بلغك ان فى الدنيا مدينة من ذهب قال نعم يا أمير المؤمنين وقد ذكرها الله عز وجل فى القرآن لنبيه صلى الله عليه وسلم بقوله عز من قائل ألم تر كيف فعل ربك بعاد ارم ذات العماد التى لم يخلق مثلها فى البلاد وقد أخفاها الله تعالى عن أعين الناس وسيدخلها رجل من هذه الامة يقال له عبد الله بن قلابة الانصارى ثم التفت فرأى عبد الله بن قلابة فقال هاهو يا أمير المؤمنين وصفته واسمه فى التوراة ولا يدخلها أحد بعده الى يوم القيامة وقيل ان ذلك كان فى خلافة عمر بن الخطاب رضى الله عنه وان الرجل الذى دخلها حكى ذلك لعمر بن الخطاب فلم ينكره ولا من كان حاضرا بل قال ان النبى صلى الله عليه وسلم قال يدخلها بعض أمتى والله تعالى أعلم * ومن المبانى العجيبة (الخورنق) الذى بناه النعمان بن امرئ القيس وهو النعمان الاكبر بناه فى عشرين سنة فلما انتهى أعجبه فخشى أن يبنى لغيره مثله فأمر أن يلقى بانيه من أعلاه فألقوه فتقطع واسم بانيه سنمار فصارت العرب تضرب به المثل يقولون جزاه جزاء سنمار قال الشاعر

جزى بنوه أبا الغيلان عن كبر * وحسن فعل كما يجزى سنمار

ومن المبانى العجيبة (حائط العجوز) واسمها دلوكة القبطية وسبب بنائها الذلك أنها ولدت ولدا فأخذت له الرصد فقيل لها يخشى عليه من التمساح فلما شب الغلام خافت عليه فبنت الحائط وجعلته من العريش الى أسوان شاملا لكورة مصر من الجانب الشرقى وقيل بنته خوفا على مصر وأهلها بعد غرق فرعون أن يطمع الملوك فيها وقد قيل انها أرادت أن تخوف ولدها من التمساح حتى لا ينزل البحر فصورت له صورة التمساح فرآه شكلا مهولا فأذهله وأخذه الفزع والهم فضعف وانسل الى أن مات لا مفر من قضاء الله تعالى * ومن المبانى العجيبة (الاهرام) وهى بالجانب الغربى من مصر مشاهدة فى زماننا هذا قيل ان دور الهرم الاكبر من الثلاثة ألفا ذراع من كل جهة خمسمائة ذراع وعلوه خمسمائة ذراع وقد ذهب المأمون الى مصر حتى شاهدها على ما ذكر وفتح منها هرما وتعجب من بنائها وصفتها قيل ان كل حجر من حجارتها ثلاثون ذراعا فى عرض عشرة أذرع وقد أحكم الصاقه ونحته وتسويته

ولا يقدر النجار الصانع أن يتخذ من خشب صندوقا صغيرا على احكامه وهي من عجائب الدنيا قال بعضهم

أين الذي الهرمان من بنيانه * ما قومه ما يومه ما المصرع
تتخلف الآثار عن سكانها * حينا ويدركها الفناء فتصرع

وزعم قوم أن الاهرام الموجودة بمصر قبور لملوك عظام أرادوا أن يتميزوا بها عن الناس بعد مماتهم كما تميزوا عنهم في حياتهم ورجوا أن يبقى ذكرهم بسببها على تطاول الدهور وتراخي العصور ولما وصل المأمون الى مصر أمر بنقبها فنقب أحدها بعد جهد شديد وعناء طويل فوجد داخله مزالق ومهاوي يهول أمرها ويعسر السلوك فيها ووجد في أعلاه بيت وفي وسطه حوض من رخام مطبق فلما كشف غطاؤه لم يوجد فيه الا رمة بالية فعند ذلك أمر المأمون بالكف عما سواه ويقال ان الذي بناها اسمه سوريد بن سهراق بن سرياق لرؤيا رآها وهي آفة تنزل من السماء وهي الطوفان فقالوا انه بناها في ستة اشهر وقال قل لمن يأتي بعدنا يهدمها في ستمائة سنة والهدم أيسر من البنيان وكسوناها الديباج الملون فليكسها حصرا والحصر أهون من الديباج والامر فيها عجيب جدا والله تعالى أعلم * ومن المباني العجيبة (منارة الاسكندرية) التي بناها ذوا لقرنين قيل انها كانت مبنية بحجارة مهندمة مغموسة في الرصاص فيها نحو من ثلثمائة بيت تصعد الدابة بحملها الى كل بيت وللبيوت طاقات تطل على البحر ويقال ان طولها كان ألف ذراع وفي أعلاها تماثيل من نحاس منها تمثال رجل قد أشار بيده الى البحر فاذا صار العدو على نحو ليلة منه سمع له تصويت يعلم به أهل المدينة مجيء العدو فيستعدون له ومنها تمثال كلما مضى من الليل ساعة صوت صوتا مطربا ويقال انه كان بأعلاها مرآة من الحديد الصيني عرضها سبعة أذرع كانوا يرون فيها المراكب بجزيرة قبرس وقيل كانوا يرون فيها من يخرج من البحر من جميع بلاد الروم فان كانوا أعداء تركوهم حتى يقربوا من المدينة فاذا مالت الشمس للغروب أداروا المرآة مقابلة الشمس واستقبلوا بها السفن فيقع شعاعها بضوء الشمس على السفن فتحرق في البحر ويهلك كل من فيها وكانت الروم تؤدي الخراج ليأمنوا بذلك من احراق السفن ولم تزل كذلك الى زمن الوليد بن عبد الملك قال المسعودي قيل ان ملكا من الروم تحيل على الوليد وأظهر أنه يريد الاسلام وأرسل اليه تحفا وهدايا وأظهر له بواسطة حكماء كانوا عنده أن ببلاده دفائن وأرسل له بذلك قسيسين من خواصه وأرسل معهم أموالا قيل انهم حفروا بقرب المنارة ودفنوا تلك الاموال وقالوا للوليد ان تحت المنارة كنوزا لا تنفد وبازائها خبيئة بها كذا وكذا ألف دينار فأمرهم باستخراج ما بالقرب من المنارة فان كان ذلك حقا استخرجوا ما تحت المنارة بعد هدمها فحفروا واستخرجوا ما دفنوه بأيديهم فعند ذلك أمر الوليد بهدم المنارة واستخراج ما تحتها فهدموها فلم يجدوا تحتها شيأ وهرب أولئك القسيسون فعلم الوليد أنها مكيدة عليه فندم على ذلك غاية الندم ثم أمر ببنائها بالآجر ولم يقدروا أن يرفعوا اليها تلك الحجارة فلما أتموها نصبوا عليها المرآة كما كانت فصدئت ولم يروا فيها شيأ مثل ما كانوا يرون أولا وبطل احراقها فندموا على ما فعلوا وفاتهم من جهلهم

وطمعهم نفع عظيم ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم وقد عملت الجن لسليمان بن داود عليهما السلام في الاسكندرية مجالسا على أعمدة من الجزع اليماني المصقول كالمرآة اذا نظر الانسان اليها يرى من يمشي خلفه لصفائها وفي وسط ذلك المجلس عمود من الرخام طوله مائة واحدى عشرة ذراعا وفي تلك الاعمدة عمود واحد يتحرك شرقا وغربا بطلوع الشمس وغروبها يشاهد الناس ذلك ولا يعلمون ماسببه وفي مدينة حمص مدينة أخرى تحت المدينة المسكونة العليا فيها من عجائب البنيان والبيوت والغرف والماء الجاري في كل طريق من طرقها مالا يعلمه الا الله تعالى وعند حوران مدينة عظيمة يقال لها اللجاة فيها من البنيان ما يعجز عن وصفه ألسنة العقلاء كل دار منها مبنية من الصخر المنحوت ليس في الدار خشبة واحدة بل أبوابها وغرفها وسقوفها وبيوتها من الصخر المنحوت الذي لا يستطيع أحد أن يعمله من الخشب وفي كل دار بئر وطاحون وكل دار مفردة لا يلاصقها دار أخرى وكل دار كالقلعة الحصينة اذا خاف أهل تلك النواحي من العدو دخلوا الى تلك المدينة فينزل كل انسان في دار بجميع عياله وخيله وغنمه وبقره ويغلق بابه ويجعل خلف الباب حصاة فلا يقدر أحد على فتح ذلك الباب لاحكامه وفي هذه المدينة أكثر من مائتي ألف دار فيما يقال ولا يعلم أحد من بناها وسمتها العرب اللجاة لانهم يلجؤن اليها عند الخوف *ومن المباني العجيبة (ايوان كسرى أنوشروان) بناه سابور ذو الاكتاف في نيف وعشرين سنة وطوله مائة ذراع في عرض خمسين بناه بالآجر والجص وجعل طول كل شرافة من شرار يفه خمس عشرة ذراعا ولما ملك المسلمون المدائن أحرقوا هذا الايوان فأخرجوا منه ألف ألف دينار ذهبا وحكى أن المنصور لما أراد بناء بغداد عزم على هدمه وأن يجعل آلته في بنائها فقيل له ان نقضه يتكاف بقدر العمارة فلم يسمع وهدم شرافة وحسب ما أنفق عليها فوجد الامر كذلك وقيل ان بعض رؤساء مملكته قال له لما أراد هدمه هو آية الاسلام فلا تهدمه وحكى انه كان بمدينة قيسارية كنيسة بها مرآة اذا اتهم الرجل امرأته بزنا نظر في تلك المرآة فيرى صورة الزاني فاتفق أن بعض الناس قتل غريمه فعمد أهله اليها فكسروها والله أعلم وقد اقتصرت من ذلك على هذا القدر اليسير وحسبنا الله ونعم الوكيل وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

(الباب السابع والستون في ذكر المعادن والاحجار وخواصها)

المعادن لا تكاد تحصى لكن منها ما يعرفه الناس ومنها مالا يعرفونه وهي مقسومة الى مايذوب والى مالا يذوب والذي اشتهر بين الناس من المعادن سبعة وهي الذهب والفضة والنحاس والحديد والقصدير والاسرب والخارصيني ولنبدأ أولا بذكر الذهب فقيل طبعه حار لطيف ولشدة اختلاط أجزائه المائية بالترابية قيل ان النار لا تقدر على تفريق أجزائه فلا يحترق ولا يبلى ولا يصدأ وهو لين براق حلو الطعم أصفر اللون فالصفرة من ناريته والليونة من دهنيته والبراقة من صفائه خواصه يقوي القلب ويدفع الصرع تعليقا ويمنع الفزع والخفقان ويقوي العين كحلا ويجلوها اذا كان ميلا ويحسن نظرها واذا ثقبت به الاذن لم تلتحم واذا كوى به لم ينفط ويبرأ سريعا وامساكه في الفم يزيل البخر (الفضة

قريبة منه وتصدأ وتحترق وتبلى بالتراب واذا أصابتها رائحة الرصاص والزئبق تكسرت أو رائحة الكبريت اسودّت ومن خواصها أنها تزيل البخر من الفم اذا وضعت فيه واذا أذيبت مع الزئبق وطلى بها البدن نفع ذلك من الحكة والجرب وعسر البول (النحاس) قريب منها لكنه أيبس وأغلظ فى الطبع ومن خواصه اذا صدئ وطلى بالحامض زال صدؤه والاكل فى آنيته يولد أمراضا لادواء لها (الحديد) كثير الفائدة اذ ما من صنعة الا وله فيها مدخل ومن خواصه أنه يمنع غطيط النائم اذا علق عليه وجعله يقوى القلب ويزيل الخوف والافكار والاحلام الرديئة ويسر النفس وصدؤه ينفع أمراض العين كحلا والبواسير تحملا (القصدير) صنف من الفضة دخل عليه آفات من الارض ومن خواصه انه اذا ألقى فى قدر لم ينضج مافيها (الاسرب) هو الرصاص ومن خواصه أنه يكسر الماس ومن خواص الماس الدخول فى كل شئ واذا شد من الرصاص قطعة على الخنازير والغدد أبرأتها (الخارصينى) حجر لونه أسود يعطى حمرة ومن خواصه اذا عمل منه مرآة ونظر فيها فى الظلمة نفعت للقوة واذا نتف الشعر بملقاط منه لم ينبت

(الاحجار الجوهرية) أصل الجوهر وهو الدر على ماقيل ان حيوانا يصعد من البحر على ساحله وقت المطر ويفتح أذنيه يلتقط بها المطر ويضمها ويرجع الى البحر فينزل الى قراره ولا يزال طابقا أذنيه على مافيها خوفا أن يختلط بأجزاء البحر حتى ينضج مافيها ويصير درا فان كانت القطرة صغيرة كانت الدرة صغيرة وان كانت كبيرة فكبيرة فان كان فى بطن هذا الحيوان شئ من الماء المر كانت الدرة كدرة وان لم يكن كانت صافية وقيل غير ذلك والدر نوعان كبير وصغير قيل انه تصل الواحدة الى مثقال خواصه أنه يفرّح القلب ويبسط النفس ويحسن الوجه ويصفى دم القلب واذا خلط مع الكحل شد عصب العين (الياقوت) سيد الاحجار وأصول ألوانه أربعة الاحمر والاصفر والازرق والاسمانجونى ويتولد منها ألوان كثيرة وأعدلها الاحمر الخالص الرمانى الشبيه بحب الرمان الاحمر ودونه الاحمر المشرب ببياض ثم الوردى الخمرى ثم العصفرى وأردؤه الازرق الذى لونه يشبه زهر السوسن وأقله قيمة الابيض خواصه أنه لا يعمل فيه الفولاذ ولا حجر الماس ولا تدنسه النار ويورث لابسه مهابة ووقارا ويسهل قضاء الحوائج ويدر الريق فى الفم ويقطع العطش ويدفع السم ويقوى القلب وجميعه ينفع المصروع تعليقا والابيض منه يبسط النفس ويوجد من الاصفر ما وزنه ثلاثون مثقالا على ماقيل (البلخش) هو مقارب للياقوت فى القيمة ودونه فى الشرف ومن خواصه أنه يورث قبض النفس وسوء الخلق والحزن وهو ألوان أحمر وأخضر وأصفر (المنقش) أصناف أحمر مفتوح اللون صاف وأحمر قوى الحمرة وأسود يعلوه حمرة مطوسة بزرقة خفيفة ثم أصفر مفتوح اللون (عين الهر) حجر يتكون من معدن الياقوت والغالب عليه البياض الناصع باشراق مفرط ومائيته رقيقة شفافة وفى مائيته سر اذا حرك يمينا تحركت يسارا وبالعكس ومن خواصه اذا علق على العين أمن عليها من الجدرى على ماقيل (الماس) يوجد بواد بالهند يقال انه مشحون بالحيات فيأتى من يريد استخراجه من ذلك الوادى

فيضع

فيضع فى الوادى مرآة كبيرة فتأتى الحيات فتنظر الى خيالها فى المرآة فتفر من ذلك الجانب فينزل فيأخذ ماله فيه رزق وقيل انهم ينحرون الجزر ويلقون لحمها فى ذلك الوادى فيلتصق الماس وغيره باللحم فتأتى الطير فتختطف اللحم وتصعد به الى الجبال فتأكل اللحم وتترك الحجر فيأخذه صاحب اللحم وقيل ان الحيات لها مشتى ستة أشهر فى مكان ومصيف ستة أشهر فى مكان آخر فاذا ذهبت الى مشتاها ومصيفها أخذ الحجر فى غيبتها والله أعلم بصحة ذلك ومن عجيب أمره انه اذا أريد كسره جعل فى انبوبة قصب وضرب فانه يتفتت وكذا اذا جعل فى شمع أو قار واذا جعل عليه دم تيس وقرب من النار ذاب ومن خواصه أن الملوك يتخذونه عندهم لشرفه وهو من السموم القاتلة القطعة الصغيرة منه اذا حصلت فى الجوف ولو بقدر السمسمة خرقت الامعاء ومن خواصه الجليلة انه يعرق عند وجود السم أو الطعام المسموم (الزمرذ) ويسمى الزبرجد وهو ألوان أخضر وزنجارى وصابونى ويكون الحجر منه خمسة مثاقيل وأقل ومن خواصه أنه يدفع العين ويفرح القلب ويقوى البصر ويصفى الذهن وينشط النفس (الفيروزج) نوعان اسحاقى وخلنجى وأجوده الاسحاقى الأزرق الصافى خواصه النظر فيه يجلو البصر ويقويه وينشط النفس ولا يصيب المتختم به آفة من قتل أو غرق وقال جعفر الصادق رضى الله عنه ما افتقرت يد تختمت بفيروزج واذا مضى له بعد خروجه من معدنه عشرون سنة نقص لونه ولا يزال كذلك حتى ينطفئ (العقيق) معدن بأرض صنعاء باليمن وهو ألوان ويوجد عليه غشاوة ويحمى عليه ببعر الابل ثم يبرد ويكسر وقيل يوجد بالهند ولكن اليمنى أجود خواصه التختم به وحمله يورث الحلم والاناة وتصويب الرأى ويسر النفس ويكسب حامله وقارا وحسن خلق ويسكن الحدة عند الخصومة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من تختم بالعقيق لم يزل فى بركة (الجزع) هو حجر أيضا يؤتى به من اليمن والصين وألوانه كثيرة والناس يكرهونه لانه يورث الهم والاحلام الرديئة وسوء الخلق وتعسر قضاء الحوائج ويكثر بكاء الصبى وسيلان لعابه ويثقل اللسان اذا سحق وشرب ماؤه واذا وضع بين قوم لاعلم لهم به حصلت بينهم العداوة لكنه يسهل الولادة تعليقا (البلور) هو صنف من الزجاج يحكى أن ببلاد كيسان جبلين أحدهما بلور واذا أريد قطع البلور فى ذلك الموضع قطع فى الليل لانه فى النهار يكون له شعاع عظيم خواصه النظر فيه يشرح القلب ويبسط النفس ويسكن وجع الضرس (المرجان) هو واسطة بين النبات والمعدن لانه يتشجر يشبه النبات ويتحجر يشبه المعدن ولا يزال لينا فى معدنه فاذا فارقه تحجر ويبس خواصه النظر فيه يشرح الصدر ويبسط النفس ويفرح القلب ويذهب بالداء المحتبس فى العين ويسكن الرمد وسحاقته المخلوطة بالخل تجلو قلح الاسنان واذا وضع على الجرح منعه من الانتفاخ وأنواعه كثيرة أحمر وأزرق وأبيض وأصله من البحر قيل انه شجر ينبت وقيل انه من حيوانه (حجر المناطيس) هو حجر هندى لا يعمل فيه الحديد والميت الذى يكون فيه لا يدخله السحر ولا الجن ولاجل ذلك كان الاسكندر يحمله فى عسكره (الحجر الماهانى) من تختم به أمن من الروع والهم والحزن والغم ولونه أبيض وأصفر ويوجد بأرض خراسان (حجر مراد) يوجد بناحية الجنوب

وخاصيته أن الجن تتبع حامله وتعمل له ما أراد (الدهنج) خاصيته انه اذا سقى انسان من محكه يفعل فعل السم واذا سقى شارب السم منه نفعه واذا مسح به موضع اللدغ سكن وينفع من خفقان القلب واذا طلى بحكاكته بياض البرص أزاله وان علق على انسان غلب عليه الباه (السبج) خواصه انه يقوى النظر الضعيف من الكبر أو نزول الماء ولبسه ينفع عسر البول وادمان النظر فيه يحد البصر وسحاقته تجلو البصر واذا علق على من به صداع زال عنه (المغناطيس) يوجد فى بحر الهند وهناك لا يتخذ فى السفن حديد ويوجد ببلاد الاندلس أيضا وأجود أنواعه ما كان أسود يضرب الى حمرة خواصه الاكتحال بسحاقته يورث الفة بين المكتحل وبين من يحبه ويسهل الولادة تعليقا ومن تختم به كانت حاجته مقضية وتعليقه فى العنق يزيد فى الذهن واذا سحق وشرب من سحاقته من به سم بطل سمه واذا أصابته رائحة الثوم بطلت خاصيته واذا غسل بالخل عاد الى حالته وأجوده ما جذب نصف مثقال من الحديد (حجر الخطاف) الخطاف يوجد فى عشه حجران أحدهما أحمر والآخر أبيض فالاحمر اذا علق على من يفزع فى نومه زال فزعه والابيض اذا علق على من به صرع زال عنه (حجر الزاج) اذا دخن البيت بسحاقته هرب منه الفار والذباب (حجر الزنجفر) أصله من الزئبق واستحال وخاصيته انه يدمل الجراحات وينبت اللحم (حجر الملح) هو أنواع وأجوده ما يوجد بأرض سدوم بالقرب من بحر لوط وقد جعله الله قواما للدنيا ومن خاصيته انه يحسن الذهب ويزيد فى صفرته وعن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال يا على ابدأ بالملح واختم به فان فيه شفاء من سبعين داء (حجر النطرون) قال ارسطو ينفع الارحام التى غلبت عليها الرطوبة ينشفها ويقويها واذا ألقى فى العجين طيبه وبيضه ونشفه وهو نوعان أبيض وأحمر (حجر اللازورد) مشهور قال ارسطو من تختم به عظم فى أعين الناس وينفع من السهر والله أعلم ومن أراد التعمق فى ذلك فعليه بالكتب الموضوعة له ولكن قد ذكرنا ما هو معروف والحمد لله على كل حال وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

(الباب الثامن والستون فى الاصوات والالحان وذكر الغناء واختلاف الناس فيه ومن كرهه ومن استحسنه)

وما ذكرت ذلك الا لانى كرهت أن يكون كتابى هذا بعد اشتماله على فنون الادب والتحف والنوادر والامثال عاطلا من هذه الصناعة التى هى مراد السمع ومرتع النفس وربيع القلب ومجال الهوى ومسلاة الكئيب وأنس الوحيد وزاد الراكب لعظم موقع الصوت الحسن من القلب وأخذه بمجامع النفس

(فصل فى الصوت الحسن) قال بعض أهل التفسير فى قوله تعالى يزيد فى الخلق ما يشاء هو الصوت الحسن وعن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال أتدرون متى كان الحداء قالوا لا بأبينا أنت وأمنا يا رسول الله قال ان أبا كم مضر خرج فى طلب مال له فوجد غلاما له قد تفرقت ابله فضربه على يده بالعصا فعدا الغلام فى الوادى وهو يصيح وايداه فسمعت الابل صوته فعطفت عليه فقال مضر لو اشتق من الكلام مثل هذا لكان كلاما تجتمع

عليه فاشتق الحداء وقال النبي صلى الله عليه وسلم لابي موسى الاشعري رضي الله عنه لما أعجبه حسن صوته لقد أوتيت مزمارا من مزامير آل داود وقيل ان داود عليه السلام كان يخرج الى صحراء بيت المقدس يوما في الاسبوع وتجتمع عليه الخلق فيقرأ الزبور بتلك القراءة الرخيمة وكان له جاريتان موصوفتان بالقوة والشدة فكانتا تضبطان جسده ضبطا شديدا خيفة أن تخلع أوصاله مما كان ينتحب وكانت الوحوش والطير تجتمع لاستماع قراءته قال مالك بن دينار رحمه الله تعالى بلغنا أن الله تعالى يقيم داود عليه السلام يوم القيامة عند ساق العرش فيقول يا داود مجدني اليوم بذلك الصوت الحسن الرخيم وقال سلام الحادي للمنصور وكان يضرب المثل بحدائه مر يا أمير المؤمنين بأن يظمؤا الابل ثم يوردوها الماء فاني آخذ في الحداء فترفع رؤسها وتترك الشرب وزعم أهل الطب أن الصوت الحسن يجري في الجسم مجرى الدم في العروق فيصفو له الدم وينمو له النفس ويرتاح له القلب وتهتز له الجوارح وتخف له الحركات ولهذا كرهوا للطفل أن ينام على أثر البكاء حتى يرقص ويطرب وزعمت الفلاسفة أن النغم فضل بقي من النطق لم يقدر اللسان على استخراجه فاستخرجته الطبيعة بالالحان على الترجيع لا على التقطيع فلما ظهر عشقته النفس وحنت اليه الروح الا ترى الى أهل الصناعات كلها اذا خافوا الملالة والفتور على أبدانهم ترنموا بالالحان واستراحت اليها أنفسهم وليس من أحد كائنا من كان الا وهو يطرب من صوت نفسه ويعجبه طنين رأسه ولو لم يكن من فضل الصوت الحسن الا أنه ليس في الارض لذة تكتسب من مأكل ولا مشرب ولا ملبس ولا نكاح ولا صيد الا وفيها معاناة على البدن وتعب على الجوارح ما خلا السماع فانه لا معاناة فيه على البدن ولا تعب على الجوارح وقد يتوصل بالالحان الحسان الى خيري الدنيا والآخرة فمن ذلك انها تبعث على مكارم الاخلاق من اصطناع المعروف وصلة الارحام والذب عن الاعراض والتجاوز عن الذنوب وقد يبكي الرجل بها على خطيئته ويتذكر نعيم الملكوت ويمثله في ضميره ولاهل الرهبانية نغمات والحان شجية يحمدون الله تعالى بها ويبكون على خطاياهم ويتذكرون نعيم الآخرة وكان أبو يوسف القاضي يحضر مجلس الرشيد وفيه الغناء فيجعل مكان السرور به بكاء كأنه يتذكر نعيم الآخرة وقد تحن القلوب الى حسن الصوت حتى الطير والبهائم وكان صاحب الفلاحات يقول ان النحل أطرب الحيوان كله على الغناء قال الشاعر

والطير قد يسوقه للموت * اصغاؤه الى حنين الصوت

وزعموا أن في البحر دواب ربما زمرت أصواتا مطربة ولحونا مستلذة يأخذ السامعين الغشي من حلاوتها فاعتنى بها واضعة الالحان بان شبهوا بها أغانيهم فلم يبلغوا وربما تغشى على سامع الصوت الحسن للطافة وصوله الى الدماغ وممازجته للقلب الا ترى الى الام كيف تناغي ولدها فيقبل بسمعه على مناغاتها ويتلهى عن البكاء والابل تزداد في نشاطها وقوتها بالحداء فترفع آذانها وتلتفت يمنة ويسرة وتتبختر في مشيتها وزعموا أن السماكين بنواحي العراق يبنون في جوف الماء حفائر ثم يضربون عندها باصوات شجية فيجتمع السمك في الحفائر فيصيدونه وقد نبهت على ذلك في باب ذكر البحار وما فيها من العجائب والراعي

اذا رفع صوته ونفخ فى يراعته تلقته الغنم بآذانها وجدت فى رعيها والدابة تعاف الماء فاذا سمعت الصفير بالغت فى الشرب وليس شئ مما يستلذ به أخف مؤنة من السماع قال افلاطون من حزن فليسمع الاصوات الحسنة فان النفس اذا حزنت خمدت نارها فاذا سمعت ما يطربها ويسرها اشتعل منها ما خمد ومازالت ملوك فارس تلهى المحزون بالسماع وتعلل به المريض وتشغله عن التفكر ومنهم أخذت العرب حتى قال ابن غيلة الشيبانى

وسماع مسمعة يعللنا * حتى ننام تناوم العجم

(وحكى) أن البعلبكى مؤذن المنصور رجع فى اذانه ليلة وجارية تصب الماء على يد المنصور فارتعدت حتى وقع الابريق من يدها فقال له المنصور خذ هذه الجارية فهى لك ولا تعد ترجع هذا الترجيع وقال عبد الرحمن بن عبد الله بن أبى عمارة فى قينة

ألم ترها لا أبعد الله دارها * اذا رجعت فى صوتها كيف تصنع

تدير نظام القول ثم ترده * الى صلصل من صوتها يترجع

وبعد فهل خلق الله شيأ أوقع بالقلوب وأشد اختلاسا للعقول من الصوت الحسن لاسيما اذا كان من وجه حسن كما قال الشاعر

رب سماع حسن * سمعته من حسن

مقرب من فرح * مبعد من حزن

لا فارقانى أبدا * فى صحة من بدن

وهل على الارض من جبان مستطار الفؤاد يغنى بقول جرير

قل للجبان اذا تأخر سرجه * هل أنت من شرك المنية ناجى

الاشاش وشجعت نفسه وقوى قلبه أم هل على الارض من بخيل قد انقبضت أطرافه يوما يغنى بقول حاتم الطائى

يرى البخيل سبيل المال واحدة * ان الجواد يرى فى ماله سبلا

الا انبسطت أنامله ورشحت أطرافه واختلف الناس فى الغناء فأجازه عامة أهل الحجاز وكرهه عامة أهل العراق فمن حجة من أجازه ماروى أن النبى صلى الله عليه وسلم قال لحسان شن الغطاريف على بنى عبد مناف فوالله لشعرك عليهم أشد من وقع السهام فى غلس الظلام واحتجوا فى اباحة الغناء واستحسانه بقول النبى صلى الله عليه وسلم لعائشة رضى الله عنها أهديتم الفتاة الى بعلها قالت نعم قال فبعثتم معها من يغنى قالت لم نفعل قال أوما علمت أن الانصار قوم يعجبهم القول ألا بعثتم معها من يقول

أتيناكم أتيناكم * فحيونا نحييكم * ولولا الحبة السمرا * لم تحلل بواديكم

ولا بأس بالغناء اذا لم يكن فيه أمر محرم ولا يكره السماع عند العرس والوليمة والعقيقة وغيرها فان فيه تحريكا لزيادة سرور مباح أو مندوب ويدل عليه ماروى من انشاد النساء بالدف والالحان عند قدوم النبى صلى الله عليه وسلم حيث قلن

طلع البدر علينا * من ثنيات الوداع

وجب الشكر علينا * مادعا لله داع

أيها المبعوث فينا * جئت بالامر المطاع

ويدل عليه ماروى عن عائشة رضى الله عنها انها قالت رأيت النبى صلى الله عليه وسلم يسترنى بردائه وأنا أنظر الى الحبشة يلعبون فى المسجد الحرام حتى أكون أنا التى أسأمه ويدل عليه أيضا ماروى فى الصحيحين من حديث عقيل عن الزهرى عن عروة عن عائشة رضى الله عنها ان أبا بكر دخل عليها وعندها جاريتان فى أيام منى يدففان ويضربان والنبى صلى الله عليه وسلم متغش بثوبه فانتهرهما أبو بكر فكشف النبى صلى الله عليه وسلم عن وجهه وقال دعهما يا أبا بكر فانها أيام عيد وعن قرة بن خالد بن عبد الله بن يحيى قال قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه للنابغة الجعدى أسمعنى بعض ماعفا الله لك عنه من هناتك فأسمعه كلمة فقال له وانك لقائلها قال نعم قال طالما غنيت بها خلف جمال الخطاب وعن عبد الله بن عوف قال أتيت باب عمر بن الخطاب رضى الله عنه فسمعته يغنى بالركابية يقول فكيف ثوائى بالمدينة بعدما * قضى وطرا منها جميل بن معمر وكان جميل بن معمر من أخصاء عمر قال فلما استأذنت عليه قال لى أسمعت ماقلت قلت نعم قال انا اذا خلونا قلنا مايقول الناس فى بيوتهم وقد أجازوا تحسين الصوت فى القراءة والاذان فان كانت الالحان مكروهة فالقراءة والاذان أحق بالتنزيه عنها وان كانت غير مكروهة فالشعر أحوج اليها لاقامة الوزن وما جعلت العرب الشعر موزونا الا لمد الصوت والدندنة ولولا ذلك لكان الشعر المنظوم كالخبر المنثور ومن حجة من كره الغناء أنه قال انه ينفر القلوب ويستفز العقول ويبعث على اللهو ويحض على الطرب وهذا باطل فى أصله وتأولوا فى ذلك قوله تعالى ومن الناس من يشترى لهو الحديث ليضل عن سبيل الله بغير علم ويتخذها هزؤا وأخطأ من أول هذا التأويل انما نزلت هذه الآية فى قوم كانوا يشترون الكتب من أخبار السير والاحاديث القديمة ويضاهون بها القرآن ويقولون انها أفضل منه وليس من سمع الغناء يتخذ آيات الله هزؤا وقال رجل للحسن البصرى ماتقول فى الغناء يا أبا سعيد فقال نعم العون على طاعة الله تعالى يصل الرجل به رحمه ويواسى به صديقه قال ليس عن هذا أسألك قال وعم سألتنى قال أن يغنى الرجل قال وكيف يغنى فجعل الرجل يلوى شدقيه ويفتح منخريه فقال الحسن والله يا ابن أخى ماظننت أن عاقلا يفعل بنفسه هذا أبدا فلم ينكر الحسن عليه الا تشويه وجهه وتعويج فمه وسمع ابن المبارك سكران يغنى هذا البيت

أذلنى الهوى فأنا الذليل * وليس الى الذى أهوى سبيل

قال فأخرج دواة وقرطاسا وكتب البيت فقيل له أتكتب بيت شعر سمعته من رجل سكران فقال أما سمعتم المثل رب جوهرة فى مزبلة وكان لابى حنيفة جار من الكيالين مغرم بالشراب وكان يغنى على شرابه يقول العرجى

أضاعونى وأى فتى أضاعوا * ليوم كريهة وسداد ثغر

قال فأخذه العسس ليلة وحبسه ففقد أبو حنيفة صوته واستوحش له فقال لاهله مافعل جارنا الكيال قالوا أخذه العسس وهو فى الحبس فلما أصبح أبو حنيفة توجه الى عيسى بن

موسى فاستأذن عليه فأسرع اذنه وكان أبو حنيفة قليلا ما يأتي أبواب الملوك فأقبل عليه عيسى بن موسى وسأله عما جاء بسببه فقال أصلح الله الامير ان لي جارا من الكيالين أخذه عسس الامير ليلة كذا فوقع في حبسه فأمر عيسى بن موسى باطلاق كل من في الحبس اكراما لابي حنيفة فاقبل الكيال على أبي حنيفة يتشكر له فلما رآه أبو حنيفة قال له هل أضعناك يا فتى يعرض له بشعره الذي ينشده قال لا والله ولكنك بررت وحفظت وكان عروة بن أذينة ثقة في الحديث روى عنه مالك بن أنس وكان شاعرا مجيدا لبقا غزلا وكان يصوغ ألحان الغناء على شعره ويحلها المغنين قيل انه وقفت عليه امرأة يوما وحوله التلامذة فقالت له أنت الذي يقال فيك الرجل الصالح وأنت تقول

اذا وجدت أوار الحب في كبدي * عمدت نحو سقاء القوم أبترد
هبني بردت ببرد الماء ظاهره * فمن لنار على الاحشاء تتقد

وكان عبد الملك الملقب بالقس عند أهل مكة بمنزلة عطاء بن أبي رباح في العبادة قيل انه مر يوما بسلامة وهي تغني فأقام يسمع غناءها فرآه مولاها فقال له هل لك أن تدخل وتسمع فأبى فلم يزل به حتى دخل فغنته فأعجبته ولم يزل يسمعها ويلاحظها النظر حتى شغف بها فلما شعرت بلحظه اياها غنته

رب رسولين لنا بلغا * رسالة من قبل أن نبرحا
الطرف للطرف بعثناهما * فقضيا حاجا وما صرحا

قال فأغمي عليه وكاد يهلك فقالت له اني والله أحبك قال وأنا والله أحبك قالت وأحب أن أضع فمي على فمك قال وأنا والله كذلك قالت فما يمنعك من ذلك قال أخشى أن تكون صداقة ما بيني وبينك عداوة يوم القيامة أما سمعت قوله تعالى الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين ثم نهض وعاد الى طريقته التي كان عليها وأنشأ يقول

قد كنت أعذل في السفاهة أهلها * فاعجب لما تأتي به الايام
فاليوم أعذرهم وأعلم انما * سبل الضلالة والهدى أقسام

وقدم عبد الله بن جعفر على معاوية بالشام فأنزله في دار عياله وأظهر من اكرامه ما يستحقه فغاظ ذلك فاختة بنت قرظة زوج معاوية فسمعت ذات ليلة غناء عند عبد الله بن جعفر فجاءت الى معاوية فقالت هلم فاسمع ما في منزل الذي جعلته من لحمك ودمك وأنزلته بين حرمك فجاء معاوية فسمع شيأ حركه وأطربه فقال والله اني لاسمع شيأ تكاد الجبال أن تخر له ثم انصرف فلما كان في آخر الليل سمع معاوية قراءة عبد الله بن جعفر وهو قائم يصلي فنبه فاختة وقال لها اسمعي مكان ما أسمعتني هؤلاء قومي ملوك بالنهار ورهبان بالليل ثم ان معاوية أرق ذات ليلة فقال لخادمه اذهب فانظر من عند عبد الله بن جعفر وأخبره اني قادم عليه فذهب وأخبره فأقام عبد الله كل من كان عنده فلما جاء معاوية لم ير في المجلس غير عبد الله فقال مجلس من هذا قال عبد الله هذا مجلس فلان يا أمير المؤمنين فقال معاوية مره فليرجع الى مجلسه حتى لم يبق الا مجلس رجل واحد قال مجلس من هذا قال مجلس رجل يداوي الآذان يا أمير المؤمنين قال ان أذني عليلة فمره ان يرجع الى مجلسه

وكان

وكان مجلس بديح المغني فأمر عبد الله بن جعفر فرجع الى موضعه فقال له معاوية داو أذني من علتها فتناول العود وغنى وقال

ودّع سعاد فان الركب مرتحل * وهل تطيق وداعا أيها الرجل

قال فحرك عبد الله بن جعفر رأسه فقال له معاوية لم حركت رأسك يا ابن جعفر قال أريحية أجدها يا أمير المؤمنين لو لاقيت لابليت ولو سئلت لاعطيت وكان معاوية قد خضب قال فقال ابن جعفر لبديح هات غير هذا وكان عند معاوية جارية أعز جواريه عليه وكانت تتولى خضابه فغنى بديح وقال

أليس عندك شكر للتي جعلت * ما ابيض من قادمات الرأس كالحمم

وجددت منك ماقد كان أخلقه * صرف الزمان وطول الدهر والقدم

فطرب معاوية طربا شديدا وجعل يحرك رجله فقال له ابن جعفر يا أمير المؤمنين انك سألتني عن تحريك رأسي فاجبتك وأخبرتك وأنا أسألك عن تحريك رجلك فقال كل كريم طروب ثم قام وقال لا يبرح احد منكم حتى يأتي له اذني ثم ذهب فبعث الى ابن جعفر بعشرة آلاف دينار ومائة ثوب من خاصة كسوته والى كل رجل منهم بالف دينار وعشرة أثواب وحدث ابن الكلبي والهيثم بن عدى قالا بينما عبد الله بن جعفر في بعض أزقة المدينة اذ سمع غناء فاصغى اليه فاذا صوت رقيق لقينة تغني وتقول

قل للكرام ببابنا يلجوا * ما في التصابي على الفتى حرج

فنزل عبد الله عن دابته ودخل على القوم بلا اذن فلما رأوه قاموا اجلالا له ورفعوا مجالسه فاقبل عليه صاحب المجلس وقال يا ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم أتدخل مجلسنا بلا اذن وليس هذا من شأنك فقال عبد الله لم أدخل الا باذن قال ومن أذن لك قال قينتك هذه سمعتها تقول قل للكرام ببابنا يلجوا * فولجنا فان كنا كراما فقد أذن لنا وان كنا لئاما خرجنا مذمومين فقبل صاحب المنزل يده وقال جعلت فداك والله ما أنت الا من أكرم الناس فبعث عبد الله الى جارية من جواريه فحضرت ودعا بثياب وطيب فكسا القوم وطيبهم ووهب الجارية لصاحب المنزل وقال هذه أحذق بالغناء من جاريتك وسمع سليمان ابن عبد الملك مغنيا في عسكره فقال اطلبوه فجاؤا به فقال أعد على ما غنيت به فغنى واحتفل وكان سليمان أغير الناس فقال لاصحابه كأنها والله جرجرة الفحل في الشول وما أظن أنثى تسمع هذا الا صبت اليه ثم أمر به فخصى (أصل الغناء ومعدنه) قال أبو المنذر هشام الغناء على ثلاثة أوجه النصب والسناد والهزج فأما النصب فغناء الفتيان والركبان وأما السناد فالثقيل الترجيع الكثير النغمات وأما الهزج فالخفيف كله وهو الذي يستفز القلوب ويهيج الحليم وقيل كان أصل الغناء ومعدنه في أمهات القرى فاشيا ظاهرا وهي المدينة والطائف وخيبر وفدك ووادي القرى ودومة الجندل واليمامة وهذه القرى مجامع أسواق العرب ويقال ان أول من صنع العود لامك بن قابن بن آدم وبكى به على ولده ويقال ان صانعه بطليموس صاحب الموسيقى وهو كتاب اللحون الثمانية والله أعلم بحقيقة ذلك وحسبنا الله ونعم الوكيل وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

(الباب التاسع والستون فى ذكر المغنين والمطربين وأخبارهم ونوادر الجلساء فى مجالس الرؤساء)

قيل ان أول من غنى فى العرب قينتان للنعمان يقال لهما الجرادتان ومن غنائهما

ألا يا قيل ويحك قم فهينم * لعل الله يسقينا غماما

وانما غنتا هذا حين حبس الله عنهم المطر وقيل أول من غنى فى الاسلام الغناء الرقيق طويس وهو الذى علم ابن سريج والدلال نوبة الضحى وكان يكنى أبا عبد النعيم ومن غنائه وهو أول صوت غنى به فى الاسلام هذا البيت

قد براني الشوق حتى * كدت من وجدى أذوب

ثم نجم بعد طويس بن طنبور وأصله من اليمن وكان أهزج الناس وأخفهم غناء ومن غنائه

وفتيان على شرب جمعا * دلفت لهم بباطية هدور

فلا تشرب بلا طرب فانى * رأيت الخيل تشرب بالصفير

ومنهم حكم الوادى ومن غنائه

امدح الكاس ومن أعملها * واهج قوما قتلونا بالعطش

انما الراح ربيع باكر * فاذا ما وافت المرء انتعش

وكان لهرون الرشيد جماعة من المغنين منهم ابراهيم الموصلى وابن جامع السهمى وغيرهما وكان له زامر يقال له برصوما وكان ابراهيم أشدهم تصرفا فى الغناء وابن جامع أحلاهم نغمة فقال الرشيد يوما لبرصوما ما تقول فى ابن جامع قال يا أمير المؤمنين وما أقول فى العسل الذى من حيثما ذقته فهو طيب قال فابراهيم الموصلى قال بستان فيه جميع الازهار والرياحين وكان ابن محرز يغنى كل انسان بما يشتهيه كانه خلق من قلب كل انسان وغنى رجل بحضرة الرشيد بهذه الابيات

وأذكر أيام الحمى ثم أنثنى * على كبدى من خشية أن تصدعا

فليست عشيات الحمى برواجع * عليك ولكن خل عينيك تدمعا

بكت عينى اليسرى فلما نهيتها * عن الجهل بعد الحلم أسلتا معا

قال فاستخف الرشيد الطرب فأمر له بمائة ألف درهم وحدث ابن الكلبى عن أبيه قال كان ابن عائشة من أحسن الناس غناء وأنبههم فيه وكان من أضيق الناس خلقا اذا قيل له غن قال لمثلى يقال غن على عتق رقبة ان غنيت يومى هذا فلما كان فى بعض الايام سال وادى العقيق فلم يبق فى المدينة مخبأة ولا مخدرة ولا شاب ولا كهل الا خرج يبصره وكان فيمن خرج ابن عائشة المغنى وهو معتجر بفضل ردائه فنظر اليه الحسن بن الحسن بن على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنهم وكان الحسن فيمن خرج الى العقيق وبين يديه عبدان أسودان كانهما ساريتان يمشيان أمام دابته فقال لهما أقسم بالله ان لم تفعلا ما آمركما به لأنكلن بكما فقالا يا مولانا قل ما تأمرنا به فلو أمرتنا أن نقتحم النار فعلنا قال اذهبا الى ذلك الرجل المعتجر بفضل ردائه فأمسكاه فان لم يفعل ما آمره به والا فاقذفا به فى العقيق قال فمضيا والحسن يقفوهما فلم يشعر ابن عائشة الا وهما آخذان بمنكبيه فقال من هذا فقال له الحسن أنا هذا يا ابن

عائشة

عائشة فقال لبيك وسعديك بأبي أنت وأمي قال اسمع مني ما أقول لك واعلم أنك مأسور في أيديهما وقد أقسمت ان لم تغن مائة صوت لنطرحانك في العقيق قال فصاح ابن عائشة واويلاه واعظم مصيبتاه فقال له الحسن دعنا من صياحك وخذ فيما ينفعنا قال اقترح وأقم من يحصي ثم أقبل يغني فترك الناس العقيق وأقبلوا عليه فلما تمت أصواته مائة كبر الناس بلسان واحد تكبيرة ارتجت لها أقطار الارض وقالوا للحسن صلى الله على جدك حيا وميتا فما اجتمع لاحد من أهل المدينة سرور قط الا بكم أهل البيت فقال له الحسن ما فعلت هذا بك يا ابن عائشة الا لاخلاقك الشرسة فقال ابن عائشة والله ما مرت بي شدة أعظم من هذه لقد بلغت أطراف أعضائي فكان ابن عائشة بعد ذلك اذا قيل له ما أشد يوم مر عليك يقول يوم العقيق وحدث أبو جعفر البغدادي قال حدثني عبد الله بن محمد كاتب بغداد عن أبي عكرمة قال خرجت يوما الى المسجد الجامع فمررت بباب أبي عيسى بن المتوكل فاذا على بابه المشدود وهو أحذق خلق الله تعالى بالغناء فقال أين تريد يا أبا عكرمة قلت المسجد الجامع لعلي أستفيد حكمة أكتبها فقال ادخل بنا الى أبي عيسى قلت أمثل أبي عيسى في قدره وجلالته يدخل عليه بلا اذن فقال للحاجب أعلم أمير المؤمنين بمكان أبي عكرمة فما لبث الا ساعة حتى خرج الغلمان الي فحملوني حملا فدخلت الى دار ما رأيت أحسن منها بناء ولا أظرف منها هيئة فلما نظرت الى أبي عيسى قال لي يا بغيض من يحتشم اجلس فجلست فأتينا بطعام كثير فلما انقضى أتينا بشراب وقامت جارية تسقينا شرابا كالشعاع في زجاجة كأنها كوكب دري فقلت أصلح الله الامير وأتم عليه نعمه ولا سلبه ما وهبه قال فدعا أبو عيسى بالمغنين وهم المشدود ودبيس ورقيق ولم يكن في ذلك الزمان أحذق من هؤلاء الثلاثة بالغناء فابتدأ المشدود وغنى يقول

لما استقل بأرداف تجاذبه * واخضر فوق بياض الدر شاربه
وأشرق الورد من نسرين وجنته * واهتز أعلاه وارتجت حقائبه
كلمته بجفون غير ناطقة * فكان من رده ما قال حاجبه

ثم سكت وغنى دبيس

* الحب حلو أمرته عواقبه * وصاحب الحب صب القلب ذائبه
أستودع الله من بالطرف ودعني * يوم الفراق ودمع العين ساكبه
ثم انصرفت وداعي الشوق يهتف بي * أرفق بقلبك قد عزت مطالبه

ثم سكت وغنى رقيق

بدر من الانس حفته كواكبه * قد لاح عارضه واخضر شاربه
ان يوعد الوعد يوما فهو مخلفه * أو ينطق القول يوما فهو كاذبه
عاطيته كدم الاوداج صافية * فقام يشدو وقد مالت جوانبه

ثم سكت وابتدأ المشدود يقول

يا دير حنة من ذات الاكيراح * من يصح عنك فاني لست بالصاحي

ثم سكت وغنى دبيس

دع البساتين من آس وتفاح * واعدل هديت الى شيخ الاكيراح
واعدل الى فتية ذابت لحومهم * من العبادة الانضو أشباح
وخمرة عتقت فى دنها حقبا * كأنها دمعة فى جفن سياح

ثم سكت وغنى رقيق

لاتحافن بقول اللائم اللاحى * واشرب على الورد من مشمولة الراح
كأسا اذا انحدرت فى حلق شاربها * أغناه لألأوها عن كل مصباح
مازلت أسقى نديمى ثم ألثمه * والليل ملتحف فى ثوب أمساح
فقام يشدو وقد مالت سوالفه * يادير حنة من ذات الاكيراح

ثم أقبل أبو عيسى على المشدود وقال له غن لى شعرى فغناه

يالجة الدمع هل للغمض مرجوع * أم الكرى من جفون العين ممنوع
ماحيلتى وفؤادى هائم دنف * بعقرب الصدغ من مولاى ماسوع
لا والذى تلفت نفسى بفرقته * فالقلب من فرق الاحزان مصدوع
ما أرق العين الاحب مبتدع * ثوب الجمال على خديه مخلوع

قال أبو عكرمة فوالله لقد حضرت من المجالس مالا يحصى عدده الا الله تعالى فما حضرت مثل ذلك المجلس ولولا أن أبا عيسى قطعهم ما انقطعوا (وحكى) عن الرشيد انه قال يوما للفضل بن الربيع من بالباب من الندماء قال جماعة فيهم هاشم بن سليمان مولى بنى أمية وأمير المؤمنين يشتهى سماعه قال فأذن له وحده فدخل فقال هات ياهاشم فغناه من شعر جميل حيث يقول

اذا ماتراجعنا الذى كان بيننا * جرى الدمع من عينى بثينة بالكحل
فياويح نفسى حسب نفسى الذى بها * وياويح عقلى ما أصيبت به أهلى
خليلى فيما عشتما هل رأيتما * قتيلا بكى من حب قاتله قبلى

قال فطرب الرشيد طربا شديدا وقال أحسنت لله أبوك ثم قلده عقدا نفيسا فلما رآه هاشم ترقرقت عيناه بالدموع فقال له الرشيد ما يبكيك ياهاشم فقال ياأمير المؤمنين ان لهذا العقد حديثا عجيبا ان أذن لى أمير المؤمنين حدثته به قال قد أذنت لك قال ياأمير المؤمنين قدمت يوما على الوليد وهو على بحيرة طبرية ومعه قينتان لم ير مثلهما جمالا وحسنا فلما وقفت عنده على قال هذا أعرابى قد ظهر من البوادى ادعوا به فنسخر به فدعانى فصرت اليه ولم يعرفنى فغنت احدى الجاريتين بصوت هو لى فأخطأته الجارية فقلت لها أخطأت ياجارية فضحكت ثم قالت ياأمير المؤمنين ألم تسمع ما يقول هذا الاعرابى يعيب علينا غناءنا فنظر الى كالمنكر فقلت ياأمير المؤمنين أنا أبين لك الخطأ فلتصلح وتركذا وتركذا ففعلت وغنت شيأ ما سمع منها الا فى هذا اليوم فقامت الجارية مكبة على وقالت أستاذى هاشم ورب الكعبة فقال الوليد أهاشم بن سليمان أنت قلت نعم ياأمير المؤمنين وكشفت عن وجهى وأقمت معه بقية يومنا فأمر لى بثلاثين ألف درهم فقالت الجارية ياأمير المؤمنين أتأذن لى فى بر أستاذى فقال الوليد ذلك اليك فخلت ياأمير المؤمنين هذا العقد من

عنقها ووضعته فى عنقى وقالت هولاء ثم قربوا اليه السفينة ليرجع الى موضعه فركب فى السفينة وطلعت معه احدى الجاريتين واتبعتها صاحبتى فأرادت أن ترفع رجلها وتطلع السفينة فسقطت فى الماء فغرقت لوقتها وطلبت فلم يقدر عليها فاشتد جزع الوليد عليها وبكى بكاء شديدا وبكيت أنا عليها أيضا بكاء شديدا فقال لى يا هاشم ما نرجع عليك بما وهبناه لك ولكن نحب أن يكون هذا العقد عندنا نذكرها به فبعنى اياه فعوضنى عنه ثلاثين ألف درهم فلما وهبتنى العقد يا أمير المؤمنين تذكرت قضيته وهذا سبب بكائى فقال الرشيد لا تعجب فان الله كما ورثناه كانهم ورثنا أموالهم وقال على بن سليمان النوفلى غنى دحمان الاشقر عند الرشيد يوما فأنشده

اذا نحن أدلجنا وأنت أمامنا * كفى لمطايانا برؤياك هاديا

ذكرتك بالديرين يوما فاشرفت * بنات الهوى حتى بلغن التراقيا

اذا ما طواك الدهر يا أم مالك * فشأن المنايا القاضيات وشانيا

قال فطرب الرشيد طربا شديدا واستعاده منه مرات ثم قال له تمن على قال أتمنى الهنىء والمرىء وهما ضيعتان غلتهما أربعون ألف دينار فى كل سنة فأمر له بهما فقيل له يا أمير المؤمنين ان هاتين الضيعتين من جلالتهما يجب أن لا يسمح بمثلهما فقال الرشيد لا سبيل الى استرداد ما أعطيت ولكن احتالوا فى شرائهما منه فساوموه فيهما حتى وقفوا معه على مائة ألف دينار فرضى بذلك فقال الرشيد ادفعوها له فقالوا يا أمير المؤمنين فى اخراج مائة ألف دينار من بيت المال طعن ولكن نقطعها له فكان يوصل بخمسة آلاف وثلاثة آلاف حتى استوفاها ومن ذلك ما حكى اسحق الموصلى قال كان الواثق بن المعتصم أعلم الناس بالغناء وكان يضع الالحان العجيبة ويغنى بها اشعره وشعر غيره فقال له يوما يا ابا محمد لقد فقت أهل العصر فى كل شئ فغننى شعرا أرتاح اليه وأطرب عليه يومى هذا قال اسحق فغنيته هذه الابيات

ما كنت أعلم ما فى البين من حرق * حتى تنادوا بان قد جىء بالسفن

قامت تودعنى والدمع يغلبها * فهمهمت بعض ما قالت ولم تبن

مالت الى وضمتنى لترشفنى * كما يميل نسيم الريح بالغصن

واعرضت ثم قالت وهى باكية * يا ليت معرفتى اياك لم تكن

قال فخلع على خلعة كانت عليه وأمر لى بمائة ألف درهم قال وغنيته يوما

قفى ودعينا يا سعاد بنظرة * فقد حان منا يا سعاد رحيل

فيا جنة الدنيا ويا غاية المنى * ويا سؤل نفسى هل اليك سبيل

وكنت اذا ما جئت جئت لعلة * فافنيت علاتى فكيف أقول

فما كل يوم لى بارضك حاجة * ولا كل يوم لى اليك وصول

فقال والله لا سمعت يومى غيره وألقى على خلعة من ثيابه وأمر لى بصلة ما أمر لى قبلها بمثلها (ومن حكايات الخلفاء ومكارم أخلاقهم) ما حكى عن ابراهيم بن المهدى قال قال جعفر ابن يحيى يوما لبعض ندمائه انى قد استأذنت أمير المؤمنين فى الخلوة غدا فهل من مساعد

فقلت جعلت فداءك أنا أسعد بمساعدتك وأسر بمشاهدتك فقال بكر بكور الغراب قال فأتيته عند الفجر فوجدت الشموع قد أوقدت بين يديه وهو ينتظرني في الميعاد فما زلنا في أطيب عيش الى وقت الضحى فقدمت الينا موائد الاطعمة عليها من أفخر الطعام وأطيبه فأكلنا وغسلنا أيدينا ثم خلعت علينا ثياب المنادمة وضمخنا بالخلوق وانتقلنا الى مجلس الطرب ومدت الستائر وغنت القينات فظللنا بانعم يوم ثم انه داخله الطرب فدعا بالحاجب وقال له اذا أتى أحد يطلبنا فاذن له ولو كان عبد الملك بن صالح بنفسه فاتفق بالامر المقدر ان عم الرشيد عبد الملك بن صالح قدم علينا في ذلك الوقت وكان صاحب جلالة وهيبة ورفعة وعنده من الورع والزهد والعبادة ما لا مزيد عليه وكان الرشيد اذا جلس مجلس لهو لا يطلعه على ذلك لشدة ورعه فلما قدم دخل به الحاجب علينا فلما رأيناه رمينا ما في أيدينا ووقفنا اجلالا له فقبل يده وقد ارتعنا لذلك وخجلنا وزاد بنا الحياء فقال لا باس عليكم كونوا على ما أنتم عليه ثم صاح بغلام فدفع له ثيابه ثم أقبل علينا وقال اصنعوا بنا ما صنعتم بانفسكم قال فما كان باسرع من أن طرحت عليه ثياب خزمعلم وقدمت اليه موائد الطعام والشراب فطعم وشرب الشراب لساعته ثم قال خففوا عني فانه شئ والله ما فعلته قط قال فتهلل وجه جعفر ثم التفت الى عبد الملك فقال له جعلت فداءك قد علوت علينا وتفضلت فهل من حاجة تبلغها مقدرتي وتحيط بها نعمتي فأقضيها لك مكافأة لك على ما صنعت قال بلى ان في قلب أمير المؤمنين بعض تغير علي فتسأله الرضا عني فقال جعفر قد رضي عنك أمير المؤمنين قال وعلي عشرة آلاف دينار فقال جعفر هي حاضرة لك من مالي ولك من مال أمير المؤمنين مثلها قال وأريد أن أشد ظهر ابني ابراهيم بمصاهرة من أمير المؤمنين قال قد زوجه أمير المؤمنين بابنته الغالية قال وأحب أن تخفق الالوية على رأسه قال وقد ولاه أمير المؤمنين مصر فانصرف عبد الملك بن صالح وبقيت متعجبا من اقدام جعفر على ذلك من غير استئذان وقلت عسى أن يجيبه أمير المؤمنين الى ما سأله من الولاية والمال والرضا عنه الا المصاهرة قال فلما كان من الغد بكرت الى باب الرشيد لانظر ما يكون من أمرهم فدخل جعفر فلم يلبث ان دعي بابي يوسف القاضي ثم بابراهيم بن عبد الملك بن صالح فخرج ابراهيم وقد عقد نكاحه بالغالية بنت الرشيد وعقد له على مصر والرايات والالوية تخفق على رأسه وخرج كل من في القصر معه الى بيت عبد الملك بن صالح قال ثم بعد ذلك خرج الينا جعفر وقال أظن ان قلوبكم تعلقت بحديث عبد الملك بن صالح وأحببتم سماع ذلك قلنا هو كما ظننت قال لما دخلت على أمير المؤمنين ومثلت بين يديه قال كيف كان يومك يا جعفر بالامس فقصصت عليه القصة حتى بلغت الى دخول عبد الملك بن صالح فكان متكئا فاستوى جالسا وقال لله أبوك ما سألك قلت سألني رضاك عنه يا أمير المؤمنين قال بم أجبته قلت قد رضي عنك أمير المؤمنين قال قد رضيت عنه ثم ماذا قلت وذكر ان عليه عشرة آلاف دينار قال فبم أجبته قلت قد قضاها عنك أمير المؤمنين قال وقد قضيتها عنه ثم ماذا قلت ورغب أن يشد أمير المؤمنين ظهر ولده ابراهيم بمصاهرة منه قال فبم أجبته قلت قد زوجه أمير المؤمنين بابنته الغالية قال قد أجبته الى ذلك ثم ماذا قلت قال وأحب أن تخفق

الالوية

الالوية على رأسه قال فبم أجبته قلت قد ولاه أمير المؤمنين مصر قال قد وليته اياها ثم مجزله جميع ذلك من ساعته قال ابراهيم بن المهدى فوالله ما أدرى أى الثلاثة اكرم وأعجب فعلا أما ابتداء عبد الملك بن صالح من المنادمة ولم يكن فعل ذلك قط أم اقدام جعفر على الرشيد أم امضاء الرشيد جميع ما حكم به جعفر فهكذا تكون مكارم الاخلاق (وحكى) أبو العباس عن عمر الرازى قال أقبلت من مكة أريد المدينة فجعلت أسير فى حد من الارض فسمعت غناء لم أسمع مثله فقلت والله لا توصلن اليه فاذا هو عبد أسود فقلت له أعد على ما سمعت فقال والله لو كان عندى قرى أقريكه لفعلت ولكنى أجعله قراك فانى والله ربما غنيت بهذا الصوت وأنا جائع فاشبع وربما غنيته وأنا كسلان فانشط أو عطشان فاروى ثم اندفع يغنى ويقول

وكنت اذا ما جئت سعدى أزورها * أرى الارض تطوى لى ويدنو بعيدها

من الخفرات البيض ودجليسها * اذا ما انقضت احدوثة لو تعيدها

قال عمر فحفظته منه ثم تغنيت به على الحالات التى وصفها لى فاذا هى كما ذكر والله أعلم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

(الباب السبعون فى ذكر القينات والاغانى)

(حكى) على بن الجهم قال لما أفضت الخلافة الى أمير المؤمنين المتوكل أهدى اليه عبد الله بن طاهر من خراسان جارية يقال لها محبوبة كانت قد نشأت بالطائف فبرعت فى الجمال والادب وأجادت قول الشعر وحذاقة الغناء فشغف بها أمير المؤمنين المتوكل حتى كانت لا تفارق مجلسه ساعة واحدة ثم انه حصل منه عليها بعد ذلك جفاء فهجرها قال على بن الجهم فبينما أنا نائم عنده ذات ليلة اذ أيقظنى فقال يا على قلت لبيك يا أمير المؤمنين قال قد رأيت الليلة فى منامى كأنى رضيت على محبوبة وصالحتها فقلت خيرا رأيت يا أمير المؤمنين أقر الله عينك انما هى جاريتك والرضا والجفاء بيدك فوالله انا لفى حديثها اذ جاءت وصيفة فقالت يا أمير المؤمنين سمعت صوت عود من حجرة محبوبة فقال قم بنا يا على ننظر ما تصنع فنهضنا حتى أتينا حجرتها فاذا هى تضرب بالعود وتقول

أدور فى القصر لا أرى أحدا * أشكو اليه ولا يكلمنى

كأننى قد أتيت معصية * ليس لها توبة تخلصنى

فهل شفيع لنا الى ملك * قد زارنى فى الكرى وصالحنى

حتى اذا ما الصباح لاح لنا * عاد الى هجره وصارمنى

قال فصاح أمير المؤمنين فلما سمعته تلقته وأكبت على رجليه تقبلهما فقال ما هذا قالت يا مولاى رأيت فى منامى هذه الليلة كأنك قد رضيت عنى فانشدت ما سمعت قال وأنا والله رأيت مثل ذلك ثم قال يا على هل رأيت أعجب من هذا الاتفاق ثم أخذ بيدها ومضى الى حجرتها وكان من أمرهما ما كان قيل وكان أمير المؤمنين الواثق اذا شرب رقد فى موضعه الذى شرب فيه ومن كان معه من ندمائه وشرب يوما وخرج من كان عنده الا مغنيا واحدا أظهر التراقد فتركه وكانت مغنية من حظايا الخليفة نائمة فلما خلا

المجلس كتب المغني رقعة ورمى بها اليها فاذا فيها

انى رأيتك فى المنام ضجيعتى * مسترشفا من ريق فيك البارد
وكأن كفك فى يدى وكاننا * بتنا جميعا فى لحاف واحد
ثم انتبهت ومعصماك كلاهما * فى راحتى وتحت خدك ساعدى
فقطعت يومى كله متراقدا * لأراك فى نومى ولست براقد

فكتبت اليه على ظهرها تقول

خيرا رأيت وكل ما أملته * ستناله منى برغم الحاسد
وتبيت بين خلاخلى ودمالجى * وتحل بين مراشفى ونواهدى
ونكون أنعم عاشقين تعاطيا * ملح الحديث بلا مخافة راصد

فلما مدت يدها الترمى اليه بالرقعة رفع الواثق رأسه فاخذها من يدها وقال ما هذا فلفاله انه لم يجر بينهما قبل ذلك كلام ولا كتاب ولا رسول الا أن العشق قد خامرهما قال فاعتقها من وقتها وزوجها به وقال خذها ولا تقربنا بعد اليوم وكان لاسماء بنت المهدى جارية يقال لها كاعب وكانت بكرا ناهدا بنت ثلاث عشرة سنة قال فتلاعب عليها أبو نواس فتمنعت فوقع فى قلبه منها ما وقع وأحبته هى أيضا فجمل أبو نواس كلما أمسكها تمنعت فظفر بها ليلة من الليالى فى ناحية من القصر فامسكها فبكت وقالت له ياسيدى الموت دون ذلك فقال أبو نواس هذا جزع الابكار فاتفق انه خرج يوما من القصر وقد ترقرق الدجا فوجدها نائمة فى سدلة وهى سكرى لا تفيق فتقرب منها وحل سراويلها ووقع عليها فاذا هى خالية من البكارة فارتاع وظن أن يكون أتاه عادم فلم يجد فقام عنها وندم على ما كان منه وأنشد يقول

وناهدة الثديين من خدم القصر * مرقرقة الخدين لمايسة الشعر
كلفت بها دهرا على حسن وجهها * طويلا وما حب الكواعب من أمرى
فما زلت بالاشعار حتى خدعتها * وروضتها والشعر من خدع السحر
أطالبها شيأ فقالت بعبرة * أموت ولا هذا ودمعتها تجرى
فلما تعارضنا توسطت لجة * غرقت بها ياقوم فى لجج البحر
فصحت أغثنى ياغلام فجاءنى * وقد زلقت رجلى وصرت الى الصدر
ولولا صياحى بالغلام وانه * تداركنى بالحبل صرت الى القعر
فاقسمت عمرى لاركبت سفينة * ولا سرت طول الدهر الا على ظهر

ومن ذلك ما حدث الشيبانى قال كان عند رجل بالعراق قينة وكان أبو نواس يختلف اليها وكانت تظهر له انها لا تحب غيره وكان كلما دخل اليها وجد عندها شابا يجالسها ويحادثها فقال فيها هذه الابيات

ومظهرة لخلق الله ودا * وتلقى بالتحية والسلام
أتيت لبابها أشكو اليها * فلم أخلص اليه من الزحام
فيا من ليس يكفيها خليل * ولا ألفا خليل كل عام

أراك بقية من قوم موسى * فهم لا يصبرون على طعام

وقال أبو سويد حدثني أبو زيد الاسدي قال دخلت على سليمان بن عبد الملك وهو جالس في ايوان مبلط بالرخام الاحمر مفروش بالديباج الاخضر في وسط بستان ملتف قد أثمر وأينع وعلى رأسه وصائف كل واحدة منهن أحسن من صاحبتها وقد غابت الشمس وغنت الاطيار فتجاوبت وصفقت الرياح على الاشجار فتمايلت فقلت السلام عليك أيها الامير ورحمة الله وبركاته وكان مطرقا فرفع رأسه وقال أبا زيد في مثل هذا الحين تصاحبنا فقلت أصلح الله الامير وقامت القيامة قال نعم على أهل المحبة ثم أطرق مليا ورفع رأسه وقال أبا زيد ما يطيب في يومنا هذا قلت أصلح الله الامير قهوة حمراء في زجاجة بيضاء تناولها غادة هيفاء مضمومة لفاء أشرب بها من كفها وأمسح فمي بخدها فأطرق سليمان مليا لا يرد جوابا تنحدر من عينيه عبرات بلا شهيق فلما رأت الوصائف ذلك تنحين عنه ثم رفع رأسه فقال أبا زيد حضرت في يوم فيه انقضاء أجلك ومنتهى مدتك وتصرم عمرك والله لاضربن عنقك أو لتخبرني ما أثار هذه الصفة من قلبك قلت نعم أصلح الله الامير كنت جالسا عند دار أخيك سعيد بن عبد الملك فاذا أنا بجارية قد خرجت من باب القصر كأنها غزال انفلت من شبكة صياد عليها قميص سكب اسكندراني يبين منه بياض بدنها وتدوير سرتها ونقش تكتها وفي رجليها نعلان صراران قد أشرق بياض قدميها على حمرة نعليها بذؤابتين تضربان الى حقويها الها صدغان كأنهما نونان وحاجبان قد قوسا على محاجر عينيها وعينان مملوأتان سحرا وأنف كأنه قصبة بلور وفم كأنه جرح يقطر دما وهي تقول عباد الله من لي بدواء ما لا يشتكى وعلاج ما لا يسمى طال الحجاب وأبطأ الجواب والقلب طائر والعقل عازب والنفس والهة والفؤاد مختلس والنوم محتبس رحمة الله على قوم عاشوا تجلدا وماتوا كمدا ولو كان الى الصبر حيلة أو الى ترك الغرام سبيل لكان أمرا جميلا ثم أطرقت طويلا ورفعت رأسها فقلت لها أيتها الجارية انسية أنت أم جنية سماوية أنت أم أرضية فقد أعجبني ذكاء عقلك وأذهلني حسن منطقك فسترت وجهها بكمها كأنها لم ترني ثم قالت اعذر أيها المتكلم فما أوحش الساعد بلا مساعد والمقاساة لصب معاند ثم انصرفت فوالله ما أكلت طعاما طيبا الا غصصت به لذكرها ولا رأيت حسنا الا سمج في عيني لحسنها فقال سليمان أبا زيد كاد الجهل يستفزني والصبا يعاودني والحلم يعزب عني لشجو ما سمعت اعلم يا أبا زيد ان تلك التي رأيتها هي الذلفاء التي قيل فيها

انما الذلفاء ياقوتة * أخرجت من كيس دهقان

شراؤها على أخي ألف ألف درهم وهي عاشقة لمن باعها والله ان مات ما يموت الا بحبها ولا يدخل القبر الا بغصتها وفي الصبر سلوة وفي توقع الموت نهية قم أبا زيد في دعة الله تعالى ثم قال يا غلام نفله ببدرة فأخذتها وانصرفت قال فلما أفضت الخلافة اليه صارت الذلفاء اليه فأمر بفسطاط فأخرج على دهناء الغوطة وضرب في روضة خضراء مونقة زهراء ذات حدائق بهجة تحتها أنواع الزهر ما بين أصفر فاقع وأحمر ساطع وأبيض ناصع وكان لسليمان مغن يقال له سنان به يأنس واليه يسكن فأمره أن يضرب فسطاطه بالقرب منه

وكانت الذلفاء قد خرجت مع سليمان الى ذلك المتنزه فلم يزل سنان يومه ذلك عند سليمان في أكمل سرور وأتم حبور الى أن انصرف من الليل الى فسطاطه فنزل به جماعة من اخوانه فقالوا له نريد قرانا أصلحك الله قال وماقراكم قالوا أكل وشرب وسماع قال أما الاكل والشرب فهاحان لكم وأما السماع فقد عرفتم شدة غيرة أمير المؤمنين ونهيه عنه الا ما كان في مجلسه قالوا لاحاجة لنا بطعامك وشرابك ان لم تسمعنا قال فاختاروا صوتا واحدا أغنيكموه قالوا غننا صوت كذا فرفع صوته يغني بهذه الابيات

محجوبة سمعت صوتي فارقها * من آخر الليل لما نبه السحر
في ليلة البدر مايدري مضاجعها * أوجهها عنده أبهى أم القمر
لم يحجب الصوت احراس ولاغلق * فدمعها لطروق الصوت منحدر
لو مكنت لمشت نحوي على قدم * تكاد من لينها في المشي تنفطر

قال فسمعت الذلفاء صوت سنان فخرجت الى صحن الفسطاط تسمع فجعلت لاتسمع شيأ من حسن خلق ولطافة قد الا رأت ذلك كله في نفسها وهيئتها فحرك ذلك ساكنا من قلبها فهملت عيناها وعلا نحيبها فانتبه سليمان فلم يجدها معه فخرج الى صحن الفسطاط فرآها على تلك الحالة فقال ماهذا ياذلفاء فقالت

ألا رب صوت رائع من مشوه * قبيح المحيا واضع الاب والجد
يروعك منه صوته ولعله * الى أمة يعزى معا والى عبد

فقال سليمان دعيني من هذا فوالله لقد خامر قلبك منه ماخامر ثم قال ياغلام علي بسنان فدعت الذلفاء خادما لها فقالت له ان سبقت رسول أمير المؤمنين الى سنان فحذرته فلك عشرة آلاف درهم وأنت حر لوجه الله تعالى فخرج الرسولان فسبق رسول أمير المؤمنين سليمان فلما أتى به قال ياسنان الم أنهك عن مثل هذا قال ياأمير المؤمنين حملني على ذلك حلمك وأنا عبد أمير المؤمنين وغرس نعمته فان رأى أمير المؤمنين أن يعفو عن عبده فليفعل قال قد عفوت عنك ولكن أما علمت ان الفرس اذا صهل ودقت له الحجرة وان الفحل اذا هدر ضبعت له الناقة وان الرجل اذا تغنى أصغت له المرأة اياك اياك والعود الى ما كان منك فيطول غمك (وحكي) ان الرشيد قصد يوما فأرسلت اليه بعض حظاياه قدحا فيه شراب مع وصيفة لها حسنة الوجه جميلة الطلعة بديعة المحيا وغطته بمنديل مكتوب عليه هذه الابيات

قصدت عرفا تبتغي صحة * البسك الله به العافيه
فاشرب بهذا الكاس ياسيدي * واهنأ به من كف ذي الجاريه
واجعل لمن أنفذه خلوة * تحظى بها في الليلة الآتيه

قال فنظر الرشيد الى الوصيفة التي جاءت بالقدح فاستحسنها فافتضها ثم أرسلها فعلمت مولاتها بذلك فكتبت اليه رقعة تقول فيها هذه الابيات

بعثت الرسول فاطا قليلا * على الرغم مني فصبرا جميلا
وكنت الخليل وكان الرسول * فصرت الرسول وصار الخليلا

كذا

كذا من يوجه فى حاجة * الى من يحب رسولا جميلا

قال فاستحسن الرشيد ذلك منها وأرسل اليها أنا عندك الليلة وأهدى داود بن روح المهلبى الى المهدى جارية فحظيت عنده فواعدته ان تبيت عنده ليلة فمنعها الحيض فكتب اليها يقول

لاهجرن حبيبا خان موعده * وكان منه لصفو العيش تكدير

فارسلت اليه تجيبه

لا تهجرن حبيبا خان موعده * ولا تذمن وعدا فيه تاخير

ما كان حبسى الا من حدوث أذى * لا يستطاع له بالقول تفسير

وقال محمد بن مروان يصف جارية له

أمست تباع ولو تباع بوزنها * درا لكى أسفا عليها البائع

وكان للمأمون جويرية من أحسن الناس وأسبقهم الى كل نادرة فحظيت عنده فحسدها الجوارى وقلن لا حسب لها فنقشت على خاتمها حسبى حسنى فازداد بها المأمون عجبا فسمتها الجوارى فماتت فجزع عليها المأمون جزعا شديدا وقال

اختلست ريحانتى من يدى * أبكى عليها آخر الأبد

كانت هى الانس اذا استوحشت * نفسى من الاقرب والابعد

وروضة كان بها مرتعى * ومنهلا كان بها موردى

كانت يدى كان بها قوتى * فاختلس الدهر يدى من يدى

وللمتوكل فى قينة

أمازحها فتغضب ثم ترضى * فكل فعالها حسن جميل

فان غضبت فأحسن ذى دلال * وان رضيت فليس لها عديل

وحدث أبو عبد الله بن عبد البر قال حدثنى اسحق بن ابراهيم عن الهيثم بن عدى قال كان فى المدينة رجل من بنى هاشم وكان له قينتان يقال لاحداهما رشا وللاخرى جؤذر وكان بالمدينة رجل مضحك لا يكاد يغيب عن مجلس المستظرفين فأرسل الهاشمى اليه ذات يوم ليسخر به فلما أتاه قال له أصلحك الله انك لى لذتك ولا لذة لى قال وما لذتك قال تحضر لى نبيذا فانه لا يطيب لى عيش الا به فامر الهاشمى باحضار نبيذ وامر أن يطرح فيه سكر العشر فلما شربه المضحك تحرك عليه بطنه فتناوم الهاشمى وغمز جاريتيه عليه فلما ضاق عليه الامر واضطر الى التبرز قال فى نفسه ما أظن هاتين المغنيتين الا يمانيتين وأهل اليمن يسمون الكنف بالمراحيض فقال لهما يا حبيبتى أين المرحاض فقالت احداهما لصاحبتها ما يقول سيدنا قالت يقول غنيانى

رحضت فؤادى فخليتنى * اهيم من الحب فى كل واد

فاندفعتا تغنيانه فقال فى نفسه والله ما أظنهما فهمتا عنى وما أظنهما الا مكيتين وأهل مكة يسمونها المخارج فقال يا حبيبتى اين المخرج فقالت احداهما لصاحبتها ما يقول سيدنا قالت يقول غنيانى

خرجت لهما من بطن مكة بعدما * أقام المنادى بالعشى فأعتما

فاندفعتا تغنيانه فقال فى نفسه لم يفهماعنى وما أظنهما الا شاميتين وأهل الشام يسمونها المذاهب فقال يا حبيبتى أين المذهب فقالت احداهما لصاحبتها ما يقول حبيبنا قالت يقول غنيانى

ذهبت من الهجران فى كل مذهب * ولم يك حقا كل هذا التجنب

فغنتاه الصوت فقال لاحول ولا قوة الا بالله العلى العظيم لم يفهماعنى وما أظن القحبتين الا مدنيتين وأهل المدينة يسمونها بيت الخلاء فقال يا حبيبتى أين بيت الخلاء فقالت احداهما لصاحبتها ما يقول سيدنا قالت يقول غنيانى

خلاء على بقاع الارض اذ ظعنوا * من بطن مكة واسترعانى الحزن

قال فغنتاه فقال انا لله وانا اليه راجعون ما أظن الفاسقتين الا بصريتين وأهل البصرة يسمونها الحشوش فقال يا حبيبتى أين الحشوش فقالت احداهما لصاحبتها ما يقول سيدنا قالت يقول غنيانى

أوحشونى وعز صبرى فهم * ما احتيالى وما يكون فعالى

قال فاندفعتا تغنيانه فقال ما أراهما الا كوفيتين وأهل الكوفة يسمونها الكنف فقال لهما يا حبيبتى أين الكنيف فقالت احداهما لصاحبتها بعيش سيدنا ما رأيت أكثر اقتراحا من هذا الرجل قالت ما يقول قالت يسأل أن تغنى له

تكنفنى الهوى طفلا * فشيبنى وما اكتهلا

فقال واويلاه واعظم مصيبتاه هذا والهاشمى يتقطع ضحكا فقال لهما يا زانيتان ان لم تعلمانى به انا أعلمكما ثم رفع ثيابه وسلح عليهما وعلى الفراش فانتبه الهاشمى وقد غشى عليه من شدة الضحك وقال ويلك ما هذا تسلح على وطائى فقال الرجل حياة نفسى أعز على من وطائك وقيل انه لما قيل له ويلك ما هذا قال المضحك هذه الابيات

تكنفنى الملاح واضجرونى * على ما بى بذمات الزوانى

فلما قل عن ذاك اصطبارى * قذفت به على وجه الغوانى

قال فانبسط الهاشمى ودفع اليه مالا ومضى الى سبيله * وقال على بن الجهم قلت لقينة

هل تعلمين وراء الحب منزلة * تدنى اليك فان الحب أقصانى

قالت تأتى من باب الذهب وأنشدت

اجعل شفيعك منقوشا تقدمه * فلم يزل مدنيا من ليس بالدانى

وكان اشعث يختلف الى قينة بالمدينة فجلس عندها يوما يطارحها الغناء فلما أراد الخروج قال لها ناولينى خاتمك اذكرك به قالت انه ذهب وأخاف أن تذهب ولكن خذ هذا العود فلعلك أن تعودونا ولته عودا من الارض وكان بعض القينات من الجمال والحسن بجانب ثم أصابتها علة فتغير حالها فكانت تنشد

ولى كبد مقروحة من يبيعنى * بها كبدا ليست بذات قروح

اباها على الناس لا يشترونها * ومن يشترى ذا علة بصحيح

وكان المعتصم يحب قينة من حظاياه فاتفق انه خرج الى مصر وتركها فذكرها فى بعض

الطريق فاشتاق اليها فغلبه الوجد فدعا مغنيا له وقال ويحك قد ذكرت جاريتي فلانة فأقلقني الشوق اليها فهل لك ان تغنيني شيأ في معنى ماذكرته لك فاطرق مليا ثم غناه شعرا

ودِدْتُ من الشوق المبرح أنني * أعار جناحي طائر فاطير
فما النعيم ليس فيه بشاشة * وما السرور ليس فيه سرور
وان امرأ في بلدة نصف قلبه * ونصف بأخرى غيرها لصبور

والحكايات في معنى ذلك كثيرة ولو أردت بسطها لاحتجت الى مجلدات ولكن ماقل ودل خير من كثير يمل وفيما ذكرته كفاية والله المسؤل ان يمدني منه باللطف والعناية ونسأله التوفيق والهداية وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

(الباب الحادي والسبعون في ذكر العشق ومن بلي به والافتخار بالعفاف وأخبار من مات بالعشق ومافي معنى ذلك وفيه فصول)

(الفصل الاوّل في وصف العشق) قال الجاحظ العشق اسم لما فضل عن المحبة كما ان السرف اسم لما جاوز الجود وقال اعرابي العشق خفي أن يرى وجلي ان يخفى فهو كامن ككمون النار في الحجر ان قدحته أورى وان تركته توارى وقيل اول العشق النظر واول الحريق الشرر وكان العشاق فيما مضى يشق الرجل برقع حبيبته والمرأة تشق رداء حبيبها ويقولون انهما اذا لم يفعلا ذلك عرض البغض بينهما وقال عبد بني الحسحاس

وكم قد شققنا من رداء محبر * ومن برقع عن طفلة غير عانس
اذا شق برد شق بالبرد برقع * من الحب حتى كلنا غير لابس

وقيل لاعرابي ما بلغ من حبك لفلانة قال اني لاذكرها وبيني وبينها عقبة الطائف فاجد من ذكرها رائحة المسك وقيل رأى شيب أخو بثينة جميلا عندها فوثب عليه وآذاه ثم ان شيبا أتى مكة وجميل فيها فقيل لجميل دونك شيبا فخذ بثارك منه فقال

وقالوا ياجميل أتى أخوها * فقلت أتى الحبيب أخو الحبيب

وأنشد الاخفش الحداد يقول

مطارق الشوق منها في الحشى أثر * يطرقن سندان قلب حشوه الفكر
ونار كور الهوى في الجسم موقدة * ومبرد الحب لايبقي ولا يذر

وفي الجليس الانيس لابي العالية الشامي قال سأل أمير المؤمنين المأمون يحيى بن اكثم عن العشق ماهو فقال هو سوانح تسنح للمرء فيهيم بها قلبه وتؤثرها نفسه وقال ثمامة العشق جليس ممتع وأليف مؤنس وصاحب ملك مسالكه ضيقة ومذاهبه غامضة وأحكامه جائرة ملك الابدان وأرواحها والقلوب وخواطرها والعيون ونواظرها والعقول وآراءها وأعطى عنان طاعتها وقوة تصرفها توارى عن الابصار مدخله وخفي في القلوب مسلكه وكان شيخ بخراسان له أدب وحسن معرفة بالامور قال لسليمان بن عمرو ومن معه أنتم أدباء وقد سمعتم الحكمة ولكم حداء ونغم فهل فيكم عاشق قالوا لا قال اعشقوا فانّ العشق يطلق اللسان ويفتح جبلة البليد والبخيل ويبعث على التلطف وتحسين اللباس

وتطييب المطعم ويدعو الى الحركة والذكاء وتشريف الهمة وقال المجنون

قالت جننت على ذكري فقلت لها * الحب أعظم مما بالمجانين
الحب ليس يفيق الدهر صاحبه * وانما يصرع المجنون فى الحين

قال ذو الرياستين ان بهرام جور كان له ابن وكان قد رشحه للامر من بعده فنشأ الفتى ناقص الهمة ساقط المروأة خامل النفس سيء الادب فغمه ذلك فوكل به من المؤدبين والمنجمين والحكماء من يلازمه ويعلمه وكان يسألهم عنه فيحكون له ما يغمه من سوء فهمه وقلة أدبه الى أن سأل بعض مؤدبيه يوما فقال له المؤدب قد كنا نخاف سوء أدبه فحدث من أمره ماصيرنا الى الرجاء فى فلاحه قال وماذاك الذى حدث قال رأى ابنة فلان المرزبان فعشقها فغلبت عليه فهو لا يهدأ الابها ولا يتشاغل الابها فقال بهرام الآن رجوت فلاحه ثم دعا بأبى الجارية فقال له انى مسر اليك سرا فلا يعدوك فضمن له ستره فاعلمه ان ابنه قد عشق ابنته وانه يريد أن ينكحها اياه وأمره أن يأمرها باطماعه فى نفسها ومراسلته من غير ان يراها وتقع عينه عليها فاذا استحكم طمعه فيها تجنته وتهجره فان استعتبها أعلمته أنها لا تصلح الا لملك ثم لتعلمنى خبرها وخبره ولا تطلعهما على ما أسره اليك فقبل أبوها ذلك منه وقال للمؤدب الموكل بأدبه حضه وشجعه على مراسلة المرأة ففعل ذلك وفعلت المرأة كما أمرها أبوها فلما انتهت الى التجنى عليه وعلم الفتى السبب الذى كرهته لاجله أخذ فى الادب وطلب الحكمة والعلم والفروسية والرماية وضرب الصولجان حتى مهر فى ذلك ثم رفع الى أبيه انه محتاج الى الدواب والآلات والمطاعم والملابس والندماء وما أشبه ذلك فسر الملك بذلك وأمر له بما طلب ثم دعا مؤدبه فقال له ان الموضع الذى وضع به ابنى نفسه من حب هذه المرأة لايزرى به فتقدم اليه ومره أن يرفع أمرها الى ويسألنى أن أزوجه اياها ففعل المؤدب ذلك فرفع الفتى ذلك لابيه فدعا بأبيها وزوجه اياها وأمر بتعجيلها اليه وقال له اذا اجتمعت أنت وهى فلا تحدث شيأ حتى أصير اليك فلما اجتمعا صار اليه فقال يابنى لا يضعن قدرها عندك مراسلتها اياك وليست فى خبائك فانى أمرتها بذلك وهى أعظم الناس منة عليك بما دعتك اليه من طلب الحكمة والتخلق بأخلاق الملوك حتى بلغت الحد الذى تصلح معه للملك من بعدى فزدها من التشريف والاكرام بقدر ما تستحق منك ففعل الفتى وعاش مسرورا بالجارية وعاش أبوه مسرورا به وأحسن ثواب أبيها ورفع منزلته لصيانة سره وأحسن جائزة المؤدب لامتثال ما أمره به * وكان عبد الله بن عبيدة الريحانى يهوى جارية فزارته يوما فأقام يحدثها ويشكو اليها ألم الفراق فحان وقت الظهر فناداه انسان الصلاة يا أبا الحسن فقال رويدك حتى تزول الشمس أى حتى تقوم الجارية وقالت ليلى العامرية فى قيسها

لم يكن المجنون فى حالة * الا وقد كنت كما كانا
لكنه باح بسر الهوى * واننى قد ذبت كتمانا

وقال أحمد بن عثمان الكاتب

وانى ليرضينى الممر ببابها * واقنع منها بالشتيمة والزجر

وقال الفتح بن خاقان صاحب المتوكل

أيها العاشق المعذب صبرا * فخطايا أخي الهوى مغفوره
زفرة في الهوى أحط لذنب * من غزاة وحجة مبروره

وقال عمر بن أبي ربيعة كنت بين امرأتين هذه تسارّرني وهذه تعضني فما شعرت بعضة هذه من لذة هذه وأنشد شيبان العذري يقول

لو حز بالسيف رأسي في محبتها * لطار يهوي سريعا نحوها راسي

وقال يحيى بن معاذ الرازي لو أمرني الله أن أقسم العذاب بين الخلق ما قسمت للعاشقين عذابا

(الفصل الثاني من هذا الباب فيمن عشق وعف والافتخار بالعفاف) روي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من عشق فعف فمات فهو شهيد وقال صلى الله عليه وسلم عفوا تعف نساؤكم وقال بعضهم رأيت امرأة مستقبلة البيت في غاية الضعف والنحافة رافعة يديها تدعو فقلت لها هل من حاجة فقالت حاجتي ان تنادي في الموقف بقولي

تزود كل الناس زادا يقيهم * ومالي زاد والسلام على نفسي

فناديت كما أمرتني واذا بفتى نحيل الجسم قد أقبل الي فقال أنا الزاد فمضيت به اليها فما زاد على النظر والبكاء ثم قالت له انصرف بسلام فقلت ما علمت ان لقاءكما يقتصر على هذا فقالت أمسك يا هذا أما علمت ان ركوب العار ودخول النار شديد قال ابراهيم بن محمد المهلبي

كم قد ظفرت بمن أهوى فيمنعني * منه الحياء وخوف الله والحذر
وكم خلوت بمن أهوى فيقنعني * منه الفكاهة والتأنيس والنظر
أهوى الملاح وأهوى أن أجالسهم * وليس لي في حرام منهم وطر
كذلك الحب لا اتيان معصية * لا خير في لذة من بعدها سقر

وقال بعض بني كلاب

ان اكن طامح اللحاظ فاني * والذي يملك الفؤاد عفيف

ونحو ذلك قول القائل

فقالت بحق الله الا أتيتنا * اذا كان لون الليل شبه الطيالس
فجئت ومافي القوم يقظان غيرها * وقد نام عنها كل واش وحارس
فبتنا بليل طيب نستلذه * جميعا ولم أقلب لها كف لامس

ونزل رجل على صديق له مستترا خائفا من عدوله فأنزله في منزله وتركه فيه وسافر لبعض حوائجه وقال لامرأته أوصيك بضيفي هذا خيرا فلما عاد بعد شهر قال لها كيف ضيفنا قالت ما أشغله بالعمى عن كل شئ وكان الضيف قد أطبق عينيه فلم ينظر الى امرأة صاحبه ولا الى منزله الى أن عاد من سفره وكان عمر بن أبي ربيعة عفيفا يصف ويعف ويحوم ولا يرد *ودخلت بثينة على عبد الملك بن مروان فقال لها يا بثينة ما أرى فيك شيأ مما كان يقوله جميل فقالت يا أمير المؤمنين انه كان يرنو الي بعينين ليستا في رأسك قال فكيف رأيتيه

فى عشقه قالت كان كما قال الشاعر

لا والذى تسجد الجباه له * مالى بما تحت ذيلها خبر
ولا بفيها ولا هممت بها * ما كان الا الحديث والنظر

وقد قدمت هذين البيتين فى الجزء الاول فيما جاء فى الكناية على سبيل الرمز * وعن أبى سهل الساعدى قال دخلت على جميل وبوجهه آثار الموت فقال لى يا أبا سهل ان رجلا يلقى الله ولم يسفك دما ولم يشرب خمرا ولم يأت فاحشة أفترجو له الجنة قلت اى والله فمن هو قال انى لأرجو أن أكون ذلك فذكرت له بثينة فقال انى لفى آخر يوم من الدنيا وأول يوم من الآخرة لانالتنى شفاعة محمد صلى الله عليه وسلم ان كنت حدثت نفسى بريبة قط وعن عبد الله بن عبد المطلب أبى النبى صلى الله عليه وسلم انه دعته بغى الى نفسها وبذلت له مالا وكانت تتكهن وتسمع باتيان رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانت جميلة فأرادت أن تخدع عبد الله رجاء أن يكون النبى صلى الله عليه وسلم منها للنور الذى رأته بين عينيه فابى وقال

أما الحرام فالحمام دونه * والحل لا نأبى ونستدينه
فكيف بالامر الذى تبغينه * يحمى الكريم عرضه ودينه

وقال آخر

وأحور مخضوب البنان مخضب * دعانى فلم أعرف الى مادعا وجها
بخلت بنفسى عن مقام يشينها * ولست مريدا ذاك طوعا ولا كرها

وراود شاب ليلى الاخيلية عن نفسها فاشمأزت وقالت

وذى حاجة قلنا له لا تبح بها * فليس اليها ما حييت سبيل
لنا صاحب لا ينبغى أن تخونه * وأنت لأخرى صاحب وخليل

وقال ابن ميادة

موانع لا يعطين حبة خردل * وهن دوان فى الحديث أوانس
ويكرهن أن يسمعن فى اللهو ريبة * كما كرهت صوت اللجام الشوامس

وقال آخر

حور حرائر ما هممن بريبة * كظباء مكة صيدهن حرام
يحسبن من لين الكلام فواسقا * ويصدهن عن الخنى الاسلام

وكان الاصمعى يستحسن بيتى العباس بن الاحنف

أتأذنون لصب فى زيارتكم * فعندكم شهوات السمع والبصر
لا يظهر الشوق ان طال الجلوس به * عف الضمير ولكن فاسق النظر

واختفى ابراهيم بن المهدى فى هربه من المأمون عند عمته زينب بنت أبى جعفر فوكلت بخدمته جارية لها اسمها ملك وكانت واحدة زمانها فى الحسن والادب طلبت منها بخمسمائة ألف درهم فهويها ابراهيم وكره أن يراودها عن نفسها فغنى يوما وهى قائمة على رأسه

يا غزالا لى اليه * شافع من مقلتيه
أنا ضيف وجزاء الضيف احسان اليه

ففهمت الجارية ما أراد فحكت ذلك لمولاتها فقالت اذهبي اليه فأعلميه انى قد وهبتك له
فعادت اليه فلما رآها أعاد البيتين فأكبت عليه فقال لها كفي فلست بخائن فقالت
قد وهبتني لك مولاتي وأنا الرسول فقال أما الآن فنعم وأنشد المبرد

ما ان دعاني الهوى لفاحشة * الا نهاني الحياء والكرم
فلا الى فاحش مددت يدى * ولا مشت بى لزلة قدم

وقال آخر

يقولون لا تنظر فذاك بلية * بلى كل ذى عينين لا بد ناظر
وهل باكتحال العين بالعين ريبة * اذا عف فيما بينهن السرائر

وكان بعض الخلفاء قد نذر على نفسه أن لا ينشد شعرا ومتى أنشد بيت شعر فعليه عتق رقبة
قال فبينما هو فى الطواف يوما اذ نظر الى شاب يتحدث مع شابة جميلة الوجه فقال له يا هذا
اتق الله أفى مثل هذا المكان فقال يا أمير المؤمنين والله ماذاك لخنى ولكنها ابنة عمى وأعز
الناس على وان أباها منعنى من تزوجها لفقرى وفاقتى وطلب منى مائة ناقة ومائة أوقية من
الذهب ولم أقدر على ذلك قال فطلب الخليفة أباها ودفع اليه ما اشترطه على ابن أخيه
ولم يقم من مقامه حتى عقد له عليها ثم دخل الخليفة الى بيته وهو يترنم ببيت من الشعر فقالت
له جارية من حظاياه أراك اليوم يا مولاى تنشد الشعر أفنسيت ما نذرت أم نراك قد
هويت فأنشد هذه الابيات يقول

تقول وليدتى لما رأتنى * طربت وكنت قد أسليت حينا
أراك اليوم قد أحدثت عهدا * وأورثك الهوى داء دفينا
بحقك هل سمعت لها حديثا * فشاقك أو رأيت لها جبينا
فقلت شكا الى أخ محب * كمثل زماننا اذ تعلمينا
وذو الشجو القديم وان تعزى * محب حين يلقى العاشقينا

ثم عد الابيات فاذا هى خمسة أبيات فأعتق خمس رقاب ثم قال لله درك من خمسة أعتقت
خمسة وجمعت بين رأسين فى الحلال وروى عن عثمان الضحاك قال خرجت أريد الحج
فنزلت بخيمة بالابواء فاذا بجارية جالسة على باب الخيمة فأعجبنى حسنها فتمثلت بقول
نصيب

بزينب ألمم قبل أن يرحل الركب * وقل لا تملينا فما ملك القلب

فقالت يا هذا تعرف قائل هذا البيت قلت بلى هو نصيب فقالت أتعرف زينبه قلت لا
قالت أنا زينبه قلت حياك الله وحياك قالت اما والله ان اليوم موعده وعدنى العام الاول
بالاجتماع فى هذا اليوم فلعلك ان لا تبرح حتى تراه قال فبينما هى تكلمنى اذا أنا براكب
قالت ترى ذلك الراكب قلت نعم قالت انى لاحسبه اياه فأقبل فاذا هو نصيب فنزل قريبا
من الخيمة ثم أقبل فسلم ثم جلس قريبا منها فسألته أن ينشدها فأنشدها فقلت فى نفسى
محبان قد طال التنائى بينهما فلا بد أن يكون لاحدهما الى صاحبه حاجة فقمت الى
بعيرى لاشد عليه فقال على رسلك انى معك فجلست حتى نهض معى فسرنا وتسامرنا فقال
لى أقلت فى نفسك محبان التقيا بعد طول تناء فلا بد أن يكون لاحدهما الى صاحبه حاجة

قالت نعم قد كان ذلك قال ورب هذا البيت منذ أحببتها ما جلست منها مجلسا هو أقرب من مجلسي هذا فتعجبت لذلك وقلت والله هذه هي العفة في المحبة وعن محمد بن يحيى المدني قال سمعت بعض المدنيين يقول كان الرجل اذا أحب الفتاة يطوف حول دارها حولا يفرح أن يرى من يراها فان ظفر منها بمجلس تشاكيا وتناشدا الاشعار واليوم هو يشير اليها وتشير اليه ويعدها وتعده فان التقيا لم يتشاكيا حبا ولم يتناشدا شعرا بل يقوم اليها ويجلس بين شعبتيها كأنه أشهد على نكاحها أبا هريرة وقال الاصمعي قلت لأعرابية ما تعدون العشق فيكم قالت الضمة والغمزة والقبلة ثم أنشأت تقول

ما الحب الا قبلة * وغمز كف وعضد ما الحب الا هكذا * ان نكح الحب فسد

ثم قالت كيف تعدون أنتم العشق قلت نغمز بقرنيها ونفرق بين رجليها قالت لست بعاشق أنت طالب ولد ثم أنشأت تقول

قد فسد العشق وهان الهوى * وصار من يعشق مستعجلا
يريد أن ينكح أحبابه * من قبل أن يشهد أو ينحلا

وقيل لرجل وقد زفت عشيقته على ابن عم لها أيسرك أن تظفر بها الليلة قال نعم والذي أمتعني بحبها وأشقاني بطلبها قيل فما كنت صانعا بها قال كنت أطيع الحب في لثمها وأعصي الشيطان في اثمها ولا أفسد عشق عشرين سنة بما يبقى ذميم عاره وينشر قبيح أخباره الى اذن للئيم لم يلد في كريم ومر سيدنا عمر رضي الله عنه ليلة في بعض سكك المدينة فسمع امرأة تقول

ألا طال هذا الليل وازور جانبه * وليس الى جنبي خليل ألاعبه
فوالله لولا الله تخشى عواقبه * لحرك من هذا السرير جوانبه
مخافة ربي والحياء يعفني * واكرام بعلي أن تنال مراتبه

قال فسأل عمر رضي الله عنه عنها فقيل له انها امرأة فلان وله في الغزاة ثمانية أشهر فأمر عمر رضي الله عنه أن لا يغيب الرجل عن امرأته أكثر من أربعة أشهر ومن ذلك ما ذكره ابن الجوزي في كتاب تلقيح فهوم الاثر عن محمد بن عثمان بن أبي خيثمة السلمي عن أبيه عن جده قال بينما عمر بن الخطاب رضي الله عنه يطوف ذات ليلة في سكك المدينة اذ سمع امرأة تقول

هل من سبيل الى خمر فأشربها * أم من سبيل الى نصر بن حجاج
الى فتى ماجد الاعراق مقتبل * سهل المحيا كريم غير ملجاج
تنميه اعراق صدق حين تنسبه * أخي وفاء عن المكروب فراج

فقال عمر رضي الله عنه لا أرى معي بالمدينة رجلا تهتف به العواتق في خدورهن علي بنصر ابن حجاج فلما أصبح أتي بنصر بن حجاج فاذا هو من أحسن الناس وجها وأحسنهم شعرا فقال عمر عزيمة من أمير المؤمنين لتأخذن من شعرك فأخذ من شعره فخرج من عنده وله وجنتان كأنهما شقتا قمر فقال له اعتم فاعتم فافتتن الناس بعينيه فقال له عمر والله لا تساكنني في بلدة أنا فيها فقال يا أمير المؤمنين ما ذنبي قال هو ما أقول لك ثم سيره الى البصرة وخشيت المرأة التي سمع منها عمر ما سمع أن يبدر من عمر اليها شئ فدست اليه المرأة

ابياتا وهي قل للامام الذي تخشى بوادره * مالى وللخمر أو نصر بن حجاج
لا تجعل الظن حقا أن تبينه * ان السبيل سبيل الخائف الراجي
ان الهوى زم بالتقوى فتحبسه * حتى يقر بالجام واسراج

قال فبكى عمر رضي الله عنه وقال الحمد لله الذي زم الهوى بالتقوى قال وطال مكث نصر بن حجاج بالبصرة فخرجت أمه يوما بين الاذان والاقامة متعرضة لعمر فاذا هو قد خرج في ازار ورداء وبيده الدرة فقالت له يا أمير المؤمنين والله لاقفن أنا وأنت بين يدي الله تعالى وليحاسبنك الله أيبيتن عبد الله وعاصم الى جنبك وبيني وبين ابني الفيافي والاودية فقال لها أن ابني لم تهتف بهما العواتق في خدورهن ثم أرسل عمر الى البصرة بريدا الى عتبة ابن غزوان فأقام أياما ثم نادى عتبة من أراد أن يكتب الى أمير المؤمنين فليكتب فان البريد خارج فكتب نصر بن حجاج بسم الله الرحمن الرحيم سلام عليك يا أمير المؤمنين أما بعد فاسمع مني هذه الابيات

لعمرى لئن سيرتني أو حرمتني * وما نلت من عرضي عليك حرام
فأصبحت منفيا على غير ريبة * وقد كان لي بالمكتين مقام
لئن غنت الذلفاء يوما بمنية * وبعض أماني النساء غرام
ظننت بي الظن الذي ليس بعده * بقاء ومالي جرمة فألام
فيمنعني مما تقول تكرمي * وآباء صدق سالفون كرام
ويمنعها مما تقول صلاتها * وحال لها في قومها وصيام
فهاتان حالانا فهل أنت راجعي * فقد جب مني كاهل وسنام

قال فلما قرأ عمر رضي الله عنه هذه الابيات قال أما ولي السلطان فلا وأقطعه دارا بالبصرة في سوقها فلما مات عمر ركب راحلته وتوجه نحو المدينة والله تعالى أعلم

*(الفصل الثالث من هذا الباب في ذكر من مات بالحب والعشق) حدث أبو القاسم بن اسمعيل بن عبد الله المأمون قال حدثني أبي قال كانت بالمدينة قينة من أحسن الناس وجها وأكملهم عقلا وأكثرهم أدبا قد قرأت القرآن وروت الاشعار وتعلمت العربية فوقعت عند يزيد بن عبد الملك فأخذت بمجامع قلبه فقال لها ذات يوم ويحك أمالك قرابة او أحد تحبين ان أضيفه وأسدي اليه معروفا قالت يا أمير المؤمنين اما قرابة فلا ولكن بالمدينة ثلاثة نفر كانوا أصدقاء لمولاي وأحب ان ينالهم خير مما صرت اليه فكتب الى عامله بالمدينة في احضارهم اليه وان يدفع الى كل واحد منهم عشرة آلاف درهم فلما وصلوا الى باب يزيد استؤذن لهم في الدخول عليه فأذن لهم وأكرمهم غاية الاكرام وسألهم عن حوائجهم فاما اثنان منهم فذكرا حوائجهما فقضاها واما الثالث فسأله عن حاجته فقال يا أمير المؤمنين مالي حاجة قال ويحك أولست أقدر على حوائجك قال بلى يا أمير المؤمنين ولكن حاجتي ما أظنك تقضيها فقال ويحك فاسألني فانك لا تسألني حاجة أقدر عليها الا قضيتها قال فلي الامان يا أمير المؤمنين قال نعم قال ان رأيت يا أمير المؤمنين ان تأمر جاريتك فلانة التي أكرمتنا بسببها ان تغني ثلاثة أصوات أشرب عليها ثلاثة ارطال

فافعل قال فتغير وجه يزيد ثم قام من مجلسه فدخل على الجارية فاعلمها فقالت وما عليك يا أمير المؤمنين فأمر بالفتى فاحضر وأمر بثلاثة كراسي من ذهب فنصبت فقعد يزيد على أحدها والجارية على الآخر والفتى على الثالث ثم دعا بصنوف الرياحين والطيب فوضعت ثم أمر بثلاثة ارطال فملئت ثم قال للفتى سل حاجتك فقال تأمرها يا أمير المؤمنين ان تغنى بهذا الشعر

لا أستطيع سلوّا عن مودّتها * أو يصنع الحب بي فوق الذى صنعا

ادعوا الى هجرها قلبي فيسعدني * حتى اذا قلت هذا صادق نزعا

فامرها فغنت وشرب يزيد وشرب الفتى وشربت الجارية ثم أمر بالارطال فملئت وقال للفتى سل حاجتك فقال مرها يا أمير المؤمنين ان تغنى بهذا الشعر

تخيرت من نعمان عود اراكة * لهند ولكن من يبلغه هندا

الا عرجا بي بارك الله فيكما * وان لم تكن هند لارضكما قصدا

فامرها فغنت وشرب يزيد وشرب الفتى وشربت الجارية ثم أمر بالارطال فملئت ثم قال للفتى سل حاجتك قال تأمرها يا أمير المؤمنين ان تغنى بهذا الشعر

مني الوصال ومنكم الهجر * حتى يفرق بيننا الدهر

والله لا اسلوكمو أبدا * مالاح بدر أو بدا فجر

فأمرها فغنت قال فلم تتم الابيات حتى خر الفتى مغشيا عليه فقال يزيد للجارية قومى انظرى ما حاله فقامت اليه فحركته فاذا هو ميت فقال لها يزيد ابكيه فقالت لا ابكيه يا أمير المؤمنين وأنت حى فقال لها ابكيه فوالله لو عاش ما انصرف الا بك فبكت الجارية وبكى أمير المؤمنين وأمر بالفتى فجهز ودفن واما الجارية فلم تمكث بعده الا أياما قلائل وماتت (وحكى) عن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب رضى الله تعالى عنه انه قدم على عبد الملك بن مروان فجلس ذات ليلة يسامره فتذاكرا الغناء والجوارى المغنيات والعشق فقال عبد الملك لعبد الله حدثنى بأعجب ما مر لك في هذه الاغانى وما رأيت من الجوارى قال نعم يا أمير المؤمنين اشتريت جارية مولدة بعشرة آلاف درهم وكانت حاذقة مطبوعة فوصفت ليزيد بن معاوية فكتب الى في شأنها فكتبت اليه والله لا تخرج مني ببيع ولا هبة فامسك عنى فكانت عندى على تلك الحالة لا ازداد فيها الا حبا فبينما أنا ذات ليلة اذ أتتنى عجوز من عجائزنا فذكرت لى ان بعض اعراب المدينة يحبها وتحبه ويراها وتراه وانه يجئ كل ليلة متنكرا فيقف بالباب فيسمع غناءها ويبكى شغفا وحبا فراعيت ذلك الوقت الذى قالت عليه العجوز فاذا به قد أقبل مقنعا رأسه وقعد مستخفيا فلم ادع بها في تلك الليلة وجعلت أتأمل موضعها وموضعه فاذا بها تكلمه ويكلمها ولم أر بينهما الا عتبا ولم يزالا كذلك حتى ابيض الصبح فدعوت بها وقلت لقيمة الجوارى اصلحى فلانة بما يمكنك فأصلحتها وزينتها فلما جاءت بها قبضت على يديها وفتحت الباب وخرجت فجئت الى الفتى فحركته فانتبه مذعورا فقلت لا بأس عليك ولا خوف هى هبة منى اليك فدهش الفتى ولم يجبنى فدنوت الى اذنه وقلت قد أظفرك الله تعالى ببغيتك فقم وانصرف بها الى منزلك فلم يرد جوابا فحركته فاذا هو

ميت

مت فلم أرشد أقط كان أعجب من أمره قال عبد الملك لقد حدثتني بعجب فما صنعت الجارية قلت ماتت والله بعده بايام بعد نحول عظيم وتعليل وماتت كمدا ووجدا على الغلام وقيل ان عبدالله بن عجلان النهدي رأى أثر كف عشيقته في ثوب زوجها فمات وذكر محمد بن واسع الهيثي ان عبد الملك بن مروان بعث كتابا الى الحجاج بن يوسف الثقفي يقول فيه بسم الله الرحمن الرحيم من عند عبد الملك بن مروان الى الحجاج بن يوسف أما بعد اذا ورد عليك كتابي هذا وقرأته فسير لي ثلاث جوار مولدات ابكارا يكون الهن المنتهى في الجمال واكتب لي بصفة كل جارية منهن ومبلغ ثمنها من المال فلما ورد الكتاب على الحجاج دعا بالنخاسين وأمرهم بما أمره به أمير المؤمنين وأمرهم ان يسيروا الى أقصى البلاد حتى يقعوا بالغرض وأعطاهم المال وكتب لهم كتبا الى كل الجهات فساروا يطلبون ما أراد امير المؤمنين فلم يزالوا من بلد الى بلد ومن اقليم الى اقليم حتى وقعوا بالغرض ورجعوا الى الحجاج بثلاث جوار مولدات ليس لهن مثيل قال وكان الحجاج فصيحا فجعل ينظر الى كل واحدة منهن ومبلغ ثمنها فوجدهن لا يقام لهن بقيمة وأن ثمنهن ثمن واحدة منهن ثم كتب كتابا الى عبد الملك بن مروان يقول فيه بعد الثناء الجميل وصلني كتاب أمير المؤمنين أمتعني الله تعالى ببقائه يذكر فيه اني أشتري له ثلاث جوار مولدات ابكارا وان اكتب له صفة كل واحدة منهن وثمنها فأما الجارية الاولى أطال الله تعالى بقاء امير المؤمنين فانها جارية عطاء السوالف عظيمة الروادف كحلاء العينين حمراء الوجنتين قد انهدت نهداها والتفت فخذاها كانها ذهب شيب بفضة وهي كما قيل

بيضاء فيها اذا استقبلتها دعج * كانها فضة قد شابها ذهب

وثمنها يا أمير المؤمنين ثلاثون ألف درهم وأما الثانية فانها جارية فائقة في الجمال معتدلة القد والكمال تشفي السقيم بكلامها الرخيم وثمنها يا أمير المؤمنين ستون ألف درهم وأما الثالثة فانها جارية فاترة الطرف لطيفة الكف عميمة الردف شاكرة للقليل مساعدة للخليل بديعة الجمال كانها خشف الغزال وثمنها يا أمير المؤمنين ثمانون ألف درهم ثم اطنب في الشكر والثناء على أمير المؤمنين وطوى الكتاب وختمه ودعا النخاسين فقال لهم تجهزوا للسفر بهؤلاء الجواري الى أمير المؤمنين فقال أحد النخاسين أيد الله الامير اني رجل كبير ضعيف عن السفر ولي ولد ينوب عني افتأذن لي في ذلك قال نعم فتجهزوا وخرجوا ففي بعض مسيرهم نزلوا يوما ليستريحوا في بعض الاماكن فنامت الجواري فهبت الريح فانكشف بطن احداهن وهي الكوفية فبان نور ساطع وكان اسمها مكتوم فنظر اليها ابن النخاس وكان شابا جميلا ففتن بها الساعة فأتاها على غفلة من أصحابه وجعل يقول

مكتوم عيني لا تمل من البكا * وقلبي باسهام الاسى يترشق
أمكتوم كم من عاشق قتل الهوى * وقلبي رهين كيف لا أتعشق

فاجابته تقول

لو كان حقا ما تقول لزرتنا * ليلا اذا هجعت عيون الحسد

قال فلما جن الليل انتضى الفتى ابن النخاس سيفه وأتى نحو الجارية فوجدها قائمة تنتظر

قدومه فاخذها وأراد ان يهرب ففطن به أصحابه فاخذوه وكتفوه وأوثقوه بالحديد ولم يزل مأسورا معهم الى أن قدموا على عبد الملك بن مروان فلما مثلوا بالجوارى بين يديه أخذ الكتاب ففتحه وقرأه فوجد الصفة وافقت اثنتين من الجوارى ولم توافق الثالثة ورأى في وجهها صفرة وهي الجارية الكوفية فقال للنخاسين ما بال هذه الجارية لم توافق حليتها التي ذكرها الحجاج في كتابه وما هذا الاصفرار الذي بها والانتحال فقالوا يا أمير المؤمنين نقول ولنا الامان قال ان صدقتم أمنتم وان كذبتم هلكتم فخرج أحد النخاسين وأتى بالفتى وهو مصفد بالحديد فلما قدموه بين يدى أمير المؤمنين بكى بكاء شديدا وأيقن بالعذاب ثم انشأ يقول

أمير المؤمنين أتيت رغما * وقد شدت الى عنقي يديا

مقرا بالقبيح وسوء فعلي * ولست بما رميت به بريا

فان تقتل ففوق القتل ذنبي * وان تعفو فمن جود عليا

فقال عبد الملك يافتى ما حملك على ما صنعت أستخفافا بنا أم هوى الجارية قال وحق رأسك يا أمير المؤمنين وعظم قدرك ما هو الا هوى الجارية فقال هي لك بما أعددته لها فاخذها الغلام بكل ما أعده لها أمير المؤمنين من الحلى والحلل وسار بها فرحا مسرورا الى نحو أهله حتى اذا كان ببعض الطريق نزلا بمرحلة ليلا فاقتعا نقاونا ما فلما أصبح الصباح وأراد الناس السير نبهوهما فوجدوهما ميتين فبكوا عليهما ودفنوهما بالطريق ووصل خبرهما الى عبد الملك فبكى عليهما وتعجب من ذلك ومن ذلك ما روى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه اخرج خالد بن الوليد المخزومي رضى الله عنه الى مشركي خزاعة قال خالد فاخرجني اليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم في عشرة آلاف فارس من أهل النجدة والبأس قال فجد بنا المسير اليهم فسبق اليهم الخبر فخرجوا الينا فقاتلناهم قتالا شديدا حتى تعالى النهار وطار الشرار وهاجت الفرسان وتلاحمت الاقران فلولا ان الله تعالى أيدنا بنصره لكادت الدائرة ان تكون علينا ولكن تداركنا الله برحمة منه فهزمناهم وقتلناهم قتلا ذريعا ولم ندع لهم فارسا الا قتلناه ثم طلبنا البيوت فنهبنا وسبينا فلما هدأ القتال والنهب أمرت أصحابي بجمع السبايا لنقدم بهن على رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما جمعنا وأحصيناهم خرج منهم غلام لم يراهق الحلم ولم يجر عليه القلم وهو ماسك بشابة جميلة فقلنا له ياغلام اعتزل عن النساء فصاح صيحة مزعجة وهجم علينا فوالله لقد قتل منا في بقية نهارنا مائة رجل قال خالد فرأيت أصحابي قد كرهوا قتاله وتأخروا عنه فلك منهم جوادا وعلا على ظهره ونادى البراز يا خالد قال فبرزت اليه بنفسي بعد ان انشدت شعرا فوالله لم يمهلني حتى أتم شعرى بل حمل على فتطاعنا حتى تكسرت القنا وتضاربنا بالسيوف حتى تفللت فوالله لقد اقتحمت الاهوال ومارست الابطال فما رأيت أشد من حملاته ولا أسرع من هجماته فبينما نحن نعترك اذ كبا به فرسه فصار بين قوائمه فوثبت عليه وعلوت على صدره وقلت له افد نفسك بقول أشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله وانا أردك من حيث جئت قال يا خالد ما انصفتني اتركني حتى أجد من نفسى القوة قال خالد فتركته وقلت لعله ان يسلم ثم شددته وثاقا وصفدته بالحديد وانا ابكى اشفاقا على حسن شبابه ثم أوثقته على بعير لى فلما

علم أن لا خلاص له قال يا خالد سألتك بحق الملك الا ما شددت ابنة عمي على ناقة أخرى الى جانبي قال خالد فأخذتها وشددتها على ناقة أخرى الى جانبه ووكلت بهما جماعة من أشد القوم بالقواضب والرماح وسرنا فلما استقامت مطاياهما جعل الغلام والجارية يتناشدان الاشعار ويبكيان الى آخر الليل فسمعته يذكر قصيدة يسب فيها الاسلام ويذكر أن لا يسلم أبدا فأخذت السيف وضربته فرميت رأسه فصاحت الجارية وأكبت صارخة فحركتها فوجدتها ميتة فابركنا الاباعر وحفرنا ودفناهما فلما قدمنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم أقبلنا نحدثه بعجب ما رأينا من الغلام فقال لا تحدثوني شيأ أنا أحدثكم به فقلنا من أعلمك به يا رسول الله قال أخبرني جبريل عليه السلام وتعجب رسول الله صلى الله عليه وسلم من موافقتهما وموافقة أجلهما ومن ذلك ما حكاه الثوري قال حدثني جبلة بن الاسود وما رأيت شيخا أصبح ولا أوضح منه قال خرجت في طلب ابل لي ضلت فما زلت في طلبها الى ان أظلم الظلام وخفيت الطريق فصرت أطوف واطلب الجادة فلا أجدها فبينما انا كذلك اذ سمعت صوتا حسنا بعيدا وبكاء شديدا فشجاني حتى كدت اسقط عن فرسي فقلت لاطلبن الصوت ولو تلفت نفسي فما زلت أقرب اليه الى ان هبطت واديا فاذا راع قد ضم غنمه الى شجرة وهو ينشد ويترنم

وكنت اذا ما جئت سعدى أزورها * أرى الارض تطوى لي ويدنو بعيدها

من الخفرات البيض ود جليسها * اذا ما انقضت أحدوثة لو تعيدها

قال فدنوت منه وسلمت عليه فرد على السلام وقال من الرجل فقلت منقطع به المسالك أتاك يستجير بك ويستعينك قال مرحبا وأهلا انزل على الرحب والسعة فعندي وطاء وطيء وطعام غير بطيء فنزلت فنزع شملته وبسطها تحتي ثم أتاني بتمر وزبد ولبن وخبز ثم قال اعذرني في هذا الوقت فقلت والله ان هذا الخير كثير فمال الى فرسي فربطه وسقاه وعلفه فلما أكلت توضأت وصليت واتكأت فاني لبين النائم واليقظان اذ سمعت حس شيء واذا بجارية قد أقبلت من كبد الوادي فضحت الشمس حسنا فوثب قائما اليها وما زال يقبل الارض حتى وصل اليها وجعلا يتحادثان فقلت هذا رجل عربي ولعلها حرمة له فتنا ومت وما بي نوم فما زالا في أحسن حديث ولذة مع شكوى وزفرات الا انهما لا يهم أحدهما لصاحبه بقبيح فلما طلع الفجر عانقها وتنفسا الصعداء وبكى وبكت ثم قال لها يا ابنة العم سألتك بالله لا تبطئي عني كما ابطأت الليلة قالت يا ابن العم أما علمت اني أنتظر الواشين والرقباء حتى يناموا ثم ودعته وسارت وكل واحد منهما يلتفت نحو الآخر ويبكي فبكيت رحمة لهما وقلت في نفسي والله لا أنصرف حتى استضيفه الليلة وأنظر ما يكون من أمرهما فلما أصبحنا قلت له جعلني الله فداءك الاعمال بخواتيمها وقد نالني أمس تعب شديد فأحب الراحة عندك اليوم فقال على الرحب والسعة لو اقمت عندي بقية عمرك ما وجدتني الا كما تحب ثم عمد الى شاة فذبحها وقام الى نار فأججها وشواها وقدمها الي فأكلت وأكل معي الا انه أكل أكل من لا يريد الاكل فلم أزل معه نهاري ذلك ولم أر أشفق منه على غنمه ولا ألين جانبا ولا أحلى كلاما الا انه كالولهان ولم أعلمه بشيء مما رأيت فلما أقبل الليل وطأت وطائي فصليت

واعلمته انى أريد الهجوع لما مربى من التعب بالامس فقال لى ثم هنيأ فاظهرت النوم ولم أنم فاقام ينتظرها الى هنيهة من الليل فابطأت عليه فلما حان وقت مجيئها قلق قلقا شديدا وزاد عليه الامر فبكى ثم جاء نحوى فحركنى فاوهمته انى كنت نائما فقال يا أخى هل رأيت الجارية التى كانت تتعهدنى وجاءتنى البارحة قلت قد رأيتها قال فتلك ابنة عمى وأعز الناس على وانى لها محب ولها عاشق وهى أيضا محبة لى أكثر من محبتى لها وقد منعنى أبوها من تزوجها الى لفقرى وفاقتى وتكبر على فصرت راعيا بسببها فكانت تزورنى فى كل ليلة وقد حان وقتها التى تأتى فيه واشتغل قلبى عليها وحدثتنى نفسى ان الاسد قد افترسها ثم انشأ يقول

مابال مية لاتأتى كعادتها * أعاقها طرب أم صدها شغل
نفسى فداؤك قد أحللت بى سقما * تكاد من حره الاعضاء تنفصل

قال ثم انطلق فغاب عنى ساعة وأتى بشئ فطرحه بين يدى فاذا هى الجارية قد قتلها الاسد وأكل اعضاءها وشوه خلقتها ثم أخذ السيف وانطلق فابطأ هنيهة وأتى ومعه رأس الاسد فطرحه ثم انشأ يقول

ألا أيها الليث المدل بنفسه * هلكت لقد جريت حقا لك الشرا
وخلفتنى فردا وقد كنت آنسا * وقد عادت الايام من بعدها غبرا

ثم قال بالله يا أخى الا ما قبلت ما أقول لك فانى أعلم ان المنية قد حضرت لا محالة فاذا انا مت فخذ عباءتى هذه فكفنى فيها وضم هذا الجسد الذى بقى منها معى وادفنا فى قبر واحد وخذ شويهاتى هذه وجعل يشير اليها فسوف تأتيك امرأة عجوز هى والدتى فاعطها عصاى هذه وثيابى وشويهاتى وقل لها مات ولدك كمدا بالحب فانها تموت عند ذلك فادفنها الى جانب قبرنا وعلى الدنيا منى السلام قال فوالله ما كان الا قليل حتى صاح صيحة ووضع يده على صدره ومات لساعته فقلت والله لاصنعن له ما أوصانى به فغسلته وكفنته فى عباءته وصليت عليه ودفنته ودفنت باقى جسدها الى جانبه وبت تلك الليلة باكيا حزينا فلما كان الصباح أقبلت امرأة عجوز وهى كالولهانة فقالت لى هل رأيت شابا يرعى غنما فقلت لها نعم وجعلت أتلطف بها ثم حدثتها بحديثه وما كان من خبره فاخذت تصيح وتبكى وأنا الاطفها الى أن أقبل الليل ومازالت تبكى بحرقة الى ان مضى من الليل برهة فقصدت نحوها فاذا هى مكبة على وجهها وليس لها نفس يصعد ولا جارحة تتحرك فحركتها فاذا هى ميتة فغسلتها وصليت عليها ودفنتها الى جانب قبر ولدها وبت الليلة الرابعة فلما كان الفجر قمت فشددت فرسى وجمعت الغنم وسقتها فاذا انا بصوت هاتف يقول

كنا على ظهرها والدهر يجمعنا * والشمل مجتمع والدار والوطن
ففرق الدهر بالتفريق ألفتنا * وصار يجمعنا فى بطنها الكفن

قال فاخذت الغنم ومضيت الى الحى لبنى عمهم فاعطيتهم الغنم وذكرت لهم القصة فبكى عليهم أهل الحى بكاء شديدا ثم مضيت الى أهلى وأنا متعجب مما رأيت فى طريقى ومن ذلك ما حكى ان زوج عزة أراد أن يحج بها فسمع كثير الخبر فقال والله لاحجن لعلى أفوز من عزة بنظرة قال فبينما الناس فى الطواف اذ نظر كثير اعزة وقد مضت الى جمله فخبته ومسحت

بين عينيه وقالت له حييت يا جمل فبادر ليلحقها ففاتته فوقف على الجمل وقال

حييتك عزة بعد الحج وانصرفت * فحى ويحك من حياك يا جمل
لو كنت حييتها ما كنت ذا سرف * عندي ولا مسك الادلاج والعمل

قال فسمعه الفرزدق فتبسم وقال له من تكون يرحمك الله قال انا كثير عزة فمن أنت يرحمك الله قال انا الفرزدق بن غالب التميمي قال انت القائل

رحلت جمالهم بكل أسيلة * تركت فؤادي هائما مخبولا
لو كنت أملكهم اذا لم يرحلوا * حتى أودع قلبي المتبولا
ساروا بقلبي في الحدوج وغادروا * جسمي يعالج زفرة وعويلا

فقال الفرزدق نعم فقال كثير والله لولا اني بالبيت الحرام لاصيحن صيحة افزع هشام بن عبد الملك وهو على سرير ملكه فقال الفرزدق والله لاعرفن بذلك هشاما ثم تواد عا وافترقا فلما وصل الفرزدق الى دمشق دخل الى هشام بن عبد الملك فعرفه بما اتفق له مع كثير فقال له اكتب اليه بالحضور عندنا لنطلق عزة من زوجها ونزوجه اياها فكتب اليه بذلك فخرج كثير يريد دمشق فلما خرج من حيه وسار قليلا رأى غرابا على بانة وهو يفلي نفسه وريشه يتساقط فاصفر لونه وارتاع من ذلك وجد في السير ثم انه مال ليسقي راحلته من حي بني فهد وهم زجرة الطير فبصر به شيخ من الحي فقال يا ابن أخي ارأيت في طريقك شيأ افزاعك قال نعم يا عم رأيت غرابا على بانة يتفلى وينتف ريشه فقال له الشيخ اما الغراب فانه اغتراب والبانة بين والتفلي فرقة فازداد كثير حزنا على حزنه لما سمع من الشيخ هذا الكلام وجد في السير الى أن وصل الى دمشق ودخل من أحد أبوابها فرأى الناس يصلون على جنازة فنزل وصلى معهم فلما قضيت الصلاة صاح صائح لا اله الا الله ما أغفلك يا كثير عن هذا اليوم فقال ما هذا اليوم يا سيدي فقال ان هذه عزة قد ماتت وهذه جنازتها فخر مغشيا عليه فلما أفاق انشأ يقول

فما أعرف الفهدي لادر دره * وازجره للطير لا عز ناصره
رأيت غرابا قد علا فوق بانة * ينتف اعلى ريشه ويطايره
فقال غراب اغتراب من النوى * وبانة بين من حبيب تعاشره

ثم شهق شهقة فارقت روحه الدنيا ومات من ساعته ودفن مع عزة في يوم واحد (وحكى) الاصمعي قال بينما انا أسير في البادية اذ مررت بحجر مكتوب عليه هذا البيت

ايا معشر العشاق بالله خبروا * اذا حل عشق بالفتى كيف يصنع

فكتبت تحته

يداري هواه ثم يكتم سره * ويخشع في كل الامور ويخضع

ثم عدت في اليوم الثاني فوجدت مكتوبا تحته

فكيف يداري والهوى قاتل الفتى * وفي كل يوم قلبه يتقطع

فكتبت تحته

اذا لم يجد صبرا لكتمان سره * فليس له شئ سوى الموت أنفع

ثم عدت فى اليوم الثالث فوجدت شابا ملقى تحت ذلك الحجر ميتا فقلت لا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم وقد كتب قبل موته

سمعنا اطعنا ثم متنا فبلغوا * سلامى على من كان للوصل يمنع

وحكى أيضا عن الاصمعى رحمه الله تعالى انه قال بينما انا نائم فى بعض مقابر البصرة اذ رأيت جارية على قبر تندب وتقول

بروحى فتى أوفى البرية كلها * وأقواهم فى الحب صبرا على الحب

قال فقلت لها يا جارية بم كان أوفى البرية وبم كان أقواها فقالت يا هذا انه ابن عمى هوينى فهويته فكان ان باح عنفوه وان كتم لاموه فانشد بيتى شعر ومازال يكررهما الى أن مات والله لاندبنه حتى أصير مثله فى قبر الى جانبه فقلت لها يا جارية فما البيتان قالت

يقولون لى ان بحت قد غرك الهوى * وان لم أبح بالحب قالوا تصبرا

فما لامرئ يهوى ويكتم أمره * من الحب الا أن يموت فيعذرا

ثم انها شهقت شهقة فارقت روحها الدنيا رحمة الله تعالى عليها والحكايات فى ذلك كثيرة وفى الكتب مشهورة ولولا الاطالة والخوف من الملالة لجمعنا فى هذا المعنى أشياء كثيرة ولكن اقتصرنا على هذه النبذة اليسيرة والله سبحانه وتعالى اعلم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

(الباب الثانى والسبعون فى ذكر رقائق الشعر والمواليا والدوبيت وكان وكان والموشحات والزجل والحماق والقوما والالغاز ومدح الاسماء والصفات وما أشبه ذلك وفيه فصول)

(الفصل الاول فى الشعر) قد قسم الناس الشعر خمسة أقسام مرقص كقول أبى جعفر طلحة وزير سلطان الاندلس

والشمس لا تشرب خمر الندى * فى الروض الا من كؤس الشقيق

ومطرب كقول زهير

تراه اذا ما جئته متهللا * كأنك تعطيه الذى أنت سائله

ومقبول كقول طرفة بن العبد

ستبدى لك الايام ما كنت جاهلا * ويأتيك بالاخبار من لم تزوّد

ومسموع مما يقام به الوزن دون أن يمجه الطبع كقول ابن المعتز

سقى المطيرة ذات الظل والشجر * ودير عبدون هطال من المطر

ومتروك وهو ما كان كلا على السمع والطبع كقول الشاعر

تقلقلت بالهم الذى قلقل الحشى * قلاقل هم كلهن قلاقل

وقد قسم الناس فنون الشعر الى عشرة أبواب حسبما بوب أبو تمام فى الحماسة وقال عبد العزيز بن أبى الاصبع الذى وقع لى ان فنون الشعر ثمانية عشر فنا وهى غزل ووصف وفخر ومدح وهجاء وعتاب واعتذار وأدب وزهد وخمريات ومراث وبشارة وتهانى ووعيد وتحذير وتحريض وملح وباب مفرد للسؤال والجواب ولنذكر ان

شاء الله تعالى من ذلك ما تيسر على سبيل الاختصار ولنبدأ من ذلك بذكر الغزل المذكر

ابن نباتة

أأغصان بان ما أرى أم شمائل * وأقمار تم ما تضم الغلائل
و بيض رقاق ام جفون فواتر * وسمر دقاق أم قدود قواتل
وتلك نبال أم لحاظ رواشق * لها هدف منى الحشى والمقاتل
بروحى أفدى شادنا قد الفته * غدوت وبى شغل من الوجد شاغل
أميرجمال والملاح جنوده * يجور علينا قده وهو عادل
له حاجب عن مقلتى حجب الكرى * وناظره الفتان فى القلب عامل
رفعت اليه قصة الدمع شاكيا * فوقع يجرى فهو فى الخد سائل
شكوت فما الوى وقلت فاصغى * وجد بقلبى حبه وهو هازل
طويل التوانى دله متواتر * مديد التجنى وافر الحسن كامل
اطارحه بالنحو يوما تعللا * فيبدو وللاعراب فيه دلائل
ويرفع وصلى وهو مفعول فى الهوى * وينصب هجرى عامدا وهو فاعل
تفقهت فى عشقى له مثل ما غدا * خبيرا باحكام الخلاف يجادل
فيا مالكى ماضر لو كنت شافعى * بوصلك فافعل بى كما أنت فاعل
فانى حنيفى فى الهوى متحنبل * بعشقك لا اصغى وان قال قائل

كمال الدين بن النبيه

الله أكبر كل الحسن فى العرب * كم تحت لمة ذا التركى من عجب
صبح الجبين بليل الشعر منعقد * والخد يجمع بين الماء واللهب
تنفست عن عبير الراح ريقته * وافتر مبسمه الشهدى عن حبب
لا فى العذيب ولا فى بارق غزلى * بل فى جنى فمه أو ريقه الشنب
كأنه حين يرمى عن حنيته * بدر رمى عن هلال الافق بالشهب
يا جاذب القوس تقريبا لوجنته * والهائم الصب منها غير مقترب
أليس من نكد الايام يحرمها * فمى ويلثمها سهم من الخشب
من لى باغيد قاسى القلب مبتسم * لا عن رضا معرض عنى بلا غضب
فكم له فى وجود الذنب من سبب * وليس لى فى قيام العذر من سبب
تميل اعطافه تيها بطرته * كما تميل رماح الخط بالعذب
اشار نحوى وجنح الليل معتكر * بمعصم بشعاع الكاس مختضب
بكر جلاها أبوها قبل ما جليت * فى حجرة الدن او فى قشرة العنب

البهاء زهير

يعاهدنى لا خانني ثم ينكث * واحلف لا كلمته ثم احنث
وذلك دأبى لا يزال ودأبه * فيا معشر العشاق عنا تحدثوا
أقول له صلنى يقول نعم غدا * ويكسر جفنا هازئا بى ويعبث

وماضر بعض الناس لوكان زارني * وكاخلونا ساعة نتحدث
امولاي اني في هواك معذب * وحتام ابقى في الغرام وامكث
فخذ مرة روحي ترحني ولا أرى * أموت مرارافي النهار وابعث
فاني لهذا الضيم منك لحامل * ومنتظر لطفا من الله يحدث
اعيذك من هذا الجفاء الذي بدا * خلائقك الحسنى ارق وادمث
ترددظن الناس فيّ فاكثروا * أحاديث فيها ما يطيب ويخبث
وقد كرمت في الحب مني شمائل * ويسأل عني من اراد ويبحث

النابلسي

ماكنت أعلم والضمائر تصدق * أن المسامع كالنواظر تعشق
حتى سمعت بذكركم فهويتكم * وكذاك اسباب المحبة تعلق
ولقد قنعت من اللقاء بساعة * ان لم يكن لي للدوام تطرق
قد ينعش العطشان بلة ريقه * ويغص بالماء الكثير ويشرق
فعسى عيوني ان ترى لك سيدي * وجها يكاد الحسن فيه ينطق

أبو الحسن الجزار

في خده من بقايا اللثم تخميش * وبي لتشويش ذاك الصدغ تشويش
ظبي من الترك أغنته لواحظه * عما حوته من النبل التراكيش
اذا تثنى فقلب الغصن منكسر * وان تبدى فطرف البدر مدهوش
يا عاذلي ان تكن عن حسن صورته * أعمى فاني عما قلت اطروش
كم ليلة بات يسقيني المدام على * روض له بثياب الغيم ترقيش
والغيث كالجيش يرتج الوجود له * والبرق رايته والرعد جاويش
في مجلس ضحكت ارجاؤه طربا * لانه ببديع الزهر مفروش

سيدي أبو الفضل بن أبي الوفاء

ترى متى من فتور اللحظ ينتشط * من قلبه بحبال الشعر مرتبط
قد رق لي خصره المضني فناسبني * فقلت خير الامور الانسب الوسط
وقد نفى الردف عني من تثاقله * فقلت هذا على ضعفي هو الشطط
وصدره الرحب قد عانقته سحرا * والقلب منبعث الآمال منبسط
وفيه تلك النهود المشتهاة ترى * رمانها فيه قلبي أمره فرط
ان الصواب لتعجيل السرور وقم * قبل الفوات فاوقات الهنا غلط

القاضي مجد الدين بن مكانس

أهدى تحيته وجاد بوعده * افديه من قمر بدا في سعده
بدر جرى ماء الحياة بثغره * وترددت فضلاته في خده
اسكنته قلبي فأعدت خده * نيران احشائي عليه ووجده
من لي به حلو الشمائل اهيف * روت العوالي عن مثقف قده

يا عاذلي في حبه لو أبصرت * عيناك فوق الردف مسبل جعده
لعذرت كل متيم في حبه * وعلمت ان ضلاله في رشده
فوحق موتي في هواه صبابة * وحياة مبسمه الشهي وبرده
ما جاد غيث الدمع الا من هوى * خلع القلوب ببرقه وبرعده
قم يا رسول وأبلغ العشاق ما * ألقاه من جور الحبيب وبعده
واذا سألتك أن تؤدي في الهوى * خبري فصف فعل الغرام وأبده

عز الدين الموصلي

نفس عن الحب ما أغفت وما غفلت * بأي ذنب وقاك الله قد قتلت
دعها ومدمعها الجاري لقد لقيت * ما قدمت من أسى قلبي وما عملت
أفديك من ناشط الاجفان في تأنق * والسحر يوهم طرفي انها كسلت
وأوضح الحسن لو شاءت ذوائبه * في الافق وصل دجا الظلماء لاتصلت
معسل بنعاس في لواحظه * أماتراها الى كل القلوب حلت
من لي بألحاظ ظبي يدعي كسلا * وكم ثياب ضني حاكت وكم غزلت
وجمرة فوق خديه ومرشفه * هذي محاسنها تزهو وذي ذبلت
اما كفاني تكحيل الجفون اسى * حتى المراشف منه باللمى كحلت
أستودع الله اعطافا شوت كبدي * وكلما رمت تجديد الوصال قلت
ومهجة لي كم ألفت بجمعها * الى الملام ولا والله ما قبلت

غيره للفاضل

شرخ الشباب بحبكم أفنيته * والعمر في كلف بكم قضيته
وأنا الذي لو مر بي من نحوكم * داع وكنت بحفرتي لبيته
كيف التعرض للسلو وحبكم * حب بأيام الشباب شربته
لله داء في الفؤاد أجنه * يزداد نكسا كلما داويته
قالوا حبيبك في التجني مسرف * قاس على العشاق قلت فديته
أأروم من كلفي عليه تخلصا * لا والذي بطحاء مكة بيته
ولو استطعت بكل اسم في الورى * من لذة الذكرى به سميته

للشيخ بدر الدين الدماميني

سل سيفا من الجفون صقيلا * مذ تصدى جلاه رحت قتيلا
صح عن جفنه حديث فتور * وهو ما زال من قديم عليلا
مر يبدي لنا من الخصر ردفا * فأرانا مع الخفيف ثقيلا
ذو قوام كأنه الغصن لكن * بالهوى نحو وصلنا لن يميلا
كامل الحسن وافر ظل وجدي * فيه يا عاذلي مديدا طويلا
فاتك الجفن ذو جمال كثير * أتلف العاشقين الا قليلا
قلت اذ لاح طرفه ولماه * فاتر اللحظ بكرة وأصيلا

كيف حالى وهل لصب اليه * من سبيل فقال لى سل سبيلا

وقال آخر

لوان قلبك لى يرق ويرحم * مابت من ألم الجوى اتألم
ومن العجائب اننى لاسهم لى * من ناظريك وفى فؤادى اسهم
ياجامع الضدين فى وجناته * ماء يرق عليه نار تضرم
عجبى لطرفك وهو ماض لم يزل * فعلام يكسر عندما تتكلم
ومن المروأة أن تواصل مدنفا * والدهر سمح والحوادث نوم

وقال آخر

تصدق بوعد ان دمعى سائل * وزود فؤادى نظرة فهو راحل
فخدك موجود به التبر دائما * وحسنك معدوم لديه المماثل
أيا قمرا من شمس طلعة وجهه * وظل عذاريه الدجا والاصائل
تنقلت من طرف لقلب مع الهوى * وهاتيك للبدر المنير منازل
جعلتك للتمييز نصبا بخاطرى * فهلا رفعت الهجر والهجر فاعل

وقال ابن صابر

قبلت وجنته فألفت جيده * خجلا ومال بعطفه المياس
فانهل من خديه فوق عذاره * عرق يحاكى الطل فوق الآس
فكأننى استقطرت ورد خدوده * بتصاعد الزفرات من أنفاسى

وقال آخر

وغزال كل من شبهه * بهلال أو ببدر ظلمه
قال اذ قبلت وهما فمه * قد تعديت وأسرفت فمه

وقال آخر

بأبى غلام لست غير غلامه * مذجاد لى بسلامه وكلامه
ذو حاجب ماان رأيت كنونه * أبدا وصدغ ما رأيت كلامه

وقال جمال الدين بن مطروح

ذكر الحمى فصبا وكان قد ارعوى * صب على عرش الغرام قد استوى
تجرى مدامعه ويخفق قلبه * مهما جرى ذكر العقيق مع اللوى
واذا تألق بارق من بارق * فهناك ينشر من هواه ما انطوى
خذوا أحاديث الهوى عن صادق * ماضل فى شرع الغرام وما غوى
وبمهجتى رشأ اطالت عذلى * فيه الملام وقد حوى ما قد حوى
قالوا أفيه سوى رشاقة قده * وفتور عينيه وهل موتى سوى
ما أبصرته الشمس الا واكتست * خجلا ولا غصن النقا الا التوى
يروى الاراك محاسنا عن ثغره * ياطيب ما نقل الاراك وما روى

وقال آخر

عبث النسيم بقده فتأودا * وسرى الحياء بخده فتوردا
رشأ تفرد فيه قلبي بالهوى * لما غدا بجماله متفردا
قاسوه بالغصن الرطيب جهالة * تالله قد ظلم المشبه واعتدى
حسن الغصون اذا اكتست أوراقها * وتراه أحسن ما يكون مجردا

وقال غيره

يا حسنا مالك لم تحسن * الى قلوب فى الهوى متعبه
رقمت بالورد وبالسوسن * صفحة خد بالسنا مذهبه
وقد أبى خدك أن أجتنى * منه وقد دب السعى عقربه
يا حسنه اذ قال ما أحسنى * ويا لذاك اللفظ ما أعذبه
قلت له كاك عندى سنا * وكل ألفاظك مستعذبه
ففوق السهم ولم يخطنى * ومذ رآنى ميتا أعجبه
وقال كم من عاشق حبنى * وحبه اياى قد أتعبه
يرحمه الله على أننى * قتلى له لم أدر ما أوجبه

وقال آخر

ما ليح يغار الغصن عند اهتزازه * ويخجل بدر التم عند شروقه
فما فيه معنى ناقص غير خصره * وما فيه شئ بارد غير ريقه

وقال يحيى بن اكثم

دنا هاجرى نحوى بمقلته الكحلا * فلما رأى ذلى ثنى عطفه دلا
فتيمنى شوقا وانحلنى أسى * وأفقدنى صبرا وأعدمنى عقلا
شكوت فما ألوى وولى وما لوى * وأعرض مزورا فسل الحشى سلا
اذا ما دعاه فرط سقمى لزورة * يناديه فرط العجب من عطفه كلا

وقال أيضا

بأبى غزالا غازلته مقلتى * بين العذيب وبين شطى بارق
وسألت منه زورة تشفى الجوى * فأجابنى عنها بوعد صادق
بتنا ونحن من الدجا فى خيمة * ومن النجوم الزهر تحت سرادق
عاطيته والليل يسحب ذيله * صهباء كالمسك الذكى لناشق
وضممته ضم الكمى لسيفه * وذؤابتاه حمائل فى عاتقى
حتى اذا مالت به سنة الكرى * زحزحته عنى وكان معانقى
أبعدته عن أضلع تشتاقه * كى لا ينام على فراش خافق
لما رأيت الليل آخر عمره * قد شاب فى لممه ومفارق
ودعت من أهوى وقلت تأسفا * صعب على بأن أراك مفارقى

وقال ابن نباتة

بدا ورنت لواحظه دلالا * فما أبهى الغزالة والغزالا

وأسفر عن سنا قمر منير * ولكن قد وجدت به الضلالا
صقيل الخد أبصر من رآه * سواد العين فيه فخال خالا
وممنوع الوصال اذا تبدّى * وجدت له من الالفاظ لالا
عجبت لثغره البسام أبدى * لنا درا وقد سكن الزلالا
شهدت بشهد ريقته لانى * رأيت على سوالفه نمالا
فما عجبا لحسن قد حواه * وقد أهدى الى قلبى الوبالا
سأشكو الحسن ما بقيت حياتى * واشكر من صنائعه الجمالا

القاضى فخر الدين بن مكانس

ياغصنا فى الرياض مالا * حملتنى فى هواك مالا
ياراشحا بعد أن سبانى * حسبك رب السما تعالى

وله أيضا

أجارك الله قد رثت لى * مما ألاقى عدا وحسد
وعاذلى مذ رأى ضلوعى * تعدّ سقما بكى وعدّد

ابن رفاعة

يقولون هل من الحبيب بزورة * وعنا كم المطلوب قلنا لهم منا
فقالوا النقا غوصوا على قدّه وما * حاكى اذا ما اهتز قلنا لهم غصنا

الشيخ برهان الدين القيراطى

ووردى خد نرجسى لواحظ * مشايخ علم السحر عن لحظه رووا
وواوات صدغيه حكين عقاربا * من المسك فوق الجلنار قد التووا
ووجنته الحمرا تلوح بجمرة * عليها قلوب العاشقين قد اكتووا
وودى له باق ولست بسامع * لقول حسود والعواذل اذ عووا
ووالله ما أسلو ولو صرت رمة * فكيف وأحشائى على حبه انطووا

وللشيخ برهان الدين القيراطى أيضا

شبه السيف والسنان لعينى * من لقتلى بين الانام استحلا
فأبى السيف والسنان وقالا * حدنا دون ذاك حاشى وكلا

وله أيضا

بابى أهيف المعاطف لدن * حسد الاسمر المثقف قدّه
ذو جفون مذ رمت منها كلاما * كلمتنى سيوفهن بحدّه

وقال آخر

تملك رقى شادن قد هويته * من الهند معسول اللمى أهيف القد
أقول لصحبى حين يرنو بطرفه * خذوا حذركم قد سل صارمه الهندى

ومما قيل فى الغزل المؤنث للشيخ شمس الدين بن المزين

خيال سلمى عن الاجفان لم يغب * وطيفها عن عيانى غير محتجب

وذكرها انس روحي وهي نائية * والقلب مازال عنها غير منقلب
لم أصغ فيها للاح راح يعذلني * ولا لواش خلي بات يلعب بي
عذابها في الهوى عذب ألذبه * ومرهجرانها أحلى من الضرب
فان نأت أودنت وجدي كما علمت * تشيب فيه الليالي وهو لم يشب
دعها فأمرهوى المحبوب متبع * وغير طاعته في الحب لم يجب

وقال عفا الله عنه

سقى طللا حاته سلمى معاهد * وحياه من دمعي مذاب وجامد
فربع به سلمى مصيف ومربع * وأرض نأت عنها قفار جلامد
وحيث ثوت أرضا فأعذب مورد * ولو كدرت منها على الموارد
رعى الله دهرا سالمتني صروفه * وظلت لياليه بسلمى تساعد
وقد غفل الواشون عني ولم أزل * ويقظان طرف البين عني راقد
وأيامنا بالقرب بيض ازاهر * وأوقاتنا بالوصل خضر أمالد
وأرواحنا ممزوجة وقلوبنا * ونحن كأنا في الحقيقة واحد
وكم قدمرجنا في مروج صبابة * ولم يطرد فينا من البين طارد
نجرذيول اللهو في قص الهوى * تلوح علينا للغرام شواهد
ولم يخطر التفريق منا بخاطر * ولم نحسب الايام فينا تعاند
فهل أنت ياسلمى وقد حكم الهوى * كما كنت لي أم حاد بالقلب حائد
وهل ودنا باق والا تغيرت * على عادة الايام منك العوائد
وهل محيت آثار رسم حديثنا * وأنساك حفظ الود هذا التباعد
وهل تذكرين العهد اذ نحن باللوى * وقولك لا عاش الخؤن المعاهد
وهل أنت غيرت الذي أنا حافظ * وهل أنت أحللت الذي أنا عاقد
وهل بدلت منك المودة بالجفا * وفيك يقيني بالوفا منك شاهد
واني ما بدلت عهدك في الهوى * ولا اختلفت فيما علمت العوائد
ولا بت مسرورا وعيشك ليلة * وكيف سلوى والحبيب مباعد
فان كنت حبل الود صرمت طرفه * فودي طريف في هواك وتالد
وان قلت ان الحب غيره النوى * لعمري وجندي بالحشاشة واقد
وان أوردوا يوماصبابة عاشق * فبي يضرب الامثال من هو وارد
فما شئت كوني انني بك مدنف * صبور على البلوى شكور وحامد
ومنك تساوى عندي الوصل والجفا * وفيك لقد هانت على الشدائد
ولو رمت ألوى عن هواك أعنتي * لقادزمامي نحو حبك قائد
نصبت شراك الحب صدت حشاشتي * فكيف خلاصي والهوى منك صائد
بعدت وقالت البين يسلي أخا الهوى * وهل يسلي ذا الاشجان هذا التباعد
وما غير التفريق ما تعهدينه * وسوق سلوى في المحبين كاسد

وحل مناى القرب منك وانما * اذا عظم المطلوب قل المساعد

وقال عفا الله عنه

تهددني بتبريح وبين * وتوعدني بتفريق وصد
وتحلف لي لتلبسني سقاما * تهي جلدي به وتذيب جلدي
وترميني بنبل من جفون * فتضنيني وتصميني وتردي
وتحرقني بنار الصد حتى * تذيب حشاشتي كمدا وكبدي
فقلت لها ودمعي في انسكاب * يفيض دما على صفحات خدي
ومن لي ان يقال قتيل وجد * واذكر في هواك ولو بصد

وقال عفا الله عنه

سلوى عنك شئ ليس يروى * وحبي فيك سار مع الركاب
ولم يمرر سواك على ضميري * ووجدي فيك أيسره عذابي
ومالك عن سواد العين يوما * ومال سواد قلبي من حجاب
وما خطرت دواعي الشوق الا * هززت اليك أجنحة التصابي

وقال عفا الله عنه

قفا نبك دارا شط عنا مزارها * وأنحلنا بعد البعاد ادكارها
وعوجا باطلال محتها يد النوى * فأظلم بالنائي المشت نهارها
فقدنا بها ريما من الانس ان رنت * بمقلتها يصمى القلوب احورارها
تصيد قلوب العاشقين أنيسة * ويحسن منها صدها ونفارها
ويهزأ بالاغصان لين قوامها * اذا مال فوق الغصن منها خمارها
وليس لبدر التم قامة قدها * وما هو الاجلها وسوارها
منازلها مني الفؤاد وان نأى * عن العين مثواها ففي القلب دارها
يمثلها بالوهم فكرى لناظرى * وأكثر ما يضنى النفوس افتكارها
وهيج دمعي حر نار صبابتي * وما خمدت بالدمع مني نارها
وساعدني بالايك ليلا حمائم * تهاتف شجوا والاية قرارها
بكين ولم تسفح لهن مدامع * وعيني فاضت بالدموع بحارها

والمؤلفه رحمه الله تعالى وهو قول ضعيف على قدر حاله لكنه يسأل الواقف عليه من افضاله ستر ما يراه من عيوبه وان يدعوله بمغفرة ذنوبه

نسيم الصبا بلغ سليمى رسائلي * بلطف وقل عن حال صبك سائلي
فقد صار بالاسقام صبا معذبا * قريح جفون من دموع هوامل
صبورا على حر الغرام وبرده * حليف الضنى لم يصغ يوما لعاذل
يبيت على جمر الغضى متقلبا * يئن غراما فارحميه وواصلي
الا يا سليمى قد أضر بي الهوى * وهاجت تباريح الغرام بلابلي
رميت بسهم من لحاظك قاتل * فلم يخط قلبي والحشى ومقاتلي

كثمت

كتمت غرامي في هواك ولم أبح * بسر فباحت أدمعي برسائلي
سليمي سلي ماقد جرى لي من النوى * فقد عادلي حال له رق عاذلي
لعل تجودي للكئيب وتسمحي * بوعد وبعد الوعد ان شئت ماطلي
عسى تنطفي بالوعد ناري وأشتفي * فما السقم اعضائي وهت ومفاصلي
خفيت عن العواد لولا تأوهي * وعظم أنيني لا يراني مسائلي
فرقي فقد رقت عداي لذلتي * وفاضت على حالي عيون عواذلي
قطعت زماني في عسى ولعلها * ومافزت في الايام منك بطائل
فما آن ان ترضي علي وترحمي * ضنى جسدي فالوجد لاشك قاتلي
توسلت بالمختار في جمع شملنا * نبي له فضل على كل فاضل

ولهرحمه الله تعالى

يا ربة الحسن من بالصد أوصاكي * حتى قتلت بفرط الهجر مضناكي
ويافتاة بفتان القوام سبت * من في الورى يا ترى بالقتل أفتاكي
لقد جننت غراما مذ رأى نظري * في النوم طيف خيال عن محياكي
ومذ رآه جفا طيب المنام وقد * أضحى على الاخوين لم يزل باكي
عذبتني بالتجني وهو يعذب لي * فهل ترى تسمحي يوما برؤياكي
ان كنت لم تذكرينا بعد فرقتنا * فالله يعلم انا ما نسيناكي
ما آن ان تعطفي جودا علي فقد * أضحى فؤادي أسير اللحظ عيناكي
ما كنت احسب ان العشق فيه ضنى * ولا عذاب نفوس قبل اهواكي
حتى تولع قلبي بالغرام فما * أمسى أسيرا سوى في حسن معناكي
رقي لعبدك جودا واعطفي وذري * ولا تطيلي بحق الله جفواكي
يا هند رفقا بقلب ذاب فيك أسى * ومهجة تلفت يا هند ما أقساكي
رق العذول لحالي في الهوى ورثا * وأنت يا هند لا ترثي لمضناكي
والله لومت ما أسلاك يا أملي * ولو فنيت غراما لست انساكي

وقال آخر

كأن فؤادي يوم سرت دليل * يسير امام العيس وهو ذليل
فصرت عقيب الظاعنين لكي أرى * فؤادي سرى في الركب وهو يحول
وقائلة لي كيف حالك بعدنا * لتعلم ما هذا اليه يؤل
فقلت لها ما قدمت قبل ترحلي * فمن باب أولى أن يجدد رحيل
وقلت فليلي طال هما فانشدت * ومازال ليل العاشقين طويل
فقلت وجسمي لم يزل متر جفا * فقالت وجسم العاشقين نحيل
فقلت لها لو كنت أدري فراقنا * بيوم وداع ما اليه سبيل
قلعت لعيني في هواك باصبعي * لكي لا أرى يوما علي ثقيل

وقال الوأواء الدمشقي عفا الله عنه

يامن نفت عني لذيذ رقادي * مالي ومالك قد أطلت سهادي
فبأي ذنب أم بأية حالة * أبعدتني ولقد سكنت فؤادي
وصددت عني حين قد ملك الهوى * روحي وقلبي والحشى وقيادي
ملكت لحاظك مهجتي حتى غدا * قلبي أسيرا ماله من فادي
لاغرو أن قتلت عيونك مغرما * فلكم صرعت بها من الآساد
يامن حوت كل المحاسن في الورى * والحسن منها عاكف في بادي
رفقا بمن أسرت عيونك قلبه * ودعي السيوف تقر في الاغماد
وتعطفي جودا على بقبلة * فيم مبسمك شفاء الصادي
ماتت أطال الله عمرك سلوتي * ولقد فني صبري وعاش سهادي
ومن المنى لو دام لي فيك الضنى * ياحبذا لأراك من عوادي
وأجيل منك نواظري في ناضر * من خدك المتزرق الوقاد
وأقول ماشئت اصنعي يامنيتي * مالي سواك ولو حرمت مرادي
الامديح المصطفى هو عمدتي * وبه سألقى الله يوم معادي

وقال البها زهير

اذا جن ليلي هام قلبي بذكركم * أنوح كما ناح الحمام المطوق
وفرقي سحاب يمطر الهم والاسى * وتحتي بحار بالجوى تتدفق
سلوا ام عمرو كيف بات أسيرها * تفك الاسارى دونه وهو موثق
فلا أنا مقتول ففي القتل راحة * ولا أنا ممنون عليه فيعتق

مجنون ليلى

وقد خبروني أن تيماء منزل * لليلى اذا ما الليل ألقى المراسيا
فهذي شهور الصيف عنا ستنقضي * فما للنوى يرمي بليلى المراميا
أعد الليالي ليلة بعد ليلة * وقد عشت دهرا لا أعد اللياليا
وأخرج من بين البيوت لعلني * أحدث عنك النفس بالليل خاليا
ألا أيها الركب اليمانون عرجوا * علينا فقد أمسى هوانا يمانيا
يمينا اذا كانت يمينا فان تكن * شمالا ينازعني الهوى عن شماليا
أصلي فما أدري اذا ما ذكرتها * اثنتين صليت الضحى ام ثمانيا
خليلي لا والله لا املك الهوى * اذا علم من أرض ليلى بداليا
خليلي لا والله لا أملك الذي * قضى الله في ليلى ولا ما قضى ليا
قضاها لغيري وابتلاني بحبها * فهلا بشيء غير ليلى ابتلانيا
ولو ان واش باليمامة داره * وداري بأعلى حضرموت اهتدى ليا
وددت على حبي الحياة لو أنه * يزاد لها في عمرها من حياتيا
على أنني راض بأن احمل الهوى * واخلص منه لا علي ولا ليا

اذا ما شكوت الحب قالت كذبتني * فمالي ارى الاعضاء منك كواسيا
فلا حب حتى يلصق الجلد بالحشى * وتخرس حتى لا تجيب المناديا

وقال آخر

قالت لطيف خيال زارني ومضى * بالله صفه ولا تنقص ولا تزد
فقال خلفته لو مات من ظما * وقلت قف عن ورود الماء لم يرد
قالت عهدت الوفا والصدق سيمته * يا برد ذاك الذي قالت على كبدي

كمال الدين بن النبيه

أما وبياض مبسمك النقي * وسمرة مسكة اللعس الشهي
ورمان من الكافور تعلو * عليه طوالع الند الندي
وقد كالقضيب اذا تثنى * خشيت عليه من ثقل الحلي
لقد أسقمت بالهجران جسمي * وأعطشني وصالك بعد ريي
الى كم اكتم البلوى ودمعي * يبوح بمضمر السر الخفي
وكم أشكو لاهية غرامي * فويل للشجي من الخلي

صفي الدين الحلي

أبت الوصال مخافة الرقباء * وأتتك تحت مدارع الظلماء
أصفتك من بعد الصدود مودة * وكذا الدواء يكون بعد الداء
احيت بزورتها النفوس وطالما * ضنت بها فقضت على الاحياء
أمت بليل والنجوم كأنها * در بباطن خيمة زرقاء
أمست تعاطيني المدام وبيننا * عتب غنيت به عن الصهباء
آبت الى جسدي لتنظر ما انتهت * من بعدها فيه يد البرحاء
ألفت به وقع الصفاح فراعها * جزعا وما نظرت جراح حشائي
أمصيبة منا بنبل لحاظها * ما أخطأته أسنة الاعداء
أعجبت مما قد رأيت وفي الحشا * أضعاف ما عاينت في الاعضاء
أمسي ولست بسالم من طعنة * نجلاء او من مقلة نجلاء

وله رحمه الله تعالى

قفي ودعينا قبل وشك التفرق * فما أنا من يحيا الى حين نلتقي
قضيت وما أودى الحمام بمهجتي * وشبت وما حل البياض بمفرقي
قنعت أنا بالذل في مذهب الهوى * ولم تفرقي بين المنعم والشقي
قرنت الرضا بالسخط والقرب بالنوى * ومزقت شمل الوصل كل ممزق
قبلت وصايا الهجر من غير ناصح * وأحييت قول الهجر من غير مشفق
قطعت زماني بالصدود وزرتني * عشية زمت للترحل أينقي
قضى الدهر بالتفريق فاصطبري له * ولا تدمي أفعاله وترفقي

وقال عفا الله عنه

جاءت لتنظر ما أبقت من المهج * فعطرت سائر الارجاء بالارج
جلت علينا محياالوجانه لنا * فى ظلمة الليل أغنتنا عن السرج
جوريه الخد تحمى وردوجنتها * بحارس من نبال الغنج والدعج
جزت اساءة أفعالى بمغفرة * فكان غفرانها يغنى عن الحجج
جادت لعرفانها أنى المريض بها * فعالى اذا أذنبت من حرج
جست يدى لترى مابى فقلت لها * كفى فذاك جوى لولاك لم يهج
جفوتنى فرأيت الصبر أجمل بى * وا صمت فى الحب اولى بى من اللهج
جارت لحاظك فينا غير راحمة * ولذة الحب جور الناظر الغنج

وقال ابن نباتة

رقت لنا حين هم السفر بالسفر * وأقبلت فى الدجى تسعى على حذر
راض الهوى قلبها القاسى لجادلنا * وكان أبخل من تموز بالمطر
رأت غداة النوى نار الكليم وقد * شبت فلم تبق من قلبى ولم تذر
رشيقة لو تراها عند ما سفرت * والبدر ساه اليها سهو معتذر
رأيت بدرين من وجه ومن قمر * فى ظل جنحين من ليل ومن شعر
رشفت در الحميا من مقبلها * اذ نبهتنى اليها نسمة السحر
رنت نجوم الدجى نحوى فما نظرت * من يرشف الراح قبلى من فم القمر
راق العتاب وأبدت لى سرائرها * فى ليلة الوصل بل فى غرة القمر

وقال ابن الساعاتى

قبلتها ورشفت خمرة ريقها * فوجدت نار صبابة فى كوثر
ودخلت جنة وجهها فأباحنى * رضوانها المرجو شرب المسكر

وقال آخر

بكت للفراق وقد راعها * بكاء المحب لبعد الديار
كأن الدموع على خدها * بقية طل على جلنار

الوأواء الدمشقى تضمين

قالت متى الظعن ياهذا فقلت لها * اما غدا زعموا أولا فبعد غد
فامطرت لؤلؤا من نرجس وسقت * وردا وعضت على العناب بالبرد

لابن نباتة

عذولى لست أسمع منه قولا * على غيداء مثل البدر تما
له طرف ضرير عن سناها * ولى أذن عن الفحشاء صما

وقال آخر

ورب ليال فى هواها سهرتها * أراعى نجوم الليل فيها الى الفجر
حديثى عال فى السهاد لاننى * رويت أحاديث السهاد عن الزهر

السراج الوراق

يا لائمي في هواها * أسرفت في اللوم جهلا ما يعلم الشوق الا * ولا الصبابة الا

وقال آخر

وعدت أن تزور ليلا فألوت * وأتت في النهار تسحب ذيلا
قلت هلا صدقت في الوعد قالت * كيف صدقت أن ترى الشمس ليلا

لعز الدين الموصلي

قد سلونا عن الغزال بخود * ذات وجه بها الجمال تفنن
ورجعنا عن التهتك فيه * ودفعناه بالتي هي أحسن

وقال آخر

قالت وناولتها سواكا * سادبفيها على الاراك
سواى ماذاق طعم ريقي * قلت لها ذاقه سواكي

وقال آخر

سألتها أن تعيد لفظا * قالت محب دعوه بعذر
حديثها سكر شهي * وأحسن السكر المكرر

ابن نباتة

وملولة في الحب لما أن رأت * أثر السقام بجسمي المنهاض
قالت تغيرنا فقلت لها نعم * أنا بالسقام وأنت بالاعراض

وقال أبو الطيب المتنبي

بأبي الشموس الجانحات غواربا * اللابسات من الحرير جلاببا
الناهبات عيوننا وقلوبنا * وجناتهن الناهبات الناهبا
الناعمات القاتلات المحييا * ت المبديات من الدلال غرائبا
حاولن تفديتي وخفن مراقبا * فوضعن أيديهن فوق ترائبا
وبسمن عن برد خشيت أذيبه * من حر أنفاسي فكنت الذائبا
يا حبذا المتحملون وحبذا * وادلثمت به الغزالة كاعبا
كيف الرجاء من الخطوب تخلصا * من بعد ما انشبن في مخالبا

وله أيضا من جملة قصيدة

ولما التقينا والنوى ورقيبنا * غفولان عنا ظلت أبكي وتبسم
فلم أر بدرا ضاحكا قبل وجهها * ولم تر قبلي ميتا يتكلم

الشريف الرضي

وتميس بين مزعفر ومعصفر * ومعنبر وممسك ومصندل
هيفاء ان قال الشباب لها انهضي * قالت روادفها اقعدي وتمهلي
واذا سألت الوصل قال جمالها * جودي وقال دلالها لا تفعلي

ابن اسرائيل

وعدت بوصل والزمان مسوف * حوراء ناظرها حسام مرهف

نشوانة خصباء منهل ثغرها * درّ وريقتها سلاف قرقف
وتخال بين البدر منها والنقا * غصناً تميس به النسيم مهفهف
لا تحسبن الخلف شيمة مثلها * وعدت ولكنّ الزمان يسوف
يابانة قد أطلعت أغصانها * ورداً جنياً باللواحظ يقطف
وغزالة يحكى الغزالة وجهها * ويعير ناظرها الحسام الاوطف
ما تأمرين لمغرم تسطو به * أجفانك المرضى ولا تستعطف
قسماً بوجهك وهو صبح مشرق * وسواد شعرك وهو ليل مسدف
وبهز غصن البان منك على النقا * مالى الى أحد سواك تشوف

ولنذكر ان شاء الله تعالى فى هذا الباب نبذة من ملح النظم ورقائق الشعر من غير تبويب ولا ترتيب

للشيخ شمس الدين بن البديرى

ولما نأت سلمى وشط بها النوى * وأيقنت أنى بالغرام أذوب
علقت بأخرى غيرها متلاهيا * ليطفى ضرام فى الحشا ولهيب
وكان هيامى والهوى وصبابتى * لمن هو فى الاولى الىّ حبيب

وله فى المعنى

تلاهيت عنها فى الغرام بغيرها * وقلت لقلبى هذه هى زينب
وقلت فاها مبرد الصبابتى * فاضرمت ناراً فى الحشا تتلهب
فكنت كمن أضحى غريقاً بلجة * تمسك بالموج الذى يتقلب

وقال أيضا

سألت القلب هل ميل لليلى * وهل عند الفؤاد لها التفات
فقال الآن لا لكن تأنى * فقلت الحب فيه تقلبات
فان الحب يهجم بعد يأس * ويعتاد المحب تغيرات
فلا تظهر لها يوماً سلواً * فتفضحك التصابى الواردات
وترمى بالصدود وبالتجنى * وتخلك الوعود الكاذبات
فكن جلداً ولا تك ذا لجاج * فما يغنيك ان فات الفوات

وقال البيطار

يقولون هذى ام عمرو قريبة * دنت بك أرض نحوها وسماء
ألا انما قرب الحبيب وبعده * اذا هو لم يوصل اليه سواء

وقال غيره

وقالوا ابع حبيبك وابغ عنه * حبيباً آخرا تحيا سعيدا
اذا كان القديم هو المصافى * وخان فكيف آمن الجديدا

وقال آخر

لم انس اذ قلت من وجدى لها غلطا * ووجهها مشرق فى حندس الظلم
سلوت عنك فقالت وهى ضاحكة * لتقرعن على السن من ندم

وقال آخر

أمن المروأة أن أبيت مسهدا * قلقا أبل ملابسي بدموعي
وتبيت ريان الجفون من الكرى * وأبيت منك بليلة الملسوع

وقال آخر

الى الله أشكو جور أهيف شادن * وقعت فمالي من يديه خلاص
جرحت بعيني خده وهو جارح * بعينيه قلبي والجروح قصاص

وقال آخر

قد كنت أسمع بالهوى فأكذب * وأرى المحب وما يقول فأعجب
حتى رميت بحلوه وبمره * من كان يتهم الهوى فيجرب

وقال آخر

سألتها التقبيل من خدها * عشرا وما زاد يكون احتساب
فمذ تلاقينا وقبلتها * غلطت في العد وضاع الحساب

وقال آخر

يا من سقامي من سقام جفونه * وسواد حظي من سواد عيونه
قد كنت لا أرضى الوصال وفوقه * واليوم أقنع بالخيال ودونه

وقال آخر

صبحته عند المساء فقال لي * تهزا بقدري أو تريد مزاحا
فأجبته اشراق وجهك غرني * حتى توهمت المساء صباحا

أبو عبد الله الغواص

من عذيري من عذول في رشا * قام القلب هواه فقمر
قمر لم يبق مني حسنه * وهواه غير مقلوب قمر

وقال آخر

جاذبتها والريح تجذب برقعا * من فوق خد مثل قلب العقرب
وطفقت ألثم ثغرها فتحجبت * وتسترت عني بقلب العقرب

وقال آخر

لومت من كثرة الاشواق وانبذلت * مدامعي بدم من كثرة السهر
ما اخترت عنك سلوا لا ولا نظرت * عيني لغير محياً وجهك القمر

ابراهيم بن العباس

تمر الصبا صفحا بساكن ذي الغضى * ويصدع قلبي ان يهب هبوبها
قريبة عهد بالحبيب وانما * هوى كل نفس أين حل حبيبها

وقال النوفلي

اذا اختلجت عيني رأت من تحبه * فدام لعيني ما حييت اختلاجها
وما ذقت كاسا مذ علقت بحبها * فأشربه الا ودمعي مزاجها

وقال آخر رحمه الله تعالى

ياذا الذى زار وما زارا * كأنه مقتبس نارا
قام بباب الدار من تيهه * ماضره لودخل الدارا

وقال آخر

ولقد جعلتك فى الفؤاد محدثى * وأبحت منى ظاهرى لجليسى
فالكل منى للجليس مؤانس * وحبيب قلبى فى الفؤاد أنيسى

ابن نباتة

أناشده الرحمن فى جمع شملنا * فيقسم هذا لا يكون الى الحشر
اذا ماغدا مثل الحديد فؤاده * فوالعصران العاشقين لفى خسر

أمين الدين بن ابى الوفاء

يانازلا منى فؤادا راحلا * ومن العجائب نازلا فى راحل
أضرمت قلب متيم أهلكته * وسكنته والنار مثوى القاتل

وقال آخر

ياعاذلى فى هواه * اذا بدا كيف اسلو * يمر بى كل وقت * وكلما مر يحلو

الحاجرى

ملأت فؤادى من محبة فاتن * أميل اليه وهو كالظبى رائغ
وقلت لقلبى قم لتعشق شادنا * سواه فقال القلب ما أنا فارغ

وقال ديك الجن

ولى كبد حرى ونفس كأنها * بكف عدو مايريد سراحها
كأن على قلبى قطاة تذكرت * على ظما وردا فهزت جناحها

وقال عبد الله بن طاهر

أقام ببلدة ورحلت عنه * كلانا بعد صاحبه غريب
أقل الناس فى الدنيا سرورا * محب قد نأى عنه الحبيب

وقال آخر

مااخترت ترك وداعكم يوم النوى * والله لاملا ولا لتجنب
لكن خشيت بأن أموت صبابة * فيقال أنت قتلته فتعذبى

وقال ابن المعتز

هب لعينى رقادها * وانف عنها سهادها
وارحم المقلة التى * كنت فيها سوادها
كن صلاحا لها كما * كنت دهرا فسادها

وقال آخر

وقالوا دع مراقبة الثريا * ونم فالليل مسود الجناح

فقلت وهل أفاق القلب حتى * أفرق بين ليلى والصباح

وقال آخر

ولى فؤاد اذا طال النزاع به * طار اشتياقا الى لقيا معذبه

يفديك بالنفس صب لو يكون له * أعز من نفسه شئ فداك به

وقال آخر

وما هجرتك النفس يا مى أنها * قلتك ولا أن قل منك نصيبها

ولكنهم يا أحسن الناس أولعوا * بقول اذا ما جئت هذا حبيبها

وقال المحاربى

اذا أنت لم توقن بما صنع الهوى * بأهل الهوى فافقد حبيبا وجرب

ترى حرقات يلدغ القلب حرها * بانضج من كى الغضى المتلهب

وقال الاقرع بن معاذ

أقول لغت ذات يوم لقيته * بمكة والانضاء ملقى رحالها

بحقك أخبرنى أما تأثم التى * أضر بجسمى منذ دهر خيالها

فقال بلى والله أوسع صيبها * من الله بلوى فى الزمان تنالها

فقلت ولم أملك سوابق عبرة * سريع على جيب القميص انهمالها

عفا الله عنها كل ذنب ولقيت * مناها وان كانت قليلا نوالها

وقال آخر

بالله ربكما عوجا على سكنى * وعاتباه لعل العتب يعطفه

وعرضا بى وقولا فى حديثكما * ما ضر لو بوصال منك تسعفه

فان تبسم قولا عن ملاطفة * ما بال عبدك بالهجران تتلفه

وان بدا لكما من سيدى غضب * فغالطاه وقولا ليس نعرفه

وقال عبد الله بن ابى الشيص

ومعرضة تظن الهجر فرضا * تخال لحاظها للضعف مرضى

كأنى قد قتلت لها قتيلا * فما ترضى بغير الهجر ترضى

وقال الحسين بن الضحاك

بعضى بنار الهجر مات حريقا * والبعض أضحى بالدموع غريقا

لم يبك عشقا عاشق فسمعته * الا ظننتك ذلك المعشوقا

وقال آخر

وأجيل فكرى فى هوا * ك بلا لسان ناطق

ادعو عليك بحرقة * من غير قلب صادق

وقال آخر

يا ويح من خبل الاحبة قلبه * حتى اذا ظفروا به قتلوه

عزوا ومال به الهوى فاذله * ان العزيز على الذليل يتيه

انظر الى جسد أضرّ به الهوى * لولا تقلب طرفه دفنوه
من كان خلوا من تباريح الهوى * فانا الهوى وحليفه واخوه

وقال احمد بن طاهر

تقول العاذلات تسلّ عنها * وداو غليل صبرك بالسلو
فكيف ونظرة منها اختلاسا * ألذ من الشماتة بالعدو

وقال اسحق مولى المهلب

* هبيني يامعذبتي أسأت * وبالهجران قبلكم بدأت
فاين الفضل منك فدتك نفسي * على اذا أسأت كما أسأت

وقال ابو العتاهية

يقول اناس لو نعت لنا الهوى * ووالله ما أدرى لهم كيف أنعت
سقام على جسمي كثير وسع * ونوم على عيني قليل مفوّت
اذا اشتد مابى كان أفضل حيلتى * له وضع كفى فوق خدى واسكت

وقال بشار

ياقرة العين انى لا أسميكى * أكنى باخرى أسميها وأعنيك
أخشى عليك من الجارات حاسدة * أو سهم عيران يرمينى ويرميك
لولا الرقيبان اذ ودعت غادية * قبلت فاك وقالت النفس تفديك
ياأطيب الناس ريقا غير مختبر * الا شهادة أطراف المساويك
قد زرتنا مرة فى الدهر واحدة * بالله لا تجعليها بيضة الديك

وقال آخر

ألم تعلمى ياأحسن الناس أننى * احبك حبا مستكنا وباديا
أحبك مالو كان بين قبائلى * من الناس أعداء لجرا التصافيا

وقال آخر

أقول لشادن فى الحسن أضحى * يصيد بطرفه قلب الكمى
ملكت الحسن أجمع فى نصاب * فادز كاة منظرك البهى
وذاك بان تجود لمستهام * برشف من مقبلك الشهى
فقال ابو حنيفة لى امام * يرى أن لا زكاة على الصبى

وقال آخر

سقى الله ربعا كنت أخلو بوجهكم * وثغر المنا فى روضة الحسن ضاحك
اقمنا زمانا والعيون قريرة * وأصبحت يوما والجفون سوافك

وقال آخر

الم تعلمى ياعذبة الماء أننى * اظل اذا لم اسق ماءك صاديا
وما زلت بى يابين حتى لو أننى * من الوجد أستبكى الحمام بكى ليا

أبو العباس الشهير بالنفيس

يا راحلا وجميل الصبر يتبعه * هل من سبيل الى لقياك يتفق
ما أنصفتك جفوني وهي دامية * ولا وفى لك قلبي وهو يحترق

الوزير ظهير الدين الملقب بأبي شجاع

لا عذب العين غير مفكر * فيما بكت بالدمع أو فاضت دما
ولأهجرن من الرقاد لذيذه * حتى يعود على الجفون محرما
هي أوقعتني في حبائل فتنة * لولم تكن نظرت لكنت مسلما
سفكت دمي فلاسفحن دموعها * وهي التي بدأت فكانت أظلما

وقال العتبي

أضحت بخدي للدموع رسوم * أسفا عليك وفي الفؤاد كلوم
والصبر يحمد في المواطن كلها * الا عليك فانه مذموم

الرفاء الاندلسي

ومهفهف كالغصن الا أنه * تحير الالباب عند لقائه
أضحى ينام وقد تكلل خده * عرقا فقلت الورد رش بمائه

وقال آخر

اخضر واصفر لاعتلال * فصار كالنرجس المضعف
كأن نسرين وجنتيه * بشعر أصداغه مغلف
يرشح منه الجبين ماء * كأنه لؤلؤ منصف

وقال آخر

مازال ينهل من صرف الطلا قرى * حتى غدت وجنتاه البيض كالشفق
وقام يخطر والارداف تقعده * طورا وحاول أن يسعى فلم يطق
فمائل فعلت فعل الشمول به * فعل النسيم بغصن البانة الورق
جاذبته لعناقي فانثنى خجلا * وكللت وجنتاه الجمر بالعرق
وقال لي بفتور من لواحظه * ان العناق حرام قلت في عنقي

وقال آخر

باركان هذا البيت اني لطائف * وفي الكون أسرار وفيه لطائف
رعى الله أياما وناسا عهدتهم * جيادا ولكن الليالي صيارف
وبي ذهبي اللون صبغ لمحنتي * يريد امتحاناتي وما أنا زائف
يذيب فؤادا وهو لاغش عنده * فيا ذهبي اللون انك حائف

وقال آخر

أسني ليالي الدهر عندي ليلة * لم أخل فيها الكاس من أعمالي
فرقت فيها بين جفني والكرى * وجمعت بين القرط والخلخال

ومما قيل في الرقباء

لو أن لي في الحب أمرا نافذا * وملكت بسط الأمر في التعذيب

لقطعت ألسنة العواذل كلها * ولكنت أقلع عين كل رقيب

وقال أعرابي

بسهم الحب كلم في فؤادي * ولا كالكلم من عين الرقيب
تمكن ناظراه به وأضحى * مكان الكاتبين من الذنوب
ومن حذر الرقيب اذا التقينا * نسلم كالغريب على الغريب
ولولاه تشاكينا جميعا * كما يشكو المحب الى الحبيب

وقال آخر

من عاش في الدنيا بغير حبيب * فحياته فيها حياة غريب
عين الرقيب غرقت في بحر العمى * لا أنت لا بل عين كل رقيب

وقال أحمد بن أبي سلمة

يعذلني فيه جميع الورى * كأنني جئت بأمر عجيب
أظن نفسي لو تعشقتها * بليت فيها بملام الرقيب
وأنا الغريب فلا ألام على البكا * ان البكا حسن بكل غريب

وقال آخر

وما فارقت سعدى عن قلاها * ولكن شقوة بلغت مداها
بكيت نعم بكيت وكل إلف * اذا بانت حبيبته بكاها

وقال آخر

وقائلة ما بال دمعك أبيض * فقلت لها يا علوه ذا الذي بقى
ألم تعلمي أن البكا طال عمره * فشابت دموعي عند ما شاب مفرقي
وعما قليل لا دموع ولا دما * ولم يبق الا لوعتي وتحرقي

وقال آخر

ولم أر مثلي غار من طول ليله * عليه لان الليل يعشقه معي *
ومازلت أبكي في دجا الليل صبوة * من الوجد حتى ابيض من فيض أدمعي

وقال آخر

رجوت طيف خيال * وكيف لي بهجوع
والذاريات جفوني * والمرسلات دموعي

وقال آخر

يا نازحا الطيف من نومي يعاودني * فقد بكيت لفرط النازحين دما
أوجبت غسلا على عيني بأدمعها * فكيف وهي التي لم تبلغ الحلما

وقال آخر

ارحم رحمت للوعتي * وابعث خيالك في الكرى
ودموع عيني لا تسل * عن حالها يا ما جرى

وقال آخر

أملت أن تتعطفوا بوصالكم * فرأيت من هجرانكم مالا أرى
وعلمت أن فراقكم لابد أن * يجرى به دمعى دما وكذا جرى

وقال آخر

ان عينى مذ غاب شخصك عنها * يأمر السهد فى كراها وينهى
بدموع كأنهن الغوادى * لاتسل ماجرى على الخد منها

وقال آخر

يقولون لى والدمع قرح مقلتى * بنار أسى من حبة القلب تقدح
أدمعك جرقلت لاتتعجبوا * فكل وعاء بالذى فيه ينضح

وقال البدر الذهبى

قالوا تباكى بالدموع ومابكى * بدم على عيش تصرم وانقضى
فأجبتهم هو من دمى لكنه * لما تصاعد صار يقطر أبيضا

وقال ابن مطروح فى الغيرة

ولو أمسى على تلفى مصرا * لقلت معذبى بالله زدنى
ولاتسمح بوصلك لى فانى * أغار عليك منك فكيف منى

وقال آخر

أغار عليك من نظرى ومنى * ومنك ومن مكانك والزمان
ولو أنى خبأتك فى جفونى * الى يوم القيامة ما كفانى

المظفر بن عمر الآمدى

قلت للذين جفونى اذ لهجت بهم * دون الانام وخير القول أصدقه
أحبكم وهلاكى فى محبتكم * كعابد النار يهواها وتحرقه

وقال غيره

لم أنس أيام الصبا والهوى * لله أيام الصبا والنجاح
ذاك زمان مرحلو الجنى * ظفرت فيه بحبيب وراح

الشريف الرضى

عللانى بذكركم واسقيانى * وامزجالى دمعى بكأس دهاق
وخذا النوم من جفونى فانى * قد خلعت الكرى على العشاق

وقال آخر

قالوا أترقد مذ غبنا فقلت لهم * نعم وأشفق من دمعى على بصرى
ماحق طرف هدانى نحو حسنكم * أنى أعذبه بالدمع والسهر

عز الدين الموصلى

فسدت لطول بعادكم أحلامنا * وعقولنا وجفا الجفون منام
والطيف قد وعد الجفون بزورة * ياحبذا ان صحت الاحلام

ومما قيل فى السهر وطول الليل ونحو ذلك قال الشاعر

ورب ليل سهرناه وقد طلعت * بقية البدر في أولى تسايره
كأنما أدهم الظلماء حين نجا * من أشهب الصبح ألقى نعل حافره

وقال آخر

ليل المحب مطوي جوانبه * مشمر الذيل منسوب الى القصر
ماذاك الالأن الصبح نم بنا * فأطلع الشمس من غيظ على القمر

وقال غيره

فلم أر مثل ليل ذوي التصابي * وكل يشتكيه بكل حال
فيشكو طوله أهل التجافي * ويشكو قصره أهل الوصال

وقال آخر

ليلي وليلى سواء في اختلافهما * قد صيراني جميعا في الهوى مثلا
يجود بالطول ليلي كلما بخلت * بالطول ليلى وان جادت به بخلا

وقال آخر

ان الليالي للانام مناهل * تطوى وتنشر بينها الاعمار
فقصارهن مع الهموم طويلة * وطوالهن مع السرور قصار

وقال غيره

رب ليل لم أذق فيه الكرى * حظ عيني فيه دمع وسهر
كلما هيج ليلي حرقي * صحت ياليل أمافيك سحر

وقال آخر

ياليل طل أولا تطل * لابد لي من سهرك
لو بات عندي قمري * مابت أرعى قمرك

وقال بشار بن برد

خليلي مابال الدجى لايزحزح * ومابال ضوء الصبح لايتوضح
أضل النهار المستنير طريقه * أم الدهر ليل كله ليس يبرح

وقال آخر

كأن الثريا راحة تشبر الدجى * لتعلم طال الليل أم قد تعرضا
فليلي تراه بين شرق ومغرب * يقاس بشبر كيف يرجى لها نقضا

وقال ابن منقذ

لما رأيت النجم ساه طرفه * والقطب قد ألقى عليه سباتا
وبنات نعش في الحداد سوافر * ايقنت ان صباحهم قد ماتا

وقال آخر في ليلة ممطرة

أقول والليل في امتداد * وادمع الغيث في انسفاح
اظن ليلي بغير شك * قد بات يبكي على الصباح

ومما جاء في الاشعار الخمرية قول صفي الدين الحلي

بدت لنا الراح فى تاج من الحبب * ففرّقت حلة الظلماء باللهب
بكر اذا زوّجت بالماء أولدها * أطفال در على مهد من الذهب
بقية من بقايا قوم نوح اذا * لاحت جلت ظلم الاحزان والكرب
بعيدة العهد بالمعصار لو نطقت * لحدثتنا بما فى سالف الحقب
باكرتها برفاق قد زهت بهم * قبل السلاف سلاف العلم والادب
بكل متشح بالفضل مؤتزر * كأن فى لفظه ضربا من الضرب
بل رب ليل غدا فى الاهاب غدت * تنقض فيه كؤس الراح كالشهب
بذلت عقلى صداقا حين بت به * أزوج ابن سحاب بابنة العنب
بتنا بكاساتها صرعى ومطربنا * بعيد أرواحنا من شدة الطرب
بعث ألم فلم نعلم أفرحتنا * من نفخة الصور أم من نفخة القصب
بروضة طل فيها الطل أدمعه * والزهر مبتسم عن ثغره الشنب

وقال أيضا

تاب الزمان من الذنوب فوات * واغنم لذيذ العيش قبل فوات
تم السرور فقم بنا يا صاحبى * نستدرك الماضى بنهب الآتى
توج بكاسات الطلا هام الربا * فى روضة مطلولة الزهرات
تغدو سلاف القطر دائرة بها * والكاس دائرة بكف سقاة
تابع النضار على العقار غنيمتى * وفراغ راحاتى على الراحات
تركى لأكياس النضار جهالة * من ذا أحق بها من الكاسات
تبدت يدا من تاب عن رشف الطلا * والكاس متقد كخد فتاة
تابع الى أوقاتها داعى الصبا * واعجب لما فيها من الآيات
تم بها نقص السرور فانها * عند الكرام تتمة اللذات

وقال أيضا

حى الرفاق وطف بكاس الراح * واطرز بكاسك حلة الافراح
حث الكؤس على جسوم أصبحت * فيها المدام شريكة الارواح
حاش الانام وعاطنى مشمولة * ظنت فسادى وهى عين صلاحى
حمراء لو ترك السقاة مزاجها * أغنى تلألؤها عن المصباح
حبب تظل به الكؤس كأنها * خصر الفتاة ممنطق بوشاح
حجب الحباب شعاعها فكانه * شفق تلهب تحت ذيل صباح
حكم الزمان وغض عنا طرفه * ياصاح لا تقنع بانك صاح

وقال آخر

قد قلت اذ أضحى يعبس كلما * دارت عليه بالمدام الاكؤس
تالله ما أنصفتها يا سيدى * تأتيك باسمة وأنت تعبس

عز الدين الموصلي

لئن شبه الساقي المدام بعسجد * فقد مال بالتشبيه عن صيغة الادب
ولكن رآها جوهرا سميت طلا * فيزما قد حلت الكاس بالذهب

يزيد بن معاوية

وشمسة كرم برجها قعر دنها * ومطلعها الساقي ومغربها في
مدام كثير في اناء كفضة * وساق كبدر مع ندامى كانجم

وقال آخر

كأن الندامى والسقاة ودننا * وكاساتنا في الروض تملى وتشرب
شموس وأقمار وفلك وأنجم * ونور ونوار وشرق ومغرب

وقال آخر

فكانها وكأن حامل كأسها * اذ قام يجلوها على الندماء
شمس الضحى رقصت فنقط وجهها * بدر الدجا بكواكب الجوزاء

وقال كشاجم

صدح الديك في الدجى فاسقنيها * خمرة تترك الحليم سفيها
لست أدري من رقة وصفاء * هي في الكاس أم هو الكاس فيها

كمال الدين بن النبيه

قم يا غلام ودع مقالة من نصح * فالديك قد صدع الدجى لما صدح
خفيت تباشير الصباح فاسقني * ماضل في الظلماء من قدح القدح
صهباء ما لمعت بكف مديرها * لمقطب الا تهلل وانشرح
تالله ما مزج المدام بمائها * لكنه مزج المسرة بالفرح
هي صفوة الكرم الكريم فاسرت * سرا وها في باخل الاسمح
من كف فتان اللحاظ بوجهه * عذر لمن خلع العذار أو افتضح

وقال غيره

وليلة أوسعتني * حسنا ولهوا وأنسا
مازلت ألثم بدرا * بها واشهد شمسا

عبد الله بن محمد العطار وقيل يزيد بن معاوية

وكاس يرينا آية الصبح في الدجى * فأولها شمس وآخرها بدر
مقطبة مالم يزرها مزاجها * فان جاءها جاء التبسم والبشر
فيا عجبا للدهر لم يخل مهجة * من العشق حتى الماء يعشقه الخمر

وقال ابن تميم

وليلة بت أسقى من غياهبها * راحا تسل شبابي من يد الهرم
مازلت أشربها حتى نظرت الى * غزالة الصبح ترعى نرجس الظلم

ابن

ابن مكانس

نزل الطل بكرة * وتوالى تجددا *
والندامى تجمعوا * فاجل كاسى على الندى

الشيخ شهاب الدين الحجازى

كاسنا ياصاح صرفا * جليت بين الندامى
لم نجد ماء لمزج * فقنعنا بالنداما

صفى الدين الحلى

كيف لا تخضع العقول لديها * وهى سلطان سائر المسكرات
ألفوا فى الكؤس اذ مزجوها * بين ماء الحيا وماء الممات

غيره

صبها فى الكاس صرفا * غلبت ضوء السراج
ظنها فى الكاس نارا * فطفاها بالمزاج

مجد الدين بن تميم

نديمى لا تسقنى * سوى الصرف فهو المنى
ودع كاسها أطلسا * ولا تسقنى مع دنى

تقى الدين بن حجة

حبابها عاصرها فى كاسها * مشرقة باسمة كالثغر
وقال هذى تحفة فى عصرنا * قلت اسقنيها يا امام العصر

أبو الطيب المتنبى

ياصاحبى امزجا كاس المدام لنا * كيما يضئ لنا من أفقها الغسق
خمرا اذا ما نديمى هم يشربها * أخشى عليه من اللألاء يحترق
لو راح يحلف أن الشمس ما غربت * فى فيه كذبه فى وجهه الشفق

وقال آخر

بنت كرم يتموها أمها * وأهانوها بدوس بالقدم
ثم داروا حكموها فيهم * ويلهم من جور مظلوم حكم

وقال آخر

عناقيد على قضب تدلت * حكى منظومها عقد اللآلى
اذا عصرت بدا فى الكاس منها * دوالى قد تربت فى دوالى

برهان الدين بن المعمار

يا كرم الكرم العنب المجتنى * واستجنه من عند عنابه
واعصره واستخرج لنا ماءه * لكى تزيل الهم عنا به

جولان العاذلى

اذا ما الخمر في الكاسات صبت * رأيت لها شموسا في بروج
وان جليت على الندمان يوما * تراجعت الهموم على الخروج

وقال في الشراب المطبوخ

يا من يعذب ماء الكرم يحرقه * بالنار في أي شئ تطلم العنبا
ان التي طبختها الشمس أنفع لي * ولست أخمر لا قدرا ولا حطبا

وقال أيضا

وعتيقة رقت وراق مزاجها * لطفا وأنحلها الزمان الغابر
لم يبق منها غير نور ساطع * لا يستطيع يحول فيه الناظر
ترنو اليك من الحباب بأعين * خلقت ولم تخلق لهن محاجر

وقال غيره

لا تعصرن زبيبا واعتصر عنبا * فبين هذين فرق نابه صريح
هذا من الحي للاحياء معتصر * وذاك يعصر من جسم بلا روح

وقال غيره

عابوا على مداما * أخوتها الصبوحي
واستنكروها وقالوا * تخللت قلت روحي

وقال آخر في الشراب على الرعد والبرق

أما ترى الرعد بكى فاشتكى * والبرق قد أومض فاستضحكا
فاشرب على غيم كصبغ الدجى * أضحك وجه الروض لما بكى
وانظر لماء النيل في مده * كأنه صندل أو مصطكا

وقال آخر

يا ليلة جمعت لنا الاحبابا * لو شئت دام لنا النعيم وطابا
بتنا بها نسقى سلافا قرقفا * يذر الصحيح بعقله مرتابا
من كف غانية كأن بنانها * من فضة قد قمعت عنابا

وقال آخر

أما ترى الغيث كالباكي بأدمعه * والارض تضحك والازهار في فرح
فقم فديتك نشكو ما نكابده * من الزمان وما ناقي الى القدح

ابن نباتة

أما ترى الليل قد ولت غياهبه * وعارض الفجر بالاشراق قد طلعا
فاشرب على وردة وردية قدمت * كأنها خد ريم ريم فامتنعا

ومن شعر عضد الدولة

طربت الى الصبوح مع الصباح * وشرب الراح والغرر الملاح
وكان الثلج كالكافور نثرا * وناري بين نارنجي وراحي
فشمومي ومشروبي وناري * وثلجي والصباح مع الصباح

لهيب في لهيب في لهيب * صباح في صباح في صباح

ابن وكيع

وصفراء من ماء الكروم كأنها * فراق عدوّ أو لقاء صديق
كأنّ الحباب المستدير بطوقها * كواكب درّ في سماء عقيق
صببت عليها الماء حتى تعوضت * قميص بهار من قميص شقيق

وقال آخر

وحمراء قبل المزج صفراء بعده * أتت بين ثوبي نرجس وشقائق
حكت وجنة المعشوق صرفا فسلطوا * عليها مزاجا فاكتست لون عاشق

وقال آخر

اذا الكروان صاح على الرمال * وحل البدر في برج الكمال
وجعدوجه بركتنا هبوب * تمرّ به الجنوب مع الشمال
وحرّكت الغصون فشابهتها * قدود سقاتنا في كل حال
فهات الكاس مترعة ودعني * أبادر لذتي قبل ارتحالي
فكل جماعة لا شك يوما * يفرق بينهم صرف الليالي

وقال آخر في الشراب على الغيم

أرى غيما تؤلفه جنوب * ويوشك أن يوافقنا بهطل
فوجه الرأي ان تدعو برطل * فنشرب به وتدعو لي برطل

وقال آخر

فيا بكريا كر بكرة بكر كرمة * تفز بكور باكرتك بها بكر
وداو خمار الخمر بالخمر انما * دواء خمار الخمر من دائها الخمر

الصنوبري

لا تبكين على الاطلال والدمن * ولا على منزل أقوى من السكن
وقم بنا نصطبح صهباء صافية * تنفي الهموم ولا تبقي على الحزن
بكرا معتقة عذراء واضحة * تبدو فتخبرنا عن سالف الزمن
حمرا مروقة صفراء فاقعة * كأنما مزجت من طرفك الوسني
يسعى بها اغنج في خده ضرج * في ثغره فلج ينمى الى اليمن
في ريقه عسل قاني به خبل * في مشيه ميل أربى على الغصن
كأنه قمر ما مثله بشر * في طرفه حور ريز نو فيجرحني
سبحان خالقه يا ويح عاشقه * يهدى لرامقه صنفا من الشجن
في روضة زهرت بالنبت قد حسنت * كأنها فرشت من وجهه الحسن
يا طيب مجلسنا والطير يطربنا * والعود يسعدنا مع منشد لسن

كمال الدين بن النبيه

طاب الصبوح لنا فهاك وهات * واشرب هنيئا يا اخا اللذات

* كذا التوانى والزمان مساعد * والدهر سمح والحبيب موانى
قم واغتبق من شمس كاسك واصطبح * بكواكب طلعت من الكاسات
* حمراء صافية توقد نورها * فحمت للنيران فى الجنات
* ينسل فى قار الظروف حبابها * والدر مجتلب من الظلمات
* عذراء واقعها المزاج أما ترى * منديل عذرتها بكف سقاتى
* يسعى بها عبل الروادف اهيف * خنث الشمائل شاطر الحركات
* يهوى فتسبقه ذوائب شعره * ملتفة كأساود الحيات
* لو قسمت أرزاقنا بيمينه * عدل الزمان على ذوى الحاجات

وقال أيضا

باكر صبوحك أهنى العيش باكره * فقد ترنم فوق الايك طائره
والليل تجرى الدرارى فى مجرته * كالروض تطفو على نهر أزاهره
وكوكب الصبح نجاب على يده * مخلق تملأ الدنيا بشائره
فانهض الى ذوب ياقوت لها حبب * تنوب عن ثغر من تهوى جواهره
حمراء من وجنة الساقى لها شبه * فهل جناها مع العنقود عاصره
ساق تكون من صبح ومن غسق * فابيض خداه واسودت غدائره
بيض سوالفه لعس مراشفه * نعس نواظره خرس أساوره
مفلج الثغر معسول اللمى غنج * مؤنث الجفن فحل اللحظ شاطره
مهفهف القد يبدى جسمه ترفا * مخصر الخصر عبل الردف وافره
تعلمت بانة الوادى شمائله * وزورت سحر عينيه جآذره
كأنه بسواد اللحظ مكتحل * وركبت فوق صدغيه محاجره
فلو رأت مقلتاها روت آيته الـ * كبرى لآمن بعد الكفر ساحره
خذ من زمانك ما أعطاك مغتنما * وأنت ناه لهذا الدهر آمره
فالعمر كالكاس تستحلى أوائله * لكنه ربما مرت أواخره
واجسر على فرص اللذات محتقرا * عظيم ذنبك ان الله غافره

وقال آخر

شربنا بالمواطى ثم رحنا * نعالل بالكؤس وبالقنانى
ولولا ضيقة الاجرام قلنا * لساقيها أدرها بالدنان

برهان الدين القيراطى

أرى جرار الخمر تغلو وقد * عزت وبالافلاس حالى عجيب
جئنا لخمار وقلنا له * اجمل البناجرة كى نطيب
قال زبيبا تريدون أم * خمرا فان الكل منى قريب
قلنا له خمرا فنادى زنوا * فى جرة عشرين قلنا الزبيب

وقال أيضا

صرف الزبيب لصرف همى * نص على نفعه طبيبى

آهاعلى سكرة لعلى * أن أخلط الهم بالزبيب

وقال قالوا اترك الخمر واجتنبها * لا تتخذ الحرام حذا

قلت أراها للروح قوتا * وطالب القوت ما تعدى

وما قيل في شرب الفقهاء

يحمون بالفقه عرض الدين من سفه * علما بتصريف أحوال وتحقيق

وبعضهم يكرع الصهباء مغتنما * تحت الظلام بأفواه الاباريق

فيمن يطيل الحديث والكاس في يده

وشادن نطقه جار اذا شفعت * في مجلس الشرب كاسات بطاسات

يظل يحكي وكاس الراح في يده * حكاية عرضها عرض السموات

وما قيل في كريم السكر لئيم الصحو

اذا هز اللئيم السكر يوما * بدا في بذل مال فيه ضنا

يجود بماله في الشرب سكرا * ويأكل كفه في الصحو حزنا

وقيل في شجاع السكر

اذا شرب الجبان الخمر يوما * أعارته الشجاعة باللسان

وعند الصحو تلقاه جزوعا * اذا اشتد اللقا يوم الطعان

وفيه أيضا

يقول جبان القوم في حال سكره * وقد شرب الصهباء هل من مبارز

وأين الخيول الاعوجيات في الوغى * أنازل فيها كل ليث مناهز

ومن لي بحرب ليس يخمد نارها * لعمري انى لست فيها بعاجز

ففي السكر قيس وابن معدى وعامر * وفي الصحو تلقاه كبعض العجائز

وقال في شرب الثلاثة

ثلاثة في مجلس طيب * وعيشهم ما فيه تكدير

هذا يغني ذا وهذا لذا * يسقي وذا بالشرب مسرور

وقيل في شرب الاربعة

الا انما خير المجالس مجلس * به وله صفو الزمان مساعد

فتاة وساق والمغنى وصاحب * وخامسهم هم على الكل زائد

وقيل في شرب الستة

خير المجالس خمسة أو ستة * أو سبعة وعلى الكثير ثمانيه

فاذا تعدى صار شغلا شاغلا * وتكسرت بين الرجال الآنيه

فاهرب اذا ما كنت تاسع مجلس * ولئن أتيت به فامك زانيه

وما قيل في الشرب مع التجار

شربت مع التجار وكان يوما * جعلت حضورنا فيه وداعا

فذاك يقول كم أطلقت بيعا * ووفيت الذي بعت الذراعا

وهذا قال عندي كل شئ * ولكن لا أبيع ولا أباعا
فلا تجعلهم أبدا ندامى * فتكسب من مجالسهم صداعا

فيمن أكل على الشراب

وندمان اذا ما الكاس دارت * بغير الاكل ارتعدت يداه
نديم دأبه في السكر أكل * فلا يبقى على شئ يراه

وقيل في قدح

غرامي ووجدي بالذي كان في الثرى * مهانا فاضحى في المجالس حاكما
قضى ما عليه من ورود جهنم * فصار لجنات النعيم ملازما

محمد بن جعفر الانصاري يستدعي بعض اصدقائه الى الشراب

بساط الارض مسك أو عبير * وزهر الروض وشي او حرير
وقد صفى الدنان الخمر حتى * لقد عادت لدينا وهي نور
ومن برد السرور بعش هنيئا * اذا العيش المهنى هو السرور
وعندي اليوم فتيان كرام * وجوههم شموس أو بدور
وقطب الامر أنت وهل لامر * بغير القطب فيه رحى تدور
فرأيك في الحضور رفيق يومي * عليك وقد دعاك له الحضور

وقال آخر

باكر صبوحك واشربها مشعشعة * واهنأ بعيش حميد غير مذموم
حمراء من بعد ما احمرت موردة * طافت علينا فسرت كل مهموم
كأن في كاسها والماء يقرعها * أكارع النمل أو نقش الخواتيم
لا صاحبتني يد لم تغن ألف يد * ولم ترد القنا حمر الخياشيم
بادر بجودك بادر قبل عائقه * فان خلف الفتى عندي من اللوم

سيف الدولة بن حمدان في ساق

وساق صبيح للصبوح دعوته * فقام وفي أجفانه سنة الغمض
يطوف بكاسات العقار كانجم * فما بين منقض علينا ومنفض
وقد نشرت ايدي النجوم مطارفا * على الجود كنا والحواشي على الارض
يطرزها قوس السماء بأصفر * على أحمر في أخضر تحت مبيض
كاذيال خود أقبلت في غلائل * مصبغة والبعض أقصر من بعض

ابن نباتة

سقى وواعدني وصلا ألذ به * عند المنام ولا والله ما وصلا
قبله الله من ساق مواعده * كانت مواعيد عرقوب لها مثلا

وقال آخر في ساق

وساق كالهلال سعى بكاس * لربة نرجس فسقى وحيا
فقلت تأملوا بدرا منيرا * سقى شمسا وحيا بالثريا

وفيه

وفيه لابن النبيه

ساق صحيفة خده ما سوّدت * عيناي لام عذاره وبنونه
جيد الذي بيمينه في خده * وجرى الذي في خده بيمينه

في جارية ساقية

نديمتي جارية ساقية * ونزهتي ساقية جاريه
جارية أعينها جنة * وجنة أعينها جاريه

فيمن حبس الكاس في يده

قالوا الذي تهواه يحبس كاسه * في كفه من غير ذنب موجب
فاجبتهم كفوا الملام فانه * قرينه طرفه في كوكب

وقال آخر في مجلس أنس

ومجلس راق من واش يكدّره * ومن رقيب له باللوم ايلام
ما فيه ساع سوى الساقي وليس له * على الندامى سوى الريحان نمام

صفي الدين الحلي في عود

وعود به عاد السرور لانه * حوى اللهو قدماوهو ريان ناعم
يغرب في تغريده فكانه * يعيد لنا ما لقنته الحمائم

وقال آخر في زامرة

وناطقة بالنفخ عن روح ربها * تعبر عما دوننا وتترجم
سكتنا وقالت للقلوب فاطربت * فنحن سكوت والهوى يتكلم

ومما قيل في فانوس لابن تميم

انظر الى الفانوس تلق متيما * ذرفت على فقد الحبيب دموعه
يبدو تلهب جسمه لنحوله * وتعد من تحت القميص ضلوعه

وفيه لابن قزل

وكأنما الفانوس في غسق الدجى * دنف براه شوقه وسهاده
أضلاعه خفيت ورق أديمه * وجرت مدامعه وذاب فؤاده

ولبعضهم في شمعة

حكتني وقد أودى بي السقم شمعة * وان كنت صبا دونها متوجعا
ضنى وسهادا واصفرارا ورقة * وصبرا وصمتا واحتراقا وأدمعا

(ومما قيل في الربيع والرياض والبساتين والمياه والنواعير ونحو ذلك) قال الشاعر

هذا الربيع وهذه أزهاره * متجاوب في أيكه أطياره
وبدا البنفسج والشقائق مونق * والورد يضحك بينها وبهاره
فاشرب على وجه الحبيب وغنّ لي * هذا هواك وهذه آثاره

وقال غيره

غدونا على الروض الذي طله الندى * سحيرا وأوداج الاباريق تسفك

فلم نر شيأ كان أحسن منظرا * من النور يجرى دمعه وهو يضحك

وقال آخر

اما ترى الارض قد أعطتك زهرتها * بخضرة واكتسى بالنور عاريها
فللسماء بكاء فى جوانبها * وللربيع ابتسام فى نواحيها

غيره

ان السماء اذا لم تبك مقلتها * لم تضحك الارض عن شئ من الزهر
والارض لا تنجلى أنوارها أبدا * الا اذا رمدت من شدة المطر

وقال ابن قرناص

ايا حسنها من رياض غدا * جنونى فنونا بافنانها
مشى الماء فيها على رأسه * لتقبيل أقدام اغصانها

وقال آخر

انظر الى الاغصان كيف تعانقت * وتفارقت بعد التعانق رجعا
كالصب حاول قبلة من الفه * فرأى المراقب فانثنى متوجعا

وقال ابن تميم

وحديقة ينساب فيها جدول * طرفى برونق حسنها مدهوش
يبدو خيال غصونها فى مائه * فكأنما هو معصم منقوش

وقال أيضا عفا الله عنه

لم لا أهيم الى الرياض وحسنها * وأظل منها تحت ظل ضافى
والزهر حيانى بثغر باسم * والماء وافانى بقلب صافى

وقال آخر

قد سعينا نبغى زيارة دوح * قد حبانا بالطف والاكرام
ناولتنا أيدى الغصون ثمارا * أخرجتها لنا من الاكمام

(ومما قيل فى الازهار والثمار) قال بعضهم فى الورد

يا راقدا ونسيم الصبح منتبه * فى روضة القصف والاطيار تنتحب
الورد ضيف فلا تجهل كرامته * فهاتها قهوة فى الكاس تلتهب
سقيا له زائرا تحيا النفوس به * يجود بالوصل شهرا ثم يحتجب

وقال آخر فيه

طاب الزمان وجاء الورد فاصطبحا * مادام للورد أنوار وأزهار
واستقبلا عيشنا بالكاس مترعة * لا طولت للئام الناس اعمار

وقال آخر

اشرب على الورد من حمراء صافية * شهرا وعشرا وخمسا بعدها عددا
واستوف بالكاس من لهو ومن طرب * فلست تأمن صرف الحادثات غدا

وقال

وقال آخر

اشرب على ورد الخدود فانها * أيام ورد والصبوح يطيب
ما الورد أحسن منظرا من وجنة * حمراء جاد بها عليك حبيب

وقال بعضهم

ولقد رأيت الورد يلطم خده * ويقول وهو على البنفسج يحنق
لا تقربوه وان تضوع نشره * من بينكم فهو العدو الازرق

(ومما قيل في البنفسج) وقال ابن المعتز

ولازوردية وافت بزورتها * بين الرياض على زرق اليواقيت
كأنها فوق طاقات ضعفن بها * أوائل النار في أطراف كبريت

وقال آخر

اشرب على زهر البنفسج قهوة * تهدي السرور لكل صب مكمد
فكأنه قرص بخد مهفهف * أو أعين زرق كحلن باثمد

ولبعضهم في الورد

للورد فضل على زهر الربيع سوى * ان البنفسج أزكى منه في المهج
كأنه وعيون الناس ترمقه * آثار قرص بدا في خد ذي غنج

وقال آخر

يا مهديا لي بنفسجا أرجا * يرتاح صدري له وينشرح
بشرني عاجلا مصحفه * بان ضيق الامور ينفسح

وقال غيره في النرجس

وقضب زمرد تعلو عليها * عيون لم تذق طعم الغماض
توهمت الغمام لها رقيبا * فنكست الرؤس الى الرياض

وقال آخر فيه

أنت يا نرجس روض * لزهور الارض ست
ودليل القول فيك * ان أوراقك ست

وقال آخر فيه

أقول وطرف النرجس الغض شاخص * الي وللنمام حولي المام
أيا رب حتى في الحدائق أعين * علينا وحتى في الرياحين نمام

وقال أيضا فيه

المتمادي الورد في زهره * وراح من اعجابه برأس
تلون المنثور مما به * واصفر من غيظ به النرجس

(ومما قيل في النيلوفر) لابن المعز المصري

وبركة تزهو بلينوفر * نسيمه انشبه نشر الحبيب
مفتح الاجفان في نومه * حتى اذا الشمس دنت للمغيب

أطبق جفنيه على خده * وغاص فى البركة خوف الرقيب

وقال تميم بن المعز المصرى

رأيت فى البركة لينوفرا * فقلت ما شأنك وسط البرك
فقال لى غرقت فى أدمعى * وصادنى ظبى الفلا بالشرك
فقلت ما بال اصفرار بدا * فيك وما هذا الذى غيرك
فقال لى ألوان أهل الهوى * صفر ولو ذقت الهوى صفرك

ومما قيل فى البان

قد أقبل الصيف وولى الشتا * وعن قليل تسأم الحرا
أما ترى البان باغصانه * قد قلب الفرو الى برا

وقال آخر فيه

أما ترى البان الذى يزهو على * كل الغصون بقده المياس
وافى يبشر بالربيع وقربه * يختال فى السنجاب والبرطاس

وقال فى الشقيق

حييته بشقائق فى مجلس * ورأى الرقيب فشق ذاك عليه
فاحمر من خجل فأبدت خده * اضعاف ما حملت يداى اليه

وقال آخر

لو لم أعانق من أحب بروضة * أحداق نرجسها الينا تنظر
ما انشق جيب شقيقها حسدا ولا * بات النسيم بذيله يتعثر

وقيل ان ابن الرومى الشاعر زار قبر اخيه يوما فوجد الشقائق قد نبتت على قبره فأنشد يقول

قالت شقائق قبره * ولرب أخرس ناطق * فارقته ولزمته * فانا الشقيق الصادق

(ومما قيل فى المنثور)

تخال منثورها فى الدوح منتثرا * كانما صيغ من در وعقيان
والطير ينشد فى اغصانه سحرا * هذا هو العيش الا انه فانى

وقال آخر

قد اقبل المنثور يا سيدى * كالدر والياقوت فى نظمه
تنسك الازال كانفاسه * ومخ من يشناك مثل اسمه

ولبعضهم فيه

ولقد خلوت مع الاحبة مرة * فى روضة للزهر فيها معرك
ما بين منثور أقام ونرجس * مع اقحوان وصفه لا يدرك
هذا يشير باصبع وعيون ذا * ترنو اليه وثغر هذا يضحك

ومما قيل فى الياسمين

والارض تبسم عن ثغور رياضها * والافق يسفر تارة ويقطب
وكأن مخضر الرياض ملاءة * والياسمين لها طراز مذهب

وقال آخر

رأيت الفأل بشرني بخير * وقد اهدى الى الياسمين
فلا تحزن فان الحزن شين * ولا تيأس فان الياس مين

ومما قيل في السوسن للاخطل الاهوازي

سقى الارض اذا ما نمت نبهني * بعد الهدو بها قرع النواقيس
كأن سوسنها في كل شارقة * على الميادين أذناب الطواويس

ومما قيل في الاقحوان لعبد القادر بن مهنا المغربي

افدى الذى زارني سرا فاتحفني * باقحوان يحاكى ثغر مبتسم
فبت من فرحي أفني مقبله * لثما وأرشف من ريق له شبم

ولبعضهم فيه

ان فاه ثغر الاقاحي في تشبهه * بثغر حبك واستولى به الطرب
فقل له عند ما يحكيه مبتسما * لقد حكيت ولكن فاتك الشنب

ومما قيل في الجلنار

وجلنار مشرق * على اعالي شجره * كأنه في غصنه * أحمره وأصفره
قراضة من ذهب * في خرقة معصفره

ومما قيل في الآس

أهديت مشبه قدك المياس * غصنا نضيرا ناعما من آس
فكأنما يحكيك في حركاته * وكأنما تحكيه في الانفاس

ومما قيل في الريحان

وغصن من الريحان أخضر ناضر * نما بين غصني نرجس وشقائق
يريك اذا كف الصبا عبثت به * شمائل معشوق وذلة عاشق

وفيه ايضا

وريحان يميس بحسن قد * يلذ بشمه شرب الكؤس
كسودان لبسن ثياب خز * وقد قاموا مكاشيف الرؤس

وقال آخر

قضيب من الريحان شاكل لونه * اذا ما بدا للعين لون الزبرجد
فشبهته لما بدا متجعدا * عذارا تبدى في سوالف أغيد

(ومما قيل في الفواكه والثمار على اختلافهما) في الاترج قال ابن الرومي

كل الخلال التي فيكم محاسنكم * تشابهت منكم الاخلاق والخلق
كأنكم شجر الاترج طاب معا * حملا ونشرا وطاب العود والورق

ولبعضهم فيه

حباك من تهوى باترجة * ناعمة مقدودة غضه
فجلدها من ذهب أصفر * وجسمها الناعم من فضه

وقال آخر

يا حبذا أترجة * تحدث للنفس الطرب * كأنها كافورة * لها غشاء من ذهب

في الليمون قول أبي الحسن رئيس الرؤساء

يا حسن ليمونة حبابها قر * حلو المقبل ألمى بارد الشنب
كأنها أكرة من فضة خرطت * واستودعوه اغلافا صيغ من ذهب

وفيه أيضا

وصاحب نادبته * والطير لم يغرد * انهض الى الراح ولا * ترضى بعيش نكد
واشرب سلافا قرقفا * من كف ساق اغيد * قد اكتست تلهبا * من خده المورد
ولا تدع مجتهدا * لذة يوم لغد * أما ترى الليمون في * غصن من الزبرجد
كأكرة من فضة * مملوأة من عسجد

في النارنج لعبد الله بن المعتز

نظرت الى نارنجة في غصنه * كجمرة نار وهي باردة اللمس
فقربها من خده فتألفت * فشبهتها المريخ في دارة الشمس

وقال آخر

ونارنجة بين الرياض نظرتها * على غصن رطب كقامة أغيد
اذا ميلتها الريح مالت كأكرة * بدت ذهبا في صولجان زبرجد

وقال آخر

ونارنج يلوح على غصون * ومنه ماترى كالصولجان
اشبهها ثديا ناهدات * غلائلها صبغن بزعفران

وقال آخر

وأشجار نارنج كأن ثمارها * حقاق عقيق قد ملئن من الدر
نطالعها بين الغصون كأنها * قدود عذارى في ملاحفها الخضر
أتت كل مشتاق برياحبيبه * فهاجت له الاشجان من حيث لا يدرى

في التفاح لبعضهم

ولما بدا التفاح احمر مشرقا * دعوت بكاسى وهي ملأى من الشفق
وقلت لساقيها أدرها فعندنا * خدود الاغانى قد جمعن على طبق

وقال آخر في تفاحة

وتفاحة من سندس صيغ نصفها * ومن جلنار نصفها وشقائق
كأن الهوى قد ضم من بعد فرقة * بها خد معشوق الى خد عاشق

ولبعضهم فيه

تفاحة كسيت لونين خلتهما * خد المحب ومحبوب قد التصقا
تعانقا فبدا واش فراعهما * فاحمر ذا خجلا واصفر ذا فرقا

وقال آخر

وتفاحة وردية ذهبية * تجلى عن المهموم ليل هموم
كأن سلاف الخمر روى أديمها * بخمر فجاءت باحمرار أديمه
تذكرني شكل الحبيب وحسنه * وتوريد خديه وطيب نسيمه

وقال آخر

حمرة التفاح في خضرته * أشبه الالوان من قوس قزح
فعلى التفاح فاشرب قهوة * واسقنيها بنشاط وفرح

وفيه أيضا

اهدى لنا التفاح من كفه * من لم يزل يجنيه من خده
وخط بالمسك على بعضها * قد عطف المولى على عبده

وقيل في السفرجل

حاز السفرجل لذات الورى فغدا * على الفواكه بالتفضيل مشهورا
كالراح طعما وشم المسك رائحة * والتبر لونا وشكل البدر تدويرا

وقال آخر

سفرجلة صفراء تحكي بلونها * محيا شجاه للحبيب فراق
اذا شمها المشتاق شبه ريحها * بريح حبيب لذ منه عناق
وطيبة عند المذاق فطعمها * كريق حبيب طاب منه مذاق

وقال آخر

سفرجلة جمعت أربعا * فكان لها كل معنى عجيب
صفار النضار وطعم العقار * ولون المحب وريح الحبيب

وقيل في الكمثرى

وكمثرى لذيذ الطعم حلو * شهي جاء من دوح الجنان
منا قير الطيور اذا اقتلنا * مغبرة بلون الزعفران

ابن برغش متغزلا

وكمثرى سباني منه طعم * كطعم الشهد شيب بماء ورد
لذيذ خلقه لما أتانا * نهود السمر في معنى وقد

ومما قيل في المشمش

بدا المشمش الاشجار يذكو شهابه * على غض اغصان من الروض ميد
حكى وحكت أشجاره في اخضراره * جلاجل تبر في قباب زبرجد

ماقيل في الاجاص

انظر الى شجر الاجاص قد حملت * أغصانه ثمرا ناهيك من ثمر
تراه في أخضر الاوراق مستترا * كما اختبى الزنج في خضر من الازر

ماقيل في الخوخ

أهدى الى الصديق خوخا * منظره منظر أنيق
من كل مخصوصة بحسن * معناه فى مثلها دقيق
حمراء صفراء مستعير * بهجتها التبر والعقيق
كوجنة مسها خلوق * فزال عن بعضها الخلوق

ماقيل فى الفستق

تفكرت فى معنى الثمار فلم أجد * لها ثمرا يبدو بحسن مجرد
سوى الفستق الرطب الجنى فانه * زها بمعان زينت بتجرد
غلالة مرجان على جسم فضة * واحشاء ياقوت وقلب زبرجد

ماقيل فى البندق

ولقد شربت مع الحبيب مدامة * حمراء صافية بغير مزاج
فتفضل الظبى البهى ببندق * شبهته ببنادق من ساج
فكسرته فوجدت ثوبا أحمرا * قد لف فيه بنادق من عاج

ومما قيل فى النبق

وسدرة كل يوم * من حسنها فى فنون * كانما النبق فيها * وقد حلا فى العيون
جلاجل من نضار * قد علقت فى الغصون

ومما قيل فى اللوز

ومهد الينا لوزة قد تضمنت * لمبصرها قلبين فيها تلاصقا
كانهما حبان فازا بخلوة * على رقبة فى مجلس فتعانقا

فى العنب لبعضهم

هدية شرفتنا من أخ ثقة * نعم الهدية اذ وافتك من يده
نوعان من عنب جاآ على طبق * كان طيبهما من طيب محتده
فأبيض العين يحكى لون أبيضه * وأسود العين يحكى لون أسوده

فى قصب السكر

ورماح لغير طعن وضرب * بل لاكل ومص لب ورشف
كملت فى استوائها واستقامت * باعتدال وحسن قد ولطف

ومما قيل فى البطيخ الاصفر

أتانا غلام فاق حسنا على الورى * ببطيخة صفراء فى لون عاشق
فشبهته بدرا يقد أهلة * من الشمس ما بين النجوم ببارق

وقال آخر

وبطيخة وافى بها فوق كفه * الينا غلام فاق كل غلام
فخيل لى شمس الاصيل أهلة * يقطعها بالبرق بدر تمام

ومما قيل فى البطيخ الاخضر

وظبي أتى في الكف منه بمدية * وقد لاح في خديه شبه شقيق
فمال الى بطيخة ثم شقها * وفرقها ما بين كل صديق
فشبهتها لما بدت في أكفهم * وقد عملت فيهم كؤس رحيق
صفائح بلور بدت في زبرجد * مرصعة فيها فصوص عقيق
وقال آخر
وبطيخة خضراء في كف أغيد * أتانا بها فارتاح ذو الهم وابتهج
وأقبل يفريها بمديته وقد * فرى طرفه الساجي القلوب مع المهج
ومما قيل في القثاء
انظر اليها أنابيبا منضدة * من الزمرد خضراء لها ورق
اذا قلبت اسمها بانت ملاحتها * وصار في عكسه اني بكم أثق
ومما قيل في الباذنجان
وكانما الابذنج سود حمائم * اوكاره خضر الربيع المبكر
نقرت مناقره الزمرد سمسما * فاستودعته حواصلا من عنبر
ومما قيل في الانهار والبرك والنواعير
أماترى البركة الغراء قد كسيت * نورا من الشمس في حافاتها طلعا
والنهر من فوقه يلهيك منظره * شهب سماويه فارتج والتمعا
كأنه السيف مصقولا يقلبه * كف الكمي الى ضرب الكماة سعى
وقال آخر في بركة
يامن يرى البركة الحسناء رؤيتها * والآنسات اذا لاحت معانيها
فلو تمر بها بلقيس عن عرض * قالت هي الصرح تمثيلا وتشبيها
كأنما الفضة البيضاء سائلة * من السبائك تجري في مجاريها
اذا علتها الصبا ابدت لها حبكا * مثل الجواشن مصقولا حواشيها
فحاجب الشمس أحيانا يضاحكها * ورونق الغيث احيانا يباكيها
اذا النجوم تراءت في جوانبها * ليلا حسبت سماء ركبت فيها
وقال آخر
وبركة للعيون تبدو * في غاية الحسن والصفاء
كأنها اذ صفت وراقت * في الأرض جزء من السماء
وقال محمد بن سارة المغربي
النهر قد رقت غلالة صبغه * وعليه من صبغ الاصيل طراز
تترقرق الامواج فيه كأنها * عكن الخصور تهزها الاعجاز
وقال آخر
يوم لقانا النيل مختصر * ولكل وقت مسرة قصر
فكأنما أمواجه عكن * وكأنما داراته سرر
وقال آخر في نهر يسبح فيه الغلمان

خليج كالحسام له صقال * ولكن فيه للرائي مسره
رأيت به الملاح تجدعوما * كأنهم نجوم في المجره

وقال آخر في النيل

النيل قال وقوله * اذ قال مل مسامعي * في غيظ من طلب الغلا * عم البلاد منافعي
وعيونهم بعد الوفا * قلعتها باصابعي

وقال آخر

كأن النيل ذوفهم ولب * لما يبدو لعين الناس منه
فيأتي عند حاجتهم اليه * ويمضي حين يستغنون عنه

وقال آخر

وفت اصابع نيلنا * وطغت وطافت في البلاد
وأتت بكل مسرة * ماذي اصابع ذي أيادي

وقال آخر

سد الخليج بكسره جبر الورى * طرا فكل قد غدا مسرورا
والماء سلطان فكيف تواترت * عنه البشائر اذ غدا مكسورا

وقال آخر

ونهر خالف الاهواء حتى * غدت طوعا له في كل أمر
اذا عصفت على الاغصان ألقت * اليه بها فيأخذها ويجري

وقال آخر في ناعورة

وكريمة سقت الرياض بدرها * فغدت تنوب عن الغمام الهامع
بلسان محزون ومدمع عاشق * ومسير مشتاق وانة جازع

وقال آخر

وناعورة قالت وقد حال لونها * وأضلعها كادت تعد من السقم
أدور على قلبي لاني فقدته * وأما دموعي فهي تجري على جسمي

وفيها أيضا

وحنانة من غير شوق ولا وجد * يفيض لها دمع كمنتثر العقد
أحن اذا حنت وأبكي اذا بكت * فليس لنا من ذلك الفعل من بد
ولكنها تبكي بغير صبابة * وأبكي بافراط الصبابة والوجد
وأدمعها من جدول مستعارة * ودمعي من عيني يفيض على خدي

وفيها أيضا قال الخطيري

رب ناعورة كأن حبيبا * فارقته فقد غدت لي تحكي
أبدا هكذا تئن بشجو * وعلى إلفها تدور وتبكي

ابن تميم

تأمل الى الدولاب والنهر اذ جرى * ودمعهما بين الرياض غدير
كأن نسيم الجو قد ضاع منهما * فاصبح ذا يجري وذاك يدور

(فصل

(فصل فى ذكر أرباب الصنائع والحرف والاسماء وما أشبه ذلك)

لابن عفيف فى قاض مليح

ورب قاض لنا مليح * يعرب عن منطق لذيذ * اذا رنا لى بسهم لحظ * قلنا له دائم النفوذ

وقال فى فقيه مليح

وبمهجتى ظبياً بدا متفقها * وهو المهذب فى الرشاقة والحور
أمسى بسيط الشعر منه مطولا * لكن وجيز الخصر منه المختصر

وقال فى محدث مليح

علقته محدثا * شرد عن جفنى الوسن * حديثه ووجهه * كلاهما عندى حسن

وقال فى امام

جاء يسعى الى الصلاة بوجه * يخجل البدر فى ليالى السعود
فتمنيت ان وجهى أرض * حين يومى بوجهه للسجود

ابن الرومى وأجاد

بى عروضى مليح * موتتى فيه حياة * عاذلاتى فى هواه * فاعلات فاعلات

فى مؤذن مليح

ومؤذن أضحى كريما وجهه * لكنه بالوصل اى شحيح
أبدا أموت بهجره لكننى * من بعد ذلك أعيش بالتسبيح

لابن عربى

وبنفسى مؤذن قد سبانى * لم يفدنى شكوى الغرام اليه
كيف يصغى لما يقول حبيب * واضع أصبعيه فى أذنيه

وقال آخر فى مريد

مراد قلبى مريد * مخبأ فى الزوايا * وليس ذا بعجيب * ففى الزوايا خبايا

وفى فقير مليح

بى فقير يتغنى * بسنا وجه منير * لا تلمنى فى افتضاحى * فغرامى بالفقير

فى أمير شكار لابن دانيال

بى من أمير شكار * وجد يذيب الجوارح * لما حكى الظبى حسنا * حنت اليه الجوارح

فى مليح مغن

أضحى بخر لوجهه قمر الدجا * وغدا يلين لحسنه الجلمود
فاذا بدا فكأنما هو يوسف * واذا شدا فكأنه داود

فى مليح عواد

غنى على العود ظبى سهم ناظره * أمسى به قلبى المضنى على خطر
دنا الى وجست كفه وترا * فراحت الروح بين السهم والوتر

فى مليح كاتب

بروحى كاتبا كالبدر حسنا * بديعا ما رأينا منه أجل

على ريحان عارضه المفدى * بوجنته غدا دمعى مسلسل

غيره

وراقنا ذا المفدى * فيه تزايد عشقى * فلو يجود بوصل * لكان مالك رقى

وفيه أيضا

يا حسن وراق أرى خده * قد راق فى التقبيل عندى ورق
تميل فى الدكان أعطافه * ما أحسن الاغصان بين الورق

للسيد الشريف صلاح الدين الاسيوطى فيه أيضا

فديتك أيها الوراق قلبى * لمطلك بالوصال يكاد يبلى
وقد طلب الوفاء وغير بدع * محب يسأل الوراق وصلا

فى مليح صيرفى

يا سائلا عن حالتى ما حال من * أمسى بعيد الدار فاقد الفه
بى صيرفى لا يرق لحالتى * قد مت من جور الزمان وصرفه

فى مليح بخانقى

تسلطن فى الملاح بخانقى * ولا يرضى ببدر التم نائب
وقد صفت له الاتراك جندا * واصبح راكبا تحت العصائب

فى مليح فراء

قلت لفراء فرى أدمعى * وزاد صدا وطال هجرا
قد فر نومى وفر صبرى * فقال لما عشقت فرا

سيدى أبو الفضل بن أبى الوفاء فى مزين

حبى المزين وافى * بعد البعاد بمشطه * ومص دمل قلبى * بكأس راح وبطه

فى مليح قصاص

اشكو الى الله قصاصا بحر عنى * بالهجر والصد أنواعا من الغصص
ان تحسن القص عناه فقلت له * أيضا تقص علينا أحسن القصص

فى مليح صياد

ومولع بفخاخ * يمدها وشراك * قالت له العين ماذا * تصيد قال كراكى

فى مليح رامى بندق

وأهيف القد ذى دلال * طائر قلبى عليه واجب
كالشمس فى كفه هلال * يرمى الى البدر بالكواكب

وقال آخر فى راع

أفديه من راع كبدر الدجى * قوامه فاق الغصون الرشاق
ضيعنى بالجدى ناديته * ما القصد يا مولاى الا العناق

القيراطى فى مليح طحان

حسن طحان سبانى * بلحاظه وقامه * خاف من واش فأضحى * يجعل الغمز علامه

القاضى بدر الدين البلقينى فى ترّاب

رب ترّاب مليح * أورث القلب عذابا * قلت لما أن بدا لى * ليتنى كنت ترابا

وقال آخر فى مليح عوّام

يا حسن عوّام كغصن النقا * يبخل بالوصل لمن هاما
وتقنع العشاق منه بأن * يريهم الارداف ان عاما

ابن نباتة فى مليح حبشى

بروحى مشروطا على الخد أسمرا * دنا ووفى بعد التجنب والسخط
وقال على اللثم اشترطنا فلا تزد * فقبلته ألفا على ذلك الشرط

وله أيضا

ومن عجب تدعى للطفك سنبلا * ونشرك كافور وذكرك عنبر
وسعدك اقبال وحسنك مرشد * وخلقك ريحان ولفظك جوهر

وقال آخر فيمن به صفرة

قالوا به صفرة شانت محاسنه * فقلت ماذاك من عيب به نزلا
عيناه مطلوبة فى ثأر من قتلت * فلست تلقاه الا خائفا وجلا

للشيخ شهاب الدين بن حجر فى مليح اسمه زائد

وزائر قال قابى * للطرف ياطرف شاهد * مدحته فجنى * تيها على بزائد

وقال آخر فى مليح أرمد

شكا رمدا فقلت الآن كانت * لواحظه من الفتكات فينا
وقالوا سيف مقلته تصدى * فقلت نعم لقتل العاشقينا

لمجد الدين بن مكانس فيه

تورمت مقلة المحبوب من رمد * وبات يشكو لهيب القلب والالما
وبات يرمى محبيه بأسهمه * فياله من حبيب قد شكا ورما

لابن أبى حجلة فى أعور

ماشان من أهواه عين أصبحت * مقلوعة بمحاسن متزايده
لولا استخف العالمين بأسرهم * ماظل ينظرهم بعين واحده

وقال آخر فى مليح راهب

رأيته يضرب الناقوس قلت له * من علم البدر ضربا بالنواقيس
وقلت للنفس أى الضرب يؤلمكى * ضرب النواقيس ام ضرب النوى قيسى

القيراطى فى مليح اسمه بدر

سموه بدرا وذاك لما * ان فاق فى حسنه وتما
وأجمع الناس اذ رأوه * بانه اسم على مسمى

آخر فى مليح اسمه حمزة

متى يبدو لحمزة ما بقلبي * ويرثى لى و ينظر فى بلائى
واشفى بالمبرد من لماه * واجمع بين حمزة والكسائى

وقال آخر

كلفت به ولم أبلغ مرادى * غزال قد تحكم فى قيادى
فتصحيف اسمه فى وجنتيه * وفى معسول فيه وفى فؤادى

فى مليح سروجى

فتنت به سروجيا بديعا * به قد ذبت وجدا من ضجيجى
اذا جذب الغرام له عنانى * يلذ لى الركوب على السروج

وقال آخر فى مليح محموم

قالوا حبيبك محموم فقلت لهم * انا الذى كنت فى حمائه السببا
عانقته ولهيب النار فى كبدى * فأثرت فيه تلك النار فالتهبا

لابى نواس فى مليح ألثغ

ومهفهف دنف الصبا ذى لثغة * تصبوا اليه ذو والعقول الرجح
قبلت فاه فقال لى متخوفا * من كاشح متدللا ابالثا انحى

وقال فى مليح خباز

ان خبازنا المليح المفدى * فى حشا الصب من جفاه كلوم
خلت دكانه البديع سماء * وهو بدر والخبز فيه نجوم

وقال فى مليح حائك

وحائك يا صاح ابصرته * كالبدر فى كفيه ماسوره
فلم أرح الاوروحى لما * غابت فى كفيه ماسوره

وقال فى مليح لاعب شطرنج

لعبت بالشطرنج مع أهيف * رشاقة الاغصان من قده
أحل عقد البند من خصره * وألثم الشامات من خده

وفيه أيضا قال

تلاعبت بالشطرنج مع من أحبه * فنادمنى حتى سكرت من الوجد
وانشدنى مالى أراك مفكرا * تدور على الشامات وهى على الخد

فى مليح خياط

خياطنا الفاتن المفدى * بديع حسن فريد شكل
فصل للجسم ثوب سقم * لما جفانى وكف وصلى

وقال غيره

فتنت بخياط بديع ملاحة * له طلعة أبهى ضياء من الشمس
تراه على الكرسى للثوب خائطا * فتقسم حقا انه آية الكرسى

الصفى الحلى فى مليح قالع ضرسه

لحا الله الطبيب لقد تعدّى * وجاء لقلع ضرسك بالمحال
أعاق الظبي في كلتا يديه * وسلط كلبتين على غزال

وقال في مليح سلم عامه

تنبأ فيك قلبي فاسترابت * به قوم وعمهم الضلال
وصدهم الهوى أن يؤمنوا بي * وقالوا ان معجزه محال
ومذ سلمت سلمت البرايا * الي وقيل كلمه الغزال

وقال في مليح يرمي بالسهام

وظبي بشعر فوق طرف مفوّق * بقوس رمى في النقع وحشا بأسهم
كبدر بأفق فوق برق بكفه * هلال رمى في الليل جنحا بأنجم

وقال في مليح يضرب بالعود

فتن الانام بعوده وبشدوه * شاد تجمعت المحاسن فيه
حتى كأن لسانه بيمينه * وكأن ما بيمينه في فيه

وقال أيضا فيه

وأغن قد أبدى لنا من عوده * نغما أصح به القلوب وأمرضا
بيدا اذا سخطت على أوتاره * نال الرفاق بسخطها عين الرضا

وقال في مليح مشبب

يا نافخ الصور بل يا باعث الصور * من رقدة السكر لا من رقدة الحفر
قرنت حسنك بالاحسان فيه لنا * فكان فيك مراد السمع والبصر
ضمنت للصحب اقبال السرور كما * ضمنت نايك نأي الهم والفكر
صوت بسيط به أرواحنا انبسطت * اذ جئت في اللفظ والمعنى على قدر

وقال في مليح ساق

وساق من بني الاتراك طفل * أتيه به على جمع الرفاق
أملكه قيادي وهو رقي * وأفديه بعيني وهو ساقي

وقال أيضا في رسول مليح أتاه من عند من يحبه

من كنت أنت رسوله * كان الجواب قبوله * يا طلعة الشمس الذي * جاء الصباح دليله
لم يبد وجهك قبله * الا ارتقبت وصوله * فلذاك اذ واجهتني * بل الفؤاد غليله

في مليح قارئ

نفسي الفداء لشادن شاهدته * يوم الزيارة قارئا في المصحف
فتن الانام ببهجة وبلهجة * تسبي وتضني كل صب مدنف
فتلا مليا جل سورة يوسف * وجلا محيا مثل صورة يوسف

وقال آخر في مليح مكتمل العذار

وكامل العارض قبلته * فصدني وازور من قبلتي
وقال كم أنهاك عن مثل ذا * وأنت ما تفكر في لحيتي

وقال آخر في مليح حجام

كلفت بحجام تحكم طرفه * فغدا على سفك الدماء يواطي
أضحى كثيرا الاشتطاط ولم تكن * منه اللحاظ كليلة المشراط

(فصل في الالغاز) في غزال

اسم من قد هويته * ظاهر في صروفه * فاذا زال ربعه * زال باقي حروفه

في كوز فقاع

ومحبوس بلا ذنب جناه * له في السجن ثوب من رصاص
اذا أطلقته وثب ارتفاعا * يقبل فاك من فرح الخلاص

في زرموزة

مطية فارسها راجل * تحمله وهو لها حامل
واقفة بالباب مزبولة * لا تشرب الدهر ولا تاكل

وقال في طاحون

ومسرعة في سيرها طول دهرها * تراها مدى الايام تمشي ولا تتعب
وفي سيرها ما تقطع الاكل ساعة * وتأكل مع طول المدى وهي لا تشرب
وما قطعت في السير خمسة أذرع * ولا ثلث ثمن من ذراع ولا أقرب

في دواة

ومرضعة أولادها بعد ذبحهم * لها لبن ما لذ قط لشارب
وفي بطنها السكين والثدي رأسها * وأولادها مذخورة للنوائب

في دواة أيضا

وما أم يحام معها بنوها * وليس عليهم تحب الحدود
كأنهم اذا ولجوا حشاها * أفاع في أماكنها رقود

في قلم

وأهيف مذبوح على صدر غيره * يترجم عن ذي منطق وهو ابكم
تراه قصيرا كلما طال عمره * ويضحى بليغا وهو لا يتكلم

وفيه أيضا

بصير بما يوحي اليه وماله * لسان ولا قلب ولا هو سامع
كأن ضمير القلب باح بسره * اليه اذا ما حركته الاصابع

وفيه أيضا

وأصفر عار أنحل السقم جسمه * يشتت شمل الخطب وهو جموع
حمى الجيش مفطوما كما كان تحتمي * به الاسد في الغابات وهو رضيع

وفيه أيضا

وذي نحول راكع ساجد * أعمى بصير دمعه جاري

ملازم الخمس لاوقاتها * مجتهد فى طاعة البارى

فى مرملة

معشوقة لذوات العز قد صنعت * خزينة ماتراها قط تبتسم
كأنها من صروف الدهر خائفة * تبكى دماء على ماسطر القلم

فى كتاب

وذى أوجه لكنه غير بائح * بسر وذو الوجهين للسر يظهر
تناجيك بالاسرار أسرار وجهه * فتسمعها بالعين مادمت تبصر

فى سلطان حسن لابن أبى حجلة

ما اسم محبب للقلوب لانه * حسن الحروف يجود بالاحسان
تصحيفه أمسى حميدا كلما * صحفت أحرفه بحسن بيان
لوجاد لى يوما برؤية وجهه * نلت المراد وعشت بالسلطان

فى شبابة

وما صفراء شاحبة ولكن * تزينها النضارة والشباب
مكتمة وليس لها بنان * منقبة وليس لها نقاب
تصيخ لها اذا قبلت فاها * أحاديث تلذ وتستطاب
ويحلو المدح والتشبيب فيها * وليست لاسعاد ولا الرباب

وفيها أيضا

ومقروحة الاجفان مثلى شجية * تناءت عن الاهلين أسقمها البعد
* تزوجها عشر وذاك محرم * ولا حرج كلا ولا وجب الحد
اذا ما وطيها القوم تصرخ صرخة * يلين اليها القلب لو أنه صلد

وفيها أيضا

منقبة مهما خلت مع محبها * تزودها لثما وينظرها شزرا *
وتصحيفها فى كف حاملها فقل * اذا شئت فى اليمنى وان شئت فى اليسرى

فى دملج

الى النساء يلتجى * وعندهن يوجد * الجسم منه فضة * والقلب منه جلمد

فى خلخال

أيا عجبا من صابر صامت ولم * يفه بكلام قط فى ساعة الضرب
أقام ولم يبرح مكانا ثوى به * على أنه أضحى يدور على الكعب

فى شعر اللحية

وذى عدد كالرمل سام محله * جليل على كل الملاح له حق
يحاذر من موسى ويرهب باسمه * وفى قلب هرون له الملك والحق

فى التين

أى شئ لذ طعما * ناعم اللمس ولين * كيف لا يبدو وضوحا * وهو فى التصحيف بين

في الموز

ما اسم لشئ حسن شكله * تلقاه عند الناس موزونا
تراه معدودا فان زدته * واوا ونونا صار موزونا

في حمزة

من لى بمعتدل القوام مهفهف * أزرى بغصن البان لينة قده
فى فيه تصحيف اسمه وبخده * وبقلب عاشقه لشدة صده

وفيه أيضا

اسم الذى أنا أهواه وأعشقه * وطول دهرى أخشى من تجنبه
تصحيفه فى فؤادى دائما أبدا * يبدو وفى خده أيضا وفى فيه

في ساقية

وجارية لولا الحوافر ما جرت * أشاهدها تجرى وليس لها رجل
وترضع أطفالا ولا هى أمهم * وليس لها ثدى وليس لها بعل

وفيها أيضا

وجارية تبكى اذا الليل جنها * بلا ألم فيها ولا ضرب ضارب
عليها رجال شنقوا بعد حرقهم * وما كان شنق القوم الا بواجب

في زر وعروة

وما أخت تجامعها أخوها * وليس عليهما فيه جناح
ترى بجوازه الحكام طرا * وفى أعناقهم ذاك النكاح

في راوية

وسوداء تشرب من رأسها * وان شئت تسقيك من فرديد
ولون لها مثل لون أختها * وثنتاهما واحد فى العدد
وتحبل فى الوقت هى وأختها * وفى ساعة يضعان الولد

في شطرنج

ياذا النهى ما اسم له حالة * يحار فيها الذهن والفكر
له حروف خمسة انما * ثلاثة منها له شطر

في فيل

أيما اسم تركيبه من ثلاث * وهو ذو أربع تعالى الاله
حيوان والقلب منه نبات * لم يكن عند جوعه يرعاه
فيك تصحيفه ولكن اذا ما * رمت عكسا يكون لى ثلثاه

في مجمع

ما طائر فى قلبه * يلوح للناس عجب * منقاره فى بطنه * والعين منه فى الذنب

في نار

وما اسم ثلاثي به النفع والضرر * له طاعة تغني عن الشمس والقمر
وليس له وجه وليس له قفا * وليس له سمع وليس له بصر
يمد لسانا يختشي الرمح بأسه * ويهزأ يوم الضرب بالصارم الذكر
يموت اذا ما قمت تسقيه عامدا * ويأكل ما يلقى من النبت والشجر
فيا قارئ الابيات دونك شرحها * والا فنم عنها ونبه لها عمر

وفيها أيضا

وآكلة بغير فم وبطن * لها الاشجار والحيوان قوت
اذا أطعمتها انتعشت وعاشت * وان اسقيتها ماء تموت

في يد الهاون

قل لي فاشيء يرى ناعما * منتصب القامة طول الزمان
أطول من شبر له حزة * مفتشل الرأس قوي الجنان
يسمع في القعر له رنة * ويظهر المصفق بأعلى مكان

وفيه أيضا

خبروني أي شئ * أوسع ما فيه فمه * وابنه في بطنه * يرفسه ويلكمه
وقد علا صياحه * ولم يجد من يرحمه

في خشخاش

وما قبة مبنية فوق شاهق * لها علم يحكي الملاحة بالظرف
وأولادها في بطنها في جماعة * يكونون ألفا ويزيدون عن ألف
ويأخذها الطفل الصغير بجهله * ويقلبها عسفا على راحة الكف

في كوز زير

وذي أذن بلا سمع * له قلب بلا لب *
اذا استولى على صب * فقل ما شئت في الصب

في اسم علي

اسم الذي أعشقه * أوله في ناظره * ان فاتني أوله * فان لي في آخره

في موسى للصفدي

وماشئ له حد وخد * يكلم من يلامسه بحقه
وكل حلقه من تحت رأس * وهذا الرأس صارت تحت حلقه

في حلب لابن الفارض

ما بلدة بالشام قلب اسمها * تصحيفه أخرى بأرض العجم
وثلثه ان زال من قلبه * وجدته طيرا شجي النغم

وقال في سمرقند

وما اسم سداسي اذا ما محته * ترى فيه أجزاء تذم وتشكر

له ثلث يأتي به الموت فجأة * وثلث مع الكتاب يطوى وينشر
وثلث رعاك الله يا صاحبي له * على مدد الايام نشر معطر
وفي نصفه لما تحرك بعضه * حديث شهي في الليالي يذكر
وفي نصفه الثاني اذا ما أعدته * الى النار للتحليل والعقد سكر
ففسر لنا ذا اللغز ان كنت ذا حجى * فليس على ذي العقل لغز معسر

وقال في كمون

يا أيها العطار اعرب لنا * عن اسم شئ قل في سومك
تراه بالعين في يقظة * كما ترى بالقلب في نومك

وقال في قالب الطوب

وما آكل في قعدة ألف لقمة * ولقمته أضعاف أضعاف وزنه
اذا نزل المأكول جنبيه لم يقم * سوى لحظة او لحظتين ببطنه

في العين

وباسطة بلا عصب جناحا * وتسبق ما يطير ولا تطير
اذا ألقمتها الحجر اطمأنت * وتجزع أن يباشرها الحرير

ويكفي من ذلك ما أشرت اليه وما نبهت من هذا الفن عليه وقد مضى القول من الفنون السبعة على فن الشعر القريض وما فيه من الفنون المتقدم ذكرها ولنذكر ان شاء الله تعالى بقية الفنون السبعة على وجه الاختصار والفنون السبعة المذكورة عند الناس هي الشعر القريض والموشح والدوبيت والزجل والمواليات والكان وكان والقوما ومنهم من جعل الحماق من السبعة وفي ذلك اختلاف وعند جميع المحققين ان هذه الفنون السبعة منها ثلاثة معربة أبدا لا يغتفر اللحن فيها وهي الشعر القريض والموشح والدوبيت ومنها ثلاثة ملحونة أبدا وهي الزجل والكان وكان والقوما ومنها واحد وهو البرزخ بينهما يحتمل الاعراب واللحن وهو المواليا وقيل لا يكون البيت منه بعض ألفاظه معربة وبعضها ملحونة فان هذا من أقبح العيوب التي لا تجوز وانما يكون المعرب منه نوعا بمفرده ويكون الملحون فيه ملحونا لا يدخله الاعراب وقد أوضح قاعدة الجميع وأمثلتها صفي الدين أبو المحاسن الحلي في ديوانه وسماه بالعاطل الحالي * والمرخص الغالي ولو بسطت المقال لاتسع المجال وكثر القال ولكن الاختصار يذهب الاوجال والحمد لله رب العالمين على كل حال

(فصل في بيان الفن الثاني وهو الموشح)

لابن المبارك

قد أنحل الجسم أسمر أكحل * واوحل القلب فيه مذ حل

دور

أميل له فلا يميل
يحول وعنه لا أحول
أقول اذا زاد بي النحول

أماحل عقد الصدود يحل * ويرحل عن نجم المزحل

دور

كم أبعد وكم أبيت مكمد
ويعمد بهجره لا أفقد
وأجهد لارتصاد من قد

تحمل والحاسدون رحل * بجعل والوعد منه ماحل

دور

متوج بالحسن هذا الابلج
مدبج عذاره البنفسج
مفلج وطرفه ذا الادعج

مكحل وثغره منحل * مخلخل بعنبر معجل

دور

برغمي من يستحل ظلمي
ويرمي بحربه لسلمي
وجسمي من التزام سقمي

منحل وقد غدا مرحل * فمن حل سفك دمي وماحل

دور

قلاني واشتط ذا الفلاني
غزاني بطرفه اليماني
تراني أنشد لمن يراني

قد أنحل الجسم أسمر اكحل * وأوحل القلب فيه مدحل

لابن سناء الملك

كالي ياسحب تيجان الربا بالحلي * واجعلي سوارك المنعطف الجدول

دور

ياسما فيك وفي الارض نجوم وما
كلما اخفيت نجما أظهرت أنجما
وهي ماتهطل الاباطلي والدما

فاهطلي على قطوف الكرم كي تمتلي * وانقلي للدن طعم الشهد والقرنفل

دور

تنقد كالكوكب الدري للمرتصد
يعتقد فيها المجوسي بما يعتقد
فانشد ياساقي الراح بها واعتمد

واملي لي حتى تراني عنك في معزل * قل لي فالراح كالعشق ان يزد يقتل

دور

لا أليم فى شرب صهبا وفى عشق ريم
فالنعيم عيش جـديد ومدام قديم
لا اهـيم الا بهـذين فقـم يا نديم
واجل لى من أكؤس صيرت من فوفل * ألذ لى من نكهة العنبر والمندل

دور

خذ هنى واعطنى كاسى مثل كاسك هنى
واسـقنى على رضاب الفطن المسـن
والهنى ببعض ما صـيغ من الالسـن
لو تلى مدح سـناه مع رشا أكحل * لذ لى على سنا الصهباء والسلسل

دور

أزهرت ليلتنا بالوصل مذ أسفرت
أصدرت بزورة المحبوب اذ بشرت
أخرت فقات للظلماء مذ قصرت
طولى يا ليلة الوصل ولا تبخلى * واسبلى سترك فالمحبوب فى منزلى

دور

من ظلم فى دولة الحسن اذا ما حكم
فالالم يحول فى باطنـه والنـدم
والقلم يكتب فيه عن لسان الامم
من ولى فى دولة الحسن ولم يعدل * يعزى لالحاظ الرشا الا كحل

وله أيضا

ترى هل يشتفى منك الغليل * ويشفى من صبابته العليل

دور

لقد أسرفت فى هجرى وصدى
بلا سبب سوى كلفى ووجـدى
وماذا فى سلوى عنـك يجـدى
خضاب الوجد ليس له نصول * وأسياف الهوى فينا تصول

دور

لئن شحت عنى بالسـلام
وطيفك قد جفا لجفا المنام
فقـد جادت بأربعة سجام
جفون بالبكا كادت تحول * على خد أسف به النحول

دور

لقد أرسلت فى طى النسيم

حديث هوى عن الوجد القديم

فعادت وهى عاطرة الشميم

تخبر ان ظعنهم نزول * بدار لا يلم لها نزيل

دور

تلقته الموالى والموالى

بألحاظ وزرق من نصال

وأعطاف وسمر من عوالى

فكم بطل هناك وكم قتيل * بسيف من لواحظه قتيل

وله أيضا

شمس المحيا أم القمر * أم بارق الثغر يا بشر

أم البها صفه الخفر * بطرز خديك مستطر

سلسلة

قم تباها بماتباها ولا تلاها

قفلة

فكل أحبابنا حضروا * والعود يشجيك والوتر

الدور

أفديك بالسمع والبصر * يا أهيف وصله وطرى

بدر بدا فى دجى الشعر * قد لذ فى حبه سهرى

سلسلة

اذا تجلى وقد تحلى عليك يجلى

قفلة

تحير فى وصفه الفكر * والعقل والسمع والنظر

الدور

فهاك حدث عن الطرب * وعن سلاف ابنة العنب

اذا سقاها مع الضرب * بدر بأفق الجمال ربى

سلسلة

فى ظل بان على المثانى من غير ثانى

قفلة

الا الندامى اذا سكروا * والروض والماء والشجر

وقال رحمه الله تعالى

وانسيم السحر هل لك خبر * عن عريب همو بالمنحنى

فارقوني ولم أقض الوطر * من لقاهم ولانات المنى
قلت ياقلب صبراماصبر * والذي ما الهوى الاعنا
ما كتمت الهوى الاظهر * من شهود المدامع والضنى

دور

ليش تمنع وصالك ياحبيب * عن محبك ولا يعشق سواك
راقب الله وارجع من قريب * قبل يبلى جسمه فى هواك
است ألقى لدائى من طبيب * غير رشفى حبيبى من لماك
لورأى حالى العاذل عذر * حينما ينظر جمالك والسنا

دور

ياقمر فوق غصن من نقا * أنحلتنا مطالك والصدود
يارعى الله ليلات اللقا * ليتها ياخل يومالى تعود
ليلة السعد مافيها شقا * كيف تشقى وطالعها سعود
صفوها الايمازجه كدر * بالمسرات وأوقات الهنا

غيره

جادت مذسارت الحمول * وجدا مضى العمروهو باقى

دور

ساروا وسار الفؤاد لكن
جسمى مقيم على المساكن
وعنى الحب صار ظاعن
مالى الى وصله وصول * لوسرت بالبرق والبراق

دور

وغادة كالقضيب قدا
والورد والياسمين خدا
كأنها البدر اذتبدا
وشعرها أسود طويل * كأنه ليلة الفراق

دور

هوناأتتنا تميل ميلا
سحابة كالسحاب ذيلا
فقلت شمس تزور ليلا
ومادرى كاشح عذول * فذاك من أعجب اتفاق

دور

وسدتها ساعدى لسعدى
وبت ارعى رياض ورد

وخمر ريق كذوب شهد

لوذاقها مدنف عليل * لعاش والروح في التراقي

دور

لما رأتني أذوب سقما

ومن ورود الرضاب أظما

قالت كلمت الخدود لثما

ما يشتفي منك ذا الغليل * بغير نومي وشيل ساقي

(فصل في الفن الثالث وهو الدوبيت)

لسيدي شرف الدين بن الفارض رحمه الله

أهوى قمراً له المعاني رق * من صبح جبينه أضاء الشرق

تدري بالله ما يقول البرق * ما بين ثناياه وبيني فرق

وقال أيضا

أهوى رشأ كل الأسى لي بعثا * مذ عاينته تصبري ما لبثا

ناديت وقد فكرت في خلقته * سبحانك ما خلقت هذا عبثا

وقال أيضا

* عرج بطويلع فلي ثم هوى * واذكر خبر الغرام واسنده الى

واقصص قصصي عليهم وابك على * قل مات ولم يحظ من الوصل بشي

وقال أيضا

روحي لك يا زائراً في الليل فدا * يا مؤنس وحدتي اذا الليل هدا

ان كان فراقنا مع الصبح بدا * لا أسفر بعد ذاك صبح أبدا

وقال آخر

يا شمس ضحى جبينه وضاح * ساعات وصالك كلها أفراح

عشاقك لو فعلت ما شئت بهم * ماتوا كمدا وبالهوى ما باحوا

وقال آخر

أهواه مهفهفا ثقيل الردف * كالبدر يجل حسنه عن وصف

ما أحسن واو صدغه حين بدت * يا رب عسى تكون واو العطف

وقال التلعفري

قلبي ذهبت لبعدكم راحته * ما الصبر على بعادكم عادته

بنتم فرثى لما به شامته * لا كان فراقكم ولا ساعته

وقال المنشد

احسانك طول الدهر لا أنساه * لا أذكر بعد خالقي الاهو

ان أبعدك الزمان عني حسدا * مولاي خليفتي عليك الله

وقال آخر

ان جئت ربا الحمى ولاحت نجد * فاذكرولى وماجناه البعد
قد كنت أقاسى الصد حتى رحلوا * ياليتهم عادوا وعاد الصد

(فصل فى الفن الرابع وهو الزجل)

زجل للغبارى

قل لغزلان وادى مصر والشام يقصروا ذا النفار
لهم أجعل حشاشتى مرعى وفؤادى قفار

دور

مصر والشام فيها ملاح أقمار بالمحاسن تسود
ذا أبيض وذا أحمر وذا مليح أسمر لو عيون نجل سود
وذا غزال صار يفوق على الغزلان ويصيد الاسود
وذا غصن بان أهيف قوام قدو قد الاغصان جهار
وذا بدر الكمال قد ظهر فى الليل وذا شمس النهار

دور

تدر بالله ايش قالت مليح الشام بعد ذاك الصدود
قد سمينا بصحة الابدان واعتدال القدود
وتخضب تفاحنا الاحمر فوق بياض الخدود
وأنتم يا عشاق لكم قلنا والحسود راح بنار
أنتم التفاح و ما نقصد منكم الا الخيار

دور

وملاح مصر قالت احنا أصحاب الوجوه الملاح
والحلاوه وطيبة الاخلاق فى الخلائق مباح
احنا أقمار واحنا بدور الليل وشموس الصباح
وفى الالفاظ والظرف والمعنى ليس لنا احد صار
وورثنا الحسن من يوسف واكتسبنا الفخار

دور

حسن حى الفرارجى فرحه بدر فى السعد لاح
فرخ ناجب خرج من القشره فاق ملاح الملاح
كلما أعمل على رضاه يفسد بجفاه الصلاح
ومن البيضة قد خرج نافر رد جفنى بنار
وجفانى وخد بياض جسمى خلطو بالصفار

دور

وقع الطل خط بالابيض فى اخضرار الطروس

قم ياساقي على بساط زهري تحت ظل الغروس
هاتها شمس راح شمول قرقف بكر عذرا عروس
عروس لها صفو النسيم ولطف الما وابتهاج الثمار
قد جلوها في كاس زجاج أبيض فاكتسى باحمرار

دور

خمر فيه سر لو جعل أشياف ردّ الاعمى بصير *
اقطع القطف أسود يحاكى الليل شفق احمر بصير *
ياترى ذا السر في كرمه أو يكون في العصير *
وترى النور داعليه يلمع ذاك من ايش استنار
وكذا الكاس يحاكي ياسمير من كساه جلنار

دور

فهو عطار عندو شراب هندى وبراني جفاه *
كل من مص من لسانو ريقو يلتقي فيه شفاه
* وردخدو وحبتو سودا شبه خال في صفاه
جمل آس عارضو أسر قلبي والكبار والصغار
في المحبا غار واعلى حسنو وكل من حب غار

دور

دوّروني الملاح على كعبي ونصوا نصوص *
بلا دعوى التف لف السير في هواهم خصوص
وعليا صار نقشهم قاعد مثل نقش الفصوص
والبساط انطوى وحين ماراوا خاف له همه ولواصطبار
قروني في عشق هذا القمر والمحبه قمار *

دور

لحبيبي ثغر من جوهر والشفيفات عقيق
وعوارض ماضرهم عارض غير نبات الشقيق
وخدود ورد من غير غش ووصفنا عن حقيق
يحرس الورد خال عنبر تحت اهداب غزار
في صفا وجهو أنزه طرفي عند خلع العذار

دور

في رياض صفوف من الازهار قابلتها صفوف
كيف لا ترقص والنسيم بها موصول وورقها دفوف
* واعجب من النهر اذصفق لو من الموج كفوف
والغيوم نقطت وحين جا النسيم طار أعلى مطار

باختلاف الالحان يسحر في الروض صاح على عود وطار

دور

أشرف الخلق بين الاسلام والهدى والضلال
والشرايع والحق والباطل والحرام والحلال
نبي من بين أصابعه تحقيق نبع الماء الزلال
ولوان النبات جميعه أقلام والمدادا البحار
والخلايق تكتب مديحو تاه كل كاتب وحار

دور

خلف استاد في الفن ما ينطاق ذاق عداه المنون
ما يعيبوا في الفن غير ناقص عقل زايد جنون
شيخ مصدر لبيب قيم في جميع الفنون
يا تضاعو مع الصغار مرفوع فوق رؤس الكبار
وأهل الفنون تجري وما تلحق للغباري غبار

غيره لناصر الغيطي

كنز روضي طالبو يسعد يا خليع قم في دجي الاسحار
تلتقي در الندى يرهج فوق فصوص غرائب النوار

دور

كنز روضي نزهة الطالب جوهرو بين الندى يرهج
ولجين الماية تكسر يا خليع هيا تعا اتفرج
بين عنابر تلتقي الخلع كل حد مع الفو يتدرج
وامش في عرض الرياض وارتع بين اغصان وماوا طيار
فوق بساط زمرد وقضبان كل ورده احكت انا دينار

دور

وترى الياسمين بحال فضه ضربت لاهل النزه صلبان
والشحارير لابسين اسود وقلانس كنهم رهبان
وكذا الكتان وهو اصفر بعمائم زرق للناس بان
وانجلت بين القسوس في ألحان وعلينا دارها الخمار
والقطيع الراهبي يحكي لشماس لابس الزنار

دور

الفراق نار والوصال جنه والخلائق بعضهم يعشق
داحبيب قلبو عليه راضي ودا محبوبو عليه يشفق
ولهيب الهجر يتوقد والوصال من الملاح يشفق
والمليح عندي وأنا مطمن وسط روض ازهرها معطار

فى نعيم مع حور ومع والدان   والعذول مسكين صبح فى نار

دور

وعمل فى الروض سماع باكر   بين الاغصان والزهور ان قام
والنسيم شدب والغدير صفق   والخلايع من كثر وجدو هام
والنخيل باكمامها ترقص   واقبل الريحان بحال اعجام
والعصافير شيخهم زيق   لوطريق بين الازاهر طار
والبلبل بالغنى يشجى   فكانو ناى او مزمار

دور

ناصر الغيطى   ياالخلايا صحبت انسان   انكر الصحبة وعادانى
وبغضنى حين بقيت معى   والاله بالفضل أسمانى
فى بلاد قبلى وأرض الشام   يشكرونى سائر اقرانى
والشجيع الشاطر المذكور   فى جميع الارض لو تذكار
والبلاط يوقع لو تعلق   مايحصل شئ مع الشطار

للغمارى

جار حبيبى فقلت ذا الحجاج   جابحور او يزيد
لو عدل عشت بو مسرور   و يكون الرشيد

دور

اقلع القلب فى هوى العشاق   والدموع فى انحدار
وبحور الهوى اذا هاجت   ليس لها من قرار
كنت أحسب قلبى معوريس   غرتو ذا البحار
صحت لما وحلت يا محبوب   بحر عشقك يزيد
خفت فيه الغرق فقال افرح   من غرق مات شهيد

دور

انا يوم فى الغبوق باتفرج   على شط الغدير
اذرأيت عالشط واحد واقف   شب صياد صغير
نظرت مقلتى الى منظر   ما لحسنو نظير
قلت ياعين ان غرك الصياد   بالجمال المصيد
يوقعك فى فخاخ شباك عشقو   وكذا كى يصيد

دور

من نحو جديد حبيب قلبى   يوم صدفتو صدف
قلت لين ياقاسى لمن دمعو   سال وحالو وقف
دار وقال لى ما الاسم بالانجيل   قلت اسمى خلف
قال علينا يكتب ومن يسمع   ذا الكلام يستفيد
فى الحقيقة من لا يكون داود   مايلين لو الحديد

دور

لك عوارض فى الخد مرقومه ليس لها من مثال
وجفاك صار جماق وباب وصلك كان وكان ياغزال
وأنت دو بيت موشح القاما ياعزيز الدلال
ولك ألفاظ صارت مواليا بالزجل والنشيد
وبشعرك متوج القاما وأنت بيت القصيد

دور

عن محرم شرابنا صمنا ونفطر بالثمار
حين وجدنا سفرجل البستان يذهب الاصفرار
وغنا الطير به الجماد بطرب وكذا الجلنار
فى ربيع حين رأى الثمر قاعد فيه تعاليق عقد
حسب الروض النص من شعبان صار يقيد فيه وقيد

دور

من لهيب مدمعى جرى الطوفان للهيب ماطفى
وانا هو الغبارى فى العشاق ماجرى لى كفى
حين علينا بالصد والهجران والبعاد والجفا
* جار حبيبى فقلت ذا الحجاج جا يجور أو يزيد
* لو عدل عشت بو مسرور ويكون الرشيد

غيره

حين سكنت القلب ياعيسى أمسى من بعدك الحزين فرحان
وتقدس بك ولكنو ماجرت فيه ياابن عين سلوان

دور

عارضو لما عشق خدو غرت من وجدى بقيت حاير
جيت الى طرفو وناديت لو أحرسو وكون عليه ناظر
بعد حين نظرت فى خدو النقى العارض وهو داير
وعليه قد دب بالسرقه جيت لطرفو قلت يا كسلان
هكذا فى عادة الحراس قال لى اعذرنى انا نعسان

دور

بدر شعبان منيتى لما فى بروج السعد لاح نجمو
قلت لو انقضى بفيض دمعى اطلقوا واجراه على رسمو
قلت لو دام الله اطلاقك فالحزين قلبو المشوم قسمو
اش قد أذنب حين قطرتو دايم غلط قول بالبهتان
قال لى صوم عن الوصال ناديت ليش اصوم يابدر فى شعبان

دور

دور

حين تدبج احمرار خدو باخضرار العارض اسباني
ضحك فابيض وابتسم واسود اذ شعري وابكاني
وحين اضحت باصفرار لوني أشعث اغبر في هواه عاني
قال لي لونك قد صبح حايل وقد ابصر مدعي طوفان
ذقت تبريح الغرام ناديت في هواك ذقت الهوان الوان

دور

قلت لو حين عني تخالف لله كن لي بارشيد مهدي
قد تلون دمعي من بعدك وتجري اليوم على خدي
دار الى انسان مقلتي قال لو أنت ما عندك نظر بعدي
ماترى ما قد جرى منك على الخدود قال يا فتان
جرى الما تحت من بعدك راقب الله فيا يا انسان

دور

ذا الغزال النافر الانسي للغزاله قد اعار النور
كسر قلبي كسر جفنو فاعجبوا للكاسر المكسور
وبخمر الدن قد عربد وادعى اني انا المخمور
وابتسم لي عن نقا ثغرو وخطر والبشر فيا بان
صحت يا قلبي صفا وردك انت ما بين النقا والبان

للصفي الحلي

انت يا قبلة الكرام زينة المال والبنين
الله يعطيك فوق ذا المقام ويعيدك على السنين

دور

أنت شاما بين الانام الله يحرس شمايلك
ويزيدك بالدوام كي نعيش في فواضلك
ما ينطوي ذكر الكرام لما تنشر فضايلك
ونهنيك لكل عام والخلايق تقول آمين
قد بقينا بك في امان الله يحييك طول السنين

دور

ما رأينا تحت ذا الفلك من ندى كفك اعم
كل من جا ليسألك ليس تقول له سوى نعم
املاك انت او ملك ضاعف الله لك النعم
انت في الجود كالغمام وسماك فوق مار دين
در غيثك في انسجام عم كل السائلين

دور

لاعدمنا كل صوم ذا السحور فيك والهنا
كل ليله وكل يوم ينشر الذكر والثنا
الله يحييك من خير قوم بالغ القصد والمنى
حتى تقضي ذا الصيام ويليه باقي السنين
وتعيش ياذا الهمام بين ولدان وعين

غيره

خال عبد الرحيم نقطة حبر من غير قاف ولام وميم
ثغر معشوقي الفتان نون وعين وميم
شال السعد فوق راسو عين ولام وميم
داللي قد هواه قلبي صاد وبا وبا
مليح مارأيت مثله ظا وبا وبا *
ما احلاه عندما يلبس قاف وبا وبا *
ذقت من صدود حبي غين وصاد وصاد
لما رأيت صبري نون وقاف وصاد
النوم من جفون عيني خاء ولام وصاد
واصبحت وجود فكري عين ودال وميم
قلت يوم لمن كان لي سين ونون ودال
اعدل في الذي صبرو نون وفا ودال
ولا تهجر العشاق با وعين ودال
* ما أفلح قط ياناس من ظا ولام وميم

جمل في الالغاز

المطلع في العين

وماطير لكل الوالجر باكرام * وجوهر حبابه يفسد اهل الصلاح
ولبس الحرير يؤذيه وريش النعام * يصول بين جناحين سود كبيض الصفاح

دور في السراج

ومابحر ما هو ماوفي الليل يزيد * وينقص ولاهو خوض ولا هو غريق
وفيه شيء صفات حيه بلاوكر استفيد * لما جوهره في فها يارفيق
بلاشك ينظره القريب والبعيد * ويخفى ويظهر كل يوم عن حقيق
يغيب في النهار لكن اذا ما الظلام * تشوفو يضي بين الوجوه الصباح
ويسهر بحال عاشق حليف الغرام * قتيل الهوى بين الربا والبطاح

دور في جوزة الكنافه

وماهي التي تركب على ستين الف * وما مثل ذاك فسر لنا ياخبير
مليحه وقصيفه وتلبس ترف * وتحمل وتوضع كل يوم في السعير

لهـا عشرة اعوان حالهم مختلف * يشيلوأودها الـكبير والصغير
لهـا فل يخدمها عليه الســلام * يحادى سراها فى المجى والرواح
واكثر تعبها فى ليالى الصيام * وذا اللغز قلته ومن غــير مزاح

دور فى الغربال

وما هو الذى ياسـعد كله عيون * ولا يعتلم ضوء الظلام والضــيا
وهو بين خشب مصلوب لتلك الفنون * وميت وهو يحيى اصول الحيا
اذا غاب عن اهــله فرد يوم ما يهون * ولا احد يعوض موضعه لوعيا
وكم من رقيص فى صــنعته باهتمـام * مكابد يحاجه فى المسا والصباح
ويحتاج له الناس كل يوم فى الدوام * على شان فنونه دول فنون ملاح

(الفنّ الخامس فى المواليا)

وله وزن واحد وأربـع قوافى فمن تلك الاربعة واحدة لصفى الدين الحلى

ياطاعن الخيل والابطال قد غارت * والمخصب الربـع والامواه قــد غارت
هواطل السحب من كفيك قد غارت * والشهب مذ شاهدت أضواك قد غارت

وقال أيضا

سل مقلتيك الـكحال عمن سلاسلها * ومرشفيـك من رشف منها سلاسلها
وعارضــيك التى مدت ســلاسلها * كم من أسود ضوارى فى ســلاسلها

وقال آخر

قد أوعدونا الغضا با اننا نخلو * فى ظل بستان حافف بالتمر نخلو
والطل من فوقنا قد بلنا نخلو * ومن كلام الاعادى قط ما نخلو

وقال آخر

قسمــا وبالله مفرقها وجامعها * ومن أمرنا بمسجدها وجامعها
لوحل مع بغيتى عابد وجامعها * كان افتتن فى محاسنها وجامعها

ومن اثنين واثنين قال آخر

قوم اسقنى ماتبــقى فى اباريقو * أما ترى الصبح قد لاحت اباريقو
مع شادن كلمـا دارت شقاريقه * سقى المدام وان عزت سقى ريقو

وقال

البارحه رويت بعينى فى الدحاجين * اثنين مثل البدوره فى الدجى جبين
ناديتهم فين كنتم ياخفاجيــين * قالوا لمن قد وعدنا فى الخفاجيــين

وقال

قد زدت هجرك فخذ بالعفو عن صبك * وارحم خضوعى وخف فى قتلتى ربك
يكفيــك تهجر تكدر قلب من حبك * ماظن فى الناس أقسى قلب من قلبك

غيره خمرى عاطل

كاس الطلا لطلاها طال لمـاسر * وصار لمـا حوى حمرا مكال در

مدام لو طعم كله حلو وماهو مر * ماحل مملوك الاصار مالك حر

غيره حربي

لك يا امام الوغى فى كل موقع حرب * سماع يطرب له السامع وينفى الكرب
هذا ولك كلما دارت رحاة الحرب * سيوف تفنى وكفك لا يمل الضرب

الصفى الحلى فى المدح

أغنت وأفنت كفوفك فى الندى والحرب * فى القرب والبعد من فى شرقها والغرب
وفيض جودك وسيفك بالعطا والضرب * ذا الكرب فرج وهذا قدرمى فى الكرب

وقال أيضا

من قال جودة كفوفك والحيا مثلين * أخطا القياس وفى قوله جمع ضدين
ماجدت الا وثغرك مبتسم بازين * وذاك ماجاد الا وهو باكى العين

وقال فى التهنئة

رأيت ذا العيد أول يوم فى عصرك * ورأيت ذا اليوم مع ذا الشهر فى نصرك
ورأيت ذا الشهر مع ذا العام طوع أمرك * والكل بالكل أول مبتدا عمرك

فى المعاتبة

عنى تسليت وأسياف الجفا سليت * ومذ توليت عن طرق الوفا وليت
لما تمليت بالاعمال لى مليت * اذا تخليت تعرف قدر من خليت

وقال أيضا

يا قلب ان غدروا فاغدر وان خانوا * فخن وان هم قسوا فاقسا وان لانوا
فلن وان قربوا فاقرب وان بانوا * فبن وكن لى معاهم كيفما كانوا

وقال آخر

حلف على جكاره ان يقاطعنى * وصدعنى واقسم ما يطاوعنى
كم ذا يصد وكم يرجع يصدعنى * ان كنت أنا المطلق لا يراجعنى

وقال آخر هجو

قطع قفا ابن أخت خالك وابن أخو عمك * والحق يصفع أبو بنتك اوابن أمك
وان تكلمت تصفع تا يسيل دمك * وان كنت تسكت يبول الكلب فى فمك

وقال آخر

ان ردت تسلم بطول الدهر ما تبرح * لا تيأسن ولا تقنط ولا تمرح
واستعمل الصبر لا تحزن ولا تفرح * وان ضاق صدرك ففكر فى ألم نشرح

وقال آخر

ان كنت عاقل وربك بالتقى برك * ادفع اذاك وهات خيرك ودع شرك
وان تعدى حسودك والحسد ضرك * ناديه يا أيها الانسان ما غرك

وقال آخر

يا قلب ان خانك المحبوب لا تدبر * عنو وعن قصة السلوان لا تخبر

واستعمل الصبر دائم للعدا تقهر * فان والله ماخاب الذى يصبر

(الفن السادس كان وكان) وله وزن واحد وقافية واحدة ولكن الشطر الاول من البيت أطول من الثانى فمنه هذه الوعظيات

ياقاسى القلب مالك تسمع وماعندك خبر * ومن حرارة وعظى قد لانت الاحجار
أفنيت مالك وحالك فى كل مالا ينفعك * ليتك على ذى الحاله تقلع عن الاصرار
تحضر ولكن قلبك غائب وذهنك مشتغل * فكيف يا متخلف تحسب من الحضار
ويحك تنبه فتى وافهم مقالى واستمع * ففى المجالس محاسن تحجب عن الابصار
يحصى دقائق فعلك وغمز لحظك يعلمه * وكيف تعزب عنه غوامض الاسرار
تلوت قولى ونصحى لمن تدبر واستمع * مافى النصيحه فضيحه كلا ولا انكار

وقال أيضا

صرح بذكر المحبه مافى المعمى فائده * وقل نعم أنا عاشق صادق بلا تمويه
ودع حديث العواذل ليس الخبر مثل النظر * أنا عاشق لحبيب كل المعانى فيه
من أين للبدر حسن يحكيه أو شمس الضحى * حاشا لذاك المحيا من مشبه يحكيه
ان غبت فهو أنيسى وان حضرت نديمى * وان شربت مدامى فالكاس هو ساقيه
فمنه روحى وراحى اذا سكرت وراحتى * وفيه عزى وذلى بهجتى افديه
قولوا لمن يلحانى فى الحب قصر واعتبر * هذا الذى قد عشقته قد حار وصفى فيه

الصفى الحلى

شاهدت فى الليل طيرى وقفت حتى انصب شركى
ما كل صيد يحصل يفرح الصياد
طيرى الذى كان الفى لو ردت مثله ماحصل
وهو على معود وانا عليه معتاد
قد كان شرطى وخلقى لبرج غيرى ماعرف
كانا فى المحبه جينا على ميعاد
من قبل ما أبصص له يجى ويدخل مصورى
وانا ارصده فى مطاره خائف عليه يصاد

وقال آخر

ماذقت عمرى جرعه أمر من طعم الهوى * الله يصبرقلبى على الذى يهواه
الناس تعلم منى حال الجلاده والقوى * وما أطيق التجلد على أليم جفاه
لى حب مثل الخوخه لولون وطعم وريحه * ما أكثر مغابن حبيبى وما أقل وفاه
انا عرفته وحظى وكل ماحسن لو يسىء * لو كنت أعشق ظلى ما كنت قط أراه

وله فى الفراقيات

ياسادة هجرونى وهم نزول بخاطرى * لا أوحش الله منكم فى سائر الاوقات
أوحشتم العين منى وانسكم فى خاطرى * والقلب فى النور منكم والعين فى ظلمات

قد انتهى الصبر منى وما بقى فما رمق * هيهات انى أحيا من بعدكم هيهات
لم يبق غير خيالى يلوح كالشبح الخفى * أعد بين الاحيا وانا مع الاموات
ودعتمونى وسرتم والقلب يتبع ركبكم * أيش ضر لو كان جسمى من جملة التبعات
ما مر ما ريت ضدى يقول لى من فرحته * هنا تشق المرائر وتسكب العبرات
لولم أسلى روحى وارض نفسى بالمنى * لكان قلبى تقطع من بعدكم حسرات
وقفت لما رحلتم حيران بين اظعانكم * اخفض جناح المذله وارفع الاصوات
طول الليالى أساهر كنى أريد الكيميا * اقطر الدمع منى واصعد الزفرات
ما اطول ليالى جفاكم ساعاتها مثل السنه * وما اقصر أيام وصلى كأنها ساعات
مالى أرى حسناتى بالسيآت تبدلت * وسيآت الاعادى اتبدلت حسنات
خالفتمونى وعمرى مازلت أتبع أمركم * كذا العبيد تتابع أوامر السادات
اسكت واصبر عنكمو ويفعل الله ما يشاء * والدهر من عاداته يقلب الحالات

(الفن السابع فن القوما) قيل أول من اخترعه ابن نقطة برسم الخليفة الناصر والصحيح أنه مخترع من قبله وكان الناصر يطرب له وكان لابن نقطة ولد صغير ماهر فى نظم القوما فلما مات أبوه أراد ان يعرف الخليفة بموت أبيه ليجريه على مفروضه فتعذر عليه ذلك فصبر الى دخول شهر رمضان ثم أخذ اتباع والده من المسحرين ووقف أول ليلة من الشهر تحت الطيارة وغنى القوما بصوت رقيق فاصغى الخليفة اليه وطرب له فكان أول ما قاله

قوله

يا سيد السادات * لك بالكرم عادات انا بنى ابن نقطه * تعيش أبويا مات

فاعجب الخليفة منه هذا الاختصار فاستحضره وخلع عليه وفرض له ضعفى ما كان لابيه

ومنها للصفى الحلى

من كان يهوى البدور * ووصل بيض الخدور
بالبيض والصفر يسخو * وقد جلس فى الصدور
من حب بيض الخدور * ورام لزوم الصدور
يسمح والا فيبقى * من بينهم مهدور
كم بين سجف الخدور * من عاشق مصدور
يرعى الكواكب لعلو * يرى جمال البدور
بين الحلل والخدور * وجوه مثل البدور
اشراقها فى المعاجز * وغربها فى الصدور
قد كنت فوق الصدور * بين الظبا والبدور
فصرت أحسد من أبصر * خيامهم والخدور
* نوائب المقدور * مثل الكواكب تدور
من بعد طيب الخواطر * يقضى بضيق الصدور
غيرى يلازم الصدور * وانا عليكم أدور

واصطلى الصدّ وانا * من بينهم مهدور

وقال أيضا

حال الهوى مخبور * يريد جاحد صبور
يصون سره والا * يبقى من أهل القبور
من كان هواه مستور * يحظى برفع الستور
ومن هتك سر حبه * يمحى من الدستور
ابذل البيض النحور * أموال مثل البحور
ان ردت تملك وتظفر * ولدانهم والحور
قم فابذل المدخور * وفى العطا لاتحور
تريد هذى المحبه * قلوب مثل الصخور
كم حول تلك الخدور * من عاشق مغدور
مثل الدوالب تجرى * دموعها وتدور
من يركب المحذور * هو فى الهوى معذور
يظفر بحبه ويبلغ * قصده ويوفى النذور
كن بالهوى مسرور * ولا تبيت مغرور
واجعل تراب اعتابهم * لاجفان عينك درور
طرق المحبة وعور * كم بينها مذعور
من فتك بيض السوالف * على سواد الشعور
كم عاشق مذعور * فى حب بيض الثغور
يغار قلبه ولكن * مدامعه ماتغور
كم بينهم يعفور * كالظبى آنس نفور
من أهل بدر فديته * ايش ماعمل مغفور

ومن ذلك مانظمه بعضهم ليسحر بعض الخلفاء فى رمضان

لازال سعدك جديد * دائم وجدك سعيد
* ولا برحت مهنى * بكل صوم وعيد
فى الدهر أنت الفريد * وفى صفاتك وحيد
والخلق شعر منقح * وأنت بيت القصيد
يامن جنابه شديد * ولطف رأيه سديد
ومن يلاقى الشدائد * بقلب مثل الحديد
* لازلت فى تأييد * فى الصوم والتعييد
ولا برحت مهنى * بكل عام جديد
نحن لذكرك نشيد * بقولنا والنشيد
ونبعث أوصاف مدحك * على خيول البريد

ظلك علينا مديد * مافوق جودك مزيد وكم غمرت بفضلك * قريبنا والبعيد
لازلت فى كل عيد * تحظى بجد سعيد عمرك طويل وقدرك * وافر وظلك مديد
لازال قدرك مجيد * وظل جودك مديد ولا برحت موقى * كما وقى الوليد
مازال برك يزيد * على أقل العبيد ومابرح جود كفك * منا كحبل الوريد
لازال برك مزيد * دائم وبأسك شديد ولاعدمنا نوالك * فى صوم فطر وعيد

وممّا قيل فى فن الحماق

أنا ماعمورى الحمام * لجسمى لكى يتطف الا الدمع جارى * على الماولا يوقف
وديك الجارى تجرى * ودمعى يسابقها تقول الانام فى الحمام * له أحباب فارقها

وقال آخر

ترى كل من نعشقو * علينا يقيم أنفه فاسلاه واترك هواه * وسد الطريق خلفه
وان زاد على عشقو * وزاد بى الهوى والذل تركتو ولو كان يحى * لاهل القبور الكل

وقد انتهى الكلام فيما أشرت اليه من الفنون السبعة وذكرت منها ماتبتهج به النفوس وتقر به العيون واختصرت ذلك الى الغايه فجاء بتوفيق الله فى الحسن نهايه واسأل الله التوفيق بمنه وكرمه والمزيد من بره ونعمه وحسبنا الله ونعم الوكيل وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

(الباب الثالث والسبعون فى ذكر النساء وصفاتهن ونكاحهن وطلاقهن ومايحمد ويذم من عشرتهن وفيه فصول)

(الفصل الاول فى النكاح وفضله والترغيب فيه) قال الله تعالى فانكحوا ماطاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع الآية وقال تعالى وأنكحوا الايامى منكم والصالحين من عبادكم وامائكم وقال تعالى ولاجناح عليكم فيما عرضتم به من خطبة النساء او كننتم فى أنفسكم الآية وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يامعشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج فانه أغض للبصر وأحصن للفرج ومن لم يستطع فعليه بالصوم فانه له وجاء وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم استوصوا بالنساء خيرا فانهن عوار عندكم وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم تزوجوا الودود الولود فانى مكاثر بكم الامم يوم القيامة وقال صلى الله عليه وسلم سوداء ولود خير من حسناء عقيم وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أحسن النساء بركة أحسنهن وجها وأرخصهن مهرا فينبغى للرجل اذا أراد أن يتزوج أن يرغب فى ذات الدين وأن يختار الشرف والحسب كما حكى ان نوح بن مريم قاضى مرو أراد أن يزوج ابنته فاستشار جاراله مجوسيا فقال سبحان الله الناس يستفتونك وأنت تستفتينى قال لابد أن تشير على قال ان رئيسنا كسرى كان يختار المال ورئيس الروم قيصر كان يختار الحسب والنسب ورئيسكم محمد كان يختار الدين فانظر أنت بأيهم تقتدى وقال رجل للحسن انّ لى ابنة فمن ترى أن أزوجها له قال زوّجها ممن يتقى الله عز وجل فان أحبها أكرمها وان أبغضها لم يظلمها وقيل لرجل من الحكماء فلان يخطب فلانة فقال أموسر من عقل ودين

فقالوا

فقالوا نعم قال فزوجوه اياها ويستحب أن يختار البكر لقوله صلى الله عليه وسلم عليكم بالابكار فانهن أطيب أفواها وأنتق أرحاما وقالوا أشهى المطى مالم يركب وأحب اللآلى مالم يثقب وأنشد بعضهم

قالوا نكحت صغيرة فاجبتهم * أشهى المطى الى مالم يركب
كم بين حبة لؤلؤ مثقوبة * نظمت وحبة لؤلؤ لم تثقب

فأجابته امرأة

ان المطية لا يلذ ركوبها * حتى تذلل بالزمام وتركبا
والدر ليس بنافع أربابه * حتى يؤلف بالنظام ويثقبا

قال خالد بن صفوان

عليك اذا ما كنت فى الناس ناكحا * بذات الثنايا الغر والاعين النجل

وقيل استشار رجل داود عليه السلام فى التزويج فقال له سل سليمان وأخبرنى بجوابه فصادفه ابن سبع سنين وهو يلعب مع الصبيان راكبا قصبة فسأله فقال عليك بالذهب الاحمر أو الفضة البيضاء واحذر الفرس لا يضربك فلم يفهم الرجل ذلك فقال له داود عليه السلام الذهب الاحمر البكر والفضة البيضاء الثيب الشابة ومن وراء هما كالفرس الجموح وقال صلى الله عليه وسلم تخيروا لنطفكم وقال صلى الله عليه وسلم انظر فى أى شئ تضع ولدك فان العرق دساس وقال عليه الصلاة والسلام اياكم وخضراء الدمن قالوا وما خضراء الدمن يارسول الله قال المرأة الحسناء فى المنبت السوء وأنشدوا فيه

اذا تزوجت فكن حاذقا * واسأل عن الغصن وعن منبته

وقال بعضهم

وأول خبث الماء خبث ترابه * وأول خبث القوم خبث المناكح

وعن على رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال لا تسترضعوا الحمقاء ولا العمشاء فان اللبن يعدى وقيل ان جعفر بن سليمان بن على عاب يوما على أولاده وأنهم ليسوا كما يحب فقال له ولده أحمد بن جعفر انك عمدت الى فاسقات مكة والمدينة واماء الحجاز فاوعيت فيهن نطفك ثم تريد أن ينجبن وانما نحن كصاحبات الحجاز هلا فعلت فى ولدك ما فعل ابوك فيك حين اختار لك عقيلة قومها فزوجها منك وأنشدوا

صفات من يستحب الشرع خطبتها * جلوتها لاولى الالباب مختصرا
* صبية ذات دين زانه أدب * بكر ولود حكت فى نفسها القمرا
* غريبة لم تكن من أهل خاطبها * تلك الصفات التى أجلو لمن نظرا
* فيها أحاديث جاءت وهى ثابتة * أحاط علما بها من فى العلوم قرا

وقال آخر

مطيات السرور فويق عشر * الى العشرين ثم قف المطايا
فان جزت المسير فسر قليلا * وبنت الاربعين من الرزايا

وقال آخر

فاياك اياك العجوز ووطأها * فما هو الا مثل سم الاراقم

واعلم أن العيش كله مقصور على الحليلة الصالحة والبلاء كله موكل بالقرينة السوء التى لا تسكن النفس الى عشرتها ولا تقر العيون برؤيتها وفى حكمة سليمان بن داود عليه السلام المرأة العاقلة تعمر بيت زوجها والمرأة السفيهة تهدمه وروى أنه لما حضر أبو طالب نكاح رسول الله صلى الله عليه وسلم على خديجة بنت خويلد رضى الله عنها ومعه بنو هاشم ورؤساء مضر خطب فقال الحمد لله الذى جعلنا من ذرية ابراهيم وزرع اسمعيل وعنصر مضر وجعلنا حضنة بيته وسواس حرمه وجعل لنا بيتا محجوجا وحرما آمنا وجعلنا الحكام على الناس ثم ان محمد بن عبد الله ابن أخى من لا يوزن به رجل من قريش الا رجح به برا وفضلا وكرما ومجدا ونبلا فان كان فى المال قل فالمال ظل زائل ورزق حائل وقد خطب خديجة بنت خويلد وبذل لها من الصداق ما عاجله وآجله من مالى كذا وكذا وهو والله بعد هذا له نبأ عظيم وخطر جليل ولما خطب عمرو بن حجر الكندى الى عوف بن محلم الشيبانى ابنته أم اياس وأجابه الى ذلك أقبلت عليها أمها ليلة دخوله بها توصيها فكان مما أوصتها به أن قالت أى بنية انك مفارقة بيتك الذى منه خرجت وعشك الذى منه درجت الى رجل لم تعرفيه وقرين لم تألفيه فكونى له أمة ليكون لك عبدا واحفظى له خصالا عشرا يكن لك ذخرا فاما الاولى والثانية فالرضا بالقناعة وحسن السمع له والطاعة وأما الثالثة والرابعة فالتفقد لمواقع عينه وأنفه فلا تقع عينه منك على قبيح ولا يشم أنفه منك الا أطيب الريح وأما الخامسة والسادسة فالتفقد لوقت طعامه ومنامه فان شدة الجوع ملهبة وتنغيص النوم مغضبة وأما السابعة والثامنة فالاحراز لماله والارعاء على حشمه وعياله وأما التاسعة والعاشرة فلا تعصى له أمرا ولا تفشى له سرا فانك ان خالفت أمره أوغرت صدره وان أفشيت سره لم تأمنى غدره واياك ثم اياك والفرح بين يديه اذا كان مهتما والكآبة لديه اذا كان فرحا فقبلت وصية أمها فانجبت وولدت له الحرث بن عمرو جد امرئ القيس الملك الشاعر وعن الهيثم بن عدى الطائى عن الشعبى قال لقينى شريح فقال لى يا شعبى عليك بنساء بنى تميم فانى رأيت لهن عقولا فقلت ومارأيت من عقولهن قال أقبلت من جنازة ظهرا فمررت بدورهن واذا أنا بعجوز على باب دار والى جانبها جارية كأحسن مارأيت من الجوارى فعدلت اليها واستسقيت ومابى عطش فقالت لى أى الشراب أحب اليك قلت ماتيسر قالت ويحك ياجارية ائتيه بلبن فانى أظن الرجل غريبا فقلت للعجوز ومن تكون هذه الجارية منك قالت هى زينب بنت جرير احدى نساء بنى حنظلة قلت هى فارغة أم مشغولة قالت بل فارغة قلت أتزوجنيها قالت ان كنت كفؤا ولم تقل كفؤا وهى لغة بنى تميم فتركتها ومضيت الى منزلى لأقيل فيه فامتنعت منى القائلة فلما صليت الظهر أخذت بيد اخوانى من العرب الاشراف علقمة والأسود والمسيب ومضيت أريد عمها فاستقبلنا وقال ماشأنك أبا أمية قلت زينب ابنة أخيك قال مابها عنك رغبة فزوجنيها فلما صارت فى

حبالي ندمت وقلت أي شيء صنعت بنساء بني تميم وذكرت غلظ قلوبهن فقلت أطلقها ثم قلت لا ولكن أدخل بها فان رأيت ما أحب والا كان ذلك فلو شهدتني يا شعبي وقد أقبلت نساؤها يهدينها حتى أدخلت علي فقلت ان من السنة اذا دخلت المرأة على زوجها أن يقوم ويصلي ركعتين ويسأل الله تعالى من خيرها ويتعوذ من شرها فتوضأت فاذا هي تتوضأ بوضوئي وصليت فاذا هي تصلي بصلاتي فلما قضيت صلاتي أتتني جواريها فأخذن ثيابي وألبستني ملحفة قد صبغت بالزعفران فلما خلا البيت دنوت منها فمددت يدي الى ناصيتها فقالت على رسلك أبا أمية ثم قالت الحمد لله أحمده وأستعينه وأصلي على محمد وآله أما بعد فاني امرأة غريبة لا علم لي بأخلاقك فبين لي ما تحب فآتيه وما تكره فاجتنبه فانه قد كان لك منكح في قومك ولي في قومي مثل ذلك ولكن اذا قضى الله أمرا كان مفعولا وقد ملكت فاصنع ما أمرك الله تعالى به اما امساك بمعروف او تسريح باحسان أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم لي ولك ولجميع المسلمين قال فأحوجتني والله يا شعبي الى الخطبة في ذلك الموضع فقلت الحمد لله أحمده واستعينه وأصلي على محمد وآله أما بعد فانك قد قلت كلاما ان ثبت عليه يكن ذلك حظا لي وان تدعيه يكن حجة عليك أحب كذا واكره كذا وما رأيت من حسنة فابثثيها وما رأيت من سيئة فاستريها فقالت كيف محبتك لزيارة الاهل قلت ما أحب ان يملني اصهاري قالت فمن تحب من جيرانك يدخل دارك آذن له ومن تكرهه اكرهه قلت بنو فلان قوم صالحون وبنو فلان قوم سوء قال فبت معها يا شعبي بانعم ليلة ومكثت معي حولا لا أرى منها الا ما أحب فلما كان رأس الحول جئت من مجلس القضاء واذا أنا بعجوز في الدار تأمر وتنهى قلت من هذه قالوا فلانة أم حليلتك قلت مرحبا وأهلا وسهلا فلما جلست أقبلت العجوز فقالت السلام عليك يا أبا أمية فقلت وعليك السلام ومرحبا بك وأهلا قالت كيف رأيت زوجتك قلت خير زوجة وأوفق قرينة لقد أدبت فأحسنت الادب وروضت فأحسنت الرياضة فجزاك الله خيرا فقالت أبا أمية ان المرأة لا يرى اسوأ حالا منها في حالتين قلت وما هما قالت اذا ولدت غلاما أو حظيت عند زوجها فان رابك مريب فعليك بالسوط فوالله ما حاز الرجال في بيوتهم أشر من الروعاء المدللة فقلت والله لقد أدبت فأحسنت الادب وروضت فأحسنت الرياضة قالت كيف تحب أن يزورك أصهارك قلت ما شاؤا فكانت تأتيني في رأس كل حول فتوصيني بتلك الوصية فمكثت معي يا شعبي عشرين سنة لم أعب عليها شيأ وكان لي جار من كندة يفزع امرأته ويضربها فقلت في ذلك

رأيت رجالا يضربون نساءهم * فشلت يميني يوم تضرب زينب

أأضربها من غير ذنب أتت به * فما العدل مني ضرب من ليس يذنب

فزينب شمس والنساء كواكب * اذا طلعت لم يبد منهن كوكب

وخطب الحجاج بن يوسف الى عبد الله بن جعفر ابنته أم كلثوم على ألفي ألف في السر وخمسمائة ألف في العلانية فأجابه الى ذلك وحملها الى العراق فأقامت عنده ثمانية أشهر فلما خرج عبد الله بن جعفر الى عبد الملك بن مروان وافدا نزل بدمشق فأتاه الوليد بن عبد

الملك على بغلة ومعه الناس فاستقبله ابن جعفر بالترحيب فقال له الوليد لكنك أنت لا مرحبا بك ولا أهلا قال مهلا يا ابن أخي فلست أهلا لهذه المقالة منك قال بلى والله وبشر منها قال وفيم ذلك قال لانك عمدت الى عقيلة نساء العرب وسيدة نساء بني عبد مناف فعرضتها عبد ثقيف يتخذها قال وفي هذا عتبت علي يا ابن أخي قال نعم فقال عبد الله والله ما أحق الناس أن لا يلومني في هذا الا أنت وأبوك لان من كان قبلكم من الولاة يصلون رحمي ويعرفون حقي وانك وأباك منعتماني رفدكما حتى ركبني الدين أما والله لو أن عبدا حبشيا مجدعا أعطاني بها ما أعطاني عبد ثقيف لزوجتها منه انما فديت بها رقبتي فما راجعه كلمة حتى عطف عنانه ومضى حتى دخل على عبد الملك فقال مالك يا أبا العباس قال انك سلطت عبد ثقيف وملكته حتى تخذ نساء بني عبد مناف فأدركت عبد الملك غيرة فكتب الى الحجاج يقسم عليه ان لا يضع كتابه من يده حتى يطلقها ففعل قال ولم يكن يقطع الحجاج عنها رزقا ولا كرامة يجريها عليها حتى خرجت من الدنيا ومازال واصلا لعبد الله بن جعفر حتى مات وما كان يأتي عليه حول الا وعنده عير مقبلة من عند الحجاج عليها أموال وكسوة وتحف

(وحكى) أن المغيرة بن شعبة لما ولي الكوفة سار الى دير هند بنت النعمان وهي فيه عمياء مترهبة فاستأذن عليها فقالت من أنت قال المغيرة بن شعبة الثقفي قالت ما حاجتك قال جئت خاطبا قالت انك لم تكن جئتني لجمال ولا مال ولكنك أردت أن تتشرف في محافل العرب فتقول تزوجت بنت النعمان بن المنذر والا فأي خير في اجتماع عمياء وأعور وكان عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق رضي الله عنهما قد تزوج عاتكة بنت عمرو بن نفيل وكانت من أجمل نساء قريش وكان عبد الرحمن من أحسن الناس وجها وأبرهم بوالديه فلما دخل بها غلبت على عقله وأحبها حبا شديدا فثقل ذلك على أبيه فمر به أبو بكر يوما وهو في غرفة له فقال يا بني اني أرى هذه المرأة قد أذهلت رأيك وغلبت على عقلك فطلقها قال لست أقدر على ذلك فقال أقسمت عليك الا طلقتها فلم يقدر على مخالفة أبيه فطلقها فجزع عليها جزعا شديدا وامتنع من الطعام والشراب فقيل لابي بكر أهلكت عبد الرحمن فمر به يوما وعبد الرحمن لا يراه وهو مضطجع في الشمس ويقول هذه الابيات

فوالله ما أنساك ما ذر شارق * وما ناح قمري الحمام المطوق
فلم أر مثلي طلق اليوم مثلها * ولا مثلها في غير شيء يطلق
لها خلق عف ودين ومحتد * وخلق سوي في الحياء ومنطق

فسمعه أبوه فرق له وقال له راجعها يا بني فراجعها وأقامت عنده حتى قتل عنها يوم الطائف مع رسول الله صلى الله عليه وسلم أصابه سهم فقتله فجزعت عليه جزعا شديدا وقالت ترثيه

فآليت لا تنفك نفسي حزينة * عليك ولا ينفك جلدي أغبرا
فتى طول عمري ما أرى مثله فتى * أكر وأحمى في الهياج وأصبرا
اذا شرعت فيه الاسنة خاضها * الى القرن حتى يترك الرمح أحمرا

ثم تزوجها بعده عمر بن الخطاب رضي الله عنه في خلافته ودعا الناس الى وليمته فأتوه فلما فرغ من الطعام وخرج الناس قال له علي بن أبي طالب رضي الله عنه يا أمير المؤمنين ائذن

لى فى كلام عاتكة حتى أهنيها وأدعو لها بالبركة فذكر عمر ذلك لعاتكة فقالت ان أبا الحسن فيه مزاح فأذن له يا أمير المؤمنين فاذن له فرفع جانب الخدر فنظر اليها فاذا ما بدا من جسدها مضمخ بالخلوق فقال لها يا عاتكة الست القائلة

فآليت لاتنفك نفسى حزينة * عليك ولا ينفك جلدى أغبرا

وقيل ان عمر لما قتل عنها جزعت عليه جزعا شديدا وتزوجت بعده الزبير بن العوام وكان رجلا غيورا وكانت تخرج الى المسجد كعادتها مع أزواجها فشق ذلك عليه وكان يكره ان ينهاها عن الخروج الى الصلاة لحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم لاتمنعوا اماء الله مساجد الله فعرض لها ليلة فى ظهر المسجد وهى لا تعرفه فضرب بيده عجيزتها ثم انصرف فقعدت بعد ذلك عن الخروج الى المسجد وكان يقول لها ألا تخرجين يا عاتكة فتقول كنا نخرج اذ الناس ناس ومابهم من باس وأما الآن فلا ثم قتل عنها الزبير قتله عمرو بن جرموز بوادى السباع وهو نائم ثم تزوجها بعده محمد بن أبى بكر فقتل عنها بمصر فقالت لا أتزوج بعده أبدا انى لاحسبنى أنى لو تزوجت جميع أهل الارض لقتلوا عن آخرهم (وحكى) عن الحرث بن عوف بن أبى حارثة أنه قال لخارجة بن سنان أترى أنى أخطب الى أحد فيردنى قال نعم قال ومن هو قال أوس بن حارثة بن لام الطائى قال اركب بنا اليه فركبنا اليه حتى أتينا أوس بن حارثة فى بلاده فوجدناه فى فناء منزله فلما رأى الحرث بن عوف قال مرحبا بك يا حارث قال ما جاء بك قال جئت خاطبا قال لست هناك فانصرف ولم يكلمه فدخل أوس على امرأته مغضبا فقالت له من الرجل الذى سلم عليك فلم تطل معه الوقوف ولم تكلمه فقال ذلك سيد العرب الحرث بن عوف فقالت فمالك لا تستنزله قال انه استحمقنى قالت وكيف قال لانه جاءنى خاطبا قالت ألست تزعم انه سيد العرب قال نعم قالت اذا لم تزوج سيد العرب فى زمانه فمن تزوج قال قد كان ذلك قالت فتدارك ما كان منك قال فماذا قالت بأن تلحقه فترده قال وكيف وقد فرط منى اليه مافرط قالت تقول له انك لقيتنى وانا مغضب لامر فلك المعذرة فيما فرط منى فارجع ولك عندى كل ماطلبت قال فركب فى أثرهما قال خارجة بن سنان فوالله انا لنسير اذ حانت منى التفاتة فرأيته فقلت للحرث وهو ما يكلمنى هذا أوس فى أثرنا فقال ما أصنع به فلما رآنا لا نقف قال يا حارث اربع على فوقفنا له وكلمه بذلك الكلام فرجع مسرورا قال خارجة بن سنان فبلغنى ان أوسا لما دخل منزله قال لزوجته ادعى لى فلانة أكبر بناته فاتته فقال لها أى بنية هذا الحرث بن عوف سيد من سادات العرب جاءنى خاطبا وقد أردت ان أزوجك منه فما تقولين قالت لا تفعل قال ولم قالت لان فى خلقى رداءة وفى لسانى حدة ولست بابنة عمه فيراعى رحمى ولا هو بجارك فى البلد فيستحى منك ولا آمن أن يرى منى ما يكره فيطلقنى فيكون على بذلك مسبة قال لها قومى بارك الله فيك ثم دعا بابنته الاخرى فقال لها مثل قوله لاختها فأجابته بمثل جوابها فقال لها قومى بارك الله فيك ثم دعا بالثالثة وكانت أصغرهن سنا فقال لها مثل ماقال لاختيها فقالت له أنت وذاك فقال لها انى عرضت ذلك على أختيك فأبتاه ولم يذكر لها مقالتهما فقالت له والله انى الجميلة وجها الرفيعة خلقا

الحسنة رأيا فان طلقني فلا أخلف الله عليه فقال لها بارك الله فيك ثم خرج اليه فقال زوجتك يا حارث بابنتي هنيسة قال قد قبلت نكاحها وأمر أمها ان تهيئها له وتصلح شأنها ثم أمر ببيت فضرب له وأنزله اياه ثم بعثها اليه فلما دخلت عليه لبث هنيهة ثم خرج الى فقلت له أفرغت من شأنك قال لا والله قلت وكيف ذلك قال لما مددت يدى اليها قالت مه أعند ابى واخوتى هذا والله لا يكون ثم أمر بالرحلة فارتحلنا بها معنا وسرنا ماشاء الله ثم قال لى تقدم فتقدمت فعدل عن الطريق فما لبثان لحقنى فقلت أفرغت من شأنك قال لا والله قلت ولم قال قالت تفعل بى كما يفعل بالامة السبية الاخيذة لا والله حتى تنحر الجزر والغنم وتدعو العرب وتعمل ما يعمل مثلك لمثلى فقلت والله انى لارى همة وعقلا فقال صدقت قال وأرجوالله ان تكون المرأة النجيبة فوردنا الى بلادنا فأحضر الابل والغنم ونحر وأولم ثم دخل عليها وخرج الى فقلت أفرغت من شأنك قال لا والله قلت ولم ذاك قال دخلت عليها أريدها فقلت لها قد احضرت من المال ماتريدين قالت والله لقد ذكرت من الشرف بما ليس فيك قلت ولم ذاك قالت أتستفرغ لنكاح النساء والعرب يقتل بعضها بعضا وكان ذلك فى أيام حرب قيس وذبيان قلت فماذا تقولين قالت اخرج الى القوم فأصلح بينهم ثم ارجع الى أهلك فلن يفوتك ماتريد فقلت والله انى لارى عقلا ورأيا سديدا قال فاخرج بنا فخرجنا حتى أتينا القوم فمشينا بينهم بالصلح فاصطلحوا على ان يحسبوا القتلى ثم تؤخذ الدية فحملنا عنهم الديات فكانت ثلاثة آلاف بعير فانصرفنا بأجل ذكر ثم دخل عليها فقالت له اما الآن فنعم فاقامت عنده فى ألذ عيش وأطيبه وولدت له بنين وبنات وكان من أمرهما ما كان والله أعلم بالصواب (وحكى) الفضل أبو محمد الطيبى قال حدثنا بعض أصحابنا ان رجلا من بنى سعد مرت به جارية لامية بن خالد بن عبد الله بن أسد ذات ظرف وجمال وكان شجاعا فارسا فلما رآها قال طوبى لمن كان له امرأة مثلك ثم أتبعها رسولا يسألها ألها زوج ويذكره لها وكان جميلا فقالت للرسول وماحرفته فأبلغه الرسول ذلك فقال ارجع اليها وقل لها شعرا

وسائلة ماحرفتى قلت حرفتى * مقارعة الابطال فى كل شارق

اذا عرضت خيل لخيل رأيتنى * امام رعيل الخيل أحمى حقائقى

اصبر نفسى حين لم أر صابرا * على ألم البيض الرقاق البوارق

فلحقها الرسول فأنشدها ماقال فقالت له ارجع اليه وقل له أنت أسد فاطلب لك لبوة فلست من نسائك وأنشدته تقول

الا انما ابغى جوادا بماله * كريما محياه كثير الصدائق

فتى همه مذ كان خود خريدة * يعانقها فى الليل فوق النمارق

وحدث يحيى بن عبد العزيز عن محمد بن عبد الحكم عن الامام الشافعى رضى الله عنه قال تزوج رجل امرأة جديدة على امرأة قديمة فكانت جارية الجديدة تمر على بيت القديمة فتقول وما يستوى الرجلان رجل صحيحة * وأخرى رمى فيها الزمان فشلت

ثم تعود وتقول

وما يستوى الثوبان ثوب به البلى * وثوب بأيدى البائعين جديد

فمرت جارية القديمة على باب الجديدة يوما وقالت

نقل فؤادك ما استطعت من الهوى * ما الحب الا للحبيب الاول

كم منزل فى الارض يألفه الفتى * وحنينه ابدا لاول منزل

وقال عمرو بن العلاء وكان اعلم الناس بالنساء

فان تسألونى بالنساء فاننى * بصير بادواء النساء طبيب

اذا شاب رأس المرء أو قل ماله * فليس له فى ودهن نصيب

وسئل المغيرة بن شعبة عن صفة النساء فقال بنات العم أحسن مواساة والغرائب أنجب وما ضرب رؤس الاقران مثل ابن السوداء وقال عبد الملك بن مروان من أراد ان يتخذ جارية للمتعة فليتخذها بربرية ومن أراد أن يتخذها للولد فليتخذها فارسية ومن أراد أن يتخذها للخدمة فليتخذها رومية قال الشاعر

لا تشتمن امرأ من يكون له * أم من الروم او سوداء عجماء

فانما أمهات القوم أوعية * مستودعات وللانساب آباء

وقال الاصمعى أتانى رجل من قريش يستشيرنى فى امرأة يتزوجها فقلت يا ابن أخى أقصيرة النسب أم طويلته فلم يفهم عنى فقلت يا ابن أخى اما القصيرة النسب فالتى اذا ذكرت اباها اكتفت به والطويلة النسب فهى التى لا تعرف حتى تطيل فى نسبها فاياك أن تقع مع قوم قد أصابوا كثيرا من الدنيا مع دناءة فيهم فتضيع نسبك فيهم وخرج رجل من أهل الكوفة فى غزاة فكسب جارية وفرسا وكان مملكا على ابنة عمه فكتب اليها يغيرها ويقول

ألا بلغوا أم البنين بأننا * غنينا واغنتنا الغطارفة النجد

بعيدة مناط المنكبين اذا جرى * وبيضاء كالتمثال زينها العقد

فهذا لايام العدو وهذه * لحاجة نفسى حين ينصرف الجند

فلما ورد عليها كتابه وقرأته قالت يا غلام هات الدواة وكتبت جوابه تقول

ألا فاقره منى السلام وقل له * غنينا واغنتنا غطارفة المرد

اذا شئت أغنانى غلام مرجل * ونازعته فى ماء معتصر الورد

وان شاء منهم ناشئ مد كفه * الى عكن ملساء أو كفل نهد

فما كنتم تقضون حاجة أهلكم * شهودا فتقضوها على النأى والبعد

فعجل الينا بالسراح فانه * منانا ولا ندعو لك الله بالرد

فلا قفل الجند الذى أنت فيهم * وزادك رب الناس بعدا على بعد

فلما ورد عليه كتابها لم يزد على ان ركب الفرس واردف الجارية خلفه ولحق بابنة عمه فكان أول شئ بدأها به بعد السلام أن قال لها بالله عليك هل كنت فاعلة ذلك فقالت له الله فى قلبى أعظم وأجل وأنت فى عينى أذل واحقر من أن أعصى الله فيك فكيف ذقت طعم الغيرة فوهب لها الجارية وانصرف الى الغزاة والله تعالى أعلم بالصواب

(الفصل الثانى فى صفات النساء المحمودة) كتب الحجاج الى الحكم بن أيوب أن اخطب

لعبد الملك بن مروان امرأة جميلة من بعد مليحة من قريب شريفة فى قومها ذليلة فى نفسها مؤاتية لبعلها فكتب اليه قد أصبتها لولا عظم ثديها فكتب اليه لا يكمل حسن المرأة حتى يعظم ثدياها فتدفى الضجيع وتروى الرضيع وقال عبد الملك بن مروان لرجل من غطفان صف لى أحسن النساء قال خذها يا أمير المؤمنين ملساء القدمين ردماء الكعبين ناعمة الساقين ضخماء الركبتين لفاء الفخذين ضخمة الذراعين رخصة الكفين ناهدة الثديين حمراء الخدين كحلاء العينين زجاء الحاجبين لمياء الشفتين بلجاء الجبين شماء العرنين شنباء الثغر محلولكة الشعر غيداء العنق مكسرة البطن فقال ويحك وأين توجد هذه قال تجدها فى خالص العرب وفى خالص فارس وقال حكيم عليكم بمن تربت فى النعيم ثم اصابتها فاقة فأثرفيها الغنى وأدبها الفقر وقال رجل لخاطب ابغ لى امرأة لا تؤنس جارا ولا توطن دارا يعنى لا تدخل على الجيران ولا تدخل الجيران عليها وفى مثل هذه قال الشاعر

هيفاء فيها اذا استقبلتها صلف * عجزاء غامضة الكعبين معطار
خود من الخفرات البيض لم يرها * بساحة الدار لا بعل ولا جار

وقال الاعشى

لم تمش ميلا ولم تركب على جمل * ولم تر الشمس الا دونها الكلل

وكانت امرأة عمران بن حطان من أجمل الناس وجها وكان هو من أقبح الناس وجها فقال لها يوما انا واياك فى الجنة ان شاء الله تعالى فقالت له وكيف ذلك فقال لانى أعطيت مثلك فشكرت وأعطيت مثلى فصبرت والصابر والشاكر فى الجنة وقال بعضهم رأيت فى طريق مكة اعرابية ما رأيت أحسن منها وجها فقعدت انظر اليها وأتعجب من جمالها فجاء شيخ قصير فأخذ بردائها وسار بها ومضى فلقيتها مرة أخرى فقلت لها من هذا الشيخ قالت زوجى قلت كيف يرضى مثلك بمثله فأنشدت

أيا عجبا للخود يجرى وشاحها * تزف الى شيخ بأقبح تمثال
دعانى اليه انه ذو قرابة * يعز علينا من بنى العم والخال

وسمع بعضهم قائلا يقول شعرا

ومن لا يرد مدحى فان مدائحى * نوافق عند الاكرمين نوامى
نوافق عند المشترى الحمد بالندى * نفاق بنات الحرث بن هشام

فقال يا ابن أخى ما بلغ من نفاق بنات الحرث بن هشام قال كن من أجمل الناس وجوها وكان أبوهن اذا زوجهن يسوقهن ومهورهن الى بعولتهن فقال يا ابن أخى لو فعل هذا ابليس ببناته لتنافست فيهن الملائكة المقربون وقال عبد الملك لابن أبى الرقاع كيف علمك بالنساء قال أنا والله أعلم الناس بهن وجعل يقول

قضاعية الكعبين كندية الحشا * خزاعية الاطراف طائية الفم
لها حكم لقمان وصورة يوسف * ومنطق داود وعفة مريم

وقالوا الوجه الحسن أحمر وقد تضرب فيه الصفرة مع طول المكث فى الكن والتضمخ

بالطيب وقالوا ان الوجه الرقيق البشرة الصافي الاديم اذا خجل يحمر واذا فرق يصفر ومنه قولهم ديباج الوجه يريدون تلونه من رقته قال علي بن زيد في وصفه

حمرة خلط صفرة في بياض * مثل ما حاك حائك ديباجا

وقال علي بن عبد ربه

بيضاء يحمر خداها اذا خجلت * كما جرى ذهب في صفحتي ورق

وقالوا ان الجارية الحسناء تتلون بتلون الشمس فهي بالضحى بيضاء وبالعشي صفراء وقال ذو الرمة

بيضاء صفراء قد تنازعها * لونان من فضة ومن ذهب

قالوا ليس المرأة الجميلة التي تأخذ ببصرك جملة على بعد فاذا دنت منك لم تكن كذلك بل الجميلة التي كلما كررت بصرك فيها زادتك حسنا وقالوا ان اردت أن ينجب ولدك فأغضبها ثم قع عليها قال الشاعر

ممن حملن به وهن عواقد * حبك النطاق فعاش غير مهبل

حملت به في ليلة مزؤدة * كرها وعقد نطاقها لم يحلل

(الفصل الثالث في صفة المرأة السوء نعوذ بالله تعالى منها) في حكمة داود عليه السلام ان المرأة السوء مثل شرك الصياد لا ينجو منها الا من رضي الله تعالى عنه وقيل المرأة السوء غل يلقيه الله تعالى في عنق من يشاء من عباده وقيل لاعرابي كان ذا تجربة للنساء صف لنا شر النساء فقال شرهن النحيفة الجسم القليلة اللحم المحياض الممراض المصفرة الميشومة العسرة المدشومة السلطة البطرة النفرة السريعة الوثبة كأن لسانها حربة تضحك من غير عجب وتبكي من غير سبب وتدعو على زوجها بالحرب أنف في السماء واست في الماء عرقوبها حديد منتفخة الوريد كلامها وعيد وصوتها شديد تدفن الحسنات وتفشي السيئات تعين الزمان على بعلها ولا تعين بعلها على الزمان ليس في قلبها عليه رأفة ولا عليها منه مخافة ان دخل خرجت وان خرج دخلت وان ضحك بكت وان بكى ضحكت كثيرة الدعاء قليلة الارعاء تأكل لما وتوسع ذما ضيقة الباع مهتوكة القناع صبيها مهزول وبيتها مزبول اذا حدثت تشير بالاصابع وتبكي في المجامع بادية من حجابها نباحة عند بابها تبكي وهي ظالمة وتشهد وهي غائبة قد دلى لسانها بالزور وسال دمعها بالفجور ابتلاها الله بالويل والثبور وعظائم الامور ويقال ان المرأة اذا كانت مبغضة لزوجها فان علامة ذلك أن تكون عند قربها منه مرتدة الطرف عنه كأنها تنظر الى انسان غيره من ورائه وان كانت محبة له لا تقلع عن النظر اليه قال بعضهم

لقد كنت محتاجا الى موت زوجتي * ولكن قرين السوء باق معمر

فيا ليتها صارت الى القبر عاجلا * وعذبها فيه نكير ومنكر

وقال زيد بن عمير

أعاتبها حتى اذا قلت أقلعت * أبى الله الا خرقها فتعود

فان طمثت قادت وان طهرت زنت * فهاتيك ترني دائما وتقود

وقال داود عليه السلام المرأة السوء على بعلها كالحمل الثقيل على الشيخ الكبير والمرأة الصالحة كالتاج المرصع بالذهب كلما رآها اقرت عينه برؤيتها والله أعلم

*(الفصل الرابع فى مكر النساء وغدرهنّ وذمهن ومخالفتهن) فى حكمة داود عليه السلام وجدت فى الرجال واحدا فى ألف ولم أجد واحدة فى جميع النساء وقيل انّ عيسى عليه السلام لقى ابليس وهو يسوق أربعة أحمرة عليها احمال فسأله فقال أحمل تجارة وأطلب مشترين فقال ما أحدها قال الجور قال من يشتريه قال السلاطين قال فما الثانى قال الحسد قال فمن يشتريه قال العلماء قال فما الثالث قال الخيانة قال فمن يشتريها قال التجار قال فما الرابع قال الكيد قال فمن يشتريه قال النساء وقال حكيم النساء شرّ كلهنّ وشر ما فيهنّ قلة الاستغناء عنهنّ وقالت الحكماء لا تثق بامرأة ولا تغتر بمال وان كثر وقال النساء حبائل الشيطان قال الشاعر

تمتع بها ما ساعفتك ولا تكن * جزوعا اذا بانت فسوف تبين
وخنها وان كانت تفى لك انها * على قدم الايام سوف تخون
وان هى اعطتك الليان فانها * لغيرك من طلابها ستلين
وان حلفت أن ليس تنقض عهدها * فليس لمخضوب البنان يمين
وان سكبت يوم الفراق دموعها * فليس لعمر الله ذاك يقين

وقال ابن بشار

رأيت مواعيد النساء كأنها * سراب لمرتاد المناهل حافل
ومنتظر الموعود منهنّ كالذى * يؤمل يوما ان تلين الجنادل

وقال بعض الحكماء لم تنه المرأة عن شئ قط الا فعلته وقال الغنوى

انّ النساء متى ينهين عن خلق * فانه واقع لا بد مفعول

وقال النخعى من اقتراب الساعة طاعة النساء ويقال من أطاع عرسه فقد أضاع نفسه وقال على رضى الله عنه اياك ومشاورة النساء فانّ رأيهن الى أفن وعزمهنّ الى وهن اكفف أبصارهنّ بالحجاب فانّ شدة الحجاب خير لهنّ من الارتياب وليس خروجهنّ بأضر من دخول من لا يوثق به عليهنّ فان استطعت ان لا يعرفن غيرك فافعل قال السمعانى

لا تأمنن على النساء ولو أخا * ما فى الرجال على النساء أمين
ان الامين وان تحفظ جهده * لابد أنّ بنظرة سيخون

وقال غيره

لا تركنن الى النسا * ولا تثق بعهودهنّ
فرضاؤهنّ جميعهنّ * معلق بفروجهنّ

وقال على رضى الله عنه لا تطلعوا النساء على حال ولا تأمنوهنّ على مال ولا تذروهنّ الا لتدبير العيال ان تركن وما يردن أوردن المهالك وأفسدن الممالك ينسين الخير ويحفظن الشر يتهافتن فى البهتان ويتمادين فى الطغيان وقال أبو بكر رضى الله عنه ذل من اسند أمره الى امرأة وقيل ان صيادا أتى أبرويز بسمكة فأعجبه حسنها وسمنها فامر له بأربعة

آلاف درهم فخطأته سيرين زوجته فقال لها ماذا أفعل فقالت له اذا جاءك فقل له أذكرا كانت أم أنثى فان قال لك ذكرا فاطلب منه الانثى وان قال لك أنثى فاطلب منه الذكر فلما أتاه سأله فقال كانت أنثى فقال ائتني بذكرها فقال عمر الله الملك كانت بكرا لم تتزوج فقال زه وأمرله بثمانية آلاف درهم وقالوا كتبوا في الحكمة الغدر ومطاوعة النساء يؤديان الى الغرم الثقيل وقال حكيم اعص النساء وهواك وافعل ماشئت وقال عمر رضى الله عنه أكثروا لهن من قول لافان نعم تغريهن على المسئلة وقال استعيذوا بالله من شرار النساء وكونوا من خيارهن على حذر (ومما قيل في الباءة) ذكر الجماع عند الامام مالك بن أنس رضى الله عنه قال هو نور وجهك ومخ ساقك فأقال منه او أكثر وقال معاوية رضى الله عنه ما رأيت نهما في النساء الا عرفت ذلك في وجهه وخلا تمام بجارية له فعجز عنها فقال ما أوسع حرك فانشأت تقول

أنت الفداء لمن قد كان يملؤه * ويشتكي الضيق منه حين يلقاه

وقال آخر

شفاء الحب تقبيل ولمس * وسحب بالبطون على البطون

ورهز تذرف العينان منه * وأخذ بالمناكب والقرون

وقالت امرأة من أهل الكوفة دخلت على عائشة بنت طلحة فسألت عنها فقيل هي مع زوجها في القيطون فسمعت شهيقا وشخيرا لم أسمع مثله ثم خرجت الى وجبينها يتصبب عرقا فقلت لها ما ظننت حرة تفعل هذا بنفسها فقالت ان الخيل تشرب بالصفير وعاتبت امرأة زوجها على قلة اتيانه لها فاجابها يقول

انا شيخ ولى امرأة عجوز * تراودني على ما لا يجوز

وقالت رق ايرك مذ كبرنا * فقلت بلى قد اتسع القفيز

وكان لرجل امرأة تخاصمه وكلما خاصمته قام اليها فواقعها فقالت ويحك كلما تخاصمنى تأتيني بشفيع لا أقدر على رده وأتى رجل الى على بن أبى طالب رضى الله عنه وقال ان لى امرأة كلما غشيتها تقول قتلتني فقال اقتلها بهذه القتلة وعلى اثمها وقالوا من قل جماعه فهو أصح بدنا وأنقى جلدا وأطول عمرا ويعتبر ذلك بذكور الحيوان وذلك انه ليس في الحيوان أطول أعمارا من البغال ولا اقصر أعمارا من العصافير وهى أكثرها سفادا والله تعالى أعلم بالصواب

*(الفصل الخامس في الطلاق وما جاء فيه) عن عبد الرحمن بن محمد ابن أخى الاصمعي قال قال عمى للرشيد في بعض حديثه يا أمير المؤمنين بلغنى ان رجلا من العرب طلق في يوم واحد خمس نسوة قال وكيف ذلك وانما لا يجوز للرجل غير أربعة قال يا أمير المؤمنين كان متزوجا باربعة فدخل عليهن يوما فوجدهن متنازعات وكان شريرا فقال الى متى هذا النزاع ما أظن هذا الامن قبلك يا فلانة لامرأة منهن اذهبى فانت طالق فقالت له صاحبتها عجلت عليها بالطلاق ولو أدبتها بغير ذلك لكان أصلح فقال لها وأنت أيضا طالق فقالت له الثالثة قبحك الله فوالله لقد كانتا اليك محسنتين فقال لها وأنت أيضا أيتها المعددة أياديهما طالق فقالت الرابعة وكانت هلالية ضاق صدرك الا ان تؤدب نساءك بالطلاق فقال لها وانت طالق

ايضا فسمعته جارة له فاشرفت عليه وقالت له والله ماشهدت العرب عليك ولا على قومك بالضعف الا لما بلوه منكم ووجدوه فيكم ابيت الا طلاق نسائك في ساعة واحدة فقال وانت ايتها المتكلمة فيما لا يعنيك طالق ان أجازني بعلك فاجابه زوجها قد أجزت ذلك فعجب الرشيد من ذلك وطلق رجل امرأته فلما ارادت الارتحال قال لها اسمعي وليسمع من حضر اني والله اعتمدتك برغبة وعاشرتك بمحبة ولم أجد منك زلة ولم يدخلني عنك ملة ولكن القضاء كان غالبا فقالت المرأة جزيت من صاحب ومصحوب خيرا فما استقللت خيرك ولا شكوت ضيرك ولا تمنيت غيرك ولا اجد لك في الرجال شبيها وليس لقضاء الله مدفع ولا من حكمه علينا ممنع وقال رجل لابن عباس رضي الله عنهما ما تقول في رجل طلق امرأته عدد نجوم السماء فقال يكفيه من ذلك عدد نجوم الجوزاء (ذكر من طلق امرأته فتبعتها نفسه) قال الهيثم بن عدي كانت تحت ابن الغريان بن الاسود بنت عم له فطلقها فتبعتها نفسه فكتب اليها يعرض لها بالرجوع فكتبت اليه تقول

ان كنت ذا حاجة فاطلب لها بدلا * ان الغزال الذي ضيعت مشغول

فكتب اليها يقول

ان كان ذا شغل فالله يكلؤه * فقد لهونا به والحبل موصول

وقد قضينا من استطرافه وطرا * وفي الليالي وفي ايامها طول

وطلق الوليد بن يزيد زوجته سعدى فلما تزوجت اشتد ذلك عليه وندم على ما كان منه فدخل عليه اشعب فقال له هل لك ان تبلغ سعدى عني رسالة ولك عشرة آلاف درهم قال أقبضنيها فامر له بها فلما قبضها قال له هات رسالتك قال ائتها فانشدها

اسعدى هل اليك لنا سبيل * ولا حتى القيامة من تلاق

بلى ولعل دهرا أن يؤاتي * بموت من خليلك اوفراق

قال فاتاها اشعب فاستأذن عليها فاذنت له فدخل فقالت له ما بدا لك في زيارتنا يا اشعب فقال يا سيدتي ارسلني اليك الوليد برسالة ثم انشدها الشعر فقالت لجواريها عليكن بهذا الخبيث فقال يا سيدتي انه دفع الي عشرة آلاف درهم فهي لك وأعتقيني لوجه الله فقالت والله لا اعتقتك أو تبلغ اليه ما اقول لك قال يا سيدتي فاجعلي لي جعلا قالت لك بساطي هذا قال قومي عنه فقامت فأخذه والقاه على ظهره وقال هاتي رسالتك فقالت

اتبكي على سعدى وانت تركتها * فقد ذهبت سعدى فما أنت صانع

فلما بلغه الرسالة ضاقت عليه الارض بما رحبت وأخذته كظمة فقال لاشعب اختر مني احدى ثلاث اما ان اقتلك واما ان اطرحك من هذا القصر واما ان القيك الى هذه السباع فتفترسك فتحير اشعب وأطرق مليا ثم قال يا سيدي ما كنت لتعذب عينا نظرت الى سعدى فتبسم وخلى سبيله وممن طلق امرأته فتبعتها نفسه الفرزدق الشاعر طلق النوار ثم ندم على طلاقها وقال

ندمت ندامة الكسعي لما * غدت مني مطلقة نوار

فاصبحت الغداة الوم نفسي * بامر ليس لي فيه اختيار

وكانت جنتي فخرجت منها * كآدم حين اخرجه الضرار
ولواني ملكت بها عيني * لكان على للقدر الخيار

وممن طلق امرأته فتبعتها نفسه فندم قيس بن ذريح وكان ابوه امره بطلاقها فطلقها وندم على ذلك فانشد يقول

فني صبري وعاودني رداعي * وكان فراق لبنى كالخداع
تكنفني الوشاة فازعجوني * فيا للناس للواشي المطاع
فاصبحت الغداة الوم نفسي * على امر وليس بمستطاع
كمغبون يعض على يديه * تبين غبنه عند البياع

وحدث العتبي قال جاء رجل بامرأة كانها برج من فضة الى عبد الرحمن بن الحكم وهو على الكوفة فقال ان امرأتي هذه شجتني فسألها عبد الرحمن فقالت نعم يامولاي غير متعمدة لذلك كنت اعالج طيبا فوقع الفهر من يدي على رأسه وليس عندي علم ولا يقوى بدني على القصاص فقال للرجل علام تمسكها وقد فعلت بك ما ارى فقال يامولاي ان صداقها على اربعة آلاف درهم ولا تطيب نفسي بفراقها قال فان اعطيتك الاربعة آلاف درهم تفارقها قال نعم قال هي لك قال فهي اذن طالق فقال لها عبد الرحمن احبسي علينا نفسك وانشأ يقول

ياشيخ ياشيخ من دلاك بالغزل * قد كنت ياشيخ عن هذا بمعتزل
رضت الصعاب فلم تحسن رياضتها * فاعمد لنفسك نحو القرح الذلل

والله اعلم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

(الباب الرابع والسبعون في تحريم الخمر وذمها والنهي عنها)

قد انزل الله تعالى في الخمر ثلاث آيات الاولى قوله تعالى يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما اثم كبير ومنافع للناس الآية فكان من المسلمين من شارب ومن تارك الى ان شرب رجل فدخل في الصلاة فهجر فنزل قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وانتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون فشربها من شربها من المسلمين وتركها من تركها حتى شربها عمر رضي الله عنه فاخذ لحي بعير وشج به رأس عبد الرحمن بن عوف ثم قعد ينوح على قتلى بدر بشعر الاسود بن يعفر يقول

وكائن بالقليب قليب بدر * من الفتيان والعرب الكرام
ايوعدني ابن كبشة ان سنحيا * وكيف حياة اصداء وهام
ايعجز ان يرد الموت عني * وينشرني اذا بليت عظامي
الا من مبلغ الرحمن عني * باني تارك شهر الصيام
فقل لله يمنعني شرابي * وقل لله يمنعني طعامي

فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج مغضبا يجر رداءه فرفع شيأ كان في يده فضربه به فقال اعوذ بالله من غضبه وغضب رسوله فانزل الله تعالى انما يريد الشيطان ان يوقع

بينكم العداوة والبغضاء فى الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل انتم منتهون فقال عمر رضى الله عنه انتهينا انتهينا ومن الاخبار المتفق عليها فى تحريمها قول سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يدخل الجنة مدمن خمر وقوله صلى الله عليه وسلم أوّل مانهانى ربى بعد عبادة الاوثان عن شرب الخمر وملاحاة الرجال وممن تركها فى الجاهلية عبد الله بن جدعان وكان جوادا من سادات قريش وذلك انه شرب مع أمية بن أبى الصلت الثقفى فضربه على عينه فاصبحت عين أمية مخضرة يخاف عليها الذهاب فقال له عبد الله مابال عينك فسكت فألح عليه فقال ألست ضاربها بالامس فقال أو بلغ منى الشراب ما ابلغ معه الى هذا الا اشربها بعد اليوم ثم دفع له عشرة آلاف درهم وقال الخمر على حرام لا اذوقها بعد اليوم أبدا وممن حرمها فى الجاهلية أيضا قيس بن عاصم وذلك انه سكر ذات ليلة فقام لابنته أو لاخته فهربت منه فلما أصبح سأل عنها فقيل له أوما علمت ماصنعت البارحة فاخبر بالقصة فحرم الخمر على نفسه وممن حرمها فى الجاهلية أيضا العباس بن مرداس وقيس بن عاصم وذلك ان قيسا شرب ذات ليلة فجعل يتناول القمر ويقول والله لا ابرح حتى انزله ثم يثب الوثبة بعد الوثبة ويقع على وجهه فلما أصبح وفاق قال مالى هكذا فاخبروه بالقصة فقال والله لا أشربها أبدا وقيل للعباس بن مرداس لم تركت الشراب وهو يزيد فى سماحتك فقال اكره ان اصبح سيد قومى وامسى سفيههم ودخل نصيب على عبد الملك بن مروان فانشده فاعجبه انشاده وشعره ووصله ثم دعا بالطعام فطعم منه فقال له عبد الملك يا نصيب هل لك فى ما نادم عليه قال يا أمير المؤمنين جلدى اسود وخلقى مشوه ووجهى قبيح وتكفينى مجالستك ومؤاكلتك ولم يوصلنى ذلك الا عقلى وانا اكره ان يدخل عليه ماينقصه فاعجبه كلامه ووصله وقال الوليد بن عبد الملك للحجاج فى وفدة وفدها عليه هل لك فى الشراب فقال يا أمير المؤمنين لا خلاف لما أمرت ولكن انا امنع أهل عملى منه واكره ان أمنعهم عن شئ ولا امتنع منه وقد قال الله تعالى وما أريد ان أخالفكم الى ما أنهاكم عنه وقال تعالى اتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وقيل لاعرابى لم لا تشرب النبيذ فقال لا أشرب ما يشرب عقلى وقال الضحاك بن مزاحم لرجل ما تصنع بشرب النبيذ قال يهضم طعامى قال أما انه يهضم من دينك وعقلك أكثر وقال ابن أبى أوفى لقومه حين نهوا عن الخمر

ألا يا لقومى ليس فى الخمر رفعة * فلا تقربوا منها فلست بفاعل
فانى رأيت الخمر شينا ولم يزل * أخو الخمر دخالا لشر المنازل

وقال الحسن لو كان العقل يشترى لتغالى الناس فى ثمنه فالعجب ممن يشترى بماله ما يفسده وقال عليه السلام حب الدنيا رأس كل خطيئة والنساء حبائل الشيطان والخمر داعية الى كل شر وقال بعضهم

بلوت نبيذ الخمر فى كل بلدة * فليس لاخوان النبيذ حفاظ
اذا دارت الارطال أرضوك بالمنى * وان فقدوها فالوجوه غلاظ

وقال حكيم اياك واخوان النبيذ فبينما انت متوّج عندهم مخدوم مكرم معظم اذ زلت بك

القدم بجروك على شوك السلم فاحفظ قول القائل فيه

وكل اناس يحفظون حريمهم * وليس لاصحاب النبيذ حريم
فان قلت هذا لم اقل عن جهالة * ولكنني بالفاسقين عليم

وللاعرج الطائي

تركت الشعر واستبدلت منه * اذا داعى صلاة الصبح قاما
كتاب الله ليس له شريك * وودعت المدامة والندامى

وقال الصفدي

دع الخمر فالراحات في ترك راحها * وفي كاسها المرء كسوة عار
وكم البست نفس الفتى بعد نورها * مدارع قار في مدار عقار

(نكتة) اجتمع نصراني ومحدث في سفينة فصب النصراني خمرا من زق كان معه في شربة وشرب ثم صب فيها وعرض على المحدث فتناولها من غير فكر ولا مبالاة فقال النصراني جعلت فداك انما هي خمر قال من اين علمت انها خمر قال اشتراها غلامي من يهودي وحلف انها خمر فشربها المحدث على عجل وقال للنصراني يا احمق نحن أصحاب الحديث نضعف مثل سفيان بن عيينة ويزيد بن هرون افنصدق نصرانيا عن غلامه عن يهودي والله ماشربتها الالضعف الاسناد ومن المجون في ذلك ماحكي ان سكرانا استلقى على طريق فجاء كلب فلحس شفتيه فقال خدمك بنوك ولاعدموك فبال على وجهه فقال وماء حارا ايضا بارك الله فيك وقيل حالة السكارى ثلاثة قرد حول رأسه فرقص وكلب هارش فنبح وحية زويت فنامت ومر عقال الناسك بمرداس بن خدام الاسدي فاستسقاه لبنا فصب له خمرا وعلاه بلبن فشربه وسكر ولم يتحرك ثلاثة ايام فقال

سقيت عقالا بالعشية شربة * فمالت بعقل الكاهلي عقالي
قرعت بام الخل حبة قلبه * فلم ينتعش منها ثلاث ليال

ويقال الخمر مصباح السرور ولكنها مفتاح الشرور اللهم تب علينا وعلى العصاة والمذنبين برحمتك يا ارحم الراحمين آمين

(الباب الخامس والسبعون في المزح والنهي عنه وماجاء في الترخيص فيه والبسط والتنعم وفيه فصول)

(الفصل الاول في النهي عن المزاح) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم المزاح استدراج من الشيطان واختلاع من الهوى وعن علي مامزح أحد مزحة الامج الله من عقله مجة وعنه اياك ان تذكر من الكلام مايكون مضحكا وان حكيت ذلك عن غيرك وكتب عمر رضي الله عنه الى عماله امنعوا الناس من المزاح فانه يذهب بالمروأة ويوغر الصدور وقال بعض الحكماء تجنب سوء المزح ونكد الهزل فانهما بابان اذا فتحا لم يغلقا الا بعد غم وقال آخر لكل شئ بذر وبذر العداوة المزاح وعن محمد بن المنكدر قال قالت لي امي لاتمازح الصبيان تهن عندهم وخرج اعرابي بالليل فاذا بجارية جميلة فراودها فقالت

امالك زاجر من عقلك اذا لم يكن لك واعظ من دينك فقال والله ما يرانا الا الكواكب فقالت له يا هذا واين مكوكبها فانحجله كلامها فقال لها انما كنت مازحا فقالت

فاياك اياك المزاح فانه * يجرى عليك الطفل والرجل النذلا
ويذهب ماء الوجه بعد بهائه * ويورث بعد العز صاحبه ذلا

وقال الاحنف كثرة الضحك تذهب الهيبة وكثرة المزاح تذهب المروأة ومن لزم شيأ عرف به ومما روى عن الصحابة رضوان الله عليهم انهم كانوا يتحادثون ويتناشدون الاشعار فاذا جاء ذكر الله انقلبت حماليقهم كانهم لم يعرفوا أحدا

(الفصل الثانى فيما جاء فى الترخيص فى المزاح والبسط والتنعم) لا بأس بالمزح ما لم يكن سفها والله تعالى وعد فى اللمم بالتجاوز والعفو فقال الذين يجتنبون كبائر الاثم والفواحش الا اللمم وقيل ان يحيى بن زكريا لقى عيسى عليه السلام فقال مالى اراك لاهيا كانك آمن فقال له عيسى مالى اراك عابسا كانك آيس فقال لا نبرح حتى ينزل علينا الوحى فاوحى الله اليهما ان احبكما الى احسنكما ظنا بى ويروى ان احبكما الى الطلق البسام وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه لجارية خلقنى خالق الخير وخلقك خالق الشر فبكت الجارية فقال عمر لا باس عليك فان الله تعالى خالق الخير والشر قال الشاعر

ان الصديق يريد بسطك مازحا * فاذا رأى منك الملالة يقصر
وترى العدو اذا تيقن انه * يؤذيك بالمزح العنيف يكثر

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يمزح ولا يقول الا حقا فمن مزحه صلى الله عليه وسلم انه جاءه رجل فقال يا رسول الله احملنى على جمل فقال عليه السلام لا احملك الا على ولد الناقة فقال يا رسول الله انه لا يطيقنى فقال له الناس ويحك وهل الجمل الا ولد الناقة وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لامرأة من الانصار الحقى زوجك ففى عينيه بياض فسعت الى زوجها مرعوبة فقال لها ما دهاك قالت ان النبى صلى الله عليه وسلم قال لى ان فى عينيك بياضا فقال نعم والله وسوادا وأتته أيضا عجوز انصارية فقالت يا رسول الله ادع الله ان يدخلنى الجنة فقال لها يا أم فلان ان الجنة لا يدخلها عجوز فولت المرأة تبكى فتبسم صلى الله عليه وسلم وقال لها اما قرأت قوله تعالى انا أنشأناهن انشاء فجعلناهن ابكارا عربا اترابا وقالت عائشة رضى الله تعالى عنها سابقت رسول الله صلى الله عليه وسلم فسبقته فلما كثر لحمى سابقته فسبقنى فضرب بكتفى وقال هذه بتلك وعنها أيضا قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدخل وانا العب مع صويحباتى ولا يعيب على وسئل النخعى هل كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يضحكون قال نعم والايمان فى قلوبهم مثل الجبال الرواسى وكان نعيمان الصحابى من اولع الناس بالمزاح والضحك قيل انه يدخل الجنة وهو يضحك فمن مزحه انه مر يوما بمخرمة بن نوفل الزهرى وهو ضرير فقال له قدنى حتى ابول فاخذ بيده حتى أتى به الى المسجد فاجلسه فى مؤخره فصاح به الناس انك فى المسجد فقال من قادنى قالوا نعيمان قال لله على نذر ان اضربه بعصاى هذه ان وجدته فبلغ ذلك نعيمان فجاء اليه وقال له يا ابا المنور هل لك فى نعيمان قال نعم قال ها هو قائم يصلى واخذ بيده وجاء به

الى عثمان بن عفان وهو يصلي وقال هذا نعيمان فعلاه بعصاه فصاح الناس أمير المؤمنين فقال من قادني قالوا نعيمان فقال والله لا تعرضت له بسوء بعدها وقال عطاء بن السائب كان سعيد بن جبير يقص علينا حتى يبكينا وربما لم يقم حتى يضحكنا وكان رجل يسمى تاج الوعظ يعظ الناس ويقص عليهم حتى يبكيهم ثم لم يقم حتى يضحكهم ويبسط آمالهم فمن لطائفه انه حكى يوما بعد ما فرغ من ميعاده قال سمعت الناس يتكلمون في التصحيف وكنت لا اعرفه فوقع في قلبي ان اتعلمه فدخلت في سوق الكتبية واشتريت كتابا في التصحيف فاول ما تصفحته وجدت فيه سكباج تصحيفه شك تاج فرميت الكتاب من يدي وحلفت اني لا اشتغل به أبدا فضحك الناس حتى غشي عليهم ودخل عبد الله بن جعفر على عبد الملك بن مروان فوجده يتأوه فقال يا أمير المؤمنين لو أدخلت عليك من يؤنسك بأحاديث العرب ويباسطك استرحت فقال لست بصاحب لهو فقال ما الذي تشكوه يا أمير المؤمنين قال هاج بي عرق النسي في ليلتي هذه فبلغ مني ما ترى فقال ان بديحا مولاي ارقى الخلق منه فأمر باحضاره فلما مثل بين يديه قال له عبد الملك يا بديح ارق رجلي فقال يا مولاي أنا أرقى الناس لها ثم وضع يده عليها وجعل يقول ما لا يسمع فقال عبد الملك قد وجدت راحة بهذه الرقية ابن فلانة ائتوني بها اكتبها لئلا يهيج بي الوجع بالليل فقال بديح الطلاق يلزمه ما أكتبها الا بتعجيل جائزتي فامر له باربعة آلاف درهم فقال يا أمير المؤمنين الطلاق يلزمه ما أكتبها حتى تحمل جائزتي الى بيتي قال تحمل فحملت فقال يا أمير المؤمنين الطلاق يلزمه ما رقيت رجلك الا بباسطة بقول نصيب حيث قال

الا ان ليلى العامرية أصبحت * على البعد مني ذنب غيري تنقم

فقال ويلك ما تقول فقال الطلاق يلزمه ما رقيتك الا بها فقال اكتمها علي فقال وقد سارت بها الركبان الى أخيك بمصر فضحك حتى فحص برجليه واعجبه هذا البسط وروى ان ابن سيرين كان ينشد قول الشاعر

انبئت ان فتاة كنت أخطبها * عرقوبها مثل شهر الصوم في الطول

ثم يضحك حتى يسيل لعابه (ومما جاء في الشطرنج واللعب به والنهي عنه والترخيص فيه) اما النهي عنه فقد قيل ان عليا كرم الله وجهه مر بقوم يلعبون بالشطرنج فقال لهم ما هذه التماثيل التي أنتم لها عاكفون وكان أبو القاسم الكسروي يقول لا ترى شطرنجيا غنيا الا بخيلا ولا فقيرا الا طفيليا ولا تسمع نادرة باردة الا على الشطرنج واحتضر شطرنجي فصار يقول شاه مات شاه مات مكان الشهادتين حتى مات وأما الترخيص فيه فقد سئل الشعبي عن اللعب بالشطرنج فقال لا بأس به اذا لم يكن هناك تقامر وتبادل وقال بعضهم كنا في السجن مع ابن سيرين فكان يرانا ونحن نلعب بالشطرنج فيقوم فيأتي ويقول ارفع الفرس ارفع كذا افعل كذا ولا يعيب علينا وعن سعيد بن المسيب قال كنت العب بالشطرنج مع صديق في بيته حين خفت الحجاج ومما قيل لعلي بن الجهم في الشطرنج وقيل للمأمون

أرض مربعة حمراء من ادم * ما بين جرين معروفين بالكرم
تذكرا الحرب فاحتالا لها فطنا * من غير ان يأثما فيها بسفك دم

هذا بغير على هذا وذاك على * هـذا بغير وعن الحزم لم تنم
فانظر الى همم جاشت بمعركة * فى عسكرين بلا طبل ولا علم

قالوا ان سبب وضع الشطرنج ان ملوك الهند ما كانوا يرون بقتال فاذا تنازع ملكان فى كورة أو مملكة تلاعبا بالشطرنج فيأخذها الغالب من غير قتال وقيل انه كان لبعض ملوك الفرس شطرنج من ياقوت احمر واصفر القطعة منه بثلاثة آلاف دينار (ومما جاء فى لعب الغلمان) ما حكى ان غلمانا من أهل البحرين خرجوا يلعبون بالصوالجة واسقف البحرين قاعد فوقعت الاكرة على صدره فاخذها فجعلوا يطلبونها منه فابى فقال غلام منهم سألتك بحق محمد صلى الله عليه وسلم الارددتها علينا فابى لعنه الله وسب رسول الله صلى الله عليه وسلم فاقبلوا عليه بصوالجهم فمازالوا يخبطونه حتى مات لعنة الله عليه فرفع ذلك الى عمر رضى الله عنه فوالله مافرح بفتح ولا غنيمة كفرحته بقتل الغلمان لذلك الاسقف وقال الآن عز الاسلام ان اطفال الاصغار اشتم نبيهم فغضبوا له وانتصروا واهدر دم الاسقف والله أعلم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

(الباب السادس والسبعون فى النوادر وفيه فصول)

(الفصل الاول من هذا الباب فى نوادر العرب) خرج المهدى يتصيد فغار به فرسه حتى وقع فى خباء اعرابى فقال يا اعرابى هل من قرى فاخرج له قرص شعير فاكله ثم اخرج له فضلة من لبن فسقاه ثم أتاه بنبيذ فى ركوة فسقاه فلما شرب قال أتدرى من أنا قال لا قال أنا من خدم أمير المؤمنين الخاصة قال بارك الله لك فى موضعك ثم سقاه مرة أخرى فشرب فقال يا اعرابى أتدرى من أنا قال زعمت أنك من خدم أمير المؤمنين الخاصة قال لا أنا من قواد أمير المؤمنين قال رحبت بلادك وطاب مرادك ثم سقاه الثالثة فلما فرغ قال يا اعرابى أتدرى من أنا قال زعمت انك من قواد أمير المؤمنين قال لا ولكنى أمير المؤمنين قال فاخذ الاعرابى الركوة فوكاها وقال اليك عنى فوالله لو شربت الرابعة لادعيت انك رسول الله فضحك المهدى حتى غشى عليه ثم أحاطت به الخيل ونزلت اليه الملوك والاشراف فطار قلب الاعرابى فقال له لا باس عليك ولا خوف ثم أمر له بكسوة ومال جزيل ووجد اعرابى يأكل ويتغوط ويفلى ثوبه فقيل له فى ذلك فقال اخرج عتيقا وادخل جديدا واقتل عدوا وقيل لبعض الاعراب ان شهر رمضان قدم فقال والله لابددن شمله بالاسفار وسمع اعرابى قارئا يقرأ القرآن حتى أتى على قوله تعالى الاعراب أشد كفرا ونفاقا فقال لقد هجانا ثم بعد ذلك سمعه يقرأ ومن الاعراب من يؤمن بالله واليوم الآخر فقال لا باس هجا ومدح هذا كما قال شاعرنا

هجوت زهيرا ثم انى مدحته * ومازالت الاشراف تهجى وتمدح

وحضر اعرابى على مائدة يزيد بن مزيد فقال لاصحابه افرجوا للاخ بكم فقال الاعرابى لا حاجة لى بافراجكم ان اطنابى طوال يعنى سواعده فلما مد يده ضرط فضحك يزيد فقال يا أخا العرب أظن ان طنبا من أطنابك قد انقطع ورؤى اعرابى يغطس فى البحر ومعه خيط

كلما غطس غطسة عقد عقدة فقيل له ما هذا قال جنابات الشتاء أقضيها في الصيف وسرق اعرابي غاشية من على سرج ثم دخل المسجد يصلي فقرأ الامام هل أتاك حديث الغاشية فقال يا فقيه لا تدخل في الفضول فلما قرأ وجوه يومئذ خاشعة قال خذوا غاشيتكم ولا يخشع وجهي لا بارك الله لكم فيها ثم رماها من يده وخرج وحضر اعرابي مجلس قوم فتذاكروا قيام الليل فقيل له يا أبا امامة أتقوم الليل فقال نعم قالوا اما تصنع قال أبول وارجع أنام وسرق اعرابي صرة فيها دراهم ثم دخل المسجد يصلي وكان اسمه موسى فقرأ الامام وما تلك بيمينك يا موسى فقال الاعرابي والله انك لساحر ثم رمى الصرة وخرج (وحكى) الاصمعي قال ضلت لي ابل فخرجت في طلبها وكان البرد شديدا فالتجأت الى حي من أحياء العرب واذا بجماعة يصلون وبقربهم شيخ ملتف بكساء وهو يرتعد من البرد وينشد

أيا رب ان البرد أصبح كالحا * وأنت بحالي يا الهي أعلم

فان كنت يوما في جهنم مدخلي * ففي مثل هذا اليوم طابت جهنم

قال الاصمعي فتعجبت من فصاحته وقلت له يا شيخ أما تستحي تقطع الصلاة وأنت شيخ كبير فأنشد يقول

أيطمع ربي أن أصلي عاريا * ويكسو غيري كسوة البرد والحر

فوالله لا صليت ما عشت عاريا * عشاء ولا وقت المغيب ولا الوتر

ولا الصبح الا يوم شمس دفيئة * وان غيمت فالويل للظهر والعصر

وان يكسني ربي قميصا وجبة * أصلي له مهما أعيش من العمر

قال فاعجبني شعره وفصاحته فنزعت قميصا وجبة كانا علي ودفعتهما اليه وقلت له البسهما وقم فصل فاستقبل القبلة وصلى جالسا وجعل يقول

اليك اعتذاري من صلاتي جالسا * على غير طهر موميا نحو قبلتي

فمالي ببرد الماء يارب طاقة * ورجلاي لا تقوى على ثني ركبتي

ولكنني أستغفر الله شاتيا * واقضيكها يارب في وجه صيفتي

وان أنا لم أفعل فانت محكم * بما شئت من صفعي ومن نتف لحيتي

قال فعجبت من فصاحته وضحكت عليه وانصرفت * وصلى اعرابي مع قوم فقرأ الامام قل أرأيتم ان أهلكني الله ومن معي أو رحمنا فقال الاعرابي اهلكك الله وحدك ايش كان ذنب الذين معك فقطع القوم الصلاة من شدة الضحك وقيل دخلت اعرابية على قوم يصلون فقرأ الامام فانكحوا ما طاب لكم من النساء وجعل يرددها فجعلت الاعرابية تعدو وهي هاربة حتى جاءت لاختها فقالت يا اختاه مازال الامام يأمرهم ان ينكحونا حتى خشيت ان يقعوا علي" وصلى اعرابي خلف امام فقرأ الامام ألم نهلك الاولين وكان في الصف الاول فتأخر الى الصف الآخر فقرأ ثم نتبعهم الآخرين فتأخر فقرأ كذلك نفعل بالمجرمين وكان اسم البدوي مجرما فترك الصلاة وخرج هاربا وهو يقول والله ما المطلوب غيري فوجده بعض الاعراب فقال له مالك يا مجرم فقال ان الامام أهلك الاولين والآخرين وأراد ان يهلكني في الجملة والله لا رأيته بعد اليوم وجلس بعض الاعراب يشرب مع

ندمائه فاحتاج الى بيت الخلاء فدلوه عليه فلما دخل جعل يضرط ضراطا شنيعا فضحكوا عليه فأنشد يقول

اذا ما خلا الانسان فى بيت غائط * تراخت بلا شك مصاريع فقحته
فمن كان ذا عقل فيه ذرضارطا * ومن كان ذا جهل ففى وسط لحيته

وكان لسابور ملك فارس نديم مضحك يسمى مرزبان فظهر له من الملك جفوة فلما زاد ذلك عليه تعلم نبيح الكلاب وعوى الذئاب ونهيق الحمير وصهيل الخيل وصوت البغال ثم احتال حتى دخل موضعا بقرب خلوة الملك وأخفى أمره فلما خلا الملك بنفسه نبح نبيح الكلاب فلم يشك الملك فى انه كلب فقال انظروا ما هذا فعوى عوى الذئاب فنزل الملك عن سريره فنهق نهيق الحمير فمضى الملك هاربا ومضت الغلمان يتبعون الصوت فلما دنوا منه صهل صهيل الخيل فاقتحموا عليه وأخرجوه عريانا فلما وصلوا به الى الملك ورآه مرزبان ضحك الملك ضحكا شديدا وقال له ما حملك على ما صنعت قال ان الله عز وجل مسخنى كلبا وذئبا وحمارا وفرسا لما غضب على الملك قال فأمر الملك أن يخلع عليه وأن يرد الى مرتبته الاولى ومن الملح قول بعض الشعراء

أيا من فاق حسنا واعتدالا * ووجه فى عطيته السمايا
أما فى مال ردفك من زكاة * فتدخل فيه لى هذا النصابا

(وحكى) الاصمعى ان عجوزا من الاعراب جلست فى طريق مكة الى فتيان يشربون نبيذا فسقوها قدحا فطابت نفسها فتبسمت فسقوها قدحا آخر فاحمر وجهها وضحكت فسقوها ثالثا فقالت خبرونى عن نسائكم بالعراق أيشربن النبيذ قالوا نعم قالت زنين ورب الكعبة والله ان صدقتم ما فيكم من يعرف أباه وصلى اعرابى خلف امام فقرأ انا أرسلنا نوحا الى قومه ثم وقف وجعل يرددها فقال الاعرابى أرسل غيره يرحمك الله وأرحنا وأرح نفسك وصلى آخر خلف امام فقرأ فلن أبرح الارض حتى يأذن لى أبى ووقف وجعل يرددها فقال الاعرابى يا فقيه اذا لم يأذن لك أبوك فى هذا الليل نظل نحن وقوفا الى الصباح ثم تركه وانصرف ولزم اعرابى سفيان بن عيينة مدة يسمع منه الحديث فلما ان جاء ليسافر قال له سفيان يا اعرابى ما أعجبك من حديثنا قال ثلاثة أحاديث حديث عائشة رضى الله عنها عن النبى صلى الله عليه وسلم انه كان يحب الحلوى والعسل وحديثه عليه الصلاة والسلام اذا وضع العشاء وحضرت الصلاة فابدؤا بالعشاء وحديث عائشة عنه أيضا ليس من البر الصوم فى السفر وقيل لاعرابية ما صفة الامر عندكم قالت عصبة ينفخ فيها الشيطان فلا يرد أمرها وانفرد الرشيد وعيسى بن جعفر ومعه الفضل بن يحيى فاذا هو بشيخ من الاعراب على حمار وهو رطب العينين فقال له الفضل هل أدلك على دواء لعينيك قال ما احوجنى الى ذلك قال خذ عيدان الهواء وغبار الماء فصيره فى قشر بيض الذر واكتحل به ينفعك فانحنى الشيخ وضرط ضرطة قوية وقال خذ هذه فى لحيتك أجرة وصفتك وان زدت زدناك فضحك الرشيد حتى استلقى على ظهر دابته وخرج معن بن زائدة فى جماعة من خواصه للصيد فاعترضهم قطيع ظباء فتفرقوا فى طلبه وانفرد معن خلف ظبى حتى انقطع عن أصحابه فلما ظفر به نزل

فذبحه

فذبحه فرأى شيخا مقبلا من البرية على حمار فركب فرسه واستقبله فسلم عليه فقال من أين والى أين قال أتيت من أرض لي لها عشرون سنة مجدبة وقد أخصبت في هذه السنة فزرعتها فقلت فطرحت في غير وقتها فجمعت منها ما استحسنته وقصدت به معن بن زائدة لكرمه المشكور وفضله المشهور ومعروفه المأثور واحسانه الموفور قال وكم أملت منه قال ألف دينار قال فان قال لك كثير قال خمسمائة قال فان قال لك كثير قال ثلثمائة قال فان قال لك كثير قال مائة قال فان قال لك كثير قال خمسين قال فان قال لك كثير قال فلا أقل من الثلاثين قال فان قال لك كثير قال أدخل قوائم حماري في حرامه وارجع الى أهلي خائبا فضحك معن منه وساق جواده حتى لحق باصحابه ونزل في منزله وقال لحاجبه اذا أتاك شيخ على حمار بقثاء فادخل به علي فأتى بعد ساعة فلما دخل عليه لم يعرفه لهيبته وجلالته وكثرة حشمه وخدمه وهو متصدر في دسته والخدم والحفدة قيام عن يمينه وشماله وبين يديه فلما سلم عليه قال ما الذي أتى بك أخا العرب قال أملت الامير وأتيته بقثاء في غير أوان فقال كم أملت فينا قال ألف دينار قال كثير فقال والله لقد كان ذلك الرجل ميشوما علي ثم قال خمسمائة دينار قال كثير فما زال الى أن قال خمسين دينارا فقال له كثير فقال لا أقل من الثلاثين فضحك معن فعلم الاعرابي انه صاحبه فقال يا سيدي ان لم تجب الى الثلاثين فالحمار مربوط بالباب وها معن جالس فضحك معن حتى استلقى على فراشه ثم دعا بوكيله فقال اعطه ألف دينار وخمسمائة دينار وثلثمائة دينار ومائة دينار وخمسين دينارا وثلاثين دينارا ودع الحمار مكانه فتسلم الاعرابي المال وانصرف

(الفصل الثاني في نوادر القراء والفقهاء) عن محمد بن عبد الله قال كنا في دهليز عثمان ابن شيبة فخرج الينا فقال ن والقلم في أي سورة ومر بعضهم بقارئ يقرأ الم غلبت الترك في أدنى الارض فقال له الروم فقال له كلهم اعداؤنا قاتلهم الله وكان جماعة يجلسون الى أبي العيناء وفيهم رجل لا يتكلم فقيل له يوما كيف علمك بكتاب الله قال أنا عالم به فقيل له هذه الآية في أي سورة الحمد لله لا شريك له فقال له في سورة الحمد فضحكوا عليه وجاء رجل الى فقيه فقال أفطرت يوما في رمضان فقال اقض يوما مكانه قال قضيت وأتيت أهلي وقد عملوا مأمونية فسبقتني يدي اليها فأكلت منها فقال اقض يوما آخر مكانه قال قضيت وأتيت أهلي وقد عملوا هريسة فسبقتني يدي اليها فقال أرى ان لا تصوم الا ويدك مغلولة الى عنقك وجاء رجل الى بعض الفقهاء فقال له أنا أعبد الله على مذهب ابن حنبل واني توضأت وصليت فبينما أنا في الصلاة اذ أحسست ببلل في سراويلي يتلزق فشممته فاذا رائحته كريهة خبيثة قال الفقيه عافاك الله نويت باجماع المذاهب وجاء رجل الى فقيه قال أنا رجل افسو في ثيابي حتى تفوح روائحي فهل يجوز لي أن أصلي في ثيابي قال نعم لكن لا كثر الله في المسلمين مثلك ووقع بين الاعمش وبين امرأته وحشة فسأل بعض أصحابه من الفقهاء أن يرضيها ويصلح بينهما فدخل اليها وقال ان أبا محمد شيخ كبير فلا يزهدنك فيه عمش عينيه ودقة ساقيه وضعف ركبتيه ونتن اباطيه وبخر فيه وجمود كفيه فقال له الاعمش قم قبحك الله فقد أريتها من عيوبي ما لم تكن تعرفه وسكن بعض الفقهاء في بيت سقفه

يقرقع فى كل وقت فجاءه صاحب البيت يطلب الاجرة فقال له اصلح السقف فانه يقرقع قال لا تخف فانه يسبح الله تعالى قال اخشى أن تدركه رقة فيسجد

(الفصل الثالث فى نوادر القضاة) كان لبعض القضاة بغلة فقرأ يوما فى المصحف وما من دابة فى الارض الا على الله رزقها فقال لغلامه أطلق البغلة ورزقها على الله فصارت البغلة تدور الاسواق والازقة وتأكل قشور الباذنجان وقشور الرمان وقشور البطيخ وقمامات الطريق فماتت فامر الغلام باحضار المشاعلية ليحملوها لظاهر المدينة فاحضرهم فطلبوا من القاضى عشرة دراهم أجرة حملها وقالوا ليس لنا شئ نرتزق منه الامن مثل هذا وسيدنا رجل غنى وله أشياء كثيرة العدالة والتزويج والعقود والوراقة والسجن والاطلاق وحاكمية الحكم وأجرة اليمين والتدريس والاوقاف فقال لهم القاضى أمثلى يقال هذا وأنتم لكم اثناعشر بابا من المنافع منها الوسخ والزفر والهلع والولع وبيت النبذة وشركة النفوس وجباية الاسواق وحرق النار وسلب الشطار ولكم الصياح وثمن الاصلاح وماتروحوا من هذه البغلة بلاشئ جلدها للدباغين وذنبها للغرابلية ومعرفتها للشعار وتطبيقتها للبيطار فقال فتقدم أحدهم اليه وقال بحق من تاب عليك وردعاقبتك الى خير وأراحك من هذا المعاش تصدق علينا بشئ ولا تدعنا نروح بلاش تفسير هذه الالفاظ الزفر النساء الزانيات والوسخ المراحيض والهلع جباية الاسواق والولع القمار وبيت النبذة محل المزر وشركة النفوس كل من حمل ميتا ولحقوه قبل ان يخرج من باب البلد كانوا شركاءه وسلب الشطار كل من شنقوه لهم سلبه وولى يحيى بن اكثم قاضيا على أهل جبلة فبلغه ان الرشيد انحدر الى البصرة فقال لاهل جبلة اذا اجتاز الرشيد فاذكرونى عنده بخير فوعدوه بذلك فلما جاء الرشيد تقاعدوا عنه فسرح القاضى لحيته وكبر عمته وخرج فرأى الرشيد فى الحراقة ومعه أبو يوسف القاضى فقال يا أمير المؤمنين نعم القاضى قاضى جبلة عدل فينا وفعل كذا وكذا وجعل يثنى على نفسه فلما رآه أبو يوسف عرفه فضحك فقال له الرشيد مم تضحك فقال يا أمير المؤمنين المثنى على القاضى هو القاضى فضحك الرشيد حتى فحص برجله الارض ثم أمر بعزله فعزل واحضر رجل ولده الى القاضى فقال يا مولانا ان ولدى هذا يشرب الخمر ولا يصلى فانكر ولده ذلك فقال أبوه يا سيدى أفتكون صلاة بغير قراءة فقال الولد انى أقرأ القرآن فقال له القاضى اقرأ حتى أسمع فقال

علق القلب الربابا * بعدما شابت وشابا
ان دين الله حق * لا أرى فيه ارتيابا

فقال أبوه انه لم يتعلم هذا الا البارحة سرق مصحف الجيران وحفظ هذا منه فقال القاضى وانا الآخر احفظ آية منها وهى

فارحمى مضنى كئيبا * قد رأى الهجر عذابا

ثم قال القاضى قاتلكم الله يعلم أحدكم القرآن ولا يعمل به وتقدم اثنان الى أبى صمصامة القاضى فادعى أحدهما على الآخر طنبورا فانكر فقال للمدعى ألك بينة فقال لى شاهدان فاحضر رجلين شهدا له فقال المدعى عليه سلهما يا سيدى عن صناعتهما فاخبر أحدهما

أنه نباذ وقال الآخر انه قواد فالتفت القاضي الى المدعى عليه وقال أتريد على طنبور أعدل من هذين ادفع اليه طنبوره وتحاكم الرشيد وزبيدة الى أبي يوسف القاضي في الفالوذج واللوزينج أيهما أطيب فقال أبو يوسف انا لا أحكم على غائب فامر الرشيد باحضارهما وقدما بين يدي أبي يوسف فجعل يأكل من هذا مرة ومن هذا مرة حتى نصف الجامين ثم قال يا أمير المؤمنين ما رأيت أعدل منهما كلما أردت أن أحكم لاحدهما أتى الآخر بحجته وأتى بعض المجان لبعض القضاة فقال يا سيدي ان امرأتي قحبانا فقال له القاضي طلقها انا فقال عشقانا فقال قودها انا وادعى رجل عند قاض على امرأة حسناء بدين فجعل القاضي يميل اليها بالحكم فقال الرجل أصلح الله القاضي حجتي أوضح من هذا النهار فقال له القاضي اسكت يا عدو الله فان الشمس أوضح من النهار قم لا حق لك عليها فقالت المرأة جزاك الله عن ضعفي خيرا فقد قويته فقال الرجل لا جزاك الله عن قوتي خيرا فقد أوهيتها ورفعت امرأة زوجها الى القاضي تبغي الفرقة وزعمت أنه يبول في الفراش كل ليلة فقال الرجل للقاضي يا سيدي لا تعجل علي حتى أقص عليك قصتي اني أرى في منامي كأني في جزيرة في البحر وفيها قصر عال وفوق القصر قبة عالية وفوق القبة جمل وأنا على ظهر الجمل وان الجمل يطاطئ برأسه ليشرب من البحر فاذا رأيت ذلك بلت من شدة الخوف فلما سمع القاضي ذلك بال في فراشه وثيابه وقال يا هذه أنا قد أخذني البول من هول حديثه فكيف بمن يرى الامر عيانا (وحكى) ان تاجرا عبر الى حمص فسمع مؤذنا يقول أشهد أن لا اله الا الله وان أهل حمص يشهدون أن محمدا رسول الله فقال والله لامضين الى الامام واسأله فجاء اليه فرآه قد أقام الصلاة وهو يصلي على رجل ورجله الاخرى ملوثة بالعذرة فمضى الى المحتسب ليخبره بهذا الخبر فسأل عنه فقيل انه في الجامع الفلاني يبيع الخمر فمضى اليه فوجده جالسا وفي حجره مصحف وبين يديه باطية مملوءة خمرا وهو يحلف للناس بحق المصحف ان الخمرة صرف ليس فيها ماء وقد ازدحمت الناس عليه وهو يبيع فقال والله لامضين الى القاضي واخبره فجاء الى القاضي فدفع الباب فانفتح فوجد القاضي نائما على بطنه وعلى ظهره غلام يفعل فيه الفاحشة فقال التاجر قلب الله حمص فقال القاضي لم تقول هذا فاخبره بجميع ما رأى فقال يا جاهل أما المؤذن فان مؤذننا مرض فاستأجرنا يهوديا صيتا يؤذن مكانه فهو يقول ما سمعت وأما الامام فانهم لما أقاموا الصلاة خرج مسرعا فتلوثت رجله بالعذرة وضاق الوقت فاخرجها من الصلاة واعتمد على رجله الاخرى ولما فرغ غسلها وأما المحتسب فان ذلك الجامع ليس له وقف الا كرم وعنبه ما يؤكل فهو يعصره خمرا ويبيعه ويصرف ثمنه في مصالح الجامع وأما الغلام الذي رأيته فان أباه مات وخلف مالا كثيرا وهو تحت الحجر وقد كبر وجاء جماعة شهدوا عندي انه بلغ فانا امتحنه فخرج التاجر من البلد وحلف انه لا يعود اليها أبدا

(الفصل الرابع في نوادر النحاة) وقف نحوي على بياع يبيع ارزا بعسل وبقلا بخل فقال بكم الارز بالاعسل والاخال بالابقل فقال بالاصفع في الارؤس والاضرط في الاذقن ووقع نحوي في كنيف فجاءه كناس ليخرجه فصاح به الكناس ليعلم أهو حي أم لا فقال له

النحوى اطلب لى حبلا دقيقا وشدنى شدا وثيقا واجذبنى جذبا رفيقا فقال الكناس امرأته طالق ان أخرجتك منه ثم تركه وانصرف وكان لبعضهم ولد نحوى يتقعر فى كلامه فاعتل أبوه علة شديدة أشرف منها على الموت فاجتمع عليه أولاده وقالوا له ندعو لك فلانا اخانا قال لا ان جاءنى قتلنى فقالوا نحن نوصيه أن لا يتكلم فدعوه فلما دخل عليه قال له يا أبت قل لا اله الا الله تدخل بها الجنة وتفوز من النار يا أبت والله ما اشغلنى عنك الا فلان فانه دعانى بالامس فاهرس واعدس واستبذج وسكبج وطهيج وافرج ودجج وابصل وامضر ولوزج وافلوذج فصاح أبوه غمضونى فقد سبق ابن الزانية ملك الموت الى قبض روحى وجاء نحوى يعود مريضا فطرق بابه فخرج اليه ولده فقال كيف وجدت أباك قال ياعم ورمت رجليه قال لا تلحن قل رجلاه ثم ماذا قال ثم وصل الورم الى ركبتاه قال لا تلحن قل الى ركبتيه ثم ماذا قال مات وادخله الله فى نظر عيالك وعيال سيبويه ونفطويه وحشويه ودعا بعضهم نحويا فقال ما الذى تشكوه قال حمى جاسية نارها حامية منها الاعضاء واهية والعظام بالية فقال له لا شفاك الله بعافية ياليتها كانت القاضية

*(الفصل الخامس فى نوادر المعلمين) قال الجاحظ مررت بمعلم صبيان وعنده عصا طويلة وعصا قصيرة وصولجان وكرة وطبل وبوق فقلت ما هذه فقال عندى صغار أوباش فاقول لاحدهم اقرأ لوحك فيصفر لى بضرطة فاضربه بالعصا القصيرة فيتأخر فاضربه بالعصا الطويلة فيفر من بين يدى فاضع الكرة فى الصولجان وأضربه فاشجه فتقوم الى الصغار كلهم بالالواح فاجعل الطبل فى عنقى والبوق فى فى وأضرب الطبل وأنفخ فى البوق فيسمع أهل الدرب ذلك فيسارعون الى ويخلصونى منهم وحكى الجاحظ أيضا قال مررت على خربة فاذا بها معلم وهو ينبح نبيح الكلاب فوقفت أنظر اليه واذا بصبى قد خرج من دار فقبض عليه المعلم وجعل يلطمه ويسبه فقلت عرفنى خبره فقال هذا صبى لئيم يكره التعليم ويهرب ويدخل الدار ولا يخرج وله كلب يلعب به فاذا سمع صوتى ظن أنه صوت الكلب فيخرج فامسكه وجاءت امرأة الى المعلم بولدها تشكوه فقال له اما أن تنتهى والا فعلت بامك فقالت يامعلم هذا صبى ما ينفع فيه الكلام فافعل ماشئت لعله ينظر بعينه ويتوب فقام وفعل بها أمام ولدها وقال الجاحظ رأيت معلما فى الكتاب وحده فسألته فقال الصغار داخل الدرب يتصارعون فقلت أحب ان أراهم فقال ما اشير عليك بذلك فقلت لا بد قال فاذا جئت الى رأس الدرب اكشف رأسك لئلا يعتقدوك المعلم فيصفعونك حتى تعمى وقال بعضهم رأيت معلما وقد جاء صغيران يتماسكان فقال أحدهما هذا عض اذنى فقال الآخر لا والله يا سيدنا هو الذى عض أذن نفسه فقال المعلم يا ابن الزانية هو كان جمل يعض اذن نفسه وقال بعضهم رأيت معلما وهو يصلى العصر فلما ركع ادخل رأسه بين رجليه ونظر الى الصغار وهم يلعبون وقال يا ابن البقال قد رأيت الذى عملت وسوف اكافئك اذا فرغت من الصلاة (وحكى) عن الجاحظ انه قال الفت كتابا فى نوادر المعلمين وما هم عليه من التغفل ثم رجعت عن ذلك وعزمت على تقطيع ذلك الكتاب فدخلت يوما مدينة فوجدت فيها معلما فى هيئة حسنة فسلمت عليه فرد على أحسن رد ورحب بى فجلست عنده

وباحثته فى القرآن فاذا هوماهر فيه ثم فاتحته فى الفقه والنحو وعلم المعقول واشعار العرب فاذا هوكامل الآداب فقلت هذا والله مما يقوى عزمى على تقطيع الكتاب قال فكنت اختلف اليه وأزوره فجئت يوما لزيارته فاذا باب الكتاب مغلق ولم أجده فسألت عنه فقيل مات له ميت فحزن عليه وجلس فى بيته للعزاء فذهبت الى بيته وطرقت الباب فخرجت الى جارية وقالت ماتريد قلت سيدك فدخلت وخرجت وقالت بسم الله فدخلت اليه واذا به جالس فقلت عظم الله أجرك لقد كان لكم فى رسول الله اسوة حسنة كل نفس ذائقة الموت فعليك بالصبر ثم قلت له هذا الذى توفى ولدك قال لا قلت فوالدك قال لا قلت فاخوك قال لا قلت فزوجتك قال لا فقلت وماهو منك قال حبيبتى فقلت فى نفسى هذه أول المناحس فقلت سبحان الله النساء كثير وستجد غيرها فقال أتظن انى رأيتها قلت وهذه منحسة ثانية ثم قلت وكيف عشقت من لم تر فقال اعلم انى كنت جالسا فى هذا المكان وأنا أنظر من الطاق اذ رأيت رجلا عليه برد وهو يقول

يا أم عمرو جزاك الله مكرمة * ردى على فؤادى اينما كانا

لا تأخذين فؤادى تلعبين به * فكيف يلعب بالانسان انسانا

فقلت فى نفسى لولا ان أم عمرو هذه مافى الدنيا أحسن منها ماقيل فيها هذا الشعر فعشقتها فلما كان منذ يومين مر ذلك الرجل بعينه وهو يقول

لقد ذهب الحمار بام عمرو * فلا رجعت ولا رجع الحمار

فعلمت انها ماتت فحزنت عليها واغلقت المكتب وجلست فى الدار فقلت ياهذا انى كنت ألفت كتابا فى نوادركم معشر المعلمين وكنت حين صاحبتك عزمت على تقطيعه والآن قد قويت عزمى على ابقائه وأول ماأبدأ أبدأ بك ان شاء الله

(الفصل السادس فى نوادر المتنبئين) ادعى رجل النبوة فى أيام الرشيد فلما مثل بين يديه قال له ماالذى يقال عنك قال انى نبى كريم قال فاى شئ يدل على صدق دعواك قال سل عما شئت قال أريد أن تجعل هذه المماليك المرد القيام الساعة بلحى فاطرق ساعة ثم رفع رأسه وقال كيف يحل أن أجعل هؤلاء المرد بلحى وأغير هذه الصور الحسنة وانما أجعل أصحاب هذه اللحى مردا فى لحظة واحدة فضحك منه الرشيد وعفا عنه وأمر له بصلة وتنبأ انسان فطالبوه بحضرة المأمون بمعجزة فقال أطرح لكم حصاة فى الماء فتذوب قالوا رضينا فاخرج حصاة معه وطرحها فى الماء فذابت فقالوا هذه حيلة ولكن نعطيك حصاة من عندنا ودعها تذوب فقال لستم أجل من فرعون ولا أنا أعظم حكمة من موسى ولم يقل فرعون لموسى لم أرض بما تفعله بعصاك حتى أعطيك عصا من عندى تجعلها ثعبانا فضحك المأمون وأجازه وتنبأ رجل فى أيام المعتصم فلما حضر بين يديه قال أنت نبى قال نعم قال والى من بعثت قال اليك قال أشهد انك لسفيه أحمق قال انما يبعث الى كل قوم مثلهم فضحك المعتصم وأمر له بشئ وتنبأ رجل فى أيام المأمون وادعى انه ابراهيم الخليل فقال له المأمون ان ابراهيم كانت له معجزات وبراهين قال ومابراهينه قال أضرمت له نار وألقى فيها فصارت عليه بردا وسلاما ونحن نوقد لك نارا ونطرحك فيها فان كانت عليك كما كانت

عليه آمنا بك قال أريد واحدة أخف من هذه قال فبراهين موسى قال وما براهينه قال ألقى
عصاه فاذا هي حية تسعى وضرب بها البحر فانفلق وأدخل يده في جيبه فأخرجها بيضاء قال
وهذه علىّ أصعب من الاولى قال فبراهين عيسى قال وما هي قال احياء الموتى قال مكانك
قد وصلت أنا أضرب رقبة القاضي يحيى بن أكثم واحييه لكم الساعة فقال يحيى أنا أول من
آمن بك وصدق وتنبأ آخر في زمن المأمون فقال المأمون أريد منك بطيخا في هذه الساعة
قال أمهلني ثلاثة أيام قال ما أريده الا الساعة قال ما أنصفتني يا أمير المؤمنين اذا كان الله
تعالى الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام ما يخرجه الا في ثلاثة أشهر فما تصبر أنت
علىّ ثلاثة أيام فضحك منه ووصله وتنبأ آخر في زمن المأمون فلما مثل بين يديه قال له من
أنت قال أنا أحمد النبي قال لقد ادعيت زورا فلما رأى الاعوان قد أحاطت به وهو
ذاهب معهم قال يا أمير المؤمنين أنا أحمد النبي فهل تذمه أنت فضحك المأمون منه وخلى
سبيله وتنبأ آخر في زمن المتوكل فلما حضر بين يديه قال له أنت نبي قال نعم قال فما
الدليل على صحة نبوتك قال القرآن العزيز يشهد بنبوتي في قوله تعالى اذا جاء نصر الله
والفتح وأنا اسمي نصر الله قال فما معجزتك قال ائتوني بامرأة عاقر أنكحها تحبل بولد يتكلم
في الساعة ويؤمن بي فقال المتوكل لوزيره الحسن بن عيسى اعطه زوجتك حتى تبصر
كرامته فقال الوزير أما أنا فاشهد انه نبي الله وانما يعطي زوجته من لا يؤمن به فضحك
المتوكل وأطلقه وادعى رجل النبوة في زمن خالد بن عبد الله القسري وعارض القرآن فاتى
به الى خالد فقال له ما تقول قال عارضت القرآن قال بماذا قال قال الله تعالى انا أعطيناك
الكوثر الآية وقلت انا أعطيناك الجماهر فصل لربك وجاهر ولا تطع كل ساحر فأمر به
خالد فضرب عنقه وصلب فمر به خلف بن خليفة الشاعر فضرب بيده على الخشبة وقال انا
أعطيناك العود فصل لربك من قعود وأنا ضامن لك أن لا تعود وأتى المأمون برجل ادعى
النبوة فقال له الك علامة قال علامتي اني أعلم ما في نفسك قال وما في نفسي قال في نفسك اني
كاذب قال صدقت ثم أمر به الى السجن فاقام فيه أياما ثم أخرجه فقال هل أوحي اليك
شئ قال لا قال ولم قال لان الملائكة لا تدخل الحبوس فضحك منه وخلى سبيله وأتى بامرأة
تنبأت في أيام المتوكل فقال لها أنت نبية قالت نعم قال أتؤمنين بمحمد قالت نعم قال فانه
صلى الله عليه وسلم قال لا نبي بعدي قالت فهل قال لا نبية بعدي فضحك المتوكل وأطلقها
وتنبأ رجل يسمى نوحا وكان له صديق نهاه فلم يقبل فأمر السلطان بقتله فصلب فمر به
صديقه فقال له يا نوح ما حصلت من السفينة الا على الصاري

*(الفصل السابع في نوادر السؤال) *وقف أعرابي بباب يسأل فقال له صغير من باب
الدار بورك فيك فقال قبح الله هذا الفم لقد تعلمت الشر صغيرا ووقف سائل على باب فقال
يا أصحاب المنزل فبادر صاحب الدار قبل أن يتم كلامه وقال فتح الله عليك فقال السائل
يا قرنان كنت تصبر لعلي جئت أدعوك الى وليمة وقال أبو عثمان الجاحظ وقف سائل
بقوم فقال اني جائع فقالوا له كذبت فقال جربوني برطلين من الخبز ورطلين من اللحم
ووقف سائل على باب فقالوا يفتح الله لك فقال كسرة فقالوا ما نقدر عليها قال فقليل

من بر أرفول أوشعير قالوا لا نقدر عليه قال فقطعة دهن أو قليل زيت أولبن قالوا لا نجده قال فشربة ماء قالوا وليس عندنا ماء قال فاجلوسكم ههنا قوموا فاسألوا فأنتم احق مني بالسؤال

(الفصل الثامن في نوادر المؤذنين) قيل لمؤذن ما نسمع أذانك فلو رفعت صوتك فقال اني اسمع صوتي من مسيرة ميل وقال بعضهم رأيت مؤذنا أذن ثم عدا يهرول فقلت له الى أين فقال أحب أن أسمع أذاني أين بلغ واختصم رجلان في جارية فاودعاها عند مؤذن فلما أصبح وفرغ من الاذان قال لا اله الا الله ذهبت الامانة من الناس فقالوا له كيف ذهبت الامانة من الناس قال هذه الجارية التي وضعت عندي قيل انها بكر فلما أتيتها وجدتها ثيبا وسمع مؤذن حمص يقول في سحور رمضان تسحروا فقد أمرتكم وعجلوا في أكلكم قبل ان أؤذن فيسخم الله وجوهكم * وشوهد مؤذن يؤذن من رقعة فقيل له ما تحفظ الاذان فقال سلوا القاضي فأتوه فقالوا السلام عليكم فأخرج دفترا وتصفحه وقال وعليكم السلام فعذروا المؤذن وسمعت امرأة مؤذنا يؤذن بعد طلوع الشمس ويقول الصلاة خير من النوم فقالت النوم خير من هذه الصلاة ومر سكران بمؤذن ردىء الصوت فجلد به الارض وجعل يدوس بطنه فاجتمع اليه الناس فقال والله ما بي رداءة صوته ولكن شماتة اليهود والنصارى بالمسلمين

(الفصل التاسع في نوادر النواتية) حكى أنّ بعض النواتية تولى أحد الكراسي السلطانية لما ساعده الزمان فبينما هو جالس في داره اذ سمع صوتا وراء الباب فقال لزوجته اني اسمع غاغة في البرحلي قلوعي واعملي اسفيرتي على جاموري وقدمي الى اسقالة الرجل وقميني بعدرة فامتثلت كلامه فنزل وجلس على مصطبته وقد علت مرتبته واصطفت المقدمون بين يديه ووقفت الحبرتية حواليه واذا بشيخ قد أقبل وثيابه مقطعة وعمامته في حلقه والدم نازل من أنفه وهو يصيح بصوت عال انا بالله وبالوالي فقال له تعال ياشيخ مالي أرى أرطمونك في حلقك وشابورتك مكسورة وانت تنزلع ماء متغير وتقيم الهلبلا في الساحل دخل عليك شردغربي والا دخلت على بواجي فقال الشيخ والله ياسيدي بعض نواتية البحر عمل بي هذا فقال يا أولاد جيبوا غريمو بخنسراعدته وقشطوا ظهره ووجوه على مقدمه فامتثلوا كلام الامير وجاؤا بالغريم فلما امتثل بين يديه قال له ويلك هو أنت بغنوس بسفر البحر أنت الذي قطعت القلس وخرجت في الشعت حتى لقيت هذا الرجل نطحت مخطمته وكسرت اسقالته لو انصلح كنت عملتك في بدراوة وعلقتك في الصاري فلما سمع الرجل كلام الوالي علم أنه من أولاد المعيشة فقال له بهمترة النواتية والله ياخوند هو كارزني في معاشي احصطن على الوحسة وأنا عايم في الليل الا وشرد جاني من الشرق كابس هز أطرافي وكسر شابورتي وقطع لباني وهاهو بحمد الله على بر السلامة وان كان انصلح فيه شيء فانا برسوم الامير اجيب له القلفاط أسد فتحه واعمل له وسقه واخليه يروح في طريقه فقال له الوالي أنت بتقدف في وجهي وتطرح مقاديفك حتى تعبر على الجربار جالة الصاري سلسلوا أطرافه وعروا مقاديفه وبلوا شينة اللبان وانزلوا عليه وأوسقوه الجنبين والظهر

حتى تلعب المية على بطونستة هيا قوامك خلوا جنب برا وجنب جوا قدام الخن وراء الصارى فأكل علقة من كعبه الى أذنه فقالت النواتية ياخوند اهو خففت عليه الطمة البحرية قال مدراتين وقيموه فلما أقاموه باس يد الامير وقال ياخوند سألتك بهبوب الرياح وطيب النسيم الرب لا يبليك بحر اللمان فى الحلافى وأنت حافى فى الصيافى ويكفيك شر الاربعينيات قال فرق عليه قلب الامير وقال له وحق من ضرب القلع باللمان الحلفاء عند بخنسة الريح وفروغ الزاد بعد من البلاد وعياط الركاب عند قيام الموجة وبعد البر فى أيام النيل لولا شفاعة الركاب لكنت أهد اسقالتك واقعد فى زوايدك حتى أخلى ظهرك جيفة فقال له والله ياخوند ما بقى جنبى يحمل هذا الوسق العظيم ولكن ان عدت اعمل هذا الوجه اخسف من أضلاعى لوح وغرقنى بالقايم فقال له الامير أحمد الله على السلامة واخرج فى دى الطيابة وكتب له مرسوم وعلم عليه علامة الرياس البحرية للنواتية الله لك الله لى يا عملات على أبوس

*(الفصل العاشر فى نوادر جامعة) سمعت امرأة فى الحديث انّ صوم يوم عاشوراء كفارة سنة فصامت الى الظهر ثم أفطرت وقالت يكفينى كفارة ستة أشهر منها شهر رمضان وأسلم مجوسى فى شهر رمضان فثقل عليه الصيام فنزل الى سرداب وقعد يأكل فسمع ابنه حسه فقال من هذا فقال ابوك الشقى يأكل خبز نفسه ويفزع من الناس وسئل بعض القصاص عن نصرانى قال لا اله الا الله لا غير اذا مات أين يدفن قال يدفن بين مقابر المسلمين والنصارى ليكون مذبذبا لا الى هؤلاء ولا الى هؤلاء وأهدى الى سالم القصاص خاتم بلا فص فقال انّ صاحب هذا الخاتم يعطى فى الجنة غرفة بلا سقف وبنى بعض المغفلين نصف دار وبنى رجل آخر النصف الآخر فقال المغفل يوما قد عولت على بيع النصف الذى لى وأشترى به النصف الآخر لتكمل لى الدار كلها وسئل جامع الصيدلانى عن عمر ابنته فقال لا أدرى الا ان امها ذكرت انها ولدتها فى أيام البراغيث وقيل لطفيلى أى سورة تعجبك فى القرآن قال المائدة قال فأى آية قال ذرهم يأكلوا ويتمتعوا قيل ثم ماذا قال آتنا غداءنا قيل ثم ماذا قال ادخلوها بسلام آمنين قيل ثم ماذا قال وما هم منها بمخرجين وقيل لعثمان بن دراج الطفيلى يوما كيف تصنع بدار العرس اذا لم يدخلك اصحابها قال أنوح على بابهم فيتطيرون من ذلك فيدخلونى وقيل له أتعرف بستان فلان قال اى والله انه الجنة الحاضرة فى الدنيا قيل لم لا تدخله وتأكل من ثماره وتستظل باشجاره وتسبح فى أنهاره قال لان فيه كلبا لا يتمضمض الا بدماء عراقيب الرجال وقيل له يوما ما هذه الصفرة التى فى لونك قال من الفترة بين الصحنين وقال مرت بنا جنازة يوماً ومعى ابنى ومع الجنازة امرأة تبكى وتقول الآن يذهبون بك الى بيت لا فراش فيه ولا غطاء ولا وطاء ولا خبز ولا ماء فقال ابنى يا أبت الى بيتنا والله يذهبون (وحكى) عن هرون الرشيد أنه أرق ذات ليلة ارقا شديدا فقال لوزيره جعفر بن يحيى البرمكى انى أرقت فى هذه الليلة وضاق صدرى ولم أعرف ما أصنع وكان خادمه مسرور واقفا أمامه فضحك فقال له ما يضحكك أستهزاء بى أم استخفافا فقال وقرابتك من سيد المرسلين ما فعلت ذلك عمدا ولكن خرجت بالامس أتمشى بظاهر القصر الى أن جئت

الى جانب الدجلة فوجدت الناس مجتمعين فوقفت فرأيت رجلا واقفا يضحك الناس فقال له ابن المغازلى فتفكرت الآن فى شئ من حديثه وكلامه فضحكت والعفو يا أمير المؤمنين فقال له الرشيد ائتنى الساعة به فخرج مسرور مسرعا الى أن جاء الى ابن المغازلى فقال له اجب أمير المؤمنين فقال سمعا وطاعة فقال له بشرط انه اذا أنعم عليك بشئ يكون لك منه الربع والبقية لى فقال له بل اجعل لى النصف ولك النصف فأبى فقال الثلث لى ولك الثلثان فاجابه الى ذلك بعد جهد عظيم فلما دخل على الرشيد سلم فأبلغ وترجم فاحسن ووقف بين يديه فقال له أمير المؤمنين ان أنت أضحكتنى أعطيتك خمسمائة دينار وان لم تضحكنى أضربك بهذا الجراب ثلاث ضربات فقال ابن المغازلى فى نفسه وما عسى أن تكون ثلاث ضربات بهذا الجراب وظن فى نفسه ان الجراب فارغ فوقف يتكلم ويتمسخر وفعل أفعالا عجيبة تضحك الجلمود فلم يضحك الرشيد ولم يتبسم فتعجب ابن المغازلى وضجر وخاف فقال له الرشيد الآن استحققت الضرب ثم انه أخذ الجراب ولفه وكان فيه أربع زلطات كل واحدة وزنها رطلان فضربه ضربة فلما وقعت الضربة فى رقبته صرخ صرخة عظيمة وافتكر الشرط الذى شرطه عليه مسرور فقال العفو يا أمير المؤمنين اسمع منى كلمتين قال قل ما بدا لك قال ان مسرورا شرط على شرطا واتفقت أنا واياه على مصلحة وهو أن ما حصل لى من الصدقات يكون له فيه الثلثان ولى فيه الثلث وما أجابنى الى ذلك الا بعد جهد عظيم وقد شرط على أمير المؤمنين ثلاث ضربات فنصيبى منها واحدة ونصيبه اثنان وقد أخذت نصيبى وبقى نصيبه قال فضحك الرشيد ودعا مسرورا فضربه فصاح وقال يا أمير المؤمنين قد وهبت له ما بقى فضحك الرشيد وأمر لهما بألف دينار فاخذ كل واحد منهما خمسمائة ورجع ابن المغازلى شاكرا والله أعلم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

(الباب السابع والسبعون فى الدعاء وآدابه وشروطه وفيه فصول)

(الفصل الاول فى الدعاء وآدابه) قال الله تعالى واذا سألك عبادى عنى فانى قريب أجيب دعوة الداع اذا دعان اختلف فى سبب نزولها فقال مقاتل ان عمر بن الخطاب رضى الله عنه واقع امرأته بعد ما صلى العشاء فى رمضان فندم على ذلك وبكى وجاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره بذلك ورجع مغتما وكان ذلك قبل الرخصة فنزلت هذه الآية واذا سألك عبادى عنى فانى قريب وروى الكلبى عن أبى صالح عن ابن عباس قال قالت اليهود كيف يسمع ربنا دعاءنا وأنت تزعم ان بيننا وبين السماء خمسمائة عام وغلظ كل سماء مثل ذلك فنزلت هذه الآية وقال الحسن ان قوما قالوا للنبى أقريب ربنا فنناجيه أم بعيد فنناديه فنزلت هذه الآية قوله تعالى أجيب دعوة الداع اذا دعان أى أقبل عبادة من عبدنى فالدعاء بمعنى العبادة والاجابة بمعنى القبول وقال قوم ان الله تعالى يجيب كل الدعاء فاما أن يعجل الاجابة فى الدنيا واما أن يكفر عن الداعى واما أن يدخر له فى الآخرة لما رواه أبو سعيد الخدرى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من مسلم يدعو بدعوة ليس

فيها اثم ولا قطيعة رحم الا أعطاه الله بها احدى ثلاث اما أن يعجل له دعوته واما أن يدخر له ثوابها واما ان يكف عنه من السوء بمثلها وروى انه اذا كان يوم القيامة واستقر أهل الجنة فى الجنة فبينما العبد المؤمن فى قصره واذا ملائكة من عند ربه يأتونه بتحف من عند الله فيقول ماهذا أليس الله قد أنعم على وأكرمنى فيقولون ألست كنت تدعو الله فى الدنيا هذا دعاؤك الذى كنت تدعوه قد أدخره لك واعلم أن اجابة الدعاء لابد لها من شروط فشرط الداعى أن يكون عالما بان لا قادر الا الله وان الوسائط فى قبضته ومسخرة بتسخيره وأن يدعو بنية صادقة وحضور قلب فان الله تعالى لا يستجيب دعاء من قلب لاه وأن يكون متجنبا الاكل الحرام ولا يمل من الدعاء ومن شروط المدعو فيه ان يكون من الامور الجائزة الطلب والفعل شرعا كما قال عليه السلام مالم يدع باثم أو قطيعة رحم فيدخل في الاثم كل ما يؤثم به من الذنوب ويدخل فى الرحم جميع حقوق المسلمين ومظالمهم قال ابن عطاء الله ان للدعاء أركانا وأجنحة وأسبابا وأوقاتا فان وافق أركانه قوى وان وافق أجنحته طار الى السماء وان وافق مواقيته فاز وان وافق أسبابه نجح فاركانه حضور القلب والخشوع وأجنحته الصدق ومواقيته الاسحار وأسبابه الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم ومن شروط الدعاء أن يكون سليما من اللحن كما قال بعضهم

ينادى ربه باللحن ليث * كذاك اذا دعاه لا يجاب

وقيل ان الله تعالى لا يستجيب دعاء عريف ولا شرطى ولا جاب ولا عشار ولا صاحب عرطبة وهى الطنبور ولا صاحب كوبة وهى الطبل الكبير الضيق الوسط ومن آداب الدعاء أن يدعو الداعى مستقبل القبلة ويرفع يديه لما روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله ربكم حيى كريم يستحيى من عبده اذا رفع يديه اليه أن يردهما صفرا وأن يمسح بهما وجهه بعد الدعاء لما روى عن عمر قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا مد يديه فى الدعاء لم يردهما حتى يمسح بهما وجهه وأن لا يرفع بصره الى السماء لقوله صلى الله عليه وسلم لينتهين أقوام عن رفع أبصارهم الى السماء عند الدعاء أو ليخطفن الله أبصارهم وأن يخفض الداعى صوته بالدعاء لقوله تعالى ادعوا ربكم تضرعا وخفية وعن أبى عبد الرحمن الهمدانى قال صليت مع أبى اسحق الغداة فسمع رجلا يجهر فى الدعاء فقال كن كزكريا اذ نادى ربه نداء خفيا وينبغى للداعى أن لا يتكلف وأن يأتى بالكلام المطبوع غير المسجوع لقوله صلى الله عليه وسلم اياكم والسجع فى الدعاء بحسب أحدكم أن يقول اللهم انى أسألك الجنة وما قرب اليها من قول وعمل وأعوذ بك من النار وما قرب اليها من قول وعمل وقيل ادعوا بلسان الذلة والاحتقار ولا تدعوا بلسان الفصاحة والانطلاق وكانوا لا يزيدون فى الدعاء على سبع كلمات فما دونها كما فى آخر سورة البقرة وعن سفيان بن عيينة لا يمنعن أحدكم من الدعاء ما يعلم من نفسه فقد أجاب الله دعاء شر الخلق ابليس اذ قال رب أنظرنى الى يوم يبعثون وعن النبى صلى الله عليه وسلم اذا سأل أحدكم مسئلة فتعرف الاجابة فليقل الحمد لله الذى بنعمته تتم الصالحات ومن أبطأ عليه من ذلك شئ فليقل الحمد لله على كل حال وعن سلمة بن الاكوع قال ما سمعت رسول الله

صلى

صلى الله عليه وسلم يستفتح الدعاء الا قال سبحان ربى الاعلى الوهاب وعن أبى سليمان الدارانى من أراد ان يسأل الله حاجة فليبدأ بالصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم وينبغى للمؤمن ان يجتهد فى الدعاء وأن يكون على رجاء من الاجابة ولا يقنط من رحمة الله لانه يدعو كريما وللدعاء أوقات وأحوال يكون الغالب فيها الاجابة وذلك وقت السحر ووقت الفطر وما بين الاذان والاقامة وعند جلسة الخطيب بين الخطبتين الى أن يسلم من الصلاة وعند نزول الغيث وعند التقاء الجيش فى الجهاد فى سبيل الله تعالى وفى الثلث الاخير من الليل لما جاء فى الحديث ان فى الليل ساعة لا يوافقها عبد مسلم يسأل الله شيأ الا أعطاه وفى حالة السجود لقوله عليه الصلاة والسلام أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد فأكثروا الدعاء وما بين الظهر والعصر فى يوم الاربعاء وأوقات الاضطرار وحالة السفر والمرض هذا كله جاءت به الآثار قال جابر بن عبد الله رضى الله عنه دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى مسجد الفتح ثلاثة أيام يوم الاثنين ويوم الثلاثاء واستجيب له يوم الاربعاء بين الصلاتين فعرفت السرور فى وجهه قال جابر ما نزل بى أمر مهم غليظ الا توخيت تلك الساعة فأدعو فيها فاعرف الاجابة وفى بعض الكتب المنزلة يا عبدى اذا سألت فاسألنى فانى غنى واذا طلبت النصرة فاطلبها منى فانى قوى واذا أفشيت سرك فأفشه الى فانى وفى واذا أقرضت فاقرضنى فانى ملى واذا دعوت فادعنى فانى حفى وعن أبى هريرة رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ينزل ربنا كل ليلة الى سماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الاخير فيقول من يدعونى فاستجيب له من يسألنى فاعطيه من يستغفرنى فاغفر له وقال وهب بن منبه بلغنى ان موسى مر برجل قائم يبكى ويتضرع طويلا فقال موسى يارب أما تستجيب لعبدك فأوحى الله تعالى اليه ياموسى لو انه بكى حتى تلفت نفسه ورفع يديه حتى بلغ عنان السماء ما استجبت له قال يارب لم ذلك قال لان فى بطنه الحرام ومر ابراهيم بن أدهم بسوق البصرة فاجتمع الناس اليه وقالوا يا أبا اسحق ما لنا ندعو فلا يستجاب لنا قال لان قلوبكم ماتت بعشرة أشياء الاول انكم عرفتم الله فلم تؤدوا حقه الثانى زعمتم انكم تحبون رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم تركتم سنته الثالث قرأتم القرآن ولم تعملوا به الرابع أكلتم نعمة الله ولم تؤدوا شكرها الخامس قلتم ان الشيطان عدوكم ووافقتموه السادس قلتم ان الجنة حق فلم تعملوا لها السابع قلتم ان النار حق ولم تهربوا منها الثامن قلتم ان الموت حق فلم تستعدوا له التاسع انتبهتم من النوم واشتغلتم بعيوب الناس وتركتم عيوبكم العاشر دفنتم موتاكم ولم تعتبروا بهم وكان يحيى بن معاذ يقول من أقر لله باساءته جاد الله عليه بمغفرته ومن لم يمن على الله بطاعته أوصله الى جنته ومن أخلص لله فى دعوته من الله عليه باجابته وقال على رضى الله عنه ارفعوا أفواج البلايا بالدعاء وعن أنس رضى الله عنه يرفعه لا تعجزوا عن الدعاء فانه لن يهلك مع الدعاء أحد

(الفصل الثانى فى الادعية وما جاء فيها) كان من دعاء شريح رحمه الله اللهم انى اسألك الجنة بلا عمل عملته وأعوذ بك من النار بلا ذنب تركته ودعت اعرابية عند البيت

فقالت الهي لك اذل وعليك أدل وكان من دعاء بعض الصالحين اللهم ان كنا عصيناك فقد تركنا من معاصيك ابغضها اليك وهو الاشراك وان كنا قصرنا عن بعض طاعتك فقد تمسكنا باحبها اليك وهو شهادة أن لا اله الا أنت وان رسلك جاءت بالحق من عندك ومن دعاء سلام بن مطيع اللهم ان كنت بلغت أحدا من عبادك الصالحين درجة ببلاء فبلغنيها بالعافية وقيل لفتح الموصلي ادع الله لنا فقال اللهم هب لنا عطاءك ولا تكشف عنا غطاءك وكان من دعاء بعض السلف اللهم لا تحرمني خير ما عندك لشر ما عندي فان لم تقبل تعبي ونصبي فلا تحرمني أجر المصاب على مصيبته اللهم لا تكلنا الى أنفسنا ولا الى الناس فنضيع وقال الحسن من دخل المقابر فقال اللهم رب الارواح الفانية والاجساد البالية والعظام النخرة التي خرجت من الدنيا وهي بك مؤمنة أدخل عليها روحا من عندك وسلاما مني كتب الله له بعدد من مات من لدن آدم الى أن تقوم الساعة حسنات (وحكى) عن معروف القاضي ان الحجيج كانوا يجتهدون في الدعاء وفيهم رجل من التركمان ساكت لا يحسن ان يدعو فخشع قلبه وبكى فقال بلغته اللهم انك تعلم اني لا أحسن شيأ من الدعاء فاسئلك ما يطلبون منك بما دعوا فرأى بعض الصالحين في منامه ان الله قبل حج الناس بدعوة ذلك التركماني لما نظر الى نفسه بالفقر والفاقة وقال الاصمعي حسدت عبد الملك على كلمة تكلم بها عند الموت وهي اللهم أن ذنوبي وان كثرت وجلت عن الصفة فانها صغيرة في جنب عفوك فاعف عني وركب ابراهيم بن أدهم في سفينة فهاجت الريح وبكى الناس وأيقنوا بالهلاك وكان ابراهيم نائما في كساء فاستوى جالسا وقال أريتنا قدرتك فارنا عفوك فذهب الريح وسكن البحر وقال الثوري كان من دعاء السلف اللهم زهدنا في الدنيا ووسع علينا فيها ولا تزوها عنا ولا ترغبنا فيها وكان بعض الاعراب اذا أوى الى فراشه قال اللهم اني اكفر بكل ما كفر به محمد وأومن بكل ما آمن به ثم يضع رأسه وسمعت بدوية تقول في دعائها يا صباح يا مناح يا مطعم يا عريض الجفنة يا أبا المكارم فزجرها رجل فقالت دعني أصف ربي وأمجد الهي بما تستحسنه العرب وقال الزمخشري في كتابه ربيع الابرار سمعت انا من يدعو من العرب عند الركن اليماني يا أبا المكارم يا أبيض الوجه وهذا ونحوه منهم انما يقصدون به الثناء على الله بالكرم والنزاهة عن القبيح على طريق الاستعارة لانه لا فرق عندهم بين الكريم وأبي المكارم ولا بين الجواد والعريض الجفنة ولا بين المنزه والابيض الوجه وقيل لاعرابي أتحسن ان تدعو ربك قال نعم ثم قال اللهم انك أعطيتنا الاسلام من غير ان نسألك فلا تحرمنا الجنة ونحن نسألك وذكر لعبد السلام بن مطيع ان الرجل تصيبه البلوى فيدعو فتبطئ عنه الاجابة فقال بلغني ان الله تعالى يقول كيف ارحمه من شئ به ارحمه وقال طاوس بينما أنا في الحجر ذات ليلة اذ دخل علي بن الحسين فقلت رجل صالح من اهل بيت الخير لاسمعن دعاءه فسمعته يقول عبيدك بفنائك مسكينك بفنائك فقيرك بفنائك فدعوت بها في كرب الافرج عني ودعا اعرابي فقال اللهم انا نبات نعمتك وقال ابن المسيب سمعت من يدعو بين القبر والمنبر اللهم اني أسألك عملا بارا ورزقا دارا وعيشا قارا فدعوت به فما وجدت الا خيرا ودعت

أعرابية بالموقف فقالت أسألك سترك الذى لا تزيله الرياح ولا تخرقه الرماح وقيل اتقوا مجانيق الضعفاء أى دعواتهم ودعا اعرابى فقال اللهم امح ما فى قلبى من كذب وخيانة واجعل مكانه صدقا وأمانة وصلى رجل الى جنب عبد الله بن المبارك وبادر القيام فجذب ثوبه وقال أمالك الى ربك حاجة وقال سفيان الثورى سمعت اعرابيا يقول اللهم ان كان رزقى فى السماء فانزله وان كان فى الارض فاخرجه وان كان بعيدا فقربه وان كان قريبا فيسره وان كان قليلا فكثره وان كان كثيرا فبارك لى فيه وقال أبو نواس

أحببت من شعر بشار وكلمته * بيتا لهجت به من شعر بشار
يا رحمة الله حلى فى منازلنا * وجاورينا فدتك النفس من جار

وكان بشار يعنى بذلك جارية بصرية كان يحبها ويتغزل فيها ونعنى بها هنا رحمة الله التى وسعت كل شئ وسمع على بن أبى طالب رضى الله عنه رجلا يقول وهو متعلق باستار الكعبة يا من لا يشغله سمع عن سمع ولا تغلطه المسائل ولا يبرمه الحاح الملحين اذقنى برد عفوك وحلاوة مغفرتك فقال على والذى نفسى بيده لو قلتها وعليك ملء السموات والارض من الذنوب لغفر لك ومن دعائه رضى الله عنه اللهم صن وجهى باليسار ولا تبدل جاهى بالاقتار فأسترزق طالبى رزقك من غيرك واستعطف شرار خلقك وأبتلى بحمد من أعطانى وأفتتن بذم من منعنى وأنت من وراء ذلك كله ولى الاجابة والمنع وعن ابن عباس رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم قال ما انتهيت الى الركن اليمانى قط الا وجدت جبريل قد سبقنى اليه يقول قل يا محمد اللهم انى أعوذ بك من الكفر والفقر والفاقة وهى من مواقف الخزى وهبط جبريل على يعقوب فقال يا يعقوب ان الله تعالى يقول لك قل يا كثير الخير يا دائم المعروف ردّ على ابنى فقالها فأوحى الله تعالى اليه وعزتى لو كانا ميتين لنشرتهما لك وكان أبو مسلم الخراسانى اذا نابه أمر قال يا مالك يوم الدين اياك نعبد واياك نستعين وقال جعفر بن محمد ما المبتلى الذى اشتد بلاؤه بأحق بالدعاء من المعافى الذى لا يأمن وقوع البلاء وكان الزهرى يدعو بعد الحديث بدعاء جامع فيقول اللهم انى أسألك من خير ما أحاط به علمك فى الدنيا والآخرة وأعوذ بك من شر ما أحاط به علمك فى الدنيا والآخرة وعن عقبة بن عبد الغافر دعوة فى السر أفضل من سبعين دعوة فى العلانية واعلم ان التوحيد والدعاء عند نوازل الملمات هو سفينة النجاة من الحوادث المهلكات وعن أبى الدرداء قال صلى بنا رسول الله العصر فربنا كلب فما بلغت يده رجله حتى وقع ميتا فلما انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلاته قال من الداعى على الكلب آنفا قال رجل من القوم أنا يا رسول الله قال لقد دعوت الله باسمه الذى اذا دعى به أجاب واذا سئل به أعطى كيف دعوت الله قال قلت اللهم انى أسألك بأن لك الحمد لا اله الا أنت المنان بديع السموات والارض يا ذا الجلال والاكرام وقيل انه دخلت اذن رجل من أهل البصرة حصاة فعالجها الاطباء فلم يقدروا عليها حتى وصلت الى صماخه فأتى الى رجل من أصحاب الحسن فشكا له ما أصابه من الحصاة فدعا له بدعاء العلاء بن الحضرمى وهو يا على يا عظيم يا حليم يا عليم قال الراوى فما برحنا حتى خرجت الحصاة من أذنه ولها

طنين حتى ضربت الحائط وعن أنس اذا قال العبد يارب يارب يقول الله عزوجل
لبيك عبدي وعنه قال مر رسول الله صلى الله عليه وسلم برجل وهو يقول يا أرحم الراحمين
فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم سل حاجتك فقد نظر الله اليك وروى عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم أنه قال اذا فتح الله على عبد الدعاء فليكثر فان الله يستجيب له
وروى عن علي بن أبي زفر عن أخ له وكان فاضلا صالحا فقال دعوت الله أن يريني
الاسم الاعظم الذي اذا دعي به أجاب فقمت ليلة أصلي فسمعت قعقعة في سقف البيت ثم
هبط نور حتى صار تلقاء وجهي واذا مكتوب بالنور فقرأته يا ألله يا رحمن ياذا الجلال
والاكرام ومن دعاء الكرب ماروى عن وهب ان ابن عباس رضي الله عنهما قال له هل
تجد فيما تقرأ من الكتب دعاء تدعو به عند الكرب قال نعم اللهم اني أسألك يا من يعلم
حوائج السائلين ويعلم ضمير الصامتين فان لكل مسئلة منك سمعا حاضرا وجوابا عتيدا
ولكل صامت منك علما ناطقا محيطا أسألك بمواعيدك الصادقة وأياديك الفاضلة
ورحمتك الواسعة أن تفعل بي كذا وكذا فقال ابن عباس هذا دعاء علمته في النوم ما كنت
أرى أن أحدا يحسنه وعن وهب أيضا قال لما أهبط الله تعالى آدم من الجنة الى الارض
استوحش لفقد أصوات الملائكة فهبط اليه جبريل وقال يا آدم هل أعلمك شيأ تنتفع به في
الدنيا والآخرة قال بلى قال قل اللهم أتمم النعمة حتى تهنيني المعيشة اللهم اختم لي بخير حتى
لا تضرني ذنوبي اللهم اكفني مؤنة الدنيا وكل هول في القيامة حتى تدخلني الجنة معافى
وعن معروف الكرخي قال اجتمعت اليهود اخزاهم الله على قتل عيسى بزعمهم وأهبط الله
تعالى عليه جبريل وفي باطن جناحيه مكتوب اللهم اني أدعوك باسمك الاجل الاعز
وأدعوك اللهم باسمك الاحد الصمد وأدعوك اللهم باسمك العظيم الوتر وأدعوك اللهم
باسمك الكبير المتعالي الذي ملأ الاركان كلها أن تكشف عني ضر ما أصبحت وأمسيت
فيه فأوحى الله عزوجل الى جبريل أن ارفع عبدي الي فقال رسول الله لاصحابه عليكم بهذا
الدعاء ولا تستبطؤا الاجابة فان ما عند الله خير وأبقى للذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون
اسناد هذا متصل الى معروف الكرخي ثم هو منقطع ولو لم يكن فيه من البركة الا رواية
معروف لكان كافيا في قبوله والعمل به * حدث عبد الله بن أبان الثقفي رضي الله عنه قال
وجهني الحجاج بن يوسف في طلب أنس بن مالك فظننت أنه يتوارى عني فأتيت بخيلي
ورجلي فاذا هو جالس على باب داره مادا رجليه فقلت له أجب الامير فقال أي الامراء
فقلت أبو محمد الحجاج فقال غير مكترث به قد أذله الله ما أراني أعزه لان العزيز من عز
بطاعة الله والذليل من ذل بمعصية الله وصاحبك قد بغى وطغى واعتدى وخالف كتاب الله
والسنة والله لينتقم الله منه فقلت له أقصر عن الكلام وأجب الامير فقام معنا حتى حضر
بين يدي الحجاج فقال له أنت أنس بن مالك قال نعم قال أنت الذي تدعو علينا وتسبنا قال
نعم قال وممَّ ذاك قال لانك عاص لربك مخالف لسنة نبيك تعز أعداء الله وتذل أولياء الله
فقال له أتدري ما أريد أن أفعل بك قال لا قال أريد أن أقتلك شر قتلة قال أنس لو علمت
ان ذلك بيدك لعبدتك من دون الله قال الحجاج ولم ذاك قال لان رسول الله صلى الله عليه

وسلم

وسلم علمني دعاء وقال من دعا به في كل صباح لم يكن لأحد عليه سبيل وقد دعوت به في صباحي هذا فقال الحجاج علمنيه فقال معاذ الله أن أعلمه لأحد ما دمت أنت في الحياة فقال الحجاج خلوا سبيله فقال الحاجب أيها الامير انا في طلبه كذا وكذا يوما حتى أخذناه فكيف نخلي سبيله قال رأيت على عاتقه أسدين عظيمين فاتحين أفواههما ثم ان أنسا رضي الله عنه لما حضرته الوفاة علم الدعاء لاخوانه وهو بسم الله الرحمن الرحيم باسم الله خير الاسماء باسم الله الذي لا يضر مع اسمه أذى باسم الله الكافي باسم الله المعافي باسم الله الذي لا يضر مع اسمه شئ في الارض ولا في السماء وهو السميع العليم باسم الله على نفسي وديني باسم الله على أهلي ومالي باسم الله على كل شئ أعطانيه ربي الله أكبر الله أكبر الله أكبر أعوذ بالله مما أخاف وأحذر الله ربي لا أشرك به شيأ عز جارك وجل ثناؤك وتقدست أسماؤك ولا اله غيرك اللهم اني أعوذ بك من شر كل جبار عنيد وشيطان مريد ومن شر قضاء السوء ومن شر كل دابة أنت آخذ بناصيتها ان ربي على صراط مستقيم * وهذا دعاء مشهور الاجابة وله شرح طويل تركناه لطوله وهو اللهم كما لطفت في عظمتك دون اللطفاء وعلوت بعظمتك على العظماء وعلمت ما تحت أرضك كعلمك بما فوق عرشك وكانت وساوس الصدور كالعلانية عندك وعلانية القول كالسر في علمك وانقاد كل شئ لعظمتك وخضع كل ذي سلطان لسلطانك وصار أمر الدنيا والآخرة كله بيدك لا بيد غيرك اجعل لي من كل هم وغم أصبحت أو أمسيت فيه فرجا ومخرجا انك على كل شئ قدير اللهم ان عفوك عن ذنوبي وتجاوزك عن خطيئتي وسترك عن قبيح عملي أطمعني ان أسألك مالا أستوجبه منك مما قضيته لي أدعوك آمنا وأسألك مستأنسا الا خائفا ولا وجلا لانك أنت المحسن الي وأنا المسيء الى نفسي فيما بيني وبينك تتودد الي بالنعم مع غناك عني وأتبغض اليك بالمعاصي مع فقري اليك فلم أر مولى كريما أعطف منك على عبد لئيم مثلي لكن الثقة بك حملتني على الجراءة على الذنوب فاسألك بجودك وكرمك واحسانك وطولك أن تصلي على محمد وآله وأن تفتح لي باب الفرج بطولك وتحبس عني باب الهم بقدرتك ولا تكلني الى نفسي طرفة عين فاعجز ولا الى الناس فاضيع برحمتك يا أرحم الراحمين وروى الحافظ النسفي باسناده عن الزهري عن أبي سلمة عن أبي هريرة قال مر رسول الله صلى الله عليه وسلم برجل ساجد وهو يقول في سجوده اللهم اني أستغفرك وأتوب اليك من مظالم كثيرة لعبادك قبلي فايما عبد من عبادك او أمة من امائك كانت له قبلي مظلمة ظلمتها اياه في مال او بدن او عرض علمتها أو لم أعلمها ولم أستطع ان أتحللها فاسألك أن ترضيه عني بما شئت وكيف شئت ثم تهبها لي من لدنك انك واسع المغفرة ولديك الخير كله يارب ما تصنع بعذابي ورحمتك وسعت كل شئ فلتسعني رحمتك فاني لاشئ واسألك يارب ان تكرمني برحمتك ولا تهني بذنوبي وما علمك أن تعطيني الذي سألتك يارب يا الله فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ارفع رأسك فقد غفر الله لك ان هذا دعاء أخي شعيب عليه السلام وقال صالح المري قال لي قائل في منامي اذا أحببت أن يستجاب لك فقل اللهم اني أسألك باسمك المخزون المكنون المبارك الطيب الطاهر المطهر المقدس فادعوت بها في شئ الا

تعرفت الاجابة وقيل ان هذا الدعاء فيه اسم الله الاعظم وهو بسم الله الرحمن الرحيم اللهم
انى أسألك بالعزة التى لاترام والملك الذى لايضام والعين التى لاتنام والنور الذى
لايطفا وبالوجه الذى لايبلى وبالديمومية التى لاتفنى وبالحياة التى لاتموت وبالصمدية
التى لاتقهر وبالربوبية التى لاتستذل أن تجعل لنا فى أمورنا فرجا ومخرجا حتى لانرجو غيرك
ياأرحم الراحمين وقال سعيد بن المسيب دخلت المسجد فى ليلة مقمرة وأظن انى قد أصبحت
واذا الليل على حاله فقمت أصلى وجلست أدعو واذا بهاتف يهتف من خلفى ياعبدالله قل
قلت ما أقول قال قل اللهم انى أسألك بانك ملك وأنت على كل شئ قدير وما تشاء من أمر
يكون قال سعيد فما دعوت به قط فى شئ الا رأيت نجحه وعن الشيخ كمال الدين الدميرى
قال روينا عن قاضى القضاة عزالدين بن جماعة قال أنبأنا الشيخ شرف الدين أبو العباس
أحمد بن ابراهيم بن منباع الفزارى خطيب دمشق قال أنبأنا الشيخ زين الدين أبو البقاء
خالد بن يوسف النابلسى بقراءتى عليه قال أنبأنا الحافظ بهاء الدين ناصر السنة محمد ابن
الامام أبى محمد بن الحافظ أبى القاسم على بن الحسين بن هبة الله بن عساكر قراءة عليه وأنا
أسمع قال رويت بالاسناد وذكر اسناده الى الامام الحجة التابعى الجليل محمد بن سيرين قال
نزلنا بنهر تيرا فاتانا أهل ذلك المنزل فقالوا انا رحلوا فانه لم ينزل هذا المنزل أحد الا أخذ
متاعه فرحل أصحابى وتخلفت فلما أمسينا قرأت آيات فما تمت حتى رأيت أقواما قد
أقبلوا وجاؤا الى جهتى أكثر من ثلاثين نفرا وقد جردوا سيوفهم فلم يصلوا الى فلما أصبحت
رحلت فلقينى شيخ على فرس ومعه قوس عربية فقال لى ياهذا انسى أنت أم جنى فقلت
بل أنا من بنى آدم قال فما بالك لقد أتيناك فى هذه الليلة أكثر من سبعين مرة وفى كل ذلك
يحال بيننا وبينك بسور من حديد قلت حدثنى ابن عمر رضى الله عنهما عن رسول الله صلى
الله عليه وسلم أنه قال من قرأ فى ليلة ثلاثا وثلاثين آية لم يضره فى ذلك الليلة لص طار ولا
سبع ضار وعوفى فى نفسه وأهله وماله حتى يصبح فنزل عن فرسه وكسر قوسه وأعطى الله
تعالى عهدا ان لا يعود لهذا الامر وهذه الآيات وهى ان تقرأ بعد الفاتحة الم ذلك الكتاب
الى قوله المفلحون وآية الكرسى الى قوله وهم فيها خالدون وآمن الرسول الى آخر السورة
وان ربكم الله الذى الى قوله المحسنين وقل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن الى آخر السورة
والصافات صفا الى قوله تعالى لازب ويامعشر الجن والانس ان استطعتم الى قوله فلا
تنتصران لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعا الى آخرها وانه تعالى جد ربنا الى
قوله شططا اذا دا الموفى الى قوله شهابا رصدا والله من ورائهم محيط الى قوله محفوظ قال محمد
ابن سيرين فذكرت هذا الحديث لشعيب بن حرب فقال كنا نسميها آيات الحرز ويقال ان
فيها شفاء من مائة داء وعدوا منها الجذام وغير ذلك قال محمد بن على قرأتها على شيخ لنا قد أفلج
فاذهب الله تعالى عنه ذلك الفالج قال الموفى هذه الآيات شرفها مشهور وفضلها مذكور
لاينكرها الاغبى اوغيور وقد جربها المشايخ وعرف سرها من له فى العلم قدم راسخ وقدر
شامخ وهى على ما رويناه بل ما رأيناه أولها الفاتحة ثم أول البقرة الى آخر الآيات وقال أبو
العباس أحمد القسطلانى سمعت الشيخ أباعبدالله القرشى يقول سمعت أبازيد القرطبى

يقول في بعض الآثار أن من قال لا إله إلا الله سبعين ألف مرة كانت فداءه من النار فعملت ذلك رجاء بركة الوعد ففعلت منها الأهلي وعملت أعمالا ادخرتها لنفسي وكان إذ ذاك يبيت معنا شاب يكاشف بالجنة والنار وكانت الجماعة ترى له فضلا على صغر سنه وكان في قلبي منه شيء فاتفق أن استدعانا بعض الإخوان الى منزله فنحن نتناول الطعام والشاب معنا اذ صاح صيحة منكرة واجتمع في نفسه وهو يقول يا عم هذه أمي في النار ويصيح بصياح عظيم لا يشك من سمعه أنه عن أمر فلما رأيت ما به من الانزعاج قلت اليوم أجرب صدقه فألهمني الله تعالى السبعين ألفا ولم يطلع على ذلك إلا الله تعالى فقلت في نفسي الأثر حق والذين رووه لنا صادقون اللهم إن هذه السبعين ألفا فداء أم هذا الشاب من النار فما استتمت هذا الخاطر في نفسي أن قال يا عم هذه أمي أخرجت من النار والحمد لله فحصل عندي فائدتان امتحاني لصدق الأثر وسلامتي من الشاب وعلمي بصدقه ومن خاف إنسانا فليصل ركعتين بعد صلاة المغرب ثم يضع جبهته على التراب ويقول يا شديد المحال يا عزيزا ذللت بعزتك جميع من خلقت صل على محمد وآله واكفني فلانا بما شئت كفاه الله تعالى شره وروى الثقفي رحمه الله تعالى باسناده الى محمد بن علي بن الحسين رضي الله عنه أنه كان يقول لولده يا بني من أصابته مصيبة في الدنيا أو نزلت به نازلة فليتوضأ وليحسن الوضوء وليصل أربع ركعات أو ركعتين فإذا انصرف من صلاته يقول يا موضع كل شكوى ويا سامع كل نجوى ويا شاهد كل بلوى ويا منجي موسى والمصطفى محمد والخليل ابراهيم عليهم السلام أدعوك دعاء من اشتدت فاقته وضعفت حركته وقلت حيلته دعاء الغريب الغريق الفقير الذي لا يجد لكشف ما هو فيه إلا أنت يا أرحم الراحمين لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين قال علي بن الحسين رضي الله عنهما لا يدعو به مبتلى إلا فرج الله عنه وقيل الاسم الأعظم هو بسم الله الرحمن الرحيم اللهم إني أسألك يا مؤنس كل وحيد يا قريبا غير بعيد يا شاهدا غير غائب يا غالبا غير مغلوب يا حي يا قيوم يا بديع السموات والأرض يا ذا الجلال والإكرام أسألك باسمك بسم الله الرحمن الرحيم الحي القيوم الذي لا تأخذه سنة ولا نوم وأسألك باسمك بسم الله الرحمن الرحيم الذي عنت له الوجوه وخشعت له الأصوات ووجلت له القلوب أن تصلي على محمد وعلى آله وأن تعطيني كذا وكذا إنك على كل شيء قدير وهذه أبيات الفرج لأحمد بن حمزة البوني قيل إن فيها اسم الله الأعظم وهي هذه

إني لأرجو عطفة الله ولا * أقول إن قيل متى ذاك متى
لا بد أن ينشر ما كان طوى * جودا وأن يعطر ما كان خوى
وربما ينشر ما كان زوى * وربما قدر ما كان لوى
وكل شيء ينتهي الى مدى * والشيء يرجى كشفه إذا انتهى
لطائف الله وإن طال المدى * كلمحة الطرف إذا الطرف رمى
كم فرج بعد إياس قد أتى * وكم سرور قد أتى بعد الأسى
من لاذ بالله نجا فيمن نجا * من كل ما يخشى ونال ما رجا

سبحان من نهفو و يعفو دائما * ولم يزل مهما هفا العبد عفا
يعطى الذى يخطى ولا يمنعه * جلاله من العطا الذى الخطا

ومن المنظوم أيضا

يامن يرى مافى الضمير و يسمع * أنت المعد لكل ما يتوقع
يامن يرجى للشدائد كلها * يامن اليه المشتكى والمفزع
يامن خزائن رزقه فى قول كن * امنن فان الخير عندك أجمع
مالى سوى فقرى اليك وسيلة * فبالافتقار اليك فقرى أدفع
مالى سوى قرعى لبابك حيلة * فلئن رددت فأى باب أقرع
ومن الذى ادعو واهتف باسمه * ان كان فضلك عن فقيرك يمنع
حاشا لجودك أن تقنط عاصيا * الفضل أجزل والمواهب أوسع
ثم الصلاة على النبى وآله * خير الانام ومن به يتشفع

وقال آخر

ياخالق الخلق يارب العباد ومن * قد قال فى محكم التنزيل أدعونى
انى دعوتك مضطرا فخذ بيدى * ياجاعل الامر بين الكاف والنون
نجيت أيوب من بلواه حين دعا * بصبر أيوب ياذا اللطف نجينى
واطلق سراحى وامنن بالخلاص كما * نجيت من ظلمات البحر ذا النون

ثم يقرأ وذا النون اذ ذهب مغاضبا فظن ان لن نقدر عليه فنادى فى الظلمات أن لا اله الا أنت سبحانك انى كنت من الظالمين قال بعضهم

يارب مازال لطف منك يشملنى * وقد تجدد لى ما أنت تعلمه
فاصرفه عنى كما عودتنى كرما * فمن سواك لهذا العبد يرحمه

وقال آخر

يامن تحل بذكره * عقد النوائب والشدائد
يامن اليه المشتكى * واليه أمر الخلق عائد
ياحى ياقيوم يا * صمد تنزه عن مضادد
أنت الرقيب على العبا * د وأنت فى الملكوت واحد
أنت المعز لمن أطا * عك والمذل لكل جاحد
انى دعوتك والهمو * م جيوشها نحوى تطارد
فافرج بحولك كربتى * يامن له حسن العوائد
فخفى لطفك يستعا * ن به على الزمن المعاند
أنت الميسر والمسبب والمسهل والمساعد
يسر لنا فرجا قريبا * ياالهى لا تباعد
كن راحمى فلقد يئست * من الاقارب والاباعد

ثم الصلاة على النبي وآله الغر الاماجد
وعلى الصحابة كلهم * ماخر للرحمن ساجد

دعاء عظيم مأثور

اللهم اني أشكو اليك ضعف قوتي وقلة حيلتي وهواني على الناس أنت رب المستضعفين وأنت ربي الى من تكلني الى بعيد يتجهمني أو الى قوي ملكته أمري ان لم يكن بك غضب علي فلا أبالي ولكن عافيتك أوسع لي أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة من أن يحل بي غضبك أو ينزل بي سخطك فلك العتبى حتى ترضى ولا حول ولا قوة لنا الا بك يارب العالمين

(ومما جاء في أدعية الناس بعضهم لبعض) دعا رجل لآخر فقال سرك الله بما ساءك ولا ساءك فيما سرك ودعا رجل لآخر فقال لا أخلاك الله تعالى من ثناء صادق باق ودعاء صالح واق ودعا اعرابي لآخر فقال رحب واديك وعز ناديك ولا ألم بك ألم ولا طاف بك عدم وسلمك الله ولا أسلمك وسمعت بعض العرب يدعو لرجل ويقول سلمك الله تعالى من الرهق والوهق وعافاك الله تعالى من الوحل والزحل وسلمك الله من الشاردات والواردات وسلمك الله بين الاعنة والاسنة ودعا اعرابي لعبد الله بن جعفر رضي الله عنه فقال لا ابتلاك الله تعالى ببلاء يعجز عنه صبرك وأنعم عليك نعمة يعجز عنها شكرك وأبقاك ما تعاقب الليل والنهار وتناسخت الظلم والانوار ودعا بعضهم لآخر فقال زودك الله تعالى الامن في مسيرك والسعد في مصيرك ولا أخلاك من شهر تستجده وخير من الله تستمده وعزى شبيب بن شبة يهوديا فقال أعطاك الله على مصيبتك أفضل ما أعطى أحدا من أهل ملتك

(ومما جاء في الدعاء على الاعداء والظلمة ونحوهم) دعا أعرابي على ظالم فقال لا ترك الله لك شفرا ولا ظفرا أي عينا ولا يدا ومن دعاء العرب فته الله فتا وحته حتا وجعل أمره شتى وخرج أعرابي الى سفر وكانت له امرأة تكرهه فاتبعته نواة وقالت شط نواك ونأى سفرك ثم أتبعته روثة وقالت رثتك أهلك وورث خبرك ثم أتبعته حصاة وقالت حاص رزقك وحص اثرك ودعا اعرابي على آخر فقال اطفأ الله نارد وخلع نعاله أي جعله أعمى مقعدا ودعا اعرابي على آخر فقال سقاه الله دم جوفه أي قتل ابنه وأخذ ديته فشرب لبنها ودعا أعرابي على آخر فقال بعث الله عليه سنة قاشورة تحلقه كما يحلق الشعر بالنورة ودعا رجل على امير فقال

أزال الله دولته سريعا * فقد ثقلت على عنق الليالي

وقالت امرأة من بني ضبة في زوجها

ومادعوت عليه حين ألعنه * الا وآخر يتلوه بآمين
فليته كان أرض الروم منزله * وليتني قبله قد صرت للصين

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم في خطبته يوم الاحزاب اللهم أكل سلاحهم واضرب وجوههم ومزقهم في البلاد تمزيق الريح للجراد ودعا رجل فقال اللهم اكفنا أعداءنا ومن

اراد نا بسوء فاقحط به ذلك السوء احاطة القلائد بترائب الولائد ثم ارسخه على هامته
كرسوخ السجيل على هام أصحاب الفيل وحسبنا الله ونعم الوكيل ولنختم هذا الباب بهذا
الدعاء المبارك وهو اللهم انك عرفتنا بربوبيتك وغرقتنا في بحار نعمتك ودعوتنا الى
دار قدسك ونعمتنا بذكرك وأنسك الهي ان ظلمة ظلمنا لنفوسنا قد عمت وبحار الغفلة على
قلوبنا قد طمت والعجز شامل والحصر حاصل والتسليم أسلم وانت بالحال أعلم الهي
ما عصيتك جهلا بعقابك ولا تعرضا لعذابك ولكن سولتها نفوسنا واعانتنا شقوتنا وغرنا
سترك علينا واطمعنا في عفوك برك بنا فالآن من عذابك من ينقذنا وبحبل من نعتصم ان
قطعت حبلك عنا واخجلتاه غدا من الوقوف بين يديك وافضيحتاه ان عرضت فعالنا
القبيحة عليك اللهم اغفر ما علمت ولا تهتك ما سترت الهي ان كنا عصيناك بجهل فقد دعوناك
بعقل حيث علمنا أن لنا ربا يغفر لنا ولا يبالي الهي أتحرق بالنار وجها كان لك مصليا
ولسانا كان لك ذاكرا وداعيا بالذى دلنا عليك وأمرنا بالخشوع بين يديك وهو محمد صلى
الله عليه وسلم خاتم أنبيائك وسيد أصفيائك فان حقه علينا أعظم الحقوق بعد حقك كما أن
منزلته لديك أشرف المنازل سيد خلقك ومعدن أسرارك صل يارب على محمد وآله واصحابه
وارحم عبادا غرهم طول امهالك واطمعهم كثرة افضالك فقد ذلوا لعزك وجلالك ومدوا
اكفهم لطلب نوالك ولولا ذلك لم يصلوا الى ذلك اللهم اغفر لنا ولوالدينا ولكل المسلمين
اجمعين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

(الباب الثامن والسبعون في القضاء والقدر وأحكامه والتوكل على الله عز وجل)

اعلم ان كل ما يجرى في العالم من حركة وسكون وخير وشر ونفع وضر وايمان وكفر وطاعة
ومعصية فكل بقضاء الله وقدره وكذلك فلا طائر يطير بجناحيه ولا حيوان يدب على
بطنه ورجليه ولا تطن بعوضة ولا تسقط ورقة الا بقضائه وقدره وارادته ومشيئته كما
لا يجرى شئ من ذلك الا وقد سبق علمه به واعلم ان كل ما قضاه الله تعالى وقدره فهو كائن
لا محالة كما ان ما في علم الله تعالى يكون فهو كائن قريب وما قدر الله وصوله اليك بعد الطلب
فهو لا يصل اليك الا بالطلب والطلب ايضا من القدر فان تعسر شئ فبتقديره وان اتفق
شئ فبتيسيره فمن رام أمرا من الامور فليس الطريق في تحصيله انه يغلق بابه عليه ويفوض
أمره لربه وينتظر حصول ذلك الامر بل الطريق ان يشرع في طلبه على الوجه الذى شرعه له
فيه وقد ظاهر النبي صلى الله عليه وسلم بين درعين واتخذ خندقا حول المدينة حين تحزبت
عليه الاحزاب يحترس به من العدو واقام الرماة يوم احد ليحفظوه من خالد بن الوليد وكان
يلبس لامة الحرب ويهيئ الجيوش ويأمرهم وينهاهم لما فيه مصالحهم واسترقى وأمر بالرقية
وتداوى وأمر بالمداواة وقال الذى أنزل الداء أنزل الدواء فان قيل قد روى ان النبي صلى
الله عليه وسلم قال من استرقى او اكتوى فهو برىء من التوكل قلنا اليس قد قال أعقلها
وتوكل فان قيل فما الجمع بين ذلك قلنا معناه من استرقى أو اكتوى متكلا على الرقية

أو السكى وان البرء من قبلهما خاصة فهذا يخرجه عن التوكل وانما يفعله كافر يضيف الحوادث الى غير الله وقد أمرنا بالكسب والتسبب الاترى ان الله قال لمريم عليها السلام وهزى اليك بجذع النخلة فهلا أمرها بالسكون وحمل الرطب الى فيها وأنشدوا فى ذلك

ألم تر ان الله قال لمريم * وهزى اليك الجذع يساقط الرطب
ولوشاء أن تجنيه من غير هزها * جنته ولكن كل شئ له سبب

وقد تقدم هذا الشعر فى باب الكسب والتسبب ولهذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو توكلتم على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصا وتروح بطانا فلم يحمل ارزاقها اليها فى أوكارها بل ألهمها طلبه بالغدو والرواح وقد جمعوا بين الطلب والقدر فقالوا انهما كالعدلين على ظهر الدابة ان حمل فى واحد منهما ارجح مما فى الآخر سقط حمله وتعب ظهره وثقل عليه سفره وان عادل بينهما سلم ظهره ونجح سفره وتمت بغيته وضربوا فيه مثلا عجيبا فقالوا ان أعمى ومقعدا كانا فى قرية بفقر وضر لاقائد للاعمى ولا حامل للمقعد وكان فى القرية رجل يطعمهما قوتهما فى كل يوم احتسابا بالله تعالى فلم يزالا بنعمة الى أن هلك ذلك الرجل فلما بعده أياما واشتد جوعهما وبلغ الضرمنهما جهده فاجمع رأيهما على ان الاعمى يحمل المقعد فيدله المقعد على الطريق ببصره فاشتغل الاعمى بحمل المقعد ويدور به ويرشده الى الطريق وأهل القرية يتصدقون عليهما فنجح أمرهما ولولا ذلك لهلكا فكذلك القدر سببه الطلب والطلب سببه القدر وكل واحد منهما معين لصاحبه ألاترى ان من طلب الرزق والولد ثم قعد فى بيته لم يطأ زوجته ولم يبذر أرضه معتمدا فى ذلك على الله واثقا به ان تلد امرأته من غير مواقعة وان ينبت الزرع من غير بذر كان عن المعقول خارجا ولامر الله كارها قال الغزالى أما المعيل فلا يخرج عن حد التوكل بادخار قوت سنة لعياله جبرا لضعفهم وتسكينا لقلوبهم وقد ادخر رسول الله صلى الله عليه وسلم قوت سنة ونهى أم أيمن وغيرها ان تدخر شيأ وقال انفق يابلال ولا تخش من ذى العرش اقلالا وقال عبد الله بن الفرج اطلعت على ابراهيم بن أدهم وهو فى بستان بالشام فوجدته مستلقيا على قفاه واذا حية فى فيها باقة نرجس فمازالت تذب عنه حتى انتبه فحسبك توكل يؤدى الى هذا وعن عبد الله الهروى قال كنا مع الفضيل بن عياض على جبل أبى قبيس فقال لوان رجلا صدق فى توكله على الله ثم قال لهذا الجبل اهتز لاهتز فوالله لقد رأيت الجبل اهتز وتحرك فقال له الفضيل رحمه الله تعالى لم أعنك رحمك الله فسكن وفى الاسرائيليات ان رجلا احتاج الى أن يقترض ألف دينار فجاء الى رجل من المتمولين فسأله فى ذلك وقال له تمهل على بدينك الى ان أسافر الى البلد الفلانى فان لى مالا آتيك به وأوفيك منه وتكون مدة الاجل بينى وبينك كذا وكذا فقال له هذا غرر فانا ما أعطيك مالى الا أن تجعل لى كفيلا ان لم تحضر طلبته منه فقال الرجل الله كفيل بمالك وشاهد على ان لا أغفل عن وفائك فان رضيت فافعل فداخل الرجل خشية الله تعالى وحمله التوكل على ان دفع المال للرجل فاخذه ومضى الى البلد الذى ذكره فلما قرب الاجل الذى بينه وبين صاحبه جهز المال وقصد السفر فى البحر فعسر عليه وجود مركب ومضت المدة وبعدها أيام وهو لا يجد مركبا فاغتم

لذلك وأخذ الالف دينار وجعلها في خشبة وسمر عليها ثم قال اللهم اني جعلتك كفيلا
بايصال هذه الى صاحبها وقد تعذر علي وجود مركب وعزمت على طرحها في البحر
وتوكلت عليك في ايصالها اليه ثم نقش على الخشبة رسالة الى صاحبها بصورة الحال
وطرحها في البحر بيده وأقام في البلد مدة بعد ذلك الى أن جاءت مركب فسافر فيها
الى صاحب المال فابتدأه وقال أنت سيرت الالف دينار في خشبة صفتها كيت وكيت
وعليها منقوش كذا وكذا قال نعم قال قد أوصلها الله تعالى الي والله نعم الكفيل فقال
فكيف وصلت اليك قال لما مضى الاجل المقدر بيني وبينك بقيت أتردد الى البحر لاجدك
أو أجد من يخبرني عنك فوقفت ذات يوم الى الشط واذا بالخشبة قد استندت الي ولم أرلها
طالبا فأخذها الغلام ليجعلها حطبا فلما كسرها وجد ما فيها فأخبرني بذلك فقرأت ما عليها
فعلمت ان الله تعالى حقق أملك لما توكلت عليه حق التوكل وقيل ان سبب بداية ذي
النون المصري رحمه الله تعالى انه رأى طيرا أعمى بعيدا عن الماء والمرعى فبينما هو يتفكر
في أمر ذلك الطائر فاذا هو بسكرجتين برزتا من الارض احداهما ذهب والاخرى
فضة هذه فيها ماء والاخرى فيها قمح فلقط القمح وشرب الماء ثم غاب بعد ذلك فذهل ذو النون
وانقطع الى الله تعالى من ذلك الوقت (وحكى) أن رجلا من أبناء الناس كانت له يد في
صناعة الصياغة وكان أوحد أهل زمانه فساء حاله وافتقر بعد غناه فكره الاقامة في بلده
فانتقل الى بلد آخر فسأل عن سوق الصاغة فوجد دكانا لمعلم السلطنة وتحت يده صناع
كثيرة يعملون الاشغال للسلطنة وله سعادة ظاهرة ما بين مماليك وخدم وقماش وغير ذلك
فتوصل الصائغ الغريب الى أن بقي من أحد الصناع الذين في دكان هذا المعلم وأقام
يعمل عنده مدة وكلما فرغ النهار دفع له درهمين من فضة وتكون أجرة عمله تساوي عشرة
دراهم فيكسب عليه ثمانية دراهم في كل يوم فاتفق أن الملك طلب المعلم وناوله فردة سوار
من ذهب مرصعة بفصوص في غاية من الحسن قد عملت في غير بلاده كانت في يد احدى
محاظيه فانكسرت فقال له الحمها فأخذها المعلم وقد اضطرب عليه في عملها فلما أخذها
وأراها للصناع الذين عنده وعند غيره فما قال له أحد انه يقدر على عملها فازداد المعلم
لذلك غما ومضت مدة وهي عنده لا يعلم ما يصنع فاشتد الملك على احضارها وقال هذا المعلم
نال من جهتنا هذه النعمة العظيمة ولا يحسن أن يلحم سوارا فلما رأى الصانع الغريب شدة
ما نال المعلم قال في نفسه هذا وقت المروأة اعملها ولا أؤاخذه ببخله علي وعدم انصافه ولعله
يحسن الي بعد ذلك فحط يده في درج المعلم وأخذها وفك جواهرها وسبكها ثم صاغها كما
كانت ونظم عليها جواهرها فعادت أحسن ما كانت فلما رآها المعلم فرح فرحا شديدا ثم
مضى بها الى الملك فلما رآها استحسنها وادعى المعلم انها صنعته فاحسن اليه وخلع عليه
خلعة سنية بهاء وجلس مكانه فبقي الصائغ يرجو مكافأته عما عامله به فما التفت اليه
المعلم ولما كان النهار مازاده على الدرهمين شيأ فما مضت الأيام قلائل واذا الملك اختار
ان يعمل زوجين أساور على تلك الصورة فطلب المعلم ورسم له بكل ما يحتاج اليه وأكد
عليه في تحسين الصنعة وسرعة العمل وجاء الى الصانع وأخبره بما قال الملك فامتثل مرسومه

ولم يزل منتصبا الى ان عمل الزوجين وهو لا يزيده شيأ على الدرهمين فى كل يوم ولا يشكره ولا يعده بخير ولا يحمل معه فرأى المصلحة أن ينقش على زوج منهما أبياتا يشرح فيها حاله ليقف عليها الملك فنقش فى باطن أحدهما هذه الابيات نقشا خفيا يقول

مصائب الدهر كفى * ان لم تكفى فعفى

خرجت أطلب رزقى * وجدت رزقى توفى

فلا برزقى أحظى * ولا بصنعة كفى

كم جاهل فى الثريا * وعالم متخفى

قال وعزم الصانع على انه ان ظهرت الابيات للعلم شرح له ماعنده وان غم عليه ولم يرها كان ذلك سبب توصله الى الملك ثم لفهما فى قطن وناولهما المعلم فرأى ظاهرهما ولم ير باطنهما لجهله بالصنعة ولما سبق له فى القضاء فأخذهما المعلم ومضى بهما فرحا الى الملك وقدمهما اليه فلم يشك الملك فى انهما صنعته فخلع عليه وشكره ثم جاء فجلس مكانه ولم يلتفت الى الصانع ومازاده فى آخر النهار شيأ على الدرهمين فلما كان اليوم الثانى خلا خاطر الملك فاستحضر الحظية التى عمل لها السوارين الذهب فحضرت وهما فى يديها فأخذهما الملك بعد نظره فيهما وفى حسن صنعتهما فقرأ الابيات فتعجب وقال هذا شرح حال صانعهما والمعلم يكذب فغضب عند ذلك وأمر باحضار المعلم فلما أحضر قال له من عمل هذين السوارين قال أنا أيها الملك قال فما سبب نقش هذه الابيات قال لم يكن عليهما أبيات قال كذبت ثم أراه النقش وقال ان لم تصدقنى الحق لاضربن عنقك فأصدقه الحق فأمر الملك باحضار الصانع فلما حضر سأله عن حاله فحكى له قصته وما جرى له مع المعلم فرسم الملك بعزل المعلم وان تسلب نعمته وتعطى للصانع وان يكون عوضا عنه فى الخدمة ثم خلع عليه خلعة سنية وصار مقدما سعيدا فلما نال هذه الدرجة وتمكن عند الملك تلطف به حتى رضى عن المعلم الاول وصارا شريكين ومكثا على ذلك الى آخر العمر ورحم الله من قال

اذا كان سعد المرء فى الدهر مقبلا * تدانت له الاشياء من كل جانب

وقال آخر

ما سلم الله هو السالم * ليس كما يزعمه الزاعم

تجرى المقادير التى قدرت * وانف من لا يرتضى راغم

وقال كعب بن زهير

لو كنت أعجب من شئ لاعجبنى * سعى الفتى وهو مخبوء له القدر

يسعى الفتى لامور ليس يدركها * والنفس واحدة والهم منتشر

والمرء ما عاش ممدود له أمل * لا ينتهى ذاك حتى ينتهى العمر

وروى فى الاسرائيليات ان نبيا من الانبياء عليهم السلام مر بفخ منصوب واذا بطائر قريب منه فقال له الطائر يا نبى الله هل رأيت أقل عقلا ممن نصب هذا الفخ ليصيدنى به وأنا أنظر اليه قال فذهب عنه ذلك النبى صلى الله عليه وسلم ثم رجع واذا بالطائر فى الفخ فقال له عجبا لك ألست القائل كذا وكذا آنفا فقال يا نبى الله اذا جاء الحين لم يبق اذن ولا عين

وروى ان رجلا قال لبزرجمهر تعال نتناظر في القدر قال وما تصنع بالمناظرة قال رأيت شيأ ظاهرا استدللت به على الباطن رأيت جاهلا مرزوقا وعالما محروما فعلمت أن التدبير ليس للعباد ولما قدم موسى بن نصير بعد فتح الاندلس على سليمان بن عبد الملك قال له يزيد بن المهلب أنت ادهى الناس واعلمهم فكيف طرحت نفسك في يد سليمان فقال ان الهدهد ينظر الى الماء في الارض على ألف قامة ويبصر القريب منه والبعيد على بعده في التخوم ثم ينصب له الصبي الفخ بالدودة أو الحبة فلا يبصره حتى يقع فيه وأنشدوا في ذلك

واذا خشيت من الامور مقدراً * وفررت منه فنحوه تتوجه

وقال آخر

أقام على المسير وقد أنيخت * مطاياه وغرد حاد ياها
وقال أخاف عادية الليالي * على نفسي وان القى رداها
مشيناها خطا كتبت علينا * ومن كتبت عليه خطا مشاها
ومن كانت منيته بأرض * فليس يموت في أرض سواها

ولما قتل كسرى بزرجمهر وجد في منطقته كتاب فيه اذا كان القضاء حقا فالحرص باطل واذا كان الغدر في الناس طباعا فالثقة بكل أحد عجز واذا كان الموت بكل أحد نازلا فالطمأنينة الى الدنيا حمق وقال ابن عباس وجعفر بن محمد في قوله تعالى وكان تحته كنز لهما انما كان الكنز لوحا من ذهب مكتوب فيه بسم الله الرحمن الرحيم عجبت لمن يوقن بالقدر كيف يحزن وعجبت لمن يوقن بالرزق كيف ينصب وعجبت لمن يوقن بالموت كيف يفرح وعجبت لمن يوقن بالحساب كيف يغفل وعجبت لمن يرى الدنيا وتقلبها بأهلها كيف يطمئن اليها لا اله الا الله محمد رسول الله (وحكى) الطرطوشي رحمه الله تعالى في كتابه سراج الملوك قال من عجيب ما اتفق بالاسكندرية ان رجلا من خدم نائب الاسكندرية غاب عن خدمته اياما ففي بعض الايام قبض عليه صاحب الشرطة وحمله الى دار النائب فانفلت في بعض الطرق وترامى في بئر والمدينة اذ ذاك مسردبة بسرداب يمشي الماشي فيه قائما فما زال الرجل يمشي الى أن لاحت له بئر مضيئة فطلع منها فاذا البئر في دار النائب فلما طلع أمسكه النائب وأدبه فكان فيه المثل السائر الفار من القضاء الغالب كالمنقلب في يد الطالب وأنشدوا فيه

قالوا تقيم وقد أحا * ط بك العدو ولا تفر
لا نلت خيرا ان بقيـ * ـت ولا عداني الدهر شر
ان كنت أعلم أن غيـ * ـر الله ينفع أو يضر

(الباب التاسع والسبعون في التوبة والاستغفار)

قد تظاهرت دلائل الكتاب والسنة واجماع الائمة على وجوب التوبة وأمر الله تعالى بالتوبة فقال وتوبوا الى الله جميعا أيها المؤمنون لعلكم تفلحون ووعد بالقبول فقال تعالى وهو الذي يقبل التوبة عن عباده وفتح باب الرجاء فقال يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعا انه هو الغفور الرحيم وروى في الصحيح

عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يا أيها الناس توبوا الى الله تعالى فاني أتوب الى الله تعالى في اليوم مائة مرة وروى أحمد بن عبد الرحمن السلماني قال اجتمع أربعة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أحدهم سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الله تعالى يقبل التوبة من عبده قبل أن يموت بيوم فقال الثاني أنت سمعت هذا من رسول الله صلى الله عليه وسلم قال نعم قال وأنا سمعته يقول ان الله تعالى يقبل توبته قبل أن يموت بنصف يوم فقال الثالث أنت سمعت هذا من رسول الله صلى الله عليه وسلم قال نعم قال وأنا سمعته يقول ان الله تعالى يقبل توبة العبد قبل موته بضحوة أو قال بضحوة فقال الرابع أنت سمعت هذا من رسول الله صلى الله عليه وسلم قال نعم قال وأنا سمعته يقول ان الله يقبل العبد مالم يغرغر وفي الصحيحين من حديث ابن مسعود رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لله افرح بتوبة عبده من رجل نزل بأرض دوية مهلكة معه راحلته فنام واستيقظ وقد ذهبت راحلته فطلبها حتى اذا أدركه الموت قال ارجع الى المكان الذي ضللتها فيه وأموت فاتى مكانه فغلبته عينه فاستيقظ واذا راحلته عند رأسه فيها طعامه وشرابه وزاده وما يصلحه فالله أشد فرحا بتوبة عبده المؤمن من هذا براحلته وزاده وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول والله اني لاستغفر الله وأتوب اليه في اليوم اكثر من سبعين مرة رواه البخاري وعن أبي موسى عبد الله بن قيس الاشعري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الله تعالى يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل حتى تطلع الشمس من مغربها رواه مسلم وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من تاب قبل أن تطلع الشمس من مغربها تاب الله عليه رواه مسلم وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه ان نبي الله صلى الله عليه وسلم قال كان فيمن قبلكم رجل قتل تسعة وتسعين نفسا فسأل عن أعلم أهل الارض فدل على راهب فاتاه فقال انه قتل تسعة وتسعين نفسا فهل له من توبة قال لا فقتله وكمل به المائة ثم سأل عن أعلم أهل الارض فدل على رجل عالم فأتاه وقال له انه قد قتل مائة نفس فهل له من توبة قال نعم ومن يحول بينك وبين التوبة انطلق الى أرض كذا وكذا فان بها أناسا يعبدون الله تعالى فاعبد الله تعالى معهم ولا ترجع الى أرضك فانها أرض سوء فانطلق حتى كان نصف الطريق أدركه الموت فاختصمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب فقالت ملائكة الرحمة جاءنا تائبا مقبلا بقلبه الى الله تعالى وقالت ملائكة العذاب انه لم يعمل خيرا قط فاتاهم ملك في صورة آدمي فجعلوه بينهم فقال قيسوا ما بين الارضين فالى أيتهما كان أدنى فهو أقرب لها فقاسوه فوجدوه أدنى الى الارض التي أراد فقبضته ملائكة الرحمة متفق عليه وفي الصحيحين فكان أدنى الى أرض التوبة الصالحة بشبر فجعل من أهلها وعن أبي نجيد بضم النون وفتح الجيم عمران بن الحصين الخزاعي رضي الله عنه ان امرأة من جهينة أتت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهي حبلى من الزنا فقالت يا رسول الله أصبت حدا فاقمه علي فدعا نبي الله فشدت عليها ثيابها ثم أمر بها فرجمت ثم

صلى عليها فقال عمر يا رسول الله تصلى عليها وقد زنت قال لقد تابت توبة لو قسمت بين سبعين من أهل المدينة لوسعتهم وهل وجدت أفضل ممن جادت بنفسها لله عز وجل رواه مسلم وعن أبي نضرة قال لقيت مولى لابي بكر رضي الله عنه فقلت له سمعت من أبي بكر شيأ قال نعم سمعته يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أصر من استغفر ولو عاد الى الذنب في اليوم سبعين مرة (وحكى) أن نبهان التمار وكنيته أبو مقبل أتته امرأة حسناء تشترى تمرا فقال لها هذا التمر ليس بجيد وفي البيت أجود منه فذهب بها الى بيته وضمها الى نفسه وقبلها فقالت له اتق الله فتركها وندم على ذلك فاتى النبي صلى الله عليه وسلم فذكر له ذلك فانزل الله تعالى والذين اذا فعلوا فاحشة الى آخر الآية وعن أسماء بن الحكم الفزاري قال سمعت عليا يقول اني كنت رجلا اذا سمعت من رسول الله حديثا ينفعني الله منه بما شاء ينفعني واذا حدثني أحد من أصحابه استحلفته فاذا حلف لي صدقته وانه حدثني أبو بكر وصدق أبو بكر انه سمع رسول الله يقول ما من عبد يذنب ذنبا فيحسن الطهور ويصلي ثم يستغفر الله الا غفر له وروى في الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اذا أذنب العبد ذنبا فقال يارب أذنبت ذنبا فاغفره لي قال الله عز وجل علم عبدي ان له ربا يغفر الذنب ويأخذ به فغفر له ثم اذا مكث ماشاء الله وأصاب ذنبا آخر فقال يارب أذنبت ذنبا فاغفره لي قال ربه علم عبدي ان له ربا يغفر الذنب ويأخذ به قد غفرت لعبدي فليفعل ماشاء وكان قتادة رضي الله عنه يقول القرآن يدلكم على دائكم ودوائكم أما داؤكم فالذنوب وأما دواؤكم فالاستغفار وكان علي رضي الله عنه يقول العجب ممن هلك ومعه كلمة النجاة قيل وماهي قال الاستغفار وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قال عشرا حين يصبح وحين يمسي أستغفر الله العظيم الذي لا اله الا هو الحي القيوم وأتوب اليه وأسأله التوبة والمغفرة من جميع الذنوب غفرت ذنوبه ولو كانت مثل رمل عالج ومن قال سبحانك ظلمت نفسي وعملت سوأ فاغفر لي ذنوبي فانه لا يغفر الذنوب الا أنت غفرت ذنوبه ولو كانت مثل دبيب النمل وقال أبو عبد الله الوراق لو كان عليك من الذنوب مثل عدد القطر وزبد البحر محيت عنك اذا استغفرت بهذا الاستغفار وهو هذا اللهم اني أسألك وأستغفرك من كل ذنب تبت اليك منه ثم عدت فيه وأستغفرك من كل ما وعدتك من نفسي ثم لم أوف لك به وأستغفرك من كل عمل أردت به وجهك فخالطه غيرك وأستغفرك من كل نعمة أنعمت بها علي فاستعنت بها على معصيتك يقول الله عز وجل للملائكة ويح ابن آدم يذنب الذنب ثم يستغفرني فاغفر له ثم يذنب الذنب فيستغفرني فاغفر له لا هو يترك الذنب من مخافتي ولا ييأس من مغفرتي أشهدكم ياملائكتي اني قد غفرت له وقال بشر الحافي بلغني ان العبد اذا عمل الخطيئة أوحى الله تعالى الى الملائكة الموكلين ترفقوا عليه سبع ساعات فان استغفرني فلا تكتبوها وان لم يستغفرني فاكتبوها *(نكتة)* قيل انقطع الغيث عن بني اسرائيل في زمن موسى عليه السلام حتى احترق النبات وهلك الحيوان فخرج موسى عليه السلام في بني اسرائيل وكانوا سبعين رجلا من نسل الانبياء مستغيثين الى الله تعالى قد بسطوا أيدي صدقهم

وخضوعهم وقربوا قربان تذللهم وخشوعهم ودموعهم تجرى على خدودهم ثلاثة أيام فلم تمطرهم فقال موسى اللهم أنت القائل ادعونى أستجب لكم وقد دعونك وعبادك على ماترى من الفاقة والحاجة والذل فأوحى الله تعالى اليه ياموسى ان فيهم من غذاؤه حرام وفيهم من يبسط لسانه بالغيبة والنميمة وهؤلاء استحقوا أن أنزل عليهم غضبى وأنت تطلب لهم الرحمة كيف يجتمع موضع الرحمة وموضع العذاب فقال موسى ومن هم يارب حتى نخرجهم من بيننا فقال الله تعالى ياموسى لست بهتاك ولانمام ولكن ياموسى توبوا كلكم بقلوب خالصة فعساهم يتوبوا معكم فاجود بنعمائى عليكم فنادى منادى موسى فى بنى اسرائيل ان اجتمعوا فاجتمعوا فاعلمهم موسى عليه السلام بما أوحى اليه والعصاة يسمعون فذرفت أعينهم ورفعوا مع بنى اسرائيل أيديهم الى الله عز وجل وقالوا الهنا جئناك من أوزارنا هاربين ورجعنا الى بابك طالبين فارحمنا ياأرحم الراحمين فمازالوا كذلك حتى سقوا بتوبتهم الى الله تعالى اللهم تب علينا وعلى سائر العصاة والمذنبين يارب العالمين أوحى الله الى داود عليه السلام ياداود لو يعلم المدبرون عنى كيف انتظارى لهم ورفقى بهم وشوقى الى ترك معاصيهم لماتوا شوقا الى وتقطعت أوصالهم من محبتى ياداود هذه ارادتى فى المدبرين عنى فكيف ارادتى بالمقبلين على ولقد أحسن من قال

أسئ فيجزى بالاساءة افضالا * وأعصى فيولينى براوامهالا
فحتى متى أجفوه وهو يبرنى * وابعد عنه وهو يبذل ايصالا
وكم مرة قد زغت عن نهج طاعة * ولا حال عن ستر القبيح ولا زالا

وهذا آخر مايسره الله تعالى فى هذا الباب والله أعلم بالصواب

(الباب الثمانون فيما جاء فى ذكر الامراض والعلل والطب والدواء وماجاء فى السنة من العيادة وماأشبه ذلك وفيه فصول)

(الفصل الاول فى الامراض والعلل وماجاء فى ذلك من الاجر والثواب) روى عن عبد الله بن أنيس رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال أيكم يحب أن يصح جسمه فلا يسقم فقالوا كلنا يارسول الله قال أتحبون ان تكونوا كالحمير الصوالة الاتحبون ان تكونوا أصحاب بلايا وأصحاب كفارات والذى بعثنى بالحق نبيا ان الرجل لتكون له الدرجة فى الجنة فلا يبلغها بشئ من عمله فيبتليه الله تعالى ليبلغ درجة لا يبلغها بعمله وقال صلى الله عليه وسلم مامن مسلم يمرض مرضا الاحط الله من خطاياه كما تحط الشجر ورقها وكان يقول لاتزال الاوصاب والمصائب بالعبد حتى تتركه كالفضة البيضاء النقية المصفاة وقيل ان الناس قد حموا فى فتح خيبر فشكوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أيها الناس ان الحمى رائد الموت وسجن الله فى الارض وقطعة من النار فاذا وجدتم ذلك فبردوا لها الماء فى الشنان ثم صبوا عليكم بين المغرب والعشاء ففعلوا ذلك فزالت عنهم وعن أنس رضى الله عنه قال دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم على شاب وهو فى الموت فقال له كيف تجدك فقال أرجو الله وأخاف ذنوبى فقال عليه الصلاة والسلام هما لايجتمعان

فى قلب عبد فى هذا الموطن الا أعطاه الله ما يرجو وآمنه مما يخاف وعن عفيرة بنت الوليد البصرية العابدة الزاهدة رحمها الله تعالى انها سمعت رجلا يقول ما أشد العمى على من كان بصيرا فقالت له يا عبد الله عمى القلب عن الله أشد من عمى العين عن الدنيا والله لوددت ان الله وهب لى كنه معرفته ولم يبق منى جارحة الا أخذها وكتب مبارك لاخيه سفيان الثورى يشكو اليه ذهاب بصره فكتب اليه أما بعد فقد فهمت كتابك فيه شكاية ربك فاذكر الموت يهن عليك ذهاب بصرك والسلام وقيل لعطاء فى مرضه ما تشتهى قال ما ترك خوف جهنم فى قلبى موضعا لاشهوة وأصاب ابن أدهم بطن فتوضأ فى ليلة سبعين مرة وقيل لاعرابى فى مرضه ما تشتهى قال الجنة فقيل أفلا ندعو لك طبيبا قال طبيبى هو الذى أمرضنى *(الفصل الثانى من هذا الباب)* فى ذكر العلل كالبخر والعرج والعمى والصمم والزمد والفلج وغير ذلك نسأل الله العفو والعافية والمعافاة الدائمة فى الدنيا والآخرة *قيل تسارر أبخر واصم فقال له الاصم قد فهمت ثم فارقه فسأله رجل فقال والله لا أدرى غير انه فسا فى أذنى وقيل ان عبد الملك بن مروان كان أبخر فعض يوما على تفاحة ورمى بها الى زوجته فدعت بسكين فقال ما تصنعين بها قالت أميط الاذى عنها فشق عليه ذلك منها فطلقها وسارر أبو الاسود الدؤلى سليمان بن عبد الملك وكان أبو الاسود أبخر فستر سليمان أنفه بكمه فعبر أبو الاسود وهو يقول لا يصلح للخلافة من لا يقدر على مناجاة الشيوخ البخر وقيل طول انطباق الفم يورث البخر وكل رطب الفم سائل اللعاب سالم منه وقيل ان الزنج أطيب الناس أفواها والسباع موصوفة بالبخر والمثل مضروب بالاسد والصقر فى البخر والكلب من بينهما طيب الفم وليس فى البهائم أطيب أفواها من الظباء (وحكى) ان أبخر تزوج بامرأة فلما ضاجعها عافته وتولت عنه بوجهها ثم أنشدت تقول

يا حب والرحمن ان فاكا * اهلكنى فولنى قفاكا
اذا غدوت فاتخذ سواكا * من عرفطان لم تجد اراكا
لا تقربنى بالذى سواكا * انى أراك ماضغا خراكا

وفى ديوان المنثور كم من ذى عرج فى درج المعالى عرج وكم من صحيح قدم ليس له فى الخير قدم وقيل ان من الصم من يسمع السر فاذا رفعت اليه الصوت لم يسمعه ورأيت من العمش من لا ينظر صورة الانسان من قريب ولكن يقرأ الخط الرقيق الحواشى وقيل ان طريفا الشاعر مدح عمرو بن هداب وكان ابرص فلما انتهى الى قوله ابرص فياض اليدين مهذب صاح به الناس وقالوا اقطع الله لسانك فقال عمرو مه ان البرص مما تتفاخر به العرب أما سمعتم قول سهل حيث قال

أيشتمنى زيد بان كنت ابرصا * وكل كريم لا أبا لك ابرص

وقال

كفى حزنا انى أعاشر معشرا * يخوضون فى بعض الحديث وأمسك
وما ذاك من عى ولا من جهالة * ولكنه ما فى للصوت مسلك
فان سد منى السمع فالله قادر * على فتحه والله للعبد أملك

ومما جاء في العمى روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال من عدم احدى كريمتيه ضمنت له على الله الجنة وكان أبو عبد الرحمن بن حرث بن هشام يطعم الطعام وكان أعور فجعل أعرابي يطيل النظر اليه حابسا نفسه عن طعامه فكلمه المغيرة في ذلك فقال له والله اني ليعجبني طعامك وتريبني عينك قال فما يريبك من عيني قال أعور واراك تطعم الطعام وهذه صفة الدجال فقيل له ان عينه أصيبت في فتح الروم فقال ان الدجال لا تصاب عينه في سبيل الله وعن أنس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال من قاد أعمى أربعين خطوة لم تمسه النار وقال علي كرم الله وجهه ربما اخطأ البصير قصده وأصاب الاعمى رشده وقال أبو علي البصير

لئن كان يهديني الغلام لوجهتي * ويقتادني في السير اذ أنا راكب
لقد يستضيء القوم بي في وجوههم * ويخبو ضياء العين والقلب ثاقب

وقال

اذا عدمت طلابة العلم مالها * من العلم الا ما تسطر في الكتب
غدوت بتشمير وجد عليهم * ومحبرتي سمعي وهاد فتري قلبي

وقال

ان يأخذ الله من عيني نورهما * ففي لساني وسمعي منهما نور
فهمي ذكي وقلبي غير ذي غفل * وفي فمي صارم كالسيف مشهور

وقال

عزاءك أيها العين السكوب * وحقك انها نوب تنوب
وكنت كريمتي وسراج وجهي * وكانت لي بك الدنيا تطيب
على الدنيا السلام فما لشيخ * ضرير العين في الدنيا نصيب
يموت المرء وهو يعد حيا * ويخلف ظنه الامد الكذوب
اذا ماما مات بعضك فابك بعضا * فان البعض من بعض قريب

(وحكى) ان ربيعة رمدت عينه فارسل الى امرأة كان يحبها ثم أنشد يقول

عينا ربيعة رمدا وان فاحتسبي * بنظرة منك تشفيه من الرمد
ان تكتحل بك عيناه فلا رمد * على ربيعة يخشى آخر الامد

وعن عبد الرحمن بن قيس عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال داء الانبياء الفالج واللقوة قال الجاحظ ومن المفاليج سيدنا ادريس عليه السلام وأكثر ما يعتري المتوسطين من الناس لان الشاب كثير الحرارة والشيخ كثير اليبس وقيل ان أبان بن عثمان كان افلج حتى صار مثلا فكانت الناس تقول لا رماك الله بفالج ابن عثمان وكان معاوية الوقص وعبد الملك بن مروان ابخر وحسان اعمى وابن سيرين اصم وممن فلج ابن أبي داود قاضي قضاة المعتصم كان من الشرف والكرم بمنزلة عظيمة قد ضرب المثل بفالجه قال الشاعر في رجل ضرب غلامه

أتضرب مثله بالسوط عشرا * ضربت بفالج ابن أبي داود

وشجة عبد الحميد كانت مثلا فى الحسن وهو عبد الحميد بن عبد الله بن عمر بن الخطاب رضى عنهم وكان بارعا فى الحسن والجمال فزادته حسنا الى حسنه حتى ان النساء كن يخططن فى وجوههم شجة عبد الحميد وكان يقال لعمر بن عبد العزيز أشج بنى أمية وكان عمر بن الخطاب رضى الله عنه يقول ان من ولدى رجلا بوجهه أثر فى جبهته قال أصبغ الله اكبر هذا اشج بنى أمية يملأ الارض عدلا وقال أعور لابى الاسود ما الشئ ونصف الشئ ولا شئ فقال اما الشئ فالبصير كانا واما لا شئ فالاعمى واما نصف الشئ فانت يا أعور اللهم اكفنا شر العاهات برحمتك ومنك وكرمك آمين

(الفصل الثالث من هذا الباب) فى التداوى من الامراض والطب قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تداووا فان الذى أنزل الداء أنزل الدواء وقال صلى الله عليه وسلم ما أنزل الله داء الا وله دواء عرفه من عرفه وجهله من جهله وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الدواء والرقى هل يرد ان شيأ من قضاء الله تعالى قال هما من قدر الله تعالى وقال عبد الله بن عكرمة عجبت لمن يحتمى من الطعام خوف الداء ولا يحتمى من الذنوب خوف النار وقيل ان الربيع بن خيثم لما مرض قالوا له الا ندعو لك طبيبا فقال لهم ان مرضى من الطبيب وانه متى اراد عافانى ولا حاجة لى بطبيبكم وانشد

فاصبحت لا ادعو طبيبا لطبه * ولكننى أدعوك يا منزل القطر

وعاد الفرزدق مريضا فقال

يا طالب الطب من داء تخوفه * ان الطبيب الذى ابلاك بالداء
فهو الطبيب الذى يرجى لعافية * لا من يذيب لك الترياق بالماء

قال ولما مرض بشر الحافى رحمه الله تعالى قالوا ندعو لك طبيبا فقال انى بعين الطبيب يفعل بى ما يريد فالح عليه اهله وقالوا لابد أن ندفع ماءك الى الطبيب فقال لاخته ادفعى اليهم الماء فى قارورة وكان بالقرب منهم رجل ذمى وكان حاذقا فى الطب فأتوه بمائه فى القارورة فلما رآه قال حركوه فحركوه ثم قال ضعوه ثم قال ارفعوه فقالوا له ما بهذا وصفت لنا قال وبم وصفت لكم قالوا بالحذق والمعرفة قال هو كما تقولون غيران هذا الماء ان كان ماء نصرانى فهو راهب قد فتتت كبده العبادة وان كان مسلما فهو ماء بشر الحافى فانه اوحد أهل زمانه فى السلوك مع الله تعالى فقالوا هو ماء بشر الحافى فأسلم النصرانى وقطع زناره فلما رجعوا الى بشر قال لهم اسلم الطبيب قالوا ومن اعلمك قال لما خرجتم من عندى هتف بى هاتف وقال يا بشر ببركة مائك اسلم الطبيب وصار من أهل الجنة وفلج الربيع بن خيثم فقيل له هلا تداويت فقال قد عرفت أن الدواء حق ولكن عاد وثمود وقرون بين ذلك كثيرا كانت فيهم الاوجاع كثيرة والاطباء اكثر فلم يبق المداوى ولا المداوى وقد أبادهم الموت ثم قال هذا المفرد

هلك المداوى والمداوى والذى * جلب الدواء وباعه والمشترى

وقيل لجالينوس حين نهكته العلة أما تتعالج فقال اذا كان الداء من السماء بطل الدواء من الارض واذا نزل قضاء الرب بطل حذر المربوب ومر قوم بماء من مياه العرب فوصف لهم

ثلاث بنات متطببات وهن من أجمل الناس فاحبوا أن يروهن فحكوا ساق أحدهم حتى أدموها ثم قصدوهن فقالوا هذا جريح مريض فهل من طبيب فخرجت صغراهن وهي كأنها الشمس الطالعة فلما رأت جرحه قالت ليس هو بمريض بل خدشه عود بالت عليه حية فاذا اطلعت الشمس مات فكان الامر كما قالت وقيل دواء كل مريض بعقاقير أرضه فان الطبيعة تتطلع لهوائها وقالوا من قدم الى أرض غير أرضه وأخذ من ترابها وجعله في مائها وشربه لم يمرض فيها وعوفي من وبائها واحتمى أحمد بن المعدل لعلة أصابته فبرئ فقال الحمية طالع الصحة لأهل الدنيا تبرئهم من المرض ولاهل الآخرة تبرئهم من النار وقيل ان الابدان المعتادة بالحمية آفتها التخليط والمعتادة بالتخليط آفتها الحمية لان الحكماء تقول عوّدوا كل جسد بما اعتاد وكان كسرى أنوشروان يمسك عما تميل اليه شهوته ولا ينهمك عليه ويقول تركنا ما نحبه لنستغني عن العلاج بما نكرهه وقال لقمان لا تطيلوا الجلوس على الخلاء فانه يورث الباسور وكانت هذه الحكمة مكتوبة على أبواب الحشوش أي الكنف وقيل كفى بالمرء عارا ان يكون صريع ماكله وقتيل انامله

فكم اكلة اكلت نفس حر * وكم اكلة جلبت كل ضر

وقيل من غرس الطعام اثمره الاسقام وعن بعض أهل البيت النبوي عليهم السلام انه كان اذا أصابته علة جمع بين ماء زمزم والعسل واستوهب من مهر أهله شيأ وكان يقول قال الله تعالى وأنزلنا من السماء ماء مباركا وقال تعالى فيه شفاء للناس وقال عليه الصلاة والسلام ماء زمزم لما شرب له وقال تعالى فان طبن لكم عن شئ منه نفسا فكلوه هنيئا مريئا فمن جمع بين ما بورك فيه وبين ما فيه شفاء وبين الهنى المرى يوشك أن يلقى العافية وقيل خمسة من المهلكات دخول الحمام على الشبع والمجامعة على الشبع واكل القديد وشرب الماء البارد على الريق ومجامعة المرأة العجوز وقالوا لا تنكح العجوز ولا تخرج الدم وأنت مستغن عن اخراجه وقال الامام على رضي الله عنه

توقى مدى الايام ادخال مطعم * على مطعم من قبل هضم المطاعم

وكل طعام يعجز السن مضغه * فلا تقربنه فهو شر لطاعم

ووفر على الجسم الدماء فانها * لقوة جسم المرء خير الدعائم

واياك أن تنكح طواعن سنهم * فان لها سما كسم الاراقم

وفي كل أسبوع عليك بقيئة * تكن آمنا من شر كل الملاغم

ومما يورث الهزال النوم على غير وطاء وكثرة الكلام برفع الصوت وقال النظام رحمه الله تعالى ثلاثة تخرب العقل طول النظر في المرآة وكثرة الضحك والنظر الى النجوم وفي الحديث احتجم رسول الله صلى الله عليه وسلم في أم مغيث وهي وسط الرأس وكان صلى الله عليه وسلم يحتجم في الاخدعين ونهى عن الحجامة في نقرة القفا فانها تورث النسيان وأمر بالاستنجاء بالماء البارد فانه أمان من الباسور وخطب المأمون بمسجد مروان فوجد غالب أهل المسجد يشكون من السعال فقال في آخر خطبته من كان يشكو سعالا فليتداو بالخل ففعلوا فعافاهم الله وقال بعض الحكماء اياك أن تطيل النظر في عين أرمد واياك أن تسجد على

حصير جديدة قبل أن تمسها يدك فرب شظية حقيرة قلعت عينا خطيرة وقيل كانت الادوية تنبت في محراب سليمان عليه السلام ويقول كل دواء يانبي الله أنا دواء لكذا وكذا وقال جالينوس البطنة تقتل الرجال وتورث الفالج والاسهال الذريع والاقعاد وصنفا من الجذام يقال له الفهد لا يسمع صاحبه ولا يبصر نسأل الله العفو والعافية وقيل البطنة تورث الصداع والكمنة في العينين والضربان في الاذنين والقولنج في البطن فعليك أيها الانسان بالطريقة الوسطى واتق الليل وطعامه جهدك وقال جالينوس الغم المفرط يميت القلب ويجمد الدم في العروق فيهلك صاحبه والسرور المفرط يلهب حرارة الدم حتى يغلب الحرارة الغريزية فيهلك صاحبه وقيل انه وضع على مائدة المأمون في يوم عيد أكثر من ثلاثين لونا فكان يصف وهو على المائدة منفعة كل لون ومضرته فقال يحيى بن أكثم يا أمير المؤمنين ان خضنا في الطب فأنت جالينوس في معرفته أو في النجوم فأنت هرمس في صناعته أو في الفقه فأنت علي بن أبي طالب رضي الله عنه في علمه أو في السخاء فأنت حاتم في كرمه أو في الحديث فأنت أبو ذر في صدق لهجته أو في الوفاء فأنت السموأل بن عادياء في وفائه فسر بكلامه وقال يا أبا محمد انما فضل الانسان على غيره بالعقل ولولا ذلك كانت الناس والبهائم سواء وقال طبيب الهند ان منفعة الحقنة للجسد كمنفعة الماء للشجر وقال سفيان بن عيينة أجمع أطباء فارس على ان الداء ادخال الطعام على الطعام وقالوا ادخال اللحم على اللحم يقتل السباع في البر وقيل الشرب في آنية الرصاص أمان من القولنج وعرض رجل على طبيب قارورته فقال له ماهي قارورتك لانه ماء ميت وأنت حي تكلمني فما فرغ من كلامه حتى خر الرجل ميتا وقيل ان ملكا من الملوك حصل عنده صداع في رأسه فأحضر الطبيب فأمره ان يضع قدميه في الماء الحار وكان عنده خصي فقال أين القدمان من الرأس فقال له الطبيب وأين وجهك من خصيتيك نزعتا فذهبت لحيتك وقيل ان المأمون حصل له صداع بطرسوس فأحضر طبيبا كان عنده فلم ينفعه علاجه فبلغ قيصر فارسل اليه قلنسوة وكتب له بلغني صداعك فضعها على رأسك يزل مابك فخاف أن تكون مسمومة فوضعها على رأس القاصد فلم يصبه شئ ثم انه أحضر رجلا به صداع فوضعها على رأسه فزال مابه فتعجب المأمون ثم انه فتحها فوجد فيها رقعة مكتوبا فيها بسم الله الرحمن الرحيم كم من نعمة لله تعالى في عرق ساكن وغير ساكن حمعسق لا يصدعون عنها ولا ينزفون من كلام الرحمن خمدت النيران ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم وقال علي رضي الله عنه ادهنوا بالبنفسج فانه حار في الشتاء بارد في الصيف وقال أيضا رضي الله عنه عليكم بالزيت فانه يذهب البلغم ويشد العصب ويحسن الخلق ويطيب النفس ويذهب الغم وعنه رضي الله عنه ان لم يكن في شئ شفاء ففي شرطة حاجم أو شربة من عسل وقال الحجاج لطبيبه أخبرنا بجوامع الطب فقال لا تنكح الا فتاة ولا تأكل من اللحم الا فتيا واذا تغديت فنم واذا تعشيت فامش ولو على الشوك ولا تدخلن بطنك طعاما حتى تستمري مافيه ولا تأوى الى فراشك حتى تدخل الخلاء وكل الفاكهة في اقبالها وذرها في ادبارها وأوصى حكيم خليفته وصية وعده انه اذا لازمها لا يمرض الا مرض الموت فقال اياك أن تدخل طعاما على

طعام ولا تمش حتى تعيا ولا تجامع عجوزا ولا تدخل حماما على شبع واذا جامعت فكن على حال وسط من الغذاء وعليك في كل أسبوع بقيئة ولا تأكل الفاكهة الا في أوان نضجها ولا تأكل القديد من اللحم واذا تغديت فنم واذا تعشيت فامش أربعين خطوة ونم على يسارك لتقع الكبد على المعدة فينهضم ما فيها وتستريح الكبد من حرارة المعدة ولا تنم على يمينك فيبطئ الهضم ولا تأكل بشهوة عينك بعد الشبع ولا تنم ليلا حتى تعرض نفسك على الخلاء ان احتجت الى ذلك أولم تحتج واقعد على الطعام وأنت تشتهيه وقم عنه وأنت تشتهيه قال بعضهم

شره النفوس على الجسوم بلية * فتعوذوا من كل نفس تشره
ما من فتى شرهت له نفس وان * نال الغنى الارأى ما يكره

وقال أبو الفيض القضاعي يمدح الفضل وقد فصد

أرقت دما لو تسكب المزن مثله * لاصبح وجه الارض أخضر زاهيا
دما طيبا لو بطاق الشرع شربه * لكان من الاسقام للناس شافيا

(الفصل الرابع فيما جاء في العيادة وفضلها) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة في ظل العرش عائد المريض ومشيع الموتى وطائع والديه وفي رواية ومعزي الثكلى ومن السنة تخفيف الجلوس في العيادة مرض بكر بن عبد الله المزني فعاده أصحابه فاطالوا الجلوس عنده فقال المريض يعاد والصحيح يزار قال الشاعر

يعدن مريضا هن هيجن داءه * ألا انما بعض العوائد دائيا

وقيل اذا دخل العواد على الملك فحقهم أن لا يسلموا عليه فيحوجوه الى رد السلام و يتعبوه فاذا علموا أنه لاحظهم دعوا له وانصرفوا * قيل مرض انسان فكتب اليه بعض أصدقائه كشف الله عنك ما بك من السقم وطهرك بالعلة من الخطايا ومتعك بانس العافية واعقبك دوام الصحة * ومرض انسان فكتب اليه صديقه

باخوانك الادنين لا بك كل ما * شكوت الى اليوم من الم الورد
فكل امرئ منهم بقدر احتماله * وان عجزوا عنه تحملته وحدي

وقال آخر

بي السوء والمكروه لا بك كلما * أراداك كانا بي وكان لك الاجر

وقال عبد الله بن مصعب

مالي مرضت فلم يعدني عائد * منكم ويمرض كلبكم فاعود

فسمي بعد ذلك عائد الكلاب وعاد مالك بن أنس رضي الله عنه بعض المرضى فقال

عادني مالك فلست أبالي * بعد من عادني ومن لم يعدني

وقال علي بن الجهم

أأرقد الليل مسرورا واعدمت اذا * عيشي وأحمد يرعى ليله وصبا
الله يعلم أني قد نذرت له * صيام شهر اذا ما أحمد ركبا

وقال آخر

اذا مرضتم أتيناكم نعودكم * وتذنبون فنأتيكم ونعتذر

وقال آخر

أعاذك الله من أشياء أربعة * الموت والعشق والافلاس والجرب

وقيل ان حق العيادة يوم بعد يوم او يوم بعد يومين وعلى الاول قول الشاعر

قالت مرضت فعدتها فتبرمت * فهي الصحيحة والعليل العائد
والله لوأن القلوب كقلبها * مارق للولد الصغير الوالد

وعلى الثانى قول بعضهم

حق العيادة يوم بعد يومين * وجلسة مثل خلس اللحظ بالعين
لا تبرمن عليلا فى مساءلة * يكفيك من ذاك تسآل بحرفين

وفضل العيادة مشهور وشرفها مذكور وبها تعظم الاجور وهذا ما انتهى الينا من هذا الباب والله الموفق للصواب

(الباب الحادى والثمانون فى ذكر الموت وما يتصل به من القبر وأحواله)

روى عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا مات لاحدكم ميت فحسنوا كفنه وعجلوا انجاز وصيته وأعمقوا له فى قبره وجنبوه جار السوء قيل يارسول الله وهل ينفع الجار الصالح فى الآخرة قال وهل ينفع فى الدنيا قالوا نعم قال وكذلك فى الآخرة ومن وصية على رضى الله عنه لابى ذر زر القبور تذكر بها الآخرة ولا تزرها بالليل وغسل الموتى يتحرك قلبك وصل على الجنائز لعل ذلك يحزنك فان الحزين فى ظل الله تعالى ويقال جزعك فى مصيبة صديقك أحسن من صبرك وصبرك فى مصيبتك أحسن من جزعك وانظر فيا سوف الى ميت يحمل الى قبره فقال حبيب تحمله أهله الى حدس الابد ودخل عمرو بن العاص رضى الله عنه على معاوية فى مرضة مرضها فقال له أعائد أنت أم شامت فقال له عمرو لم تقول هذا والله ما كلفتنى رهقا ولا أصعدتنى زلقا ولا جرعتنى علقا فلم أستطل حياتك ولم أستبطئ وفاتك فأنشد معاوية يقول

فهل من خالدين اذا هلكنا * وهل فى الموت بين الناس عار

ولما مرض معاوية رضى الله عنه مرضه الذى مات فيه وفد اليه الناس يعودونه فقال لاهله مهدوا لى فراشا وأسندونى وأوسعوا رأسى دهانا ثم اكحلوا عينى بالاثمد ثم ائذنوا للناس يدخلوا ويسلموا على قياما ولا تجلسوا عندى أحدا ففعلوا ذلك فلما خرجوا من عنده أنشد يقول

وتجلدى للشامتين أريهم * انى لريب الدهر لا أتضعضع
واذا المنية أنشبت أظفارها * ألفيت كل تميمة لا تنفع

وقيل لما دنا منه الموت تمثل بهذا البيت

هو الموت لا منجى من الموت والذى * نحاذر بعد الموت أدهى وأفظع

قال ثم رفع يديه وقال اللهم أقل العثرة واعف عن الزلة وعد بحلمك على من لم يرج غيرك ولا يثق الابك فانك واسع المغفرة وليس لذى خطيئة منك مهرب ومات رحمه الله تعالى

وذكر أبو العباس الشيباني قال وفد على ابي دلف عشرة من أولاد على بن أبي طالب رضى الله عنه في العلة التي مات فيها فأقاموا ببابه شهرا لا يؤذن لهم لشدة العلة التي أصيب بها ثم افاق فقال لخادمه بشران قلبي يحدثني ان بالباب قوما لهم الينا حوائج فافتح الباب ولا تمنعن أحدا قال فكان أوّل من دخل آل على رضى الله عنه فسلموا عليه ثم ابتدأ الكلام رجل منهم من ولد جعفر الطيار فقال اصلحك الله انا من أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وفينا من ولده وقد حطمتنا المصائب واجحفت بنا النوائب فان رأيت أن تجبر كسيرا وتغنى فقيرا لا عدمك قطميرا فافعل فقال لخادمه خذ بيدي واجلسني ثم أقبل معتذرا اليهم ودعا بدواة وقرطاس وقال ليكتب كل منكم بيده انه قبض منى ألف دينار قالوا ففعلنا والله متحيرين فلما ان كتبنا الرقاع ووضعناها بين يديه قال لخادمه على بالمال فوزن لكل واحد منا ألف دينار ثم قال لخادمه يا بشر اذا أنا مت فادرج هذه الرقاع في كفني فاذا لقيت محمدا صلى الله عليه وسلم في القيامة كانت حجة لي أني قد أغنيت عشرة من ولده ثم قال يا غلام ادفع لكل واحد منهم ألف درهم ينفقها في طريقه حتى لا ينفق من الالف دينار شيأ حتى يصل الى موضعه قال فاخذناها ودعونا له وانصرفنا ثم مات رحمه الله وقيل لما دفن عمر بن عبد العزيز نزل عند دفنه مطر من السماء فوجدوا بردة مكتوبا فيها بالنور بسم الله الرحمن الرحيم أمان لعمر بن عبد العزيز من النار وقيل لاعرابى انك تموت قال والى أين أذهب قالوا الى الله تعالى فقال لا أكره أن أذهب الى من لا أرى الخير الا منه وبكى الخولاني عند موته فقيل له ما يبكيك قال أبكي لطول السفر وقلة الزاد وقد سلكت عقبة ولا أدرى الى أين اهبط والى أي مكان أسقط ودخل ملك الموت على داود عليه السلام فقال له من أنت قال أنا الذى لا يهاب الملوك ولا تمنع منه القصور ولا يقبل الرشا فقال اذن أنت ملك الموت واني لم استعد بعد فقال له يا داود أين فلان جارك أين فلان قريبك قال مات قال اما كان لك في موت هؤلاء عبرة لتستعد بها ثم قبضه عليه السلام وفي الخبر من حديث حميد الطويل عن أنس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الملائكة تكتنف العبد وتحبسه ولولا ذلك لكان يعدو في الصحراء والبراري من شدة سكرات الموت وقد أجمعت الامة على ان الموت ليس له زمن معلوم فامكن المرء على اهبة من ذلك وقيل بينما حسان جالس وفي حجره صبي يطعمه الزبد بالعسل اذ شرق الصبي فمات فقال

اعمل وأنت صحيح مطلق فرح * مادمت ويحك يا مغرور في مهل

يرجو الحياة صحيح ربما كمنت * له المنية بين الزبد والعسل

وقيل ان المأمون لما قربت وفاته دخل عليه بعض اصدقائه فوجده قد فرش له جلد دابة وبسط عليه الرماد وهو يتمرغ فيه ويقول يا من لا يزول ملكه ارحم من زال ملكه (ولما احتضر عمرو بن العاص) دعا بغل وقيد وقال ألبسوني اياهما فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان التوبة مقبولة مالم يغرغر ابن آدم بنفسه ثم استقبل القبلة وقال اللهم انك أمرتنا فعصينا ونهيتنا فارتكبنا وهذا مقام العائذ بك فان تعف فأنت أهل العفو وان تعاقب فبما قدمت يداى لا اله الا أنت سبحانك اني كنت من الظالمين ثم مات وهو

مغلول مقيد فبلغ ذلك الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما فقال استسلم الشيخ ولعلها تنفعه (ولما احتضر المعتصم) جعلوا يهونون عليه فقال هان على النظارة ماء ر بظهر المجلود وسمع ابو الدرداء رجلا في جنازة يقول من هذا فقال أنت فان كرهت فأنا وقيل مات عكرمة مولى ابن عباس رضي الله عنهما وكثير عزة في يوم واحد فقال رجل اللهم كما جمعتهما في زيارة القبور فلا تفرق بينهما يوم النشور فما بقي في المدينة أحد الا استحسن كلامه (ولما احتضر ابراهيم الخليل) عليه السلام قال هل رأيت خليلا يقبض روح خليله فاوحى الله اليه هل رأيت خليلا يكره لقاء خليله قال فاقبض روحي الساعة وقيل اذا قضى الله لرجل أن يموت بارض جعل له اليها حاجة فيسيره اليها وقال بعضهم

اذا ما حمام المرء كان ببلدة * دعته اليها حاجة فيطير

(حكي) ان شابا تقيا من بني اسرائيل كان يجتمع مع سليمان عليه السلام ويحضر مجالسه فبينما هو عند سليمان في مجلسه اذ دخل ملك الموت عليه فلما رآه الشاب اصفر لونه وارتعدت فرائصه وقال يانبي الله اني خفت من هذا الرجل فمر الريح أن تذهب بي الى الهند فأمر سليمان الريح فذهبت به فما كان الا قليل حتى دخل ملك الموت على سليمان وهو متعجب فقال له سليمان مم تعجب قال العجب اني أمرت بقبض روح الشاب الذي كان عندك بارض الهند ودخلت عليك فوجدته عندك فصرت متحيرا ثم توجهت الى الهند فرأيته هناك وقبضت روحه فهذا عجبي فقال له سليمان انه لما رآك خاف وانزعج وطلب مني ان تحمله الريح الى الهند فامرتها فحملته وفي ذلك المعنى قال محمد بن الحسن

ومتعب الروح مرتاح الى بلد * والموت يطلبه في ذلك البلد

وقيل ان الانسان يحصل له عند الموت قوة حركة نحو ما يحصل للسراج عند انطفائه من حركة سريعة وضياء ساطع وتسميها الاطباء النعشة الاخيرة والله أعلم وقيل ان الرشيد ماتت له جارية وكانت من خواص محاظيه فجزع عليها جزعا شديدا فقال لبعض اصدقائه اما ترى ما ابتليت به مما أحببت أحد الامات فقال يا أمير المؤمنين أحببني فقال ويحك ان الحب ليس هو شيء يصنع انما هو شيء يقع في القلب تسوقه الاسباب فقال قل أنا احبك قال نعم أنا أحبك قال فخرج من وقته ومات وفي الحديث المرفوع كسر عظم الميت ككسره في حياته وقال يزيد بن أسلم لقد كان يمضي في الزمن الاول أربعمائة سنة ما يسمع فيها بجنازة وعن ميمون بن مهران قال شهدت جنازة ابن عباس رضي الله عنه بالطائف فلما وضع ليصلى عليه جاء طائر ابيض حتى وقف على أكفانه ثم دخل فيها فالتمسناه فلم نجده ولما سوينا عليه التراب سمعنا من يسمع صوته ولا يرى شخصه يقول يا أيتها النفس المطمئنة ارجعي الى ربك الآية وقال ابن عباس رضي الله عنهما ان قبر آدم عليه السلام بمسجد الخيف بمنى وقال عطاء بلغني أن قبره تحت المنارة التي وسط الخيف وكان عثمان بن عفان رضي الله عنه اذا وقف على قبر بكى ما لا يبكيه عند ذكر الجنة والنار فقيل له في ذلك فقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول القبر أول منازل الآخرة فان نجا العبد منه فما بعده أيسر منه وعن معاذ بن رفاعة الزرقي قال أخبرني رجل من رجال قومي ان جبريل

عليه السلام أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم في جوف الليل معتجرا بعمامة من استبرق فقال يا محمد من هذا الميت الذى فتحت له أبواب السماء واهتز له العرش فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم يجر ثوبه مبادرا الى سعد بن معاذ رضى الله عنه فوجده قد قبض وقال الحسن رضى الله عنه مامن يوم الا وملك الموت يتصفح وجوه الناس خمس مرات فمن رآه على لهو ولعب أو معصية أو ضاحكا حرك رأسه وقال له مسكين هذا العبد غافل عما يراد به ثم يقول له اعمل ما شئت فان لى فيك غمزة أقطع بها وتينك وقال عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه لرجاء بن حيوة يارجاء اذا وضعت فى لحدى فاكشف الثوب عن وجهى فان رأيت خيرا فاحمد الله وان رأيت غير ذلك فاعلم ان عمر قد هلك قال رجاء فلما دفناه كشفت عن وجهه فرأيت نورا ساطعا فحمدت الله تعالى أن قد صار الى خير وقال أيضا دخلت على عمر ابن عبد العزيز وهو محتضر فقال يارجاء انى أرى وجوها كراما ليست بوجوه انس ولا جان وهو يقلب طرفه يمينا وشمالا ثم رفع يده فقال اللهم أنت ربى أمرتنى فقصرت ونهيتنى فعصيت فان غفرت فقد مننت وان عاقبت فما ظلمت الا انى اشهد أن لا اله الا أنت وحدك لاشريك لك وان محمدا عبدك ورسولك المصطفى ونبيك المرتضى بلغ الرسالة وأدى الامانة ونصح الامة فعليه السلام والرحمة ثم قضى نحبه رحمه الله وعن أسماء بنت عميس قالت كنت عند أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله عنه بعدما ضربه ابن ملجم اذ شهق شهقة بعد أن أغمى عليه ثم أفاق وقال مرحبا الحمد لله الذى صدقنا وعده وأورثنا الارض نتبوأ من الجنة حيث نشاء فقيل له ما ترى قال هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا أخى جعفر وعمى حمزة وأبواب السماء مفتحة والملائكة ينزلون على يبشروننى بالجنة وهذه فاطمة قد أحاط بها وصائفها من الحور العين وهذه منازلى لمثل هذا فليعمل العاملون (ولما احتضر عبد الملك بن مروان) قال لابنه الوليد اذا انامت اياك أن تجلس وتعصر عينك كالمرأة الوكعاء لكن ائتزر وشمر والبس جلد النمر وضعنى فى حفرتى وخلنى وشأنى وعليك شأنك وادع الناس الى بيعتك فمن قال برأسه هكذا فقل له بسيفك هكذا ثم بعث الى محمد وخالد ابنى يزيد بن معاوية فقال هل عندكما ندامة فى بيعة الوليد فقالوا لا نعرف أحدا أحق منه بالخلافة فقال أما انكما لو قلتما غير هذا لضربت الذى فيه أعينكما ثم رفع كار فراشه فاذا تحته سيف مسلول تحت عينه كل هذا وروحه تتردد فى حنجرته وهو يقول الحمد لله الذى لا يبالى أصغيرا أخذ أم كبيرا الا اله الا الله محمد رسول الله ثم بعد ساعة نفدت روحه فدخل عليه الوليد ومعه بناته يبكون فتمثل بقول الشاعر

ومستخبر عنا يريد بنا الردى * ومستخبرات والعيون سواكب

وقال محمد بن هرون

كأنى باخوانى على جنب حفرتى * يهيلون فوقى والعيون دما تجرى
فيا أيها المذرى على دموعه * ستعرض فى يومين عنى وعن ذكرى
عفا الله عنى أنزل القبر ثاويا * أزار فلا أدرى وأجفى فلا أدرى

وكان يزيد الرقاشى يقول من كان الموت موعده والقبر بيته والثرى مسكنه والدود أنيسه

وهو مع هذا ينتظر الفزع الاكبر كيف تكون حالته ثم يبكي حتى يغشى عليه فيجب على العاقل ان يحاسب نفسه بنفسه على ما فرط من عمره ويستعد لعاقبة أمره بصالح العمل ولا يغتر بالامل فان من عاش مات ومن مات فات وكل ما هو آت آت نسأل الله أن يلهمنا رشدنا ويوفقنا الاتباع أوامره واجتناب نواهيه وان يجعل الموت خير غائب ننتظره وان يختم لنا بالخير وان يتغمدنا برحمته انه على ما يشاء قدير وبالاجابة جدير وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

(الباب الثاني والثمانون في الصبر والتأسي والتعازي والمراثي ونحو ذلك وفيه فصول)

(الفصل الاول في الصبر) قال الله تعالى وبشر الصابرين الذين اذا أصابتهم مصيبة قالوا انا لله وانا اليه راجعون وقال صلى الله عليه وسلم ما من مسلم يصاب بمصيبة وان قل عهدها فأحدث استرجاعا الا احدث الله له مثله واعطاه مثل أجره ذلك يوم أصيب بها وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أصبح حزينا أصبح ساخطا على ربه ومن أصبح يشكو مصيبة فكانما يشكو الله ومن تواضع لغني سأله مافي يده أحبط الله ثلثي عمله ومن أعطى القرآن ولم يعمل به وتهاون به حتى دخل النار أبعده الله عن رحمته لانه هو الذي فعل ذلك بنفسه حيث لم يعرف حرمة القرآن * وروى عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من مات له ثلاثة من الولد لم يلج النار الا تحلة القسم يعني قوله تعالى وان منكم الا واردها وعن أم سلمة رضي الله عنها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من أصيب بمصيبة فقال كما أمر الله انا لله وانا اليه راجعون اللهم أوجرني في مصيبتي وأعقبني خيرا منها الا فعل الله به ذلك وروى انه لما مات ابراهيم بن رسول الله صلى الله عليه وسلم ذرفت عيناه فقال له عبد الرحمن بن عوف يا رسول الله الم تنه عن البكاء قال انما نهيت عن الغناء والصوتين الاحمقين والندب ولكن هذه رحمة جعلها الله تعالى في قلوبنا ومن لا يرحم لا يرحم فان القلب يخشع والعين تدمع وانا بك يا ابراهيم لمحزونون ولا نقول الا ما يرضي الله ربنا انا لله وانا اليه راجعون وقال ابن عباس رضي الله عنهما أول شئ كتبه الله في اللوح المحفوظ انني أنا الله لا اله الا أنا محمد عبدي ورسولي من استسلم لقضائي وصبر على بلائي وشكر نعمائي كتبته صديقا وبعثته مع الصديقين ومن لم يستسلم لقضائي ولم يصبر على بلائي ولم يشكر نعمائي فليتخذ ربا سوائي وقال ابن المبارك ان المصيبة واحدة فاذا جزع صاحبها فهما اثنتان لان احداهما المصيبة بعينها والثانية ذهاب أجره وهو أعظم من المصيبة وعن العلاء بن عبد الرحمن ان النبي صلى الله عليه وسلم لما حضرته الوفاة بكت فاطمة فقال لا تبكي يا بنتاه قولي اذا مت انا لله وانا اليه راجعون فان لكل انسان مصيبة معوضة قالت ومنك يا رسول الله قال ومني وعن عطاء بن أبي رباح قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أصابته مصيبة فليذكر مصيبته بي فانها من أعظم المصائب وعن أبي هريرة رضي الله عنه انه قال من أخذت حبيبتاه يعني عينيه فصبر واحتسب ادخله الله الجنة وقيل ان امرأة أيوب عليه السلام قالت له لو دعوت

الله تعالى أن يشغلك فقال لها ويحك كانى النعماء سبعين عاما أفلا نصبر على الضراء مثلها فلم يلبث الا يسيرا أن عوفى وقيل الصبر مفتاح الظفر والتوكل على الله تعالى رسول النجاح وقيل من لم يلق نوائب الدهر بالصبر طال عتبه عليه وقيل ان معاوية رضى الله عنه خرج يوما ومعه عبد العزيز بن زرارة الكلابي وكان ذا منصب وشرف وعقل وأدب فقال له معاوية يا عبد العزيز اتانى نعى سيد شباب العرب فقال له ابنى أو ابنك قال بل ابنك قال للموت تلد الوالدة ومما قيل اصبر لحكم من لا تجد معولا الا عليه ولا مفزعا الا اليه وقال سويد السدوسى

فأوصيكما يا ابنى سدوس كلا كما * بتقوى الذى أعطا كما وبرا كما
بشكر اذا ما أحدث الله نعمة * وصبر لامر الله فيما ابتلا كما

وقال

أيا صاحبى ان رمت ان تكسب العلا * وترقى الى العلياء غير مزاحم
عليك بحسن الصبر فى كل حالة * فما صابر فيما يروم بنادم

وقال آخر

هو الدهر قد جربته وبلوته * فصبرا على مكروهه وتجلدا

وحدث الزبير قال قامت عائشة بعدما دفن ابوها أبو بكر الصديق فقالت نضر الله وجهك وشكر صالح سعيك فقد كنت للدنيا مذلا بادبارك عنها وللآخرة معزا باقبالك عليها ولئن كان رزؤك أعظم المصائب بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأكبر الاحداث بعده فان كتاب الله تعالى قد وعدنا بالثواب على الصبر فى المصيبة وأنا تابعة له فى الصبر فاقول انا لله وانا اليه راجعون ومستعيضة باكثر الاستغفار لك فسلام الله عليك توديع غير قالية لحياتك ولا رازئة على القضاء فيك ولما مات ذر الهمدانى جاء أبوه فوجده ميتا وكان موته فجأة وعياله يبكون عليه فقال مالكم والله ما ظلمناه ولا قهرناه ولا ذهب لنا بحق ولا أصابنا فيه ما أخطا من كان قبلنا فى مثله ولما وضعه فى حفرته قال رحمك الله يا بنى وجعل أجرى فيك لك والله ما بكيت عليك وانما بكيت لك فوالله لقد كنت بى بارا ولى نافعا وكنت لك محبا ومابى اليك من وحشة ومابى الى أحد غير الله من فاقة وما ذهبت لنا بعزة وما أبقيت لنا من ذل ولقد شغلنا الحزن لك عن الحزن عليك ياذر لولا هول المطلع لتمنيت ما صرت اليه فليت شعرى ماذا قلت وماذا قيل لك ثم رفع رأسه الى السماء وقال اللهم انك وعدت الصابرين على المصيبة ثوابك ورحمتك اللهم وقد وهبت ما جعلت لى من الاجر الى ذر صلة منى له فلا تحرمنى ولا تعرفه قبيحا وتجاوز عنه فانك رحيم بى وبه اللهم قد وهبت لك اساءته لى فهب لى اساءته اليك فانك أجود منى وأكرم اللهم انك قد جعلت لك عليه حقا وجعلت لى عليه حقا قرنته بحقك فقلت اشكرلى ولوالديك الى المصير اللهم انى قد غفرت له ما قصر فيه من حقى فاغفر له ما قصر فيه من حقك فانك أولى بالجود والكرم فلما أراد الانصراف قال ياذر قد انصرفنا وتركناك ولو أقمنا عندك ما نفعناك * وفى الحديث اذا مات ولد العبد يقول الله تعالى للملائكة ماذا قال عبدى عند قبض روح ولده وثمرة فؤاده فيقولون الهنا حمدك واسترجع فيقول الله تعالى أشهدكم ياملائكتى انى بنيت له بيتا فى الجنة وسميته

بيت الحمد وعن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما انه دفن ابناله وضحك عند قبره فقيل له أتضحك عند القبر قال أردت أن أرغم أنف الشيطان فينبغى للعبد أن يتفكر فى ثواب المصيبة فتسهل عليه فاذا أحسن الصبر استقبله يوم القيامة ثوابها حتى يود لو أن أولاده وأهله وأقاربه ماتوا قبله لينال ثواب المصيبة وقد وعد الله تعالى فى المصيبة ثوابا عظيما اذا صبر صاحبها واحتسب وقال تعالى ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين وقال تعالى ولنبلونكم بشئ من الخوف والجوع ونقص من الاموال والانفس والثمرات وبشر الصابرين الآية اللهم رضنا بقضائك وصبرنا على بلائك واغفر لنا ولوالدينا ولكل المسلمين يارب العالمين

(الفصل الثانى من هذا الباب فى التعازى والتأسى) روى الترمذى فى كتاب السنن للبيهقى عن عبد الله بن مسعود عن النبى صلى الله عليه وسلم قال من عزى مصابا فله مثل أجره وروينافى كتاب الترمذى أيضا بسند متصل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من عزى ثكلى كسى بردافى الجنة وروينافى سنن ابن ماجه والبيهقى باسناد حسن عن عمرو ابن حزم عن النبى صلى الله عليه وسلم قال مامن مؤمن يعزى أخاه بمصيبته الا كساه الله من حلل الكرامة يوم القيامة واعلم ان التعزية هى التصبير وذكرما يسلى صاحب الميت ويخفف حزنه ويهون مصيبته وهى مستحبة فانها مشتملة على الامر بالمعروف والنهى عن المنكر وهى أيضا داخلة فى قوله تعالى وتعاونوا على البر والتقوى وهى من أحسن مايستدل به فى التعزية وثبت فى الصحيح ان النبى صلى الله عليه وسلم قال والله فى عون العبد مادام العبد فى عون أخيه واعلم ان التعزية مستحبة قبل الدفن وبعده وتكره بعد ثلاثة أيام لان التعزية لتسكين قلب المصاب والغالب سكونه بعد ثلاثة أيام فلا يجدد الحزن هكذا قال الجماهير من أصحاب الشافعى رضى الله عنه وقيل انها لاتفعل بعد ثلاثة أيام الافى صورتين وهما اذا كان المعزى أوصاحب المصيبة غائبا حال الدفن فاتفق رجوعه بعد الثلاثة وأما لفظ التعزية فلا حجر فيه فبأى لفظ عزاه حصلت واستحب أصحاب الشافعى ان يقول فى تعزية المسلم بالمسلم عظم الله أجرك واحسن عزاءك وغفر لميتك وفى المسلم بالكافر أعظم الله أجرك واحسن عزاءك وفى الكافر بالكافر أخلف الله عليك ولانقص لك عدد روى ان النبى صلى الله عليه وسلم فقد بعض أصحابه فسأل عنه فقالوا يارسول الله بنيه الذى رأيته هلك فلقيه النبى صلى الله عليه وسلم فسأل عن بنيه فقال يارسول الله هلك فعزاه فيه ثم قال يافلان أيما كان أحب اليك ان تمتع به عمرك أولا تأتى غدا بابا من أبواب الجنة الا وجدته وقد سبقك اليه فيفتحه لك فقال يارسول الله يسبقه الى باب الجنة أحب الى من التمتع به فى دار الدنيا قال ذلك لك وروى البيهقى باسناده فى مناقب الشافعى رحمهما الله ان الشافعى قد بلغه ان عبد الرحمن بن مهدى مات له ابن فجزع عليه جزعا شديدا فبعث اليه الشافعى رحمه الله يقول ياأخى عز نفسك بما تعزى به غيرك واستقبح من نفسك ما تستقبحه من غيرك واعلم ان أمض المصائب فقد سرور وحرمان اجر فكيف اذا اجتمعامع اكتساب وزر الهمك الله عند المصائب صبرا واجزل لنا ولك بالصبر أجرا

وروى عن ابن المبارك قال مات لى ابن فرثى مجوسى وقال ينبغى للعاقل ان يفعل اليوم ما يفعله الجاهل بعد خمسة أيام فقالوا كتبوها منه وعن معاذ بن جبل انه قال مات لى ابن فكتب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم من محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم الى معاذ ابن جبل سلام عليكم فانى أحمد الله الملك الذى لا اله الا هو أما بعد فعظم الله لك الاجر والهمك الصبر ورزقنا واياك الشكر ثم اعلم أن أنفسنا وأموالنا وأهلنا وأولادنا من مواهب الله تعالى الهنية وعواريه المستودعة يمتعنا بها الى أجل معدود و يقبضها الوقت معلوم ثم فرض الله تعالى علينا الشكر اذا أعطى والصبر اذا ابتلى وكان ابنك من مواهب الله الهنية وعواريه المستودعة متعك الله به فى غبطة وسرور وقبضه باجر كبير ان صبرت واحتسبت فاصبر واحتسب واعلم ان الجزع لا يرد ميتا ولا يطرد حزنا وروى ان ابا بكر رضى الله عنه كان اذا عزى مرزأ قال ليس مع العزاء مصيبة ولا مع الجزع فائدة والموت أشد مما قبله وأهون مما بعده فاذكر مصيبتك برسول الله صلى الله عليه وسلم تهن عليك مصيبتك وعزى الامام الشافعى رضى الله عنه صديقا له فقال

انا نعزيك لا انا على ثقة * من الحياة ولكن سنة الدين
فما المعزى بباق بعد ميته * ولا المعزى ولو عاشا الى حين

وكتب بعضهم الى أخ له يعزيه أنت يا أخى أعزك الله عالم بالدنيا وما خلقت له من الفناء وانها لم تعط الا أخذت ولم تسر الا أحزنت وان الموت سبيل محتوم على الاولين والآخرين لا دافع عنه ولا مؤخر لما قضى الله عز وجل منه وانا لله وانا اليه راجعون وعزى رجل بعض الخلفاء بابن له فكتب اليه يقول

تعز أمير المؤمنين فانه * لما قد ترى يغدو الصغير ويولد
هل الابن الا من سلالة آدم * لكل على حوض المنية مورد

وكتب بعضهم الى صديق له وقد ماتت ابنته فقال

الموت أخفى سوأة للبنات * ودفنها يروى من المكرمات
أما رأيت الله سبحانه * قد وضع النعش بجنب البنات

وكتب بعضهم الى صديق له يعزيه بأخيه و يسليه ما تصنع يا أخى والقضاء نازل والموت حكم شامل وان لم تلذ بالصبر فقد اعترضت على مالك الامر وأنت تعلم ان نوائب الدهر لا تدفع الا بعزائم الصبر فاجعل بين هذه اللوعة الغالبة والدمعة الساكبة حاجبا من فضلك وحاجزا من عقلك ودافعا من دينك ومانعا من يقينك فان المحن اذا لم تعالج بالصبر كانت كالمنح اذا لم تقابل بالشكر فصبرا صبرا ففحول الرجال لا تستفزها الايام بخطوبها كما ان متون الجبال لا تهزها العواصف بهبوبها فعزيز على ان أخاطب مولاى معزيا وأكاتبه مسليا عن كبير أو صغير مما يتعلق بخدمته أو ينتمى الى جلالته فكيف بالصنو الاكرم والذخر الاعظم والركن الاشد والسهم الاسد والشهاب الاسطع والحسام الاقطع لكن التعزية سير سائرة وسنة ماضية غابرة وقدر الله هو المقدر وأجل الله اذا جاء لا يؤخر ولولا أن الذكرى تنفع والتعزية يستوى فيها الاشرف والاوضع لاجللت مولاى أن أفاتحه معزيا

وأخاطبه مسليا ولكن بحمد الله العالم لا بعلم والسابق لا بتقدم فمولاي يقتدي في الصبر على النوائب وبنوره يهتدي في مشكلات المذاهب وكل ما كان من الرزء أوجع كان الاجر عليه أوسع جعل الله مولاي من الصابرين على المصيبة وأعظم أجره وجعل الجنة نصيبه وعزى رجل فتى عن أبيه فلم يجده كما أحب فقال يا بني سوء الخلف أضر علينا من فقد السلف ومات لبعض ملوك كندة ابنة فوضع بين يديه بدرة من المال وقال من بالغ في تعزيته فهي له فدخل عليه اعرابي وقال عظم الله أجر الملك كفيت المؤنة وسترت العورة ونعم الصهر القبر فقال قد أبلغت وأوجزت ثم دفعها اليه * وعزت أعرابية قوما فقالت جافى الله عن ميتكم الثرى وأعانه على طول البلى وآجركم ورحمه * وكان لعلي بن الحسين جليس مات له ابن فجزع عليه جزعا شديدا فعزاه علي بن الحسين رحمه الله ووعظه فقال يا ابن رسول الله ان ابني كان مسرفا على نفسه فقال لا تجزع فان من ورائه ثلاث خلال أولهن شهادة ان لا اله الا الله وان سيدنا محمدا رسول الله والثانية شفاعة جدي صلى الله عليه وسلم والثالثة رحمة الله التي وسعت كل شيء فاين يخرج ابنك عن واحدة من هذه الخلال * وقال سليمان بن عبد الملك عند موت ابنه لعمر بن عبد العزيز ورجاء بن حيوة ان في كبدي جمرة لا يطفئها الا عبرة فقال عمر اذكر الله يا أمير المؤمنين وعليك بالصبر فنظر الى رجاء كالمستريح بمشورته فقال رجاء أفضها يا أمير المؤمنين فما بذلك من باس لقد دمعت عينا رسول الله صلى الله عليه وسلم على ابنه ابراهيم وقال ان العين لتدمع وان القلب ليخشع ولا نقول ما يسخط الرب وانا بك يا ابراهيم لمحزونون فارسل سليمان عينيه حتى قضى أربه ثم أقبل عليهم وقال لولا نزفت هذه العبرة لانصدع كبدي ثم انه لم يبك بعدها * وكتب الاسكندر الى أمه قبل وفاته بقليل اذا وصل اليك كتابي هذا فاجمعي أهل بلدك وأعدي لهم طعاما وكلي بالابواب من يمنع من اصابته مصيبة في أم أو أب أو أخ أو أخت أو ولد ففعلت فلم يدخل اليها احد فعلمت ان الاسكندر عزاها في نفسه ولما قتل الفضل بن سهل دخل المأمون على أمه يعزيها فيه فقال لها يا أماه لا تحزني على الفضل فأنا خلف منه فقالت كيف لا أحزن على ولد عوضني عنه خليفة مثلك فعجب المأمون من جوابها وكان يقول ما سمعت قط احسن منه ولا أجلب للقلوب فقال لها عليك بالصبر فان فيه مزيد الاجر * وممن جزع على ولده جعفر بن علبة لما قتله الحرث قام نساء الحي يبكون عليه وقام أبوه الى ولد كل شاة وناقة فذبحه وألقاها بين أيديها وقال لها ابكين معي على جعفر فما زالت النوق ترغو والشياه تيعر والنساء يصرخن ويبكين وهو يبكي معهن فلم ير مأتم كان أوجع منه * وقال يحيى بن خالد التعزية بعد ثلاثة أيام تجديد الحزن والتهنئة بعد سنة تجديد الفرح * (ومما قيل في التأسي والتسلي بالخلف عن السلف) * قيل عزى بعض الشعراء يزيد بن معاوية في والده فقال

اصبر يزيد فقد فارقت ذا ثقة * واشكر الهك من بالملك حاباك
لا رزء اصبح في الايام نعرفه * كما رزئت ولا عقبى كعقباكا

وقال آخر

لا بدّ من فقد ومن فاقد * هيهات ما في الناس من خالد

وقال آخر

تصبر فلو أن البكا رد هالكا * على أحد فاكثر بكاك على عمر

وكتب بعضهم الى أولاد صديقه يعزيهم ويسليهم في والدهم فقال

فلو كان فيض الدمع ينفع باكيا * لعلمت غرب الدمع كيف يسيل
فان غاب بدر فالنجوم طوالع * ثوابت لا يقضى لهن أفول
يغاث بها في ظلمة الليل حائر * ويسرى عليها بالرفاق دليل

ودخل عبد الملك بن صالح على الرشيد وقد مات له ولد وولد له في تلك الليلة ولد فقال سرك الله يا أمير المؤمنين فيما ساءك ولا ساءك فيما سرك وجمع لك بين أجر الصابر وثواب الشاكر وقال بعضهم

أليس لهذا صار آخر أمرنا * فلا كانت الدنيا القليل سرورها
فلا تجزعي يا نفس مما ترينه * فكل أمور الناس هذا مصيرها

وسئل الاصمعي عن قول الخنساء في نعيها صخرا حين مات ونعته فقالت

يذكرني طلوع الشمس صخرا * وأندبه لكل غروب شمس

فقالوا له لماذا انها خصت الشمس والقمر دون القمر والكواكب فقال لكونه كان يركب عند طلوع الشمس يشن الغارات وعند غروبها يجلس مع الضيفان فذكرته بهذا مدحا لانه كان يغير على اعدائه ويتقيد بضيفه وقد رثته بعد البيت الاول بابيات منها

ألا يا نفس لا تنسيه حتى * أفارق عيشتي وازور رمسي
ولولا كثرة الباكين حولي * على أمواتهم لقتلت نفسي
وما يبكون مثل أخي ولكن * أسلي النفس عنه بالتأسي

وقال آخر

ولولا الاسى ما عشت في الناس ساعة * ولكن اذا ناديت جاوبني مثلي

وقال آخر

وهوّن وجدي عن خليلي انني * اذا شئت لاقيت الذي أنا صاحبه

وقال

ومما يؤديني الى الصبر والعزا * تردد فكري في عموم المصائب

(الفصل الثالث في المراثي) لما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم رثاه جماعة من أصحابه وآله بمراث كثيرة منها ما روي عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه فانه كان أقرب الناس اليه وهو أول من رثاه فقال

لما رأيت نبينا متجندلا * ضاقت علي بعرضهن الدور
فارتاع قلبي عند ذاك لموته * والعظم مني ما حييت كسير
أعتيق ويحك ان خلك قد ثوى * والصبر عندك ما بقيت يسير
يا ليتني من قبل مهلك صاحبي * غيبت في لحد عليه صخور

فلمحدثن بدائع من بعده * تعيابهن جوانح وصدور

وقال

فقدت أرضنا هناك نديا * كان يغدو به النبات زكيا
خلقا عاليا ودينا كريما * وصراطا يهدي الانام سويا
وسراجا يجلو الظلام منيرا * ونديا مؤيدا عربيا
حازما عازما حليما كريما * عائذا بالنوال برا تقيا
ان يوما أتى عليك ليوم * كورت شمسه وكان خليا
فعليك السلام مناجيعا * دائم الدهر بكرة وعشيا

ورثاه أبو سفيان بن الحرث فقال

أرقت فبات ليلي لا يزول * وليل أخي المصيبة فيه طول
واسعدني البكاء وذاك فيما * أصيب المسلمون به قليل
لقد عظمت مصيبتنا وجلت * عشية قيل قد قبض الرسول
واضحت أرضنا مما عراها * تكاد بنا جوانبها تميل
فقدنا الوحي والتنزيل فينا * يروح به ويغدو جبرئيل
وذاك أحق ماسالت عليه * نفوس الناس أو كادت تسيل
نبي كان يجلو الشك عنا * بما يوحى اليه وما يقول
ويهدينا فلا نخشى ملاما * علينا والرسول لنا دليل
أفاطم ان جزعت فذاك عذر * وان لم تجزعي فهو السبيل
فقبر أبيك سيد كل قبر * وفيه سيد الناس الرسول

ولما مات أبو بكر الصديق رضي الله عنه رثاه عمر بن الخطاب رضي الله عنه بهذه الابيات حين رجع من دفنه فقال

ذهب الذين أحبهم * فعليك يا دنيا السلام
لا تذكرين العيش لي * فالعيش بعدهم حرام
اني رضيع وصالهم * والطفل يؤلمه الفطام

ورثى بعضهم محمد بن يحيى بعد موته فقال

سألت الندى والجود مالي أراكما * تبدلتما عزا بذل مؤبد
وما بال ركن المجد أمسى مهدما * فقالا أصبنا بابن يحيى محمد
فقلت فهلا متما بعد موته * وقد كنتما عبديه في كل مشهد
فقالا أقمنا كي نعزى بفقده * مسافة يوم ثم نتلوه في غد

وقال آخر

ولا ارتجي في الموت بعدك طائلا * ولا أتقي للدهر بعدك من خطب

وفي المعنى لبعضهم

لقد أمنت نفسي المصائب بعده * فاصبحت منها آمنا ان أروعا

فما اتقى للدهر بعدك نكبة * ولا ارتجى للعيش بعدك مرتعا

ورثى أشجع السلمى عبد الله بن سعيد فقال

مضى ابن سعيد حيث لم يبق مشرق * ولا مغرب الا له فيه مادح
وما كنت أدرى مافواضل كفه * على الناس حتى غيبته الصفائح
وأصبح فى لحد من الارض ميتا * وكان به حيا تضيق الصحاصح
سابكيك مافاضت دموعى فان تفض * فحسبك منى ما تكن الجوانح
وما أنا من رزء وان جل جازع * ولا بسرور بعد فقدك فارح
لئن حسنت فيك المراثى بذكرها * فقد حسنت من قبل فيك المدائح

وقال آخر

الى الله أشكو لا الى الناس اننى * أرى الارض تبقى والاخلاء تذهب
أخلاى لو غير الحمام أصابكم * عتبت ولكن ما على الدهر معتب

وقال العباس بن الاحنف

اذا مادعوت الصبر بعدك والبكا * أجاب البكا طوعا ولم يجب الصبر
فان ينقطع منك الرجاء فانه * سيبقى عليك الحزن ما بقى الدهر

وقال آخر يرثى صديقه

خليلى ما أزداد الا صبابة * اليك وما تزداد الا تنائيا
خليلى لو نفس فدت نفس ميت * فديتك مسرورا بنفسى وماليا
وقد كنت أرجو أن تعيش وان أمت * فحال قضاء الله دون رجائيا
ألا فليمت من شاء بعدك انما * عليك من الاقدار كان حذاريا

أخذها بعضهم فقال

كنت السواد لمقلتى * يبكى عليك الناظر
من شاء بعدك فليمت * فعليك كنت أحاذر

وقال آخر يرثى بعض أولاده

وقاسمنى دهرى بنى مشاطرا * فلما تقضى شطره عاد فى شطرى
ألا ليت أمى لم تلدنى وليتنى * سبقتك اذ كنا الى غاية نجرى
وقد كنت ذاناب وظفر على العدا * فأصبحت لا يخشون نابى ولا ظفرى

وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه للخنساء أخبرينى بافضل بيت قلته فى أخيك فقالت

وكنت أعير الدمع قبلك من بكى * فأنت على من مات بعدك شاغله

لابى المحاسن الشواء فى صديق له مات وسقط الثلج عقيب موته

لم انسه وبنو الملوك امامه * يدمون للاسف الاكف عضاضا
والثلج قد غطى الربا فكانها * من حزنها لبست عليه بياضا

وقال آخر

وليس صرير النعش ما تسمعونه * ولكنه أصلاب قوم تقصفوا

وليس نسيم المسك رياحنوطه * ولكنه ذاك الثناء المخلف

وقال مقاتل بن عطية يرثي الوزير نظام الملك

كان الوزير نظام الملك لؤلؤة * يتيمة صاغها الرحمن من شرف
عزت ولم تعرف الايام قيمتها * فردها عندما عزت الى الصدف

وقال آخر

وقبرت وجهك وانصرفت مودعا * بابى وامى وجهك المقبور
وارى ديارك بعد وجهك قفرة * والقبر منك مشيد معمور
فالناس كلهم لفقدك واحد * في كل بيت رنة وزفير
عجبا لاربع اذرع في خمسة * في جوفها جبل اشم كبير

وكان رجل توفي ولده في يوم عيد فقال

لبس الرجال جديدهم في عيدهم * ولبست حزن أبي الحسين جديدا
أسرتني عيد ولم أر وجهه * فيه ألا بعدا لذلك عيدا
فارقته وبقيت أخلد بعده * لا كان ذاك بقا ولا تخليدا
من لم يمت جزعا لفقد حبيبه * فهو الخؤن مودة وعهودا
مت مع حبيبك ان قدرت ولا تعش * من بعده ذا لوعة مكمودا
ما أم خشف قد ملا أحشاءها * حذرا عليه وجفنها تسهيدا
ان نام لم تهجع وطافت حوله * فبدت مشكلوا بها مرصودا
مني باوجع اذ رأيت نوائحا * لابي الحسين وقد لطمن خدودا
ولقد عدمت أبا الحسين جلادتي * لما رأيت جمالك المفقودا
كنت الجليد على الرزايا كلها * وعلى فراقك لم أجد تجليدا
ولئن بقيت وما هلكت فان لي * أجلا وان لم أحصه معدودا
لا موت لي الا اذا الاجل انقضى * فهناك لا تجاوز المحدودا
حزني عليك بقدر حبك لا أرى * يوما على هذا وذاك مزيدا
ما هدركني بالسنين وانما * أصبحت بعدك بالاسى مهدودا
باليت أني لم أكن لك والدا * وكذاك أنك لم تكن مولودا
فلقد شقيت وربما شقي الفتى * بفراق من يهوى وكان سعيدا
من ذم جفنا باخلا بدموعه * فعليك جفني لم يزل محمودا
فلأنظمن مراثيا مشهورة * تنسي الانام كثيرا ولبيدا
وجميع من نظم القريض مفارق * ولدا له أو صاحبا مفقودا

وقال الفقيه منصور بن اسمعيل المصري

سألت رسوم القبر عمن ثوى به * لأعلم مالاقي فقالت جوانبه
أتسأل عمن عاش بعد وفاته * باحسانه اخوانه وأقاربه

وقال الامام السبكي رحمه الله تعالى يرثي فضل الله العالم

مصاب ليس يشبهه مصاب * لذى الالباب اذ فقد الشهاب
امام قد حوى من كل علم * كنوزا نحوها يسعى الركاب
ليبكي كل ذى علم عليه * فكم علم له ضم التراب
وكم كلام موانع قد أتته * ثناها وهى عاصية صعاب
فسلطان البلاغ بغير شك * شهاب الدين ما فيه ارتياب
سقى الله الكريم ثراه صوبا * له من كل رضوان رضاب

وقال الصدفى

يا غائبا فى الثرى تبلى محاسنه * الله يوليك غفرانا واحسانا
ان كنت جرعت كاس الموت واحدة * فى كل يوم أذوق الموت ألوانا

وقال محمد بن عبد الله العتبى يرثى ابناله

أضحت بخدى للدموع رسوم * أسفا عليك وفى الفؤاد كلوم
والصبر يحمد فى المواطن كلها * الا عليك فانه مذموم

وكتب احمد بن يوسف الى عمر بن سعيد يرثى بنتاله فقال

عجبا للمنون كيف أتتها * وتخطت عبد الحميد أخاكا
شملتنا مصيبتان جميعا * ففقدناهذه ورؤية ذاكا

وله يرثى الامير يلبغا

الا انما الدنيا غرور وباطل * فطوبى لمن كفاه منها تفرغا
وما عجبى الا لمن بات واثقا * بأيام دهر ما وعا حتى يلبغا

وقال آخر

الى الله أشكو أن كل قبيلة * من الناس قد أفنى الحمام خيارها

وقال رجل يرثى صديقاله توفى وكان من الكرماء

ما درى نعشه ولا حاملوه * ما على النعش من عفاف وجود

ولبعض الكتاب فى ابن مقلة

استشعر الكتاب فقدك سالفا * وقضت بصحة ذلك الايام
فلذاك سودت الدواة كآبة * أسفا عليك وشقت الاقلام

وقال الحسن بن مطير الاسدى يرثى معن بن زائدة رحمه الله تعالى

ألما على معن وقولا لقبره * سقتك الغوادى مربعا ثم مربعا
فيا قبر معن كنت أول حفرة * من الارض خطت للسماحة مضجعا
ويا قبر معن كيف واريت جوده * وقد كان منه البر والبحر مترعا
بلى قد وسعت الجود والجود ميت * ولو كان حيا ضقت حتى تصدعا
فتى عاش فى معروفه بعد موته * أناس لهم بالبرقد كان أوسعا
ولما مضى معن مضى الجود كله * وأصبح عرنين المكارم اجدعا

وقال آخر

عجبت لصبري بعده وهو ميت * وقد كنت أبكيه دما وهو غائب

وقال آخر

فديتك لم أصبر ولي فيك حيلة * ولكن دعاني اليأس منك الى الصبر

وقالت ريطة بنت عاصم

وقفت فأبكتني ديار عشيرتي * على رزئهن الباكيات الحواسر

غدوا كسيوف الهند وراد حومة * من الموت أعيا وردهن المصادر

فوارس حاموا عن حريمي وحافظوا * بدار المنايا والقنا متشاجر

ولو ان سلمى نالها مثل رزئنا * لهدت ولكن محمل الرزء عامر

ولما قتل ابراهيم بن عبد الله بن الحسين وحمل رأسه الى المنصور رأنفذها المنصور مع الربيع الى عمه ادريس ومحمد وكانا في حبسه وكان أبوه قائما يصلي فقال له محمد أوجز فأوجز وسلم فلما أتاه وضع الرأس في حجره فقال أهلا وسهلا يا أبا القاسم تالله لقد كنت من الناس الذين قال الله تعالى في حقهم الذين يوفون بعهد الله ولا ينقضون الميثاق ثم قبله بين عينيه وأنشأ يقول

فتى كان يحميه من العار سيفه * ويكفيه سوآت الامور اجتنابها

ثم قال للربيع قل لصاحبك المنصور قد مضى من بؤسنا أيام ومن نعمتك أيام والملتقى غدا بين يدي الله تعالى فكان ذلك فالاعلى المنصور ولم ير بعد ذلك اليوم راحة وقيل لحسان ما بالك لم ترث رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لم أرشيأ الارأيته يقصر عنه والله أعلم بالصواب واليه المرجع والمآب وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

(الباب الثالث والثمانون في ذكر الدنيا وأحوالها وتقلبها بأهلها والزهد فيها)

قال الله تعالى قل متاع الدنيا قليل والآخرة خير لمن اتقى فوصف سبحانه وتعالى جميع الدنيا بانها متاع قليل وأنت أيها الانسان تعلم انك ما أوتيت من القليل الا قليلا ثم ان القليل ان تمتعت به فهو لعب ولهو لقوله تعالى انما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وقال تعالى وان الدار الآخرة لهي الحيوان لو كانوا يعلمون فلا تبع أيها العاقل حياة قليلة تفنى بحياة كثيرة تبقى كما قال ابن عياض لو كانت الدنيا ذهبا يفنى والآخرة خزفا يبقى لوجب علينا ان نختار ما يبقى على ما يفنى ثم تأمل بعقلك هل آتاك الله من الدنيا مثل ما أوتي سليمان عليه السلام حيث ملكه الله تعالى جميع الدنيا من انس وجن وسخر له الريح والطير والوحوش ثم زاده الله تعالى أحسن منها حيث قال هذا عطاؤنا فامنن أو أمسك بغير حساب فوالله ما عدها نعمة مثل ما عددتموها ولا حسبها رفعة مثل ما حسبتموها بل خاف أن يكون استدراجا من حيث لا يعلم فقال هذا من فضل ربي ليبلوني أأشكر أم أكفر وهذا فصل الخطاب لمن تدبر هذا وقد قال لك ولجميع أهل الدنيا فوربك لنسألنهم أجمعين عما كانوا يعملون وقال تعالى وان كان مثقال حبة من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين وروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال لو كانت الدنيا تزن عند الله جناح بعوضة ما سقى كافرا منها شربة ماء وعن

أبى هريرة رضى الله عنه قال قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم الا أريك الدنيا بما فيها قلت بلى يارسول الله فأخذ بيدى وأتى الى واد من أودية المدينة فاذا مزبلة فيها رؤس الناس وعذرات وخرق بالية وعظام البهائم فقال يا أبا هريرة هذه الرؤس كانت تحرص حرصكم وتأمل آمالكم وهى اليوم صارت عظاما بلا جلد ثم هى صائرة عظاما رمما وهذه العذرات الوان أطعمتهم اكتسبوها من حيث اكتسبتموها فى الدنيا فاصبحت والناس يتحامونها وهذه الخرق البالية رياشهم أصبحت والرياح تصفقها وهذه العظام عظام دوابهم التى كانوا ينتجعون عليها أطراف البلاد فمن كان باكيا على الدنيا فليبك قال فما برحنا حتى اشتد بكاؤنا وروى ان عمر بن الخطاب رضى الله عنه دخل على النبى صلى الله عليه وسلم وهو على سرير من الليف وقد اثر الشريط فى جنبه فبكى عمر رضى الله عنه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يبكيك ياعمر فقال تذكرت كسرى وقيصر وما كانا فيه من سعة الدنيا وأنت رسول الله وقد أثر الشريط بجنبيك فقال صلى الله عليه وسلم هؤلاء قوم عجلت لهم طيباتهم فى حياتهم الدنيا ونحن قوم أخرت لنا طيباتنا فى الآخرة وروى عن الضحاك قال لما أهبط الله آدم وحواء الى الارض ووجدا ريح الدنيا وفقدا ريح الجنة غشى عليهما أربعين يوما من نتن الدنيا وعن ابن معاذ قال الحكمة تهوى من السماء الى القلوب فلا تسكن فى قلب فيه أربع خصال ركون الى الدنيا وهم غد وحسد أخ وحب شرف وعن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال لعلى ياعلى أربع خصال من الشقاء جمود العين وقسوة القلب وبعد الامل وحب الدنيا وروى ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال يؤتى بالدنيا يوم القيامة على صورة عجوز شمطاء زرقاء العينين انيابها بادية مشوهة الخلق لا يراها احد الا هرب منها فتشرف على الخلائق أجمعين فيقال لهم اتعرفون هذه فيقولون لا نعوذ بالله من معرفة هذه فيقال هذه الدنيا التى تفاخرتم بها وتقاتلتم عليها وعن الفضيل بن عياض انه قال جعل الخير كله فى بيت واحد وجعل مفتاحه الزهد فى الدنيا وجعل الشر كله فى بيت واحد وجعل مفتاحه حب الدنيا وقيل ان الدنيا مثل ظل الانسان ان طلبته فر وان تركته تبعك وفيه قال بعضهم

انما الرزق الذى تطلبه * يشبه الظل الذى يمشى معك
أنت لا تدركه متبعا * وهو ان وليت عنه تبعك

وقد شبهها بعضهم بخيال الظل فقال

رأيت خيال الظل أعظم عبرة * لمن كان فى علم الحقائق راقى
شخوصا واصواتا يخالف بعضها * لبعض واشكالا بغير وفاق
تجىء وتمضى بابة بعد بابة * وتفنى جميعا والمحرك باقى

وما أحسن ما قال سليمان بن الضحاك

ما انعم الله على عبده * بنعمة أوفى من العافيه
وكل من عوفى فى جسمه * فانه فى عيشة راضيه
والمال حلو حسن جيد * على الفتى لكنه عاريه

ما احسن الدنيا ولكنها * مع حسنها غدارة فانيه

وتوفى رجل من كندة فكتب على قبره هذه الابيات

ياواقفين ألم تكونوا تعلموا * ان الحمام بكم علينا قادم
لو تنزلون بشعبنا لعرفتم * ان المفرط فى التزود نادم
لا تستعزوا بالحياة فانكم * تبنون والموت المفرق هادم
ساوى الردى ما بيننا فى حفرة * حيث المخدم واحد والخادم

وقال آخر

عن قليل اصير كوم تراب * وتقول الرفاق هذا فلان
صار تحت التراب عظما رميما * وجفاه الاصحاب والخلان

وما أحسن ما قال عبد الله بن طاهر

أليس الى ذا صار آخر أمرنا * فلا كانت الدنيا القليل سرورها
فلا تعجبي يا نفس مما تريته * فكل أمور الناس هذا مصيرها

وقال شرف الدين بن أسد

يا من تملك ملكا لا بقاء له * حملت نفسك آثاما واوزارا
هل الحياة بذى الدنيا وان عذبت * الا كطيف خيال فى الكرى زارا

وقال بعضهم

وغاية هذى الدار لذة ساعة * ويعقبها الاحزان والهم والندم
وهاتيك دار الامن والعز والتقى * ورحمة رب الناس والجود والكرم

وقال غيره

حسنت ظنك بالايام اذ حسنت * ولم تخف سوء ما يأتى به القدر
وسالمتك الليالى فاغتررت بها * وعند صفو الليالى يحدث الكدر

وقال آخر

فان كنت لا تدرى متى الموت فاعلمن * بأنك لا تبقى الى آخر الدهر

ابن آدم أين الاولون والآخرون أين نوح شيخ المرسلين أين ادريس رفيع رب العالمين أين ابراهيم خليل الرحمن أين موسى الكليم من بين سائر النبيين أين عيسى روح الله وكلمته رأس الزاهدين وامام السائحين أين محمد خاتم النبيين أين أصحابه الابرار أين الامم الماضية أين الملوك السالفة أين القرون الخالية أين الذين نصبت على مفارقهم التيجان أين الذين قهروا الابطال والشجعان أين الذين دانت لهم المشارق والمغارب أين الذين تمتعوا باللذات والمشارب أين الذين تاهوا على الخلائق كبرا وعتيا أين الذين راحوا فى الحلل بكرة وعشيا أين الذين اغتروا بالاجناد أين أصحاب الوزراء والقواد أين أصحاب السطوة والاعوان أين أصحاب الامرة والسلطان أين أصحاب الاعمال والولايات أين الذين خفقت على رؤسهم الألوية والرايات أين الذين قادوا الجيوش والعساكر أين الذين عمروا القصور والدساكر أين الذين أعطوا النصر فى مواطن

الحروب والمواقف أين الذين أمنوا بسطوتهم كل خائف أين الذين ملؤا ما بين الخافقين فخرا وعزا أين الذين فرشوا القصور حريرا وقزا أين الذين تضعضعت لهم الارض هيبة وعزا هل تحس منهم من أحد أو تسمع لهم ركزا أفناهم الله مفنى الامم وأبادهم مبيد الرمم وأخرجهم من سعة القصور الى ضيق القبور تحت الجنادل والصخور فاصبحوا لا ترى الا مساكنهم لم ينفعهم ما جمعوا ولا أغنى عنهم ما اكتسبوا أسلمهم الاحباء والاولياء وهجرهم الاخوان والاصفياء ونسيهم الاقرباء والبعداء لو نطقوا لانشدوا

مقيم بالحجون رهين رمس * وأهلى راحلون بكل واد
كأنى لم أكن لهم حبيبا * ولا كانوا الاحبة فى السواد
فعوجوا بالسلام فان أبيتم * فأوموا بالسلام على البعاد

وقالوا لا فخر فيما يزول ولا غنى فيما لا يبقى وهل الدنيا الا كما قال بعض الحكماء المتقدمين قدر يغلى وكنيف يملى وفى هذا المعنى قال الشاعر

ولقد سألت الدار عن أخبارهم * فتبسمت عجبا ولم تبدى
حتى مررت على الكنيف فقال لى * أموالهم ونوالهم عندى

ولقد أصاب ابن السماك حيث قال للرشيد لما قال له عظنى وكان بيده شربة ماء فقال له يا أمير المؤمنين لو حبست عنك هذه الشربة أكنت تفديها بملكك قال نعم قال يا أمير المؤمنين لو شربتها وحبست عن الخروج أكنت تفديها بملكك قال نعم فقال له لا خير فى ملك لا يساوى شربة ولا بولة وقال ابن شبرمة اذا كان البدن سقيما لم ينفعه الطعام واذا كان القلب مغرما لم تنفعه الموعظة وروى ان أبا العتاهية مر بدكان وراق واذا بكتاب فيه

لا ترجع الانفس عن غيها * ما لم يكن منها لها زاجر

فقال لمن هذا البيت فقيل لابى نواس قاله للخليفة هرون حين نهاه عن حب الجمال وعشق الملاح فقال وددت أنه لى بنصف شعرى * وممن استبصر من أبناء الملوك فرأى عيب الدنيا وتقضيها وزوالها ابراهيم بن أدهم بن منصور كان من أبناء ملوك خراسان من كورة بلخ لما زهد الدنيا زهد فى ثمانين سريرا قال ابن بشار سألت ابراهيم بن أدهم كيف كان بدء أمرك حتى صرت الى هذا فقال كان أبى من ملوك خراسان وكان قد حبب الىّ الصيد فبينا أنا راكب فرسى وكلبى معى اذ رأيت ثعلبا أو أرنبا فحركت فرسى نحوه فسمعت نداء من ورائى يا ابراهيم ما لهذا خلقت ولا بهذا أمرت فوقفت أنظر يمنة ويسرة فلم أر أحدا فقلت لعن الله الشيطان ثم حركت فرسى فسمعت نداء أعلى من الاول يا ابراهيم ما لهذا خلقت ولا بهذا أمرت فوقفت أنظر يمنة ويسرة فلم أر شيأ فقلت لعن الله الشيطان ثم حركت فرسى فسمعت النداء من قربوس سرجى يا ابراهيم ما لهذا خلقت ولا بهذا أمرت فوقفت وقلت هيهات جاءنى النذير من رب العالمين والله لا عصيت ربى ما عصمنى بعد يومى هذا فتوجهت الى أهلى وخلفت فرسى وجئت الى بعض رعاة أبى فأخذت جبته وكساءه وألقيت اليه ثيابى فلم أزل أرض تقلنى وأرض تضعنى حتى صرت الى العراق فعملت بها أياما فلم يصف لى شئ من الحلال فسألت بعض المشايخ عن الحلال فقال عليك بالشام قال

فانصرفت الى بلد يقال لها المنصورية فعملت بها أياما فلم يصف لى شئ من الحلال فسألت بعض المشايخ فقال ان أردت الحلال فعليك بطرسوس فان المباحات بها والعمل فيها كثير فانصرفت اليها قال فبينما أنا قاعد على باب البحر اذ جاءنى رجل فاكترانى أنظر له بستانا فتوجهت معه فأقمت فى البستان أياما كثيرة فاذا خادم له قد أقبل ومعه أصحاب له ولو علمت ان البستان بخادم مانظرته فقعد فى مجلسه ثم قال ياناطورنا فاجبته قال اذهب فأتنا بأكبر رمان تقدر عليه وأطيبه فأتيته برمان فكسر الخادم واحدة فوجدها حامضة فقال ياناطورنا أنت منذ كذا وكذا فى بستاننا تأكل من فاكهتنا ورماننا ولا تعرف الحلو من الحامض فقلت والله ما أكلت من فاكهتكم شيأ ولا أعرف الحلو من الحامض قال فغمز الخادم أصحابه وقال ألا تعجبون من هذا ثم قال لى لو كنت ابراهيم بن أدهم ما كنت بهذه الصفة قال ثم تحدث الناس بذلك وجاؤا الى البستان فلما رأيت كثرة الناس اختفيت والناس داخلون وأنا هارب منهم وكان يأكل من كسب يده وكان يحصد ويحفظ البساتين ويعمل فى الطين فبينما هو يوما يحرس كرما اذ مر به جندى فقال أعطنا من هذا العنب فقال له ان صاحبه لم يأذن لى فضربه بالسوط فطأطأ رأسه وقال اضرب رأسا طالما عصى الله ياسيدى الجندى فاستحى الرجل وتركه ومضى وروى ان داود عليه السلام بينما هو يسيح فى الجبال اذ مر على غار فيه رجل عظيم الخلقة من بنى آدم ملقى على ظهره وعند رأسه حجر محفور مكتوب فيه أنا دوسيم الملك تملكت ألف عام وفتحت ألف مدينة وهزمت ألف جيش وافتضضت ألف بكر من بنات الملوك ثم صرت الى ماترى التراب فراشى والحجر وسادى فمن رآنى فلا تغره الدنيا كما غرتنى وقال وهب بن منبه خرج عيسى عليه السلام ذات يوم مع أصحابه فلما ارتفع النهار مروا بزرع قد أفرك فقالوا يانبى الله انا جياع فاوحى الله تعالى اليه ان ائذن لهم فى قوتهم فأذن لهم فتفرقوا فى الزرع يفركون ويأكلون فبينما هم كذلك اذ جاء صاحب الزرع يقول زرعى وأرضى ورثتها من أبى وجدى فبإذن من تأكلون ياهؤلاء قال فدعا عيسى ربه أن يبعث جميع من ملكها من لدن آدم الى تلك الساعة فاذا عند كل سنبلة ماشاء الله من رجل وامرأة يقولون أرضنا ورثناها عن آبائنا وأجدادنا ففر الرجل منهم وكان قد بلغه أمر عيسى ولكن لا يعرفه فلما عرفه قال معذرة اليك يانبى الله انى لم أعرفك زرعى ومالى حلال لك فبكى عيسى عليه السلام وقال ويحك هؤلاء كلهم ورثوها وعمروها ثم ارتحلوا عنها وأنت مرتحل عنها ولاحق بهم ليس لك أرض ولا مال ولما مات اسكندر قال ارسطاطاليس أيها الملك لقد حركتنا بسكونك وقال بعض الحكماء من أصحابه لقد كان الملك أمس أنطق منه اليوم وهو اليوم أوعظ منه أمس أخذه أبو العتاهية فقال

كفى حزنا بدفنك ثم انى * نفضت تراب قبرك من يديا
وكانت فى حياتك لى عظات * وأنت اليوم أوعظ منك حيا

وقال عبد الله بن المعتز

نسير الى الآجال فى كل ساعة * فأيامنا تطوى وهن مراحل

ولم أر مثل الموت حتى كأنه * اذا ما تخطته الامانى باطل *
وما أقبح التفريط فى زمن الصبا * فكيف به والشيب فى الرأس شاعل
ترحل من الدنيا بزاد من التقى * فعمرك أيام تعد قلائل *

وقال عبد الله بن المعلم خرجنا من المدينة حجاجا فاذا أنا برجل من بنى هاشم من بنى العباس ابن عبد المطلب قد رفض الدنيا وأقبل على الآخرة فجمعتنى واياه الطريق فانست به وقلت له هل لك ان تعادلنى فان معى فضلا من راحلتى فجزانى خيرا وقال لو اردت هذا لكان سهلا ثم أنس الى فجعل يحدثنى فقال أنا رجل من ولد العباس كنت أسكن البصرة وكنت ذا كبر شديد ونعمة طائلة ومال كثير وبذخ زائد فأمرت يوما خادما لى أن يحشو لى فراشا من حرير ومخدة بورد نثير ففعل فانى لنائم اذا بقمع وردة قد نسيه الخادم فقمت اليه فأوجعته ضربا ثم عدت الى مضجعى بعد اخراج القمع من المخدة فأتانى آت فى منامى فى صورة فظيعة فهزنى وقال أفق من غشيتك وانتبه من رقدتك ثم انشأ يقول

يا خل انك ان توسد لينا * وسدت بعد اليوم صم الجندل
فامهد لنفسك صالحا تسعد به * فلتندمن غدا اذا لم تفعل

فانتبهت مرعوبا وخرجت من ساعتى هاربا الى ربى كما ترانى ثم انشأ يقول

من كان يعلم ان الموت يدركه * والقبر مسكنه والبعث يخرجه
وانه بين جنات مزخرفة * يوم القيامة أو نار ستنضجه
فكل شئ سوى التقوى به سمج * ومن أقام عليه منه اسمجه
ترى الذى اتخذ الدنيا له وطنا * لم يدر ان المنايا سوف تزعجه

قال وهب بن منبه أصعدت على قصر غمدان وهو قصر سيف بن ذى يزن بأرض صنعاء اليمن وكان من الملوك الأجلة مكتوبا بالقلم المسندى فترجم بالعربى فاذا هى أبيات جليلة وموعظة عظيمة جملة وهى هذه الابيات

باتوا على قلل الاجبال تحرسهم * غلب الرجال فلم تنفعهم القلل
واستنزلوا من أعالى عز معقلهم * فاسكنوا حفرة يا بئس ما نزلوا
ناداهم صارخ من بعد ما دفنوا * أين الاسرة والتيجان والحلل
أين الوجوه التى كانت محجبة * وكان من دونها الاستار والكلل
فأفصح القبر عنهم حين ساءلهم * تلك الوجوه عليها الدود يقتتل
قد طالما أكلوا دهرا وما شربوا * فاصبحوا بعد ذاك الاكل قد أكلوا

وروى ان عيسى عليه السلام كان معه صاحب فى بعض سياحاته فأصابهما الجوع وقد انتهيا الى قرية فقال عيسى عليه السلام لصاحبه انطلق فاطلب لنا طعاما من هذه القرية وأعطاه ما يشترى به فذهب الرجل وقام عيسى عليه السلام يصلى فجاء الرجل بثلاثة أرغفة فقعد ينتظر انصراف عيسى من الصلاة فأبطأ عليه فأكل رغيفا وكان عيسى عليه السلام رآه حين جاء ورأى الارغفة ثلاثة فلما انصرف من صلاته لم يجد الا رغيفين فقال له أين الرغيف الثالث فقال الرجل ما كانا الا رغيفين فأكلاهما ثم مرا على وجوههما حتى

آتيا على ظباء ترعى فدعا عيسى عليه السلام واحدا منها فجاءه فذكاه وأكلا منه فقال له
عيسى بالذى أراك هذه الآية من أكل الرغيف الثالث فقال ما كانا الا اثنين ثم مرا على
وجوههما حتى جا آقرية فدعا عيسى ربه أن ينطق له من يخبره عن حال هذه القرية
فأنطق الله له لبنة فسألها عيسى فأخبرته بكل ما أراد وصاحبه يتعجب مما رأى فقال له
عيسى بحق من أراك هذه الآية من صاحب الرغيف الثالث فقال ما كانا الا اثنين فرا
على وجوههما حتى انتهيا الى نهر عجاج فأخذ عيسى صلوات الله عليه بيد الرجل ومشى به
على الماء حتى جاوز النهر فقال الرجل سبحان الله فقال عيسى عليه السلام بالذى أراك
هذه الآية من صاحب الرغيف الثالث فقال ما كانا الا اثنين فرا على وجوههما حتى أتيا
قرية عظيمة خربة واذا قريب منها ثلاث لبنات عظام وقيل ثلاثة أكوام من الرمل فقال
لها كونى ذهبا باذن الله فكانت فلما رآها الرجل قال هذا مال فقال عيسى نعم واحدة لى
وواحدة لك وواحدة لصاحب الرغيف الثالث فقال الرجل أنا صاحب الرغيف الثالث
فقال عيسى عليه السلام هى لك كلها ثم فارقه عيسى وأقام الرجل ليس معه ما يحملها عليه
فربه ثلاثة نفر فقتلوه فقال اثنان منهما للثالث انطلق الى القرية فأتنا بطعام فانطلق فلما
غاب قال أحدهما للآخر اذا جاء قتلناه واقتسمنا المال بيننا فقال الآخر نعم وأما الذى
ذهب ليشترى الطعام فانه أضمر لصاحبيه السوء وقال أجعل لهما فى الطعام سما فاذا
أكلاه ماتا وآخذ المال لنفسى فوضع السم فى الطعام وجاء فقاما اليه فقتلاه وأكلا
الطعام فماتا فمر بهم عيسى عليه السلام وهم مصروعون حولها فقال هكذا الدنيا تفعل
بأهلها وقال الهيثم بن عدى وجد غار فى جبل لبنان زمن الوليد بن عبد الملك وفيه رجل
مسجى على سرير من الذهب وعند رأسه لوح من الذهب أيضا مكتوب فيه بالرومية انا سبا
ابن نواس خدمت عيص بن اسحق بن ابراهيم خليل الرب الاكبر وعشت بعده دهرا طويلا
ورأيت عجبا كثيرا ولم أر فيما رأيت أعجب من غافل عن الموت وهو يرى مصارع آبائه
ويقف على قبور أحبائه ويعلم أنه صائر اليهم ثم لا يتوب وقد علمت ان الاجلاف الجفاة
سينزلوننى عن سريرى ويتولونه وذلك حين يتغير الزمان ويكثر الهذيان ويترأس الصبيان
فمن أدرك هذا الزمان عاش قليلا ومات ذليلا وعن عمرو بن ميمون أنه قال افتتحنا مدينة
فارس فدللنا على مغارة فيها بيت فيه سرير من الذهب عليه رجل عند رأسه لوح مكتوب
فيه أنا بهرام ملك فارس كنت أعتاهم بطشا وأقساهم قلبا وأطولهم أملا وأحرصهم على
الدنيا قد ملكت البلاد وقتلت الملوك وهزمت الجيوش وأذللت الجبابرة وجمعت من
الاموال ما لم يجمعه أحد قبلى ولم أستطع ان افتدى به من الموت اذ نزل بى ويروى فى
الاسرائيليات ان عيسى عليه السلام بينما هو فى سياحته اذ مر بجمجمة نخرة فسأل الله فى ان
تتكلم فأنطقها الله له فقالت يا نبى الله انا بلوان بن حفص ملك اليمن عشت ألف سنة
ورزقت ألف ولد وافتضضت ألف بكر وهزمت ألف جيش وفتحت ألف مدينة فما كان
كل ذلك الا كحلم النائم فمن سمع قصتى فلا يغتر بالدنيا فبكى عيسى عليه السلام بكاء شديدا
حتى غشى عليه ووجد مكتوبا على قصر قد خربت أركانه وبادت أهله وأظلمت نواحيه

هذه الابيات هذى منازل أقوام عهدتهم * يوفون بالعهد مذ كانوا وبالذمم
تبكى عليهم ديار كان يطربها * ترنم المجد بين الجود والكرم
وقال فى المعنى بالله ربك كم قصر مررت به * قد كان أعمر باللذات والطرب
نادى غراب المنايا فى جوانبه * وصاح من بعده بالويل والحرب
وفيه أيها الرافع البناء رويدا * لا يرد المنون عنك البناء
(وحكى) ان رجلين تنازعا فى أرض فأنطق الله تعالى لبنة من جدار تلك الارض فقالت انى كنت ملكا من الملوك ملكت الدنيا ألف سنة ثم صرت رميما ألف سنة ثم أخذنى خزاف وعملنى اناء فاستعملت ألف سنة حتى تكسرت وصرت ترابا فاخذنى طواب وعملنى لبنا وأنا فى هذا الجدار كذا كذا سنة فلم تتنازعان فى هذه الارض وأنتم عنها زائلون والى غيرها منقلبون والله أعلم وروى ان ملكا بنى قصرا وقال انظروا ان كان فيه عيب فأصلحوه فقال رجل أرى فيه عيبين فقالوا له وماهما قال يموت الملك ويخرب القصر قال صدقت ثم أقبل على الله وترك القصر والدنيا وقيل سئل الخضر عليه السلام عن أعجب شئ رآه فى الدنيا مع طول سياحته وقطعه للقفار والفلوات فقال أعجب شئ رأيته انى مررت بمدينة لم أر على وجه الارض أحسن منها فسألت بعض أهلها متى بنيت هذه المدينة فقالوا سبحان الله لم يذكر آباؤنا ولا أجدادنا متى بنيت ومازالت كذلك من عهد الطوفان ثم غبت عنها خمسمائة سنة ومررت بها فاذا هى خاوية على عروشها ولم أر أحدا أسأله واذا رعاة غنم فدنوت منهم فقلت أين المدينة التى ههنا فقالوا سبحان الله لم يذكر آباؤنا ولا اجدادنا انه كان ههنا مدينة ثم غبت خمسمائة سنة ومررت بها واذا موضع تلك المدينة بحر واذا غواصون يخرجون منه شبه الحلية فقلت للغواصين منذ كم هذا البحر ههنا فقالوا سبحان الله لم يذكر آباؤنا ولا أجدادنا الا ان هذا البحر من عهد الطوفان فغبت خمسمائة سنة وجئت فاذا البحر قد غاض ماؤه واذا مكانه غيضة وصيادون يصيدون فيها السمك فى زوارق صغار فقلت لبعضهم أين البحر الذى كان ههنا فقالوا سبحان الله لم يذكر آباؤنا ولا أجدادنا انه كان ههنا بحر فغبت خمسمائة عام ثم جئت الى ذلك فاذا هو مدينة على الحالة الاولى والحصون والقصور والاسواق قائمة فقلت لبعضهم أين الغيضة التى كانت ههنا ومتى بنيت هذه المدينة فقالوا سبحان الله لم يذكر آباؤنا ولا أجدادنا الا أن هذه المدينة على حالها من عهد الطوفان فغبت عنها نحو خمسمائة سنة ثم أتيت اليها فاذا اطلالها سافلها وهى تدخن بدخان شديد فلم أر أحدا أسأله ثم أتيت راعيا فسألته أين المدينة قال سبحان الله لم يذكر آباؤنا ولا أجدادنا الا ان هذا المكان هكذا منذ كان فهذا أعجب شئ رأيته فى سياحتى فسبحان مبيد العباد ومفنى البلاد ووارث الارض ومن عليها وباعث من خلق منها بعد رده اليها

ولبعضهم قف بالديار فهذه آثارهم * تبكى الاحبة حسرة وتشوقا
كم قد وقفت بها أسائل أهلها * عن حالها مترحما او مشفقا
فاجابنى داعى الهوى فى رسمها * فارقت من تهوى وعز الملتقى
ولبعضهم أيها الربع الذى قد دثرا * كان عينا ثم أضحى أثرا

أين سكانك ماذا فعلوا * خبرن عنهم سقيت المطرا
فلقد نادى منادى دارهم * رحلوا واستودعونى عبرا

وقال عيسى عليه السلام أوحى الله الى الدنيا من خدمنى فاخدميه ومن خدمك فاستخدميه يادنيا مرى على أوليائى ولا تحلى لهم فتفتنيهم وقال بعض الحكماء الدنيا كالماء المالح كلما ازداد صاحبها شربا ازداد عطشا وكالكاس من عسل وفى أسفله سم فللذائق منه حلاوة عاجلة وفى أسفله الموت أوكحلم النائم يفرح فى منامه فاذا استيقظ زال فرحه أو كالبرق يضىء قليلا ثم يذهب ولما بنى المأمون قصره الذى ضرب به المثل نام فيه فسمع قائلا يقول

أتبنى بناء الخالدين وانما * بقاؤك فيها ان عقلت قليل
لقد كان فى ظل الاراك كفاية * لمن كل يوم يقتضيه رحيل

قال فلم يلبث بعدها الاقلائل أيام ومات وقال

ومن يأمن الدنيا يكن مثل قابض * على الماء خانته فروج الاصابع

ووجد مكتوبا على قصر باد أهله

هذى منازل أقوام عهدتهم * فى خفض عيش نفيس ماله خطر
صاحت بهم نائبات الدهر فانقلبوا * الى القبور فلا عين ولا أثر

ولو قيل للدنيا صفى نفسك ماعدت ماوصفها به أبو نواس بقوله

وما الناس الاهالك وابن هالك * وذونسب فى الهالكين عريق
اذا امتحن الدنيا لبيب تكشفت * له عن عدو فى ثياب صديق

وروى ان على بن أبى طالب رضى الله عنه لما رجع من صفين ودخل أوائل الكوفة رأى قبرا فقال قبر من هذا فقالوا قبر خباب بن الارت فوقف عليه وقال رحم الله خبابا أسلم راغبا وهاجر طائعا وعاش مجاهدا وابتلى فى جسمه آخرا الاوان الله لا يضيع أجر من أحسن عملا ثم مشى فاذا هو بقبور فجاء حتى وقف عليها وقال السلام عليكم أهل الديار الموحشة والمحال المقفرة أنتم لنا سلف ونحن لكم تبع وبكم عما قليل لاحقون اللهم اغفر لنا ولهم وتجاوز عنا وعنهم طوبى لمن ذكر المعاد وعمل ليوم الحساب وقنع بالكفاف ورضى عن الله تعالى ثم قال يا أهل القبور اما الازواج فقد نكحت واما الديار فقد سكنت واما الاموال فقد قسمت وهذا ما عندنا فما عندكم ثم التفت الى أصحابه وقال اما انهم لو تكلموا لقالوا وجدنا خير الزاد التقوى والله أعلم

(الباب الرابع والثمانون فيما جاء فى فضل الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو آخر الابواب وبه يختم الكتاب ولنذكر أربعين حديثا فى فضل الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم)

(الحديث الاول) عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى على صلت عليه الملائكة ومن صلت عليه الملائكة صلى الله عليه ومن صلى الله عليه لم يبق شئ فى السموات ولا فى الارض الا صلى عليه (الحديث الثانى) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى على صلاة واحدة أمر الله حافظيه ان لا يكتبا عليه ذنبا ثلاثة

أيام (الحديث الثالث) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى على مرة خلق الله من قوله ملكا له جناحان جناح بالمشرق وجناح بالمغرب رأسه وعنقه تحت العرش وهو يقول اللهم صل على عبدك مادام يصلي على نبيك (الحديث الرابع) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى على مرة صلى الله عليه بها عشرا ومن صلى على عشرا صلى الله عليه بها مائة ومن صلى على مائة صلى الله عليه بها ألفا ومن صلى على ألفا لم يعذبه الله بالنار (الحديث الخامس) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى على مرة كتب الله له عشر حسنات ومحا عنه عشر سيآت ورفع له عشر درجات (الحديث السادس) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أتاني جبريل يوما وقال يا محمد جئتك ببشارة لم آت بها أحدا قبلك وهي ان الله تعالى يقول لك من صلى عليك من أمتك ثلاث مرات غفر الله له ان كان قائما قبل ان يقعد وان كان قاعدا غفر له قبل ان يقوم فعند ذلك خر ساجدا لله شاكرا (الحديث السابع) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى على في صباح عشرا محيت عنه ذنوب أربعين سنة (الحديث الثامن) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى على ليلة الجمعة أو يوم الجمعة مائة مرة غفر الله له خطيئة ثمانين سنة (الحديث التاسع) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى على ليلة الجمعة او يوم الجمعة مائة مرة قضى الله له مائة حاجة ووكل الله به ملكا حين يدفن في قبره يبشره كما يدخل أحدكم على أخيه بالهدية (الحديث العاشر) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى على في يوم مائة مرة قضيت له في ذلك اليوم مائة حاجة (الحديث الحادي عشر) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أقربكم مني مجلسا أكثركم على صلاة (الحديث الثاني عشر) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى على ألف مرة بشر بالجنة قبل موته (الحديث الثالث عشر) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم جاءني جبريل عليه السلام وقال لي يا رسول الله لا يصلي عليك أحد الا و يصلي عليه سبعون ألفا من الملائكة (الحديث الرابع عشر) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الدعاء بعد الصلاة على لا يرد (الحديث الخامس عشر) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الصلاة على نور على الصراط وقال عليه الصلاة والسلام لا يلج النار من يصلي على (الحديث السادس عشر) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من جعل عبادته الصلاة على قضى الله له حاجة الدنيا والآخرة (الحديث السابع عشر) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من نسي الصلاة على أخطأ طريق الجنة (الحديث الثامن عشر) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لله ملائكة في الهواء بأيديهم قراطيس من نور لا يكتبون الا الصلاة على وعلى أهل بيتي (الحديث التاسع عشر) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو أن عبدا جاء يوم القيامة بحسنات أهل الدنيا ولم يكن فيها الصلاة على ردت عليه ولم تقبل منه (الحديث العشرون) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أولى الناس بي أكثرهم على صلاة (الحديث الحادي والعشرون) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى على في كتاب لم تزل الملائكة تصلي عليه مالم يندرس اسمي من ذلك الكتاب (الحديث الثاني والعشرون) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لله ملائكة سياحين في الارض يبلغوني الصلاة على

من أمتي فأستغفر لهم (الحديث الثالث والعشرون) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى علي كنت شفيعه يوم القيامة ومن لم يصل علي فانا بريء منه (الحديث الرابع والعشرون) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يؤمر بقوم الى الجنة فيخطؤن الطريق قالوا يا رسول الله ولم ذاك قال سمعوا اسمي ولم يصلوا علي (الحديث الخامس والعشرون) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يؤمر برجل الى النار فاقول ردوه الى الميزان فاضع له شيأ كالانملة معي في ميزانه وهو الصلاة علي فترجح ميزانه وينادي سعد فلان (الحديث السادس والعشرون) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما اجتمع قوم في مجلس ولم يصل علي فيه الا تفرقوا كقوم تفرقوا عن ميت ولم يغسلوه (الحديث السابع والعشرون) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى وكل بقبري ملكا أعطاه أسماء الخلائق كلها فلا يصلي علي أحد الى يوم القيامة الا بلغني اسمه وقال يا رسول الله ان فلان بن فلانة صلى عليك (الحديث الثامن والعشرون) عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه أنه قال الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم أمحى للذنوب من الماء لسواد اللوح (الحديث التاسع والعشرون) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى أوحى الى موسى عليه السلام ان أردت أن اكون اليك أقرب من كلامك الى لسانك ومن روحك لجسدك فأكثر الصلاة على النبي الامي صلى الله عليه وسلم (الحديث الثلاثون) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ملكا أمره الله تعالى باقتلاع مدينة غضب عليها فرحمها ذلك الملك ولم يبادر الى اقتلاعها فغضب الله عليه وكسر أجنحته فربه جبريل عليه السلام فشكا له حاله فسأل الله فيه فامره أن يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم فصلى عليه فغفر الله له ورد عليه أجنحته ببركة الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم (الحديث الحادي والثلاثون) عن عائشة رضي الله عنها قالت من صلى على رسول الله صلى الله عليه وسلم عشر مرات وصلى ركعتين ودعا الله تعالى تقبل صلاته وتقضي حاجته ودعاؤه مقبول غير مردود (الحديث الثاني والثلاثون) عن زيد بن حارثة قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الصلاة عليه فقال صلى الله عليه وسلم صلوا علي واجتهدوا في الدعاء وقولوا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد (الحديث الثالث والثلاثون) عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم صلوا علي فان صلاتكم علي زكاة لكم واسألوا الله لي الوسيلة (الحديث الرابع والثلاثون) عن سهل بن سعد الساعدي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لا صلاة لمن لم يصل على نبيه صلى الله عليه وسلم (الحديث الخامس والثلاثون) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رغم انف رجل ذكرت عنده فلم يصل علي (الحديث السادس والثلاثون) عن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قال جزى الله عنا محمدا خيرا وجزى الله نبينا محمدا بما هو أهله فقد أتعب كاتبه (الحديث السابع والثلاثون) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تجعلوا بيوتكم قبورا وصلوا علي فان صلاتكم تبلغني حيثما كنتم (الحديث الثامن والثلاثون) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من

احد يصلي على الا رد الله على روحى حتى أرد عليه (الحديث التاسع والثلاثون) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أقربكم مني منزلا يوم القيامة أكثركم على صلاة (الحديث الاربعون) نقل الشيخ كمال الدين الدميرى رحمه الله تعالى عن شفاء الصدور لابن سبع ان النبى صلى الله عليه وسلم قال من سره ان يلقى الله وهو عليه راض فليكثر من الصلاة على فانه من صلى على فى كل يوم خمسمائة مرة لم يفتقر ابدا وهدمت ذنوبه ومحيت خطاياه ودام سروره واستجيب دعاؤه وأعطى أمله واعين على عدوه وعلى أسباب الخير وكان ممن يرافق نبيه فى الجنان اللهم صل على سيد المرسلين وخاتم النبيين ورسول رب العالمين الذى أنزل عليه فى محكم الكتاب العزيز تعظيما له وتوقيرا يا أيها النبى انا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا وبشر المؤمنين بان لهم من الله فضلا كبيرا فهذا خطاب خاص الخاص ولم يخاطب الله أحدا من المرسلين ولا من الانبياء بالرسالة ولا بالنبوة الا سيد خلقه محمدا صلى الله عليه وسلم فان الله تعالى نادى أبا البشر يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة ويا نوح اهبط بسلام منا ويا ابراهيم أعرض عن هذا ويا داود انا جعلناك خليفة فى الارض ويا عيسى اذكر نعمتى وقال لمحمد صلى الله عليه وسلم يا أيها الرسول بلغ ما أنزل اليك من ربك يا أيها الرسول لا يحزنك يا أيها النبى حسبك الله يا أيها النبى حرض المؤمنين على القتال يا أيها النبى جاهد الكفار والمنافقين يا أيها النبى اذا طلقتم النساء يا أيها النبى لم تحرم يا أيها النبى اتق الله يا أيها النبى انا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا وما ناداه باسمه يا محمد كغيره الا فى أربع مواضع اقتضت الحكمة ان يذكر هنالك باسمه محمد صلى الله عليه وسلم الاول قوله عز وجل وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل لان سبب انزالها ان الشيطان صاح يوم أحد قد قتل محمد وكان ما كان فأنزل الله تعالى هذه الآية ولو قال وما رسولى لقال الاعداء ليس هو محمدا فذكره باسمه لانهم ما كانوا ينكرون ان اسمه محمد الثانى قوله عز وجل ما كان محمد أبا احد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين الثالث قوله عز وجل الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله أضل أعمالهم والذين آمنوا وعملوا الصالحات وآمنوا بما نزل على محمد فلو قال وآمنوا بما نزل على رسولى لقال الاعداء ليس هو فعرفه باسمه محمد صلى الله عليه وسلم الرابع قوله عز وجل محمد رسول الله والحكمة فى ذكره هنا باسمه أنه سبحانه وتعالى قال قبلها هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله فكان من الاعداء من يقول من هو رسوله الذى أرسله فعرفه باسمه فقال محمد رسول الله وسماه تعالى باسمه أحمد فى موضع واحد وله حكمة وهى ان الله تعالى لما أرسل عيسى بن مريم عليه السلام قال لقومه من بنى اسرائيل يا بنى اسرائيل انى رسول الله اليكم مصدقا لما بين يدى من التوراة التى أنزلت على موسى ومبشرا برسول يأتى من بعدى اسمه احمد لانهم كانوا يعرفونه فى التوراة احمد فناداه سبحانه وتعالى باسمه محمد ولا احمد وانما ذكر ذلك اعلاما به وتعريفا له وما ناداه الا بالنبوة والرسالة فقال يا أيها النبى انا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا أى شاهدا بالايمان للمؤمنين ومبشرا لاهل

التمجيد ونذيرا لاهل التجميد وقيل شاهدا لاهل القرآن ومبشرا لهم بالغفران ونذيرا لاهل الكفر والعصيان وقيل شاهدا لامتك ومبشرا بشفاعتك ونذيرا لمن ارتكب مخالفتك وقيل شاهدا بالمنة ومبشرا بالجنة وقوله وداعيا الى الله باذنه اى يدعو الناس بأمر الله تعالى الى لا اله الا الله قال تعالى وانه لما قام عبد الله يدعوه وسمى رسول الله صلى الله عليه وسلم نفسه داعيا فقال أنا الداعى الى الله وقوله تعالى وسراجا منيرا أى يهتدى به كما يهتدى بالسراج فى ظلمة الليل فان قلت ما الحكمة فى قوله تعالى وسراجا منيرا ولم يقل قمرا منيرا فالجواب عن ذلك ان السراج أعم من القمر لان المراد بالسراج هنا الشمس قال تعالى وجعل الشمس سراجا والشمس أعم نفعا ونورا من القمر وقيل المراد بقوله تعالى وسراجا منيرا السراج الذى يقتبس منه لان القمر لا تصل اليه الايدى حتى يقتبس منه والسراج اذا كان فى بلد يعلا ذلك البلد نورا الا ان كل من جاء يقتبس منه والقمر ليس كذلك ولهذا كانت الدنيا قبل ولادته صلى الله عليه وسلم ظلاما فلما ولد ظهر سراج دينه بمكة فكان أول من اقتبس من الرجال أبو بكر ومن النساء خديجة ومن الشباب على ومن الموالى زيد ومن العبيد بلال رضى الله عنهم أجمعين وجاء سلمان من أرض فارس فاقتبس وصهيب من الروم وبلال من الحبشة ووفد الوفود واقتبسوا وأبو لهب الى جانب البيت ولم يقتبس واقتبس الناس من مشارق الارض ومغاربها حتى امتلأت الارض من نور سراجه فهو صلى الله عليه وسلم أعظم الانبياء وأكرم المرسلين وسيد الخلق أجمعين لم يخلق الله أحسن ولا أجمل ولا أكمل ولا أفضل ولا أفصح ولا أرجح ولا أسمع ولا أصبح ولا أجل ولا أعظم ولا أسخى ولا أكرم ولا أبهى ولا أنصف ولا أعدل منه صلى الله عليه وسلم فلو أن البحار مدادو النبات أقلام وجميع الخلق تكتب معجزاته صلى الله عليه وسلم لعجزوا عن وصف نزر النزر من معجزاته صلى الله عليه وسلم اللهم اجعلنا من خالص امته واحشرنا فى زمرته وأمتنا على محبته ولا تخالف بنا عن ملته ولا تحرمنا جاهه برحمتك يا ارحم الراحمين آمين وصلى الله على سيدنا محمد النبى الامى عدد ما ذكره الذاكرون وغفل عن ذكره الغافلون

يقول المتوسل بالنبى الامجد السيد الفقير المكتبى أحمد حمدا لمن زين الادباء بأنواع فنون البلاغه فحازوا قصب السبق فى مضمار الفصاحة والبراعه وصلاة وسلاما على المبعوث رحمة للعالمين وعلى آله وأصحابه والتابعين الى يوم الدين (أما بعد) فقدتم طبع كتاب المستطرف الذى هو فى كل فن مستظرف ويا له من كتاب قد جمع الآداب والمواعظ والحكم والنوادر واللطائف والرقائق واخبار الامم بعبارات فائقه واشارات رائقه وذلك بالمطبعة البهيه بالقرب من العلامة الدردير

فى مصر المحميه ادارة محمد افندى مصطفى أعانه وشريكه

الكريم وأسعفا فى شهر جمادى الآخرة

سنة ١٣٠٠ من هجرة النبى المكرم

صلى الله عليه وسلم